

وجه	وجه	لاي فراس الحمداني في الفخر
٢٩٧	٢٤٧	لاي العلاء المرعي في الفخر
الباب الثالث عشر في التاريخ	٢٤٨	الباب العاشر في المديح
٣١٣	٢٥٠	لزهري في مديح هرم بن سنان
٣١٣	٢٥٠	للنابغة الذبياني في عمرو بن الحارث
٣١٤		الفسائي
٣١٥	٢٥١	لعاقمة الفعل في مدح الحارث الوهّاب
٣١٦	٢٥٢	للفرزدق في عمر بن الوليد بن عبد الملك
٣١٧	٢٥٣	وله في وصف الامام زين العابدين
٣١٧	٢٥٤	لابن خفاجة في مدح يحيى بن ابراهيم
٣١٨	٢٥٦	لابن الازرق الاندلسي في مدح بن عاصم
٣١٨	٢٥٧	لابي تمام في هارون الواثق بالله
٣١٩	٢٥٨	وله في المعتمد بالله عند فتح عمورية
٣٢٠	٢٥٩	للتلمساني في مدح الملك المنصور
٣٢١	٢٦٣	لابي الطيب التني في الحسين التنوخي
٣٢٢	٢٦٤	وله يمدح ابا شعاع فائكا
٣٢٣	٢٦٥	وله يمدح سيف الدولة
حصار عكا والصليح	٢٦٨	الباب الحادي عشر في المراسلات
٣٢٤	٢٧١	مراسلات بين الملوك والأعيان
٣٢٥	٢٧٢	في الطلب والاشواق
٣٢٦	٢٧٦	في العتاب والولم
٣٢٦	٢٧٧	في المديح والتهنئة والشكر
٣٢٧	٢٧٨	في التعزية
٣٢٩	٢٨٥	في الوصاة
٣٢٩	٢٨٦	الباب الثاني عشر في التراجم
٣٣٠	٢٨٦	شعراء الجاهلية
٣٣١	٢٩٤	شعراء المخضرمون
٣٣٢		

وجه

٢١٠ الباب الثامن في المراني

٢١٠ لكعب بن سعد الغنوي في اخيه

٢١٢ لدريد بن الصرحة في مقتل اخيه

٢١٣ للهاهل في رثاء اخيه

٢١٤ للمالك التميمي في رثاء نفسه

٢١٦ لمسلم بن نويرة البربوعي يرثي اخاه

٢١٧ لشبل بن معبد الجلي يرثي بنيه

٢١٨ للهمذلي في رثاء بنيه السبعة

٢١٩ عينية علي بن جبلة في حميد الطوسي

٢٢١ لابي محمد الليثي في يزيد بن مزيد

٢٢٢ لصفي الدين الحلبي يرثي الملك ناصر الدين

٢٢٤ لابي تمام في محمد بن الفضل الحميري

٢٢٥ ولجيب يرثي القاسم بن طوق

٢٢٦ لابي العلاء المرعي في جعفر بن المهدي

٢٢٩ وله في فقيه حنفي

٢٣١ لابي الطيب المنيني يرثي ابا شجاع فانتك

٢٣٤ وله يرثي والده سيف الدولة

٢٣٦ وله ايضا في رثاء جدته

٢٣٨ الباب التاسع في الفخر

٢٣٨ قصيدة طرفه في الفخر

٢٣٩ لعبيد بن الابصر الاسدي

٢٤٠ لعروة بن الورد العبسي

٢٤١ لحسان بن ثابت لبشر بن ابي حازم

٢٤٢ للمفردق التميمي في الفخر

٢٤٤ للاديب ابي عبد الله بن الفخار المالقي

٢٤٥ للفخراني في الفخر

٢٤٦ لابي تمام يفخر بقومه

وجه

١٦٦ في وصف سفر البحر

١٦٧ وصف دولة بني حمدان

١٧١ لبشر بن ابي عوانة يصف قتاله الاسد

١٧٢ صفة النفس لابن سيناء الرئيس

١٧٣ لعلي بن محمد الايادي يصف أسطولا

لابي فراس الحمداني يصف قتال سيف

الدولة لاهل قنصرين

١٧٥ لابن طباطبا الحسيني في وصف النيل

١٧٦ للربيع بن زياد العبسي في وصف حرب

للحلي في وصف قدوم الكراكي

١٧٨ وله في صفة الشمع

١٧٩ وصف الفيل لابن حسن الجوهري

١٨٠ وصف الكرمه للطغراني

١٨١ زهرية الفقيه ابي الحسن بن زنباع

١٨٢ لابن حمديس يصف دارا بناها المنصور

١٨٤ الباب السابع في الشعر القديم

١٨٤ نخبة من معلقة امرئ القيس

١٨٥ نخبة من معلقة طرفة البكري

١٨٦ نخبة من معلقة زهير بن ابي سلى

١٨٦ نخبة من معلقة ابيد العامري

١٩١ نخبة من معلقة عمرو بن كلثوم

١٩٦ نخبة من معلقة الحارث بن حنظلة الشكري

١٩٩ نخبة من معلقة عنتر بن شداد العبسي

٢٠١ لامية العرب

٢٠٤ نخبة من لامية العجم للطغراني

٢٠٦ قصيدة النابغة يعتذر بها الى النعمان

٢٠٨ نخبة من لامية اعشى قيس

فهرس الجزء السادس من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
١٠٦	٣
١٠٩	٣
١٠٩	١١
١١٣	١٢
١١٣	٢٢
١١٦	٣٢
١١٩	٣٢
١١٩	٣٨
١٢٣	٤٣
١٢٨	٤٧
١٣١	٤٧
١٣٥	٤٧
١٣٨	٤٨
١٤٣	٥٠
١٤٢	٥٢
١٤٤	٥٦
١٤٧	٥٧
١٥١	٦٢
١٥٤	٦٢
١٥٦	٦٦
١٥٧	٧٩
١٥٩	٨٥
١٦٢	١٠٦
١٦٢	١٠٦
١٦٤	١٠٦

الباب الأول في الخطب

من كتاب اطواق الذهب للزمخشري

خطبة لبديع الإيمان الحمذاني

نخبة من خطب الحريري

موعظة لابن الجوزي

نخبة من مراعاة لسان الدين بن الخطيب

من كتاب الاعياد السيدية لابي الخليم

لعيد الميلاد الجسدي المقدس

لصباح احد القيامة المبارك

لعيد الرسل الاطهار

الباب الثاني في الخطب الحماسية

تحريض خالد على القتال في اجنادين

خطبة امراء المسلمين في وقعة اليرموك

خطبة طارق قبل فتوح الاندلس

خطبة ابي حمزة بالمدينة

تقليد السلطان للملك الظاهر

خطبة ابي اذينة لابن المنذر

قصيدة الحلي يحرز بها الصالح من المنول

الباب الثالث في المناظرات

مناظرة بين بلاد الاندلس

مغايرة بين السيف والقلم لجمال الدين

رسالة ابن الوردي في السيف والقلم

مشاورة المهدي لاهل بيته في حرب خراسان

الباب الرابع في المقامات

نخبة من مقامات ابن الوردي

المقامة الانطاكية

نخبة من مقامات شهاب الدين الخفاجي

مقامة الغربة

نخبة من مقامات بديع الزمان الحمذاني

المقامة الاهوازية

المقامة القزوينية

المقامة الناجمية

نخبة من مقامات الحريري

المقامة البرقيمية

المقامة الاسكدرية

مقامة البغدادية

المقامة الكرچية

المقامة التفليسية

المقامة الروية

الباب الخامس في اللطائف

ابن الخباج يتند عبد الملك بن مروان

اجازة عبيد الارص وامرئ القيس

علي بن ظافر عند الملك العادل

للبياتي يرثي ضربه بعد قلمه

للعري على لسان درع يخاطب سيفاً

وله على لسان رجل يطلب درع ابيه

للفارضي في التغزل بالكلمات الالهية

خمرية الفارضي وشرحها للبوري

الباب السادس في الوصف

وصف المطر والسمامة

لابن الاثير في وصف الخيل

(٧٦١ هـ) وهو اول من اتخذ الممالك وسماهم ينشئة يعني العسكر الجديد والبسم اللباد
الايض المثنى . ثم ملك بعده ولده السلطان يلدرم بايزيد خان (٧٩٢ هـ ١٣٨٩ م) وله
فنوحات كثيرة منها نيقية عاصمة بلاد الكرمان وتوقات وصامسون . وحاصر الاستانة
ولم يفتحها والتزم صاحبها بالخراج . ثم استظهر تيمورلنك على بايزيد كما مر (١٤٠٢ م) . ثم
خلفه ابنه محمد الاول بعد ان قتل اخوته (٨١٦ هـ ١٤١٤ م) وقتل ببلاد القرماني . ثم
خلفه ابنه مراد الثاني (٨٢٤ هـ ١٤٢٢ م) الذي غزا بلاد ارندو وفتح مورة وسالونيك وضرب
السكة باسمه وانتصر عليه ملك المجر . ثم ولي الامر بعده ابنه محمد الثاني (٨٥٥ هـ ١٤٥١ م)
وهو الذي فتح القسطنطينية (١٤٥٣ م) وغزا بوسنة وغلبه القرال (خاؤونياد) في بلاد
بلغراد ودفعه الاستبارية عن رودس . ثم ملك بعده ابنه بايزيد الثاني (٨٨٦ هـ ١٤٨١ م)
قاتل اخاه جيم وغلبه ثم استنزل عن الملك لابنه سليم الاول (٩١٨ هـ ١٥١٣ م) . ففتح سليم
مصر والشام واستولى على بلاد العرب وفارس واباد ملك الجراكسة فيها . ثم خلفه ابنه سليمان
خان (٩٢٦ هـ ١٥٢٠ م) استولى على رودس وكوفوس وعراق العجم وردة النصارى عن
فيثا ومالطة (وكان يحبسها لافالت) . ثم ملك بعده سليم الثاني ابنه (٩٧٤ هـ ١٥٦٧ م) فتح
تونس وقبرس واليمن وغلبه الفرنج في خليج (ليبنت) . ثم تولى بعده السلطان مراد الثالث
(٩٨٢ هـ ١٥٧٣ م) قهر الكرج وفتح تفلنس . ثم ملك ابنه محمد الثالث (١٠٠٣ هـ ١٥٩٥ م)
غزا المجر وغلبهم . ثم عقبه ابنه احمد الاول (١٠١٢ هـ ١٦٠٣ م) وهادن الفرنج . ثم تولى بعده
السلطان اخوه مصطفى الاول وخلفه ينشئة لثلاثة اشهر من ملكه . ثم ملك عثمان الثاني
ابن احمد الاول (١٠٢٧ هـ ١٦١٨ م) قتله ينشئة وارجعوا مصطفى ثانية (١٠٣١ هـ)
ثم خلفه مراد الرابع (١٠٣٢ هـ ١٦٣٣ م) فتح بغداد وقهر العجم . ثم تولى الملك بعده ابنه
ابراهيم (١٠٤٩ هـ ١٦٤٠ م) ثم السلطان الغازي محمد الرابع (١٠٥٨ هـ ١٦٤٧ م) غلبه
المجر في سنغودار وكسر عسكره سويسلي في فيثا ثم ملك بعده سليمان خان الثاني (١٠٩٩ هـ)
(١٦٨٨ م) فتح جزيرة كندية . ثم ملك بعده احمد الثاني (١١٠٢ هـ ١٦٩١ م) انتصر عليه
اللان . ثم ملك مصطفى الثاني (١١٠٦ هـ ١٦٩٥ م) . ثم الغازي احمد الثالث (١١١٥ هـ)
(١٧٠٤ م) . ثم الغازي محمود الاول (١١٤٢ هـ ١٧٣٢ م) . ثم عثمان الثالث (١١٦٨ هـ)
(١٧٥٧ م) . ثم مصطفى الثالث (١١٧١ هـ ١٧٦٩ م) . ثم عبد الحميد خان الاول (١١٨٧ هـ)
(١٧٧٥ م) . ثم سليم خان الثالث (١٢٠٣ هـ ١٧٩٠ م) . ثم مصطفى الرابع (١٢٢٢ هـ ١٨١٠ م) .
ثم الغازي محمود الثاني (١٢٢٣ هـ ١٨١٠ م) . ثم الغازي عبد الحميد خان (١٢٥٥ هـ)
(١٨٤١ م) . ثم عبد العزيز خان (١٢٧٧ هـ ١٨٦٣ م) . ثم مراد خان الخامس فخلع (١٢٩٣ هـ)
(١٨٧٦ م) . ثم السلطان عبد الحميد (١٢٩٣ هـ ١٨٧٧ م) فخلع سنة (١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م)
وخلفه اخوه رشاد السلطان الدستوري وسمي محمد الخامس . ايده الله بالمرء والتوفيق

ابيض اللون مشرباً بحمرة عظيم الجبهة والراس عريض الاكتاف مستكمل البنية جدير
الصوت وبه قَزَل . فلماً بلغ أشدهُ جعل يطوف في الصحاري والغابات يترَبِّص الفرسة
لاستقاذ بلده فانضمَّ الى الحسين امير خراسان لمحاربة امير بلاد ما وراء النهر فظفر به . ثم
حاول على الامير حسين ونقض عهدهُ وانتزع منهُ مدينة بلخ فاخرجها وقتل الحسين شَرَقْلَةَ .
ثم عبر جييون وحاصر السلطان غياث الدين في هراة وكبس المدينة وقتل بغياث الدين ثم
عاد الى خراسان ووضع السيف في اهل سجستان وافناهم من بَكْرَةِ ابيهم . ثم خَرَّب المدينة ولم
يبق لها من اثر . وفي سنة (٥٧٨٨ هـ) زحف الى بلاد فارس وعراق العجم فاستولى عليها . ولماً
بلغهُ موت فيروز شاه سلطان الهند قفل الى الهند وفتح مدنها الحريزة واستخلف عليها رجلاً
من اصحابه . وسار نحو سيواس وكان يملكها الامير سليمان بن السلطان بايزيد فقام عن لقاء
تيمور وفرَّ ناجياً بنفسه . ثم اجتمع على فتح الشام فضمَّ اليه اطرافه لقتال ملكها قَرَج برقوق من
الملوك السراكسة فالتقى بابنه عند حلب فهزمه ودخل المدينة واستباحها . وملك حماة وبعليك
على الأمان . ثم زحف الى دمشق فخرج برقوق لمحاربته فالتحم الفريقان وآل القتال الى كسرة
برقوق وقهره فافتتح تيمور دمشق غنوة وقتل وسفك الدماء وعاث فيها واضرم النار في
جامعها الأموي . وفي سنة (٥٧٩٥ هـ) كَرَّ بمساركه على مدينة بغداد وهزم سلطانها احمد من
وُلْد هولاء وملكها بعد ان اوسع اهلها قتلاً وسيئاً . ثم صمَّ العزم على الاغارة على ممالك
الأتراك فسار الى قراباغ وكان لا يدخل في مسيره قرية الا افسدها ولا يتزل على مدينة
الا ومحاصرها وبددها . ثم راسل السلطان بايزيد خان المجاهد الغازي يدعوه الى طاعته فتوجه
الى ملاقاته واجتمع المسكران على نحو ميل من مدينة انقره . فاشتعلت الحرب بين الفئتين
من الضعفى الى العصر حتى ترك السلطان طائفة من عسكره وذهبوا الى تيمور فكان ذلك
سبباً لكسرتيه ووقوعه في مغالب تيمور فسكبَّله في قفص من حديد ففضى فيه نجبه . ثم اندرأ
تيمور راجعاً الى سمرقند مُظْفَرًا فما فتى ان وافقه المنون وكشف الله عن العالم كربة
(٥٨٠٧ هـ) فلك بعده ابنه شاخ رخ ثم انتقل الملك الى اعقابيه الى ان تلاشى واضمحَلَّ (لابي الفرج)

ظهور الدولة العثمانية وذكر سلاطينها (٦٩٩ — ١٣٠٣ هـ) (١٢٩٩ — ١٨٨٤ م)

٢٢٥ قال القرمانى : وهم من اعظم السلاطين اجمه و جلالة واشدهم قوةً واثاراً . واول من
ملك منهم الامير عثمان الغازي (٦٩٩ هـ ١٣٠٠ م) واصله من التراكمة الرحالة التُّرَّالة من
طائفة التتر وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه . وكان شجاعاً مقداماً افتتح بلاداً كثيرة من يد
السلجوقيين فاستقلَّ عليها . ثم ولي بعده ابنه اورخان (٧٢٦ هـ ١٣٢٦ م) افتتح بَرُوساً وجعلها
مقر سُلْطَنَتِهِ واستولى على كليوبولي وهي مدينة جليلة على شاطئ البحر بينها وبين قسطنطينية ستة
وثمانون ميلاً . ثم ملك بعده ولدهُ مراد الاول الغازي (٧٦١ هـ ١٣٦٠ م) افتتح ادرنة سنة

واحرقوها ونهبوا نواحيها . ثم ساروا لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه وكان عهد له ابوه قبل موته وكان جلال الدين هذا استظهر على التتر وكبهم في قندهار . فبعث جنكزخان الى مدينة خوارزم عسكرياً عظيماً لعظمها لانها كرسي الملك وموضع المساكن . فسارت عساكر التتر اليها مع ابني جغتاي واوكطاي فحاصروها خمسة اشهر ونهبوا عليها الآلات فامتعت . فاستمدوا عليها جنكزخان فامدّهم بالمساكن متلاحقة . فزحفوا اليها وملكوا جانباً منها ومازلوا يملكونها ناحية ناحية الى ان استوعبوها ثم فتحوا السد الذي يمنع ماء جيحون عنها فسار اليها جيحون ففرّقا . وانقسم اهلها بين السيف والفرق . ثم جدوا في عقب جلال الدين وهم ينقمون عليه فادركوه وهو نازل مع عسكريه على نهر السند . ولما بين وسيلة للخلاص اقتحم النهر بفرسه وفرّ ناجياً بنفسه وتخلص من عسكريه ثلاثمائة فارس واربعه آلاف رجل وبعض امرائه . فاجاز التتر الى بلاد ما وراء النهر والى همدان وقزوين وأذربيجان وهم يضمون السيف في من قاومهم ويؤمنون من سالمهم ويفتحون عنوة المدن المشتهة عنهم ويستبيحونها . ثم انضاف الى التتر جموع من التركمان والاكراذ وساروا الى الكرج واخترأ فيهم . واثنتوا قصبته تبريز (لابن خلدون وابن الاثير) .

٢٢٣ ثم ساروا الى بيلقان فحاصروها . وبشوا الى اهل البلد رجلاً من اكابرهم يقرّ معهم في المصانعة والصلح فقتلوه . فاقام التتر في حصارهم وملكوا البلد عنوة (٦٠٨ هـ) . واستحموا اهلها والنحشوا في القتل واستباحوا جميع الضاحية قتلاً ونهباً وتخريباً . ثم ساروا الى قاعدة اران وهي كنجة فصالحوا اهلها ثم عبروا الدربندر (الدنبر) وخرجوا الى الارض الفسيحة وجاءهم القنجاقي والان والكن وطوائف من الترك . فاوقعوا بتلك الطوائف واكتسحوا عامة البساط . وقتلهم جموع من القنجاقي والان ودافعوهم ولم يطبق التتر مغالبتهم . ثم عادوا الى محاربة قنجاقي وانتهوا الى مدينتهم الكبرى سراي على بحر نيطش المتصل بمغليخ القسطنطينية فملكوها . واقترب اهلها واعتم بهم بالحبال والغياض وركب بعضهم الى بلاد الروم . ثم ساروا سنة (٦١٠ هـ) الى بلاد الروس المجاورة للقنجاقي وهي بلاد فسيحة واهلها يدينون بالنصرانية فاستطرد لهم التتر مراحل ثم كبروا عليهم واكتسحوا بلادهم واخترأ فيهم قتلاً وسبياً ونهباً . ثم قصدوا بلغار وهدموا واحرقوا ونهبوا واربعوا . وفي سنة (٦١٤ هـ) قفل جنكزخان من الممالك الغربية الى منازل القديمة الشرقية فعرض له مرض في طريقه . ولما قوي مرضه استدعى اولاده جغتاي واوكطاي وتولي خان واورخان واوصاهم بوصايا وطرائق في سياسة الملك وعين لكل من هولاء مملكة من الممالك واوصى بالتخت لاوكطاي

ظهور فيمورلنك وفتوحاته (٧٣٦ - ٨٠٣ هـ) (١٣٣٦ - ١٤٠٥ م)

٢٢٤ ذكر ليمورنسب يتصل بجنكزخان من جهة النساء . وكان رجلاً ذا قامة شاحقة

ذكر التتر - فتوحات جنكيز خان (١١٦٣ - ١٢٢٧ م)

٢٢١ اتفق اهل التاريخ ان التتر اسم لا يضمها احصاء . وهم رجال يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد في بلادهم . واكثر دوابهم الخيل وايقواهم الأرر والبان الخيل ولحومها . وتعرف ملوكهم بالخان وهي سمتهم الخاصة . وكانوا مبدين في دشت قبيان في حدود ملك الخطا والصين في سهول وواواري يتهارجون فيها كالحيوانات السائغة لاحاكم يردعهم ولا دين يجمعهم حتى نبغ فيهم هذا الطاغية جنكيز خان . وكان ظهوره في زمان ركن الدين بن زنكي . وكان وقتئذ المستولي على قبائل الترك المشاركة اوتك خان . وهو المسمى الملك يوحنا من القبيلة التي يقال لها كريت وهي طائفة تبدين بالصرانية . وكان رجل مؤيد من غير هذه القبيلة يقال له قوجين ملازماً لخدمة اوتك خان من سن الطفولة الى ان بلغ حد الرجولية . وكان ذابأس في قهر الأعداء فحسده الاقران وعوا به الى اوتك خان . ولا زالوا يفتابونه عنده حتى اتهمه بتغيير النية وعم باعتقاله والقبض عليه . فاطلع قوجين على المسكدة فكرر مع خدمه على اوتك خان فقتله وابطاله ففسبى جنكيز خان . ثم علا شأنه وارسل الرسل الى جميع الترك فن اطاعه وتسبعه سعيده ومن خالفه خذل . فسار أولاً يقصد سلطان الخطا والصين والتون خان قاباده . واستصفي ولايته وبلاده (٥٦٠١)

وكان جنكيز خان رجلاً امياً لا يقرأ ولا يكتب وكان لم يتقيد بدين بل يعظم علماء كل طائفة . وكان يميل الى النصارى ويعين الظن بهم ويكرمهم ويرجع الى قول اساقفتهم ولا يعدل عن رأيهم . واخترع جنكيز خان هو نفسه في الملك قواعد سلك فيها . ولما لم يكن للتتر كتاب ولا خط فامر بحقلاء مملكته واذكباء قبيلته ان يضعوا خطاً وقلماً فيوضعوا له قلم المغل ورتبوا له كتاباً اسمه الباسق الكبير . وكان كرسي مملكته قراقروم . وكان سبب مسيره الى ممالك الاسلام انه ارسل الى خوارزم شاه محمد رسلاً جهداً يسأل الموادة والاذن للتجار من الجانبين في التردد في متاجرهم فاستنكف السلطان من ذلك وقتل الرسل خفية . ففشا الخبر الى جنكيز خان فسار في العساكر واستولى على انزار وبخارى وسمرقند واضرموا في محاربا النار وجعلوا عمالها وامراءها تكالاً لغيرهم . وتوغلوا في البلاد وانتهوا الى بلاد ديجور واكتسحوا كل ما مروا عليه . ففر من وجهه خوارزم شاه ففرج جنكيز خان العساكر في اثره نحواً من عشرين الفا فاجفلوه الى خراسان والى طبرستان فحاض بحرهما ووصل الى بعض الجزائر فطرقة المرض جافات (تاريخ القرمانى وابي الفرج الملقب)

٢٢٢ فسار التتر بعد مهلك خوارزم شاه الى خراسان ففتحو اكلات من احصن القلاع الى جانب جيعون واوسعوها خباً وعبروا الى بلخ وملكوها على الأمان (٥٦٠٢) . ثم ساروا الى مرو وخرامة واما من ائمنع البلاد فمحصروها عشرًا وصدقوا عليها الحملة فملكوها

عنوة ثم كثر راجعاً الى طرابلس وجها بويوند الفرنجي فلم يدرك منها وطرة . فسار الى صفد وفتحها واستلم الفرنج الذين بها والغش في قتالهم ثم رجع الى مصر وأمر بتجديد الجامع الأزهر واقامة الخطبة به . ثم خرج الى دمشق واكتسح بسائط عكاً واحتل مدينة يافا وصيدا وسار الى انطاكية ثانية وفتحها على الامان فحرب قلعها واضربها نارا فبقيت في ملك الفرنج نحو ١٢٠ سنة زحفة الفرنج التاسعة وحصار تونس (١٢٧٠) انقراض دولة الفرنج في المشرق (١١٩١)

٢٢٠ وفي سنة ٦٦٨ هـ في ايام المستنصر بالله عبد الله محمد صاحب تونس اعترم ريدفرنس لويس بن لويس على الحركة الى تونس . فارسل الى ملوك النصارى يستنصرهم الى غزوها وارسل الى البابا خليفة المسيح بزعمهم فاعز الى ملوك النصرانية لمظاهرة . فاجاب جماعة من ملوك الفرنج لغزو بلاد المسلمين فشاع خبر استعداد النصارى للغزو . وهم المسلمون بترميم الثغور وامر المستنصر بسائر عمالاته بالاستكثار من العدة وأرسل في الثغور بذلك وباصلاح الأسوار واختزان الأحباب . واوفد السلطان على ملك افرنسيس رسله ومشارطته على ان يكف غربه فلم يرض وجمع الطاغية حشده وركب اساطيله الى تونس سنة ٦٦٨ هـ . فاجتمعوا بسرديانية ونادى السلطان بالندير بالعدو والاستعداد له والغير الى اقرب المرافئ وبعث الثواني لاستطلاع الخبر . فتوالت بعد مدة الاساطيل بمرسى قرطاجنة فتلوا بالساحل وكانوا زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين الفا من الرجال . وكانت اساطيلهم ثلاثمائة بين صغار وكبار وكانوا سبعة يعاسيب فيهم الفرنسيس واخوه صاحب صقلية والعلمة زوج الطاغية وتسمى الرينة . وأنزلوا عساكرهم بالمدينة القديمة من قرطاجنة وكانت مائتة الجدران فوصلوا ما فصله الخراب من أسوارها بالواح الخشب وفضدوا شرافاتها وأداروا على السور خندقاً بعيد الموى . وتحصنوا وأقاموا متحرسين بتونس ستة اشهر والمدد يأتيه في اساطيله من البحر من صقلية والعدوة بالرجال والاسلحة والاقوات . وبعث السلطان في مائة حشداً فوافته الامداد من كل ناحية من المغرب والاندلس وقبائل العرب فاضلت الحرب ومات من الفريقين خلق . وفي خلال ذلك هلك ريد افرنس يقال اصابه مرض الوباء ولما توفي اجتمع النصارى على ابنه فبايعوه . ثم بعث شيخه الفقهاء لعقد الصلح مع الفرنج بمال اغرفة لهم صاحب تونس . فرجع الفرنج الى عدوتهم . وفي سنة ٦٨٨ هـ في ايام السلطان المنصور قلاوون استنفر المسلمون من مصر الى حصار طرابلس فنصب عليها الجانيق وفتحها عنوة فاستباحها . ثم خلفه في الملك ابنه الأشرف خليل فكان اول اعماله حصار عكاً متمماً عزمه . فتناوشوا القتال مع الفرنج وهدم الخليل كثيراً من ابراجها وشحنها بالمقاتلة واستنجموا من كان فيها واكثروا القتل والسبي في الفرنج واستوعمهم السيف . وبلغ الخبر الى الفرنج بصور وصيدا وبيروت فاجفلوا عنها وتركوها خاوية فانقطع امر الفرنج من المشرق سنة ٦٩٠ هـ (لابن خلدون)

قبرس وشي جيا . ثم عبر سنة ٦٤٧ هـ الى دمياط وجا بنو كنانة انزلهم الصالح ابن الملك العادل جيا حامية . فلما رأوا ما لا قبل لهم به اجفلوا عنها . فلما كماري افرنس . بغير تعب ولا قتال وكان هذا من أعظم المصائب . فبلغ الخبر الى الصالح وهو بدمشق وعساكره نازلة بتمصر ففكر راجعاً الى مصر ونزل المنصورة وقد اصابه بالطريق وعك . فامر بصلب الامراء المنهزمين من دمياط وكانوا أربعة وخمسين اميراً فاشتد عليه فتوفي . وكان ملكه في الديار المصرية تسع سنين وكان ميبساً عالي الهمة عفيفاً طاهر اللسان والذيل وكان جمع من الممالك الترك ما لم يجمع لغيره . وكنتم أهل الدولة موته حذراً من الفرنج وقامت زوجته شجرة الدر بالأمر وكانت تركية داهية لا نظير لها في النساء والرجال . فجمعت الامراء وقوت جاشم واستخلفتهم . فبايعوا ابن الصالح الملك المعظم تورانشاه ثم انتشر خبر الوفاة . فشرى الفرنج الى قتال المسلمين ودلف طرف منهم الى المعسكر فانكشف المسلمون وقتل الاتابك فخر الدين مقدم المعسكر . ودخل الفرنج المنصورة ولم ينالوا منها نيلاً طائلاً لانهم حصلوا مضايق أزعجتهم . وكانت العامة يقاتلونهم بالحجارة والأجر والتراب وخيولهم الضخمة لم تستمكن من الجولان بين الدروب . ثم عي ريد افرنس جوشه وسار جمع طالباً ارض مصر فصر المصريون الى ان عبر الفرنج الخليج من النيل المسقى اشمون فتوجهوا نحوهم والتقى العسكران واثقتل الفريقان قتالاً شديداً وانجبت الحروب عن كسرة الفرنج برأ وبجراً . فضمعت حالهم لذلك فارسلوا يطالبون القدس وبعض الساحل وان يسلموا دمياط الى المسلمين فلم تقع الاجابة الى ذلك . ثم أقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة وفنت أزوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فلم يبق لهم صبر على المقام . فرحلوا متوجهين الى دمياط وركب المسلمون اكنافهم وبدلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وقُتل منهم اكثر من ثلاثين الفا . واعتقل الملك ريد افرنس ومعه جماعة من خواصه واکامروه . وفي خلال ذلك هلك الملك المعظم قتله الممالك الشيرين من ملكه وقدموا عليهم اميراً منهم يُلقب بعز الدين التركماني . ونهضوا الى ريد افرنس وجددوا معه اليمين واقتدى منهم بالالف دينار وتسليم دمياط فاطلقوه . فاقطع مع اصحابه الى عكا سنة ٦٤٨ هـ واتم عمار يافا وهدم المسلمون سور دمياط لما حصل للمسلمين عليها من الشدة مرة بعد أخرى . ثم استقر الملك بعد قتل شجرة الدر في ايدي الأشرف موسى فبقي في امارته مدة وعزل خمس سنين من ولايته وانقرض به ملك بني أيوب . واجتمعت مصر والشام في مملكة الترك فاستبدوا بالملك . وكان اول ملكهم المغزيب التركماني ثم خلفه ابنه المنصور خلعه قطز المغزي فاستبد بالملك وارتجع الشام من لنتر وكانوا استولوا عليها سنة ٦٥٨ هـ . ثم قتل الظفر قطز واستقل الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٥٨ هـ ثم جهز العساكر فسار الى مقاتلة التتر فاجنلوا وولوا هاردين . وقصد قيسارية وهي للفرنج فاقنعم عليها وفتحها وشن على اعمالها الغارة . وسرح عساكره الى حيفا وأرسوف وملكهما

بشهر حتى ملكوه . فمهدوا الى البر المتصل بدمياط واشتد في قتالها وهي في قلعة من الحامية لاجفال
 المسلمين عنها بنته . ولما جهدهم الحصار وتمدّر عليهم القوت استأنبوا الى الفرنج فملكوه سنة
 ٦١٦ هـ وقاموا في عمارتها وتحصينها وأقام :لكامل قريبا منهم الحامية البلاد وبني المنصورة بقرب
 مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط . وكان الكامل قد خلف أباه السلطان العادل بالملك في
 مصر وكان العادل قد توفي سنة ٦١٥ هـ وكان له من العمر خمس وسبعون سنة . وكان العادل
 حازما متيقنا غزير العقل شديد الآراء ذامك وخديعة آتته السعادة واتسع ملكه . وفي سنة
 ٦١٨ هـ كان اجتماع الملك المعظم والملك الأشرف مع نخبة صاحب ماردین وءسكر حلب
 والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص واتصال الجميع بالملك الكامل على
 عزم قصد الفرنج وردّ دمياط منهم . فاحاطوا بهم وضيقوا السبل عليهم فاجابوا الى الصلح على
 تسليم دمياط واطلاق ما بأيديهم من أمبري المسلمين واطلاق ما بأيدي المسلمين من أسراهم وقرّر
 الصلح الدكاد نائب البابا وملك عكا وملوك فرنجية ومقدمو الفداوية والاستقارية . وتسلم الكامل
 دمياط يوم الاربعاء تاسع عشر رجب وكانت مدة مقام الفرنج بها سنة كاملة وأحد عشر شهرا
 وفي سنة ٦٢١ هـ قدم امبراطور الألمان الى عكا مع جموعه والامبراطور معناه ملك الامراء .
 وانما اسم الامبراطور المذكور فرديك (فريدريك الثاني) وكان بين ملوك الفرنج محبا للمحكمة
 والمنطق والطب مائلا الى المسلمين . وكان الملك الكامل قد أرسل اليه فخر الدين يستدعيه الى
 قصد الشام بسبب اخيه المعظم . فوصل الامبراطور وقد مات المعظم فنشب به الملك الكامل .
 ولما وصل الامبراطور استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب .
 فعمر الفرنج سورها واحتلوا فيها ثم ترددت الرسل بين الملك الكامل وبين الامبراطور .
 ولما طال الامر ولم يجد الملك الكامل بدا من المهادنة اجاب الامبراطور الى تسليم القدس اليه
 على ان تستمر اسوارها خرابا ولا يعمرها الفرنج . ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع
 الأقصى ويكون الحكم في الرساتيق الى والي المسلمين . ويكون لهم من القرايا ما هو على الطريق
 من عكا الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك وتحالفوا عليه . وتسلم الامبراطور القدس
 ورجع الى عكا وركب البحر الى بلده . وكانت وفاة الملك الكامل صاحب مصر بدمشق سنة
 ٦٣٥ هـ . فاستولى على مصر ابنه العادل فخرج بعد وفاة الكامل صاحب الكرك الناصر داود الى
 القدس وكان الفرنج عمرّوا قلعتها فحاصرها وفتحها وضرب القلعة وخرّب برج داود (لبي الفداء)

زخفة الفرنج الثامنة الى المشرق (١٢٤٨ — ١٢٥٢ م)

٢١٩ كان ملك افرنسة (هو لويس بن لويس) من أعظم ملوك الفرنج ويسمونه ريد
 افرنس فاعتزم على سواحل الشام وسار لذلك كما سار من قبله ملوكهم . فخرج قاصدا الديار
 المصرية فجمع عساكره فارسها ورجالها وركب البحر بأموال جزيلة وأهبة جميلة فاجاز الى

على انملك بها وتقاتلوا فخرجت القرعة على الكندقندر فنكبها على ان يكون لدموس البنادقة
الجزائر البحرية افریطس ورودرس وغيرها ويكون لمركيش الفرنسيس الخليج مثل نبقية
وفيلادلف ولم تدم له فانها تغلب عليها بطريق من بطارقة الروم اسمه لشكري . ولم تزل
القسطنطينية بيد الفرنج الى سنة ٦٦٠ هـ فقصدها الروم واستعادوها من الفرنج .

ولما ملك الفرنج القسطنطينية من يد الروم تكاثروا على البلاد ووصل جمع منهم الى الشام
وارسوا بعلكا عازمين على ارتجاع القدس من المسلمين . ثم صاروا في نواحي الاردن فاكثروها
وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من الشام ومصر . وسار فتراب بالطور قريبا من عكا
لمدافعتهم وهم قبانته وساروا الى كفر كنا فاستباحوه . ثم ترأسوا في الهادنة على ان ينزل لهم
العادل عن كثير من مناصب الرامة وغيرهم ويعطيهم يافا . ولما استقرت الهدنة اعطى العساكر
دستورا وسار الى مصر واقام في دار الوزارة . فقصده الفرنج حماة وقاتاهم صاحبها ناصر الدين
فهنزموه . وفي سنة ٦٠٣ هـ اكثرت الفرنج الغارات بالشام بمجدثان ما ملكوا القسطنطينية فنجز
المسلمون عن دفاعهم . واغار اهل قبرس في ليجر على اسطول مصر فظفروا منه بمدة قطع وآسروا
من وجدوا فيها . فبعث العادل الى صاحب عكا يتبع عليه بالصلح فاعتذر بان اهل نهرس في
طاعة الفرنج القسطنطينية وانه لا حكم له عليهم فخرج العادل في العساكر الى عكا حتى صالحه صاحبها
على اطلاق امرى من المسلمين . ثم نازل طرابلس ونصب عليها الجانيق وعاث العسكر في بلادها
وقطع قنائم ثم عاد عنها الى دمشق (لابن خلدون)

زحفة الفرنج السادسة الى المشرق (١٢١٦ م) الزحفة السابعة (١٢٢٨ م)

٣١٨ كان صاحب رومية اعظم ملوك الفرنج بالعدوة الشمالية من البحر الرومي وكانوا كاهن
يدينون بظاعته . فبلغه اختلاف احوال الفرنج بساحل الشام وظهور المسلمين عليهم فانتدب الى
امدادهم وجهز اليهم العساكر فامتلوا امره من اياته . وتقدم الى ملوك الفرنج ان يسروا بانفسهم
وتوافت الامداد الى عكا سنة ٦١٤ هـ . فسار الملك العادل من مصر الى نابلس فبرز الفرنج
ليصدوه وكان في خوف من العساكر فخام عن لقائهم فاغاروا على بلاد المسلمين ونازلوا باناس
ورجعوا الى عكا وامتلات ايديهم من النهب والسبي . ثم حاصروا حصن الطور وهو الذي
اختطه الملك العادل فرجعوا عنها . فبعث السلطان وخرجا لئلا يملكها الفرنج وخرب اسوار
القدس حذرا عليه منهم ثم سار الفرنج في البحر الى دمياط وارسوا بسواحلها والنيل بينهم وبينها .
وكان على النيل برج حصين تمر منه الى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع السفن في البحر
البح ان تصعد في النيل الى مصر . فلما نزل الفرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سورا بينهم
وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط واستكثروا من آلات الحصار فبعث العادل الى ابنه
الكامل الامر بان يخرج في العساكر ويقف قبالتهم ففعل . وألح الفرنج على قتال ذلك البرج اربعة

وكان دأسياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة . وكان يوم وفاته لم يصيب الاسلام والمسلمين بمثله منذ فقدوا الخلفاء الراشدين . وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لم يعلمه الا الله . فتمتني الناس ان يكونوا فداء من يعز عليهم . واستقر بعده الملك لابنه العزيز عثمان في مصر ولولده الملك الأفضل بدمشق . ولما توفي صلاح الدين وملك اولاده بعده جدد العزيز المدينة مع الكند هنري ملك الفرنج كما عقد ابوه معه . وكان أمير بيروت يبعث الثواني للاغارة على الفرنج فشكوا ذلك الى العادل فلم يكفهم . فارسلوا الى ملوكهم وراء البحر يستجندونهم فامدوهم بالعساكر واكثرهم من الألمان . فوصل منهم جمع عظيم الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت . فسار الملك العادل صاحب الجزيرة الى يافا واتهم النجدة من مصر والجزيرة . فملكوا المدينة وخربوها وامتنع الحامية بالقلعة فحاصروها وفتحوها عنوة واستباحوها . فجاء الفرنج من عكا لصربخ اخرتهم فبلغهم وفاة الكند هنري فرجعوا ثم اعتزموا ونزلوا تبين سنة ٥٩٤ هـ فارسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر . فسار العزيز بنفسه واجتمع بعمه على تبين فرحل الفرنج على اعقابهم الى صور خائين . ثم اختاروا لهم ملكا صاحب قبرس اموري الثاني خليفة غيد وفجاءهم وزوجوه بملكهم زوجة الكند هنري . ثم تناوش المسلمون والفرنج القتال ثم تراسلوا مع الملك العادل في الصلح وانهقد بينهم في السنة ورجع العادل الى دمشق وصار الفرنج الى بلادهم

(لابن شاذي)

زحمة الفرنج الخامسة واستيلائهم على القسطنطينية (١١٩٨ — ١٢٠٤ م)

٢١٧ كان هولا الفرنج بعد ما ملكوا الشام اختلفت احوالهم في الفتنة والمهادنة مع الروم التي كانت بايديهم من قبل . وظاهرهم الروم على المسلمين في بعض المرات فملكوا مدينة القسطنطينية من الروم . وكيفية الخبر عن ذلك ان ملوك الروم اصبروا الى ملوك الفرنج وتزوجوا منهم بنتا ملك الروم فولدت ابنا . ثم وثب على الملك اخوه فانزع الملك من يده وجسه . فلحق الولد بملك الفرنج مستصرحاً به فوصل اليهم وقد تجهز الفرنج لاستنقاذ القدس من يد المسلمين وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة وهو صاحب الاسطول الذي ركبوا فيه وكان شيخاً أعمى لا يركب ولا يمشي الأبقاقد ومقدم الفرنسيين ويسمى الماركيش والثالث يسمى كندفلندر وهو أكثرهم عدداً . فجعل الملك ابن اخته معهم وأوصاهم بمظاهرة على ملك القسطنطينية ولما وصلوا اليها خرج عم الصبي وقتلهم . وأضرهم شعبة الصبي النار في فراحي البلد فاضطرب العسكر ورجعوا وفتح شعبة الصبي باب المدينة وادخلوا الفرنج وخرج عمه هارباً . ونصب الفرنج الصبي في الملك واطلقوا اباه من السجن واستبدوا بالحكم . فعظم ذلك على الروم فوثبوا على الصبي وقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد . فاقام الفرنج بظايرها محاصرين لهم فاقحموها وانحشوا في النهب ونجا كثير من الروم الى الكنائس واعظمها كنيسة ايا صوفياً فلم تغن عنهم . ثم تنازع الملوك الثلاثة

الحرب والشجاعة. وكان من خبره أنه وصل إلى جزيرة قبرس ولم ير أن يتجاوزها إلا وإن
تكون له وفي حكمه. فاستولى عليها ثم زحف إلى الشام (سيرة صلاح الدين لابن شاذي)

حصار عكا والصلح (١١٩١م) زحقة الفرنج الرابعة (١١٩٦م)

٢١٦ فاتفق الفرنج جميعاً على الرحيل إلى عكا ومحاصرتها فتركوا عليها وأحاطوا بها من البحر
إلى البحر فليس للمسلمين إليها طريق. فنزل صلاح الدين قبالتهم وبعث إلى الأطراف يستنفر
الناس. فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وسائر الجزيرة وبقي المسلمون يغادرون القتال
ويرأون حوته أشهراً. فتتابعت أمداد الفرنج من وراء البحر لاختلاف الحاصرين لعكا حتى جهد
المسلمين بمكائيد الحصار وضعت نفوس أهل البلد ووطنوا. فبعثوا إلى الفرنج في تسليمها على أن
تصالحهم على الأمان فيعطوهم مائتي ألف دينار ويطلق لهم خمسمائة أسير ويعيد لهم الصليب
الصلبوت فاجابوا إلى ذلك. فدخل الفرنج عكا واستراحوا مائة كانوا فيه. ثم تأت صلاح
الدين عن وفاء الشرط فركب الفرنج وخرجوا ظاهراً المدينة بالفارس والراجل وركب المسلمون
اليهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن موقفهم. فوضع الفرنج السيف في المسلمين وقتلوا الأسرى. فلما
رأى صلاح الدين ذلك رحل إلى ناحية عسقلان وأخرجها. ثم هم بترميم ما تلهم من أسوار
القدس وسد فروجه وأمر بحفر خندق خارج الفصيل. فنقلت التجارة للبنيان وكان صلاح
الدين يركب إلى الأماكن البعيدة وينقلها على منكبيه فيقتدي به العسكر. ثم سار ملك الانكشار
في ساقية الفرنج فحلمهم وانحزموا إلى يافا. فاقاموا بها والمسلمون قبالتهم ثم ساروا إلى قيسارية
والمسلمون يتبعونهم ثم رحلوا إلى ارسوف فسبقهم المسلمون إليها فحملوا على المسلمين وهزمهم.
ثم ساروا إلى داروم ثم إلى القدس فانتهوا إلى بيت قوجة على فرسخين من القدس. فاستعد
صلاح الدين الحصار فوفد عليه رسول الفرنج وعقدت الهدنة معهم. وكان سبب ذلك أن
ملك الانكشار قد طال منيعة عن بلاده وطال عليه البيكار. فكتب الملك العادل يسأله
الدخول على السلطان فاجاب السلطان إلى ذلك وأتفق عليه رأي الامراء لما حدث عند
العسكر من الضجر ونفاد النفقات. ففعلوا على ذلك ولم يحلف ملك الانكشار بل أخذوا يده
وعاهدوه. واعتذر بأن الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك. وكانت الهدنة على أن يستقر
يد الفرنج يافا وقيسارية وارسوف وحيفا وعكا مع عماها وان تكون عسقلان خراباً وأذن
للفرنج في زيارة القدس. وكان يوماً مشهوداً غشي الناس من الطائفتين من الفرح والسرور ما
لا يعلمه إلا الله. وارتحل ملك انكشطرة في البحر عائداً إلى بلده. وأقام الكند هنري صاحب
صور بعد المركيس ملكاً على الفرنج بسواحل الشام وتزوج الملكة التي كانت تملكهم قبله. وكر
صلاح الدين راجعاً إلى دمشق وكانت وفاته فيها سنة ٥٨٩ هـ وعمره سبع وخمسون سنة. وكان
صلاح الدين حليماً كريماً حسن الاخلاق متواضعاً بصوراً كثير التغافل عن ذنوب أصحابه.

والعشرين. من رَجَب فخلَّف اخاهُ الملكُ العادل بالقدس يقرّر قواعدها. ويقرّر عزمه على قصد صور لمهاجمة فامتعت عنه. فمدل الى فتح قاعة جَبَّة ودخل اللاذقية واستولى على قلعة صهيون. ثم سار الى مدينة صور وقد خرج اليها بالركيس وصار صاحبها وقد ساسها أحسن سياسة. فقسم صلاح الدين القتال على العسكر كلُّ جمع لهم وقت معلوم يقاتلون فيه بحيث يتصل القتال على أهل البلد. على ان الموضع الذي يقاتلون فيه قريب المسافة تكفيه الجماعة اليسيرة من أهل البلد تحفظه. وعليه المنادق التي قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطائر يطير عليها. لأن المدينة كالكف في البحر والساعد متصل بالبر والبحر في جاني الساعد والقتال انما هو في الساعد فلذلك لم يتمكن منها صلاح الدين ورجل عنها. (لاني الفرج المظلي)

زخفة الفرنج الثالثة الى المشرق (١١٩٠م)

٢١٥ فلما تمَّ الخطب على الفرنج بفتح القدس بشوا الرجبان والاقسمة الى بلادهم بخبر بيت المقدس واستنصار الصراية لها. فقام ملكُ الفرنسيس (فيليب) وملكُ انكلطرا (ريكارد) وملكُ الألمان وجمعوا عساكرهم وساروا للجهاد. فسار فيليب وملكُ الانكلطار بجراً وقصد ملكُ الألمان قسطنطينية فجزى ملكُ الروم (ايساكوس انكلوس) عن معة وكان تاهد صلاح الدين بذلك. فكتب الى السلطان يعلمه: من ايساكوس انكلوس ضابط الروم الى النسيب سلطان مصر صلاح الدين الحجة والمودة: قد وصل خط نسبك الذي نفذت الى ملكي فما اظن ان نسبك تسمع اخباراً وديةً وانه قد سار في بلاد اِي الألمان. ولا غرو فان الاعداء يرجفون باشياء كذب على قدر اغراضهم. ولو تشتهي ان تسمع الحق فاضم قد تأذوا وتعبوا كثيراً وقد خسروا كثيراً من المال والدواب والرجال ومات منهم وقتلوا. وبالشدّة قد تخلصوا من ايدي اجناد بلادهم وقد ضعفوا. وبحيث انهم لا يصلون الى بلادك فان وصلوا كانوا ضعافاً بعد شدّة كبيرة لا ينفعون جنسهم ولا يضرون نسبك (تم). ثم عبر ملكُ الألمان خليج القسطنطينية ومروا بمملكة قيليق ارسلان وتبعهم التركمان يجفون بهم ويتحفظون منهم وكان الفصل شتاءً فهلك اكثرهم من البرد والجوع. ولما وصلوا الى بلاد طرسوس اقاموا على خور (السيدنوس) ليعبروه فمن ملكهم أن يسبح فيه فهلك غرقاً. فملك بعده ابنه وامتوا المسير الى الشام فباغوا طرابلس وقد افناهم الموت ولم يبق منهم الا ستة آلاف رجل. وهلك ابن ملكِ الألمان في عكا وحزن الفرنج عليه حزناً عظيماً. ثم وصل ملكُ الفرنسيس بجراً. وكان عظيمه عندهم مقدماً محترماً من كبار ملوكهم تنقاد اليه العساكر باسمها بحيث اذا حضر حكم على الجميع وقدم في ستة بطس تحمله وميرته وما يحتاج اليه من الخيل وخواص اجناده. ثم وصل بعده ملكُ الانكلطار وكان شديد البأس بينهم عظيم الشجاعة قوي الهمة له وقعات عظيمة وله جسارة على الحرب وهو دون الفرنسيس عندهم في الملك والمنزلة لكنه اكثر ملامته وأشهر في

قلوب القسي القاسية وأصمهم . واعجروا وارعبوا . واحرجوا وأخرجوا . وكلما حملوا ردؤا وأردؤا . وكلما ساروا وشدوا أسروا . فاضطربوا واضطربوا . والتفوا والتهبوا . فأووا إلى جبل حطين يصمهم من طوفان الدمار . فاحاطت بحطين بوارق البوار . فرشقهم الحساية . وشرتهم المنايا . وصاروا الردي درايا . ومن بقي منهم فجردوا العزيمة . واحتالوا في الهزيمة . وأسروا الملك والبرنس أرناط ومقدم الفداوية . ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد بمثل هذه الوعثة . ثم استحضر صلاح الدين الأسرى وأوقع البرنس أرناط على ما قال وقال له : ها انا اتصر لمحمد ثم عرض عليه الاسلام فلم يقبل . ثم سل الحجاب وضربه جأ . وقتل أسرى الفداوية والاستبارية اجمعين ثم استحضر الملك وأمنه وطيب قلبه (الفتح القدسي لعهد الدين الكاتب)

فتح القدس لصلاح الدين (١١٨٩ م)

٢١٢ ولما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها الى عكا فزاعها واعتصم الفرنج الذين جا بالأسوار واثاروا بالاستئمان فأمنهم . ثم ملك قيسارية وحيفا ويافا وصيدا وبيروت وجبل عسقلان . ثم شمر عن ساق الجدة والاجتهاد في قصد القدس . وكان نزوله عليه في رجب سنة ٥٨٣ هـ فنزل بالجانب الغربي . وكان مشحوناً بالمقاتلة والحياة والرجالة . ثم انتقل المصلحة رآها الى الجانب الشمالي ونصب عليه المناجيق وضائقه بالزحف والقتال وكثرة الرماة حتى اخذ القرب في السور معاً يلي ولذي جهنم . فلما رأى العدو ما نزل بهم من الأمر الذي لا يندفع عنهم وظهرت لهم أمارات نصرة السلطان وكان قد القى في قلوبهم معاً جرت على ابطالهم ورجالهم في السبي والقتل والأمر وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والأخذ علواً اضم الى ما صاروا اليه صائرون . وبالسيف الذي قُتل به اخوانهم مقتولون . واستكانوا واخذوا الى طلب الأمان . فأبى السلطان وقال : لا نفل بكم إلا كما فعلنتم بالمسلمين حين ملكتموه سنة ٥٨١ هـ من القتل والسبي . فقال له باليان : ايها السلطان اعلم اننا اذا رأينا ان الموت لا بد منه لنتنزل اولادنا ونساءنا ونحرق أموالنا ولا نترككم تغتمون منا ديناراً ولا درهماً . ولا تسبون وتأسرون رجلاً أو امرأة . فاذا فرغنا من ذلك أخبرنا الصخرة والمسجد الأقصى ثم نقبل من عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أمير . ولا نترك لنا دابة ولا حيواناً إلا قتلناه . ثم خرجنا كلنا وحيث لا يقتل الرجل منا حتى يقتل أمثاله وغوث اعزاه ونظفر كرماء . فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجموا على اجابتهم الى الأمان . وان لا يخرجوا ويحلوا على ركوب ما لا يدري عاقبة الأمر فيه عن اي شيء . فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الأمان للفرنج واستقران يزين الرجل عشرة دنائير يستوي فيه الغني والفقير وترن المرأة خمسة دنائير . ويزن الطفل من الذكور والاناث دينارين . فمن أدى ذلك الى أربعين يوماً فقد نجى والأصار مملوكاً . فبذل باليان عن الفقراء ثلاثين الف دينار فأجيب الى ذلك . وسلمت المدينة يوم الجمعة السابع

مكرًا وأشدّهم ضررًا وطمع ان تكون كصفاته ذريعة إلى الملك . ثم مات الصغير (بقدوين الخامس) وتزوَّجت الملكة ابن عُثم (غي دي لوسينيان) من الفرنج القادمين من المغرب وتوجّهت . وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستبارية والدواوية والبارونة واشهدتهم خروجها له عن الملك . فأُنفِ أرنط و غضب وجاهر بالشقاق لهم . وراسل صلاح الدين فسار بفرقة من عسكره إلى الكرك فحاصرها . وأمر ابنه الأفضل بارسال بعث إلى عمكائهم يستنصحو نواحيها . فصحبوا صفورية وجما جمع من الفداوية والاستبارية فبرزوا إليهم . وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها للمسلمين فانهزم الفرنج وقتل مقدمهم . ثم سار صلاح الدين بنفسه ونزل على طبرية وحصر مدينتها وفتحها عنوة بالسيف . وكانت طبرية للقومص (أرنط) وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته . فأرسلت الفرنج إلى القومص المذكور القسوس والبطرك يهنّونه عن موافقته السلطان ويوبخونه فسار معهم واجتمع الفرنج للتمتق السلطان

ذكر وقعة حطين (١١٨٩ م)

٢١٣ فرحل الفرنج من وقتهم وساعتهم وقصدوا طبرية للدفع عنها . فاخبرت أنشلائع الاسلامة الامراء بحركة الفرنج فالتقى العسكران على سطح جبل طبرية قرب تل يقال له تل حطين فلما حان القتال خرج القومص مخرضاً الناس يقول لهم : لا تعود بعد اليوم . ولا بد لنا من رقم القوم . واذا اخذت طبرية اخذت البلاد . وذهبت الطراف والتلاد . فباقي لنا صبر . ولا بعد هذا الكسر جبر . فالمسبح لنا والصليب معنا والمعبودية عهدتنا . والنصرانية نصرتنا . ورماحنا . فراخنا . وصحائفنا . صفاحنا . وفي لوائنا اللاواء ومع اودائنا الداوية الادواء . وطوارقنا الطوارق . وبيارقنا البوائق . وسيف الاستبارة بتارتار . ولقرن الباروني من مقارنته بوار . وقد عثم بحرنا الساحل . وشدد بابهُ المعاهد والمعاقل . وهذه الارض تسعنا نيفاً وتسعين سنة . وسلاطين الاسلام ما صدقوا ان يسلموا لنا ويسالمونا . ويذلوا لنا القطائع ويقاطعونا . وطامنا صافونا وما صافونا . وهادونا وهادونا . وفي جمعنا تفرقهم . وفي فيئتنا تعويقهم ثم ماجت خضارهم . وهاجت ضراغهم . وطارت قشاعهم . وثارت غماغم . وسدّت الآفاق غمائمهم . وهم كالجنال السائرة . وكلجار الزاخرة . امواجها متلحظة وافواجها مزدحمة . وفجاجها متحذمة واعلاجهام صائلة . وقد جوي الجوى . وضوي الضوى . ودوى الدوى . وحوافر الحوافر للارض حوافر . والفوارس اللوابس في البيض سوافر . فرتب السلطان في مقابلتهم اطلاءه . وقصر على مقاتلتهم آراءه . وحجز بينهم وبين الماء . ولليوم قيط . وللقوم غيظ . فنفّر النفير وتصادم العسكران والتحم القتال فايقن القوم بالويل والثبور . وأحسّت نفوسهم اضم في غد زوار القبور . كلّمنا خرجوا جرحوا . وبرّح جم مرّ الحرب فابرحوا . وحملوا وهم ظماء . عيالهم سوى ما بايدحهم من ماء الفريد ماء . فشوتهم نار السهام وأشوتهم . وصمّست عليهم

صلاح الدين وصدوه عن حلب . وأرسل كمشكين الى سنان مقدم الاسماعيليه اموالا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فارسل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا غيره . فرحل صلاح الدين عن حلب بسبب نزول الفرنج على حمص فاسترجعها . وملك بعلبك ثم سار الى ملاقات سيف الدين فصدق عليه الحملة . فانهمز سيف الدين وغنم سواده ومخلفه واتبع عساكر حلب حتى اخرجهم منها . وقطع صلاح الدين حينئذ الخطبة للملك الصالح وازال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة . ورحل عن حلب سنة ٥٧٠ هـ ثم سار الى بلد الاسماعيليه فهب بلبدم وخرقه وأحرقه . ثم أتم مسيره الى مصر فامر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلة التي على جبل المقطم . ثم أمر ببناء المدرسة الشافعية . ولما دخلت سنة ٥٧٣ هـ سار صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فوصل الى عسقلان . فاكسح اعمالها ولم ير للفرنج خبراً فانساح في البلاد وانقلب الى الرملة . فاراعه ألا الفرنج مقلبين في جموعهم وابطالهم وقد افترق أصحاب صلاح الدين في السرايا فتمت العزيمة على المسلمين وقاربت حملات الفرنج السلطان فغضى منهزماً الى مصر على البرية في قلايل ولحقهم الجند والعطش ودخل القاهرة . واخذت الفرنج العسكر الذين كانوا يتفرقون في الاغارات اسرى . فكان وهناً عظيماً جبره الله بوقعة حطين (١١٦٩ م) . فطمع الفرنج بسبب بُعد السلطان بمصر وهزيمته فجمعوا على بلاد حماة وحارم وعاثوا فيها الى ان صانهم المسلمون بالمال فرحلوا عنها . وفي سنة ٥٧٦ هـ توفي سيف الدين غازي صاحب الموصل والجزيرة وله من العمر ثلاثون سنة وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة ابيض اللون عاقلاً عادلاً عفيفاً من أموال الرعية مع شح كان فيه . ثم توفي بعده الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب . فسار صلاح من مصر واستخلف فيها ابن اخيه . ثم أغار على بيروت وسواحل الشام وانقلب الى الجزيرة وملك الرها والرمّة وماردين ونصيبين وحصر الموصل وأقام عليها منجيقاً . ثم علم ان حصارها يطول فاقلع عنها واحتل مدينة حلب واقطعها اخاه الملك العادل . ثم سار الى الكرك وضيق مخيمها فجمعت الفرنج فارسها وراجلها فلم يتمكن السلطان من فتحها . فسار الى نابلس واحرقها ونهب ما بثلث النواحي وقتل وأسر وسبي ثم عاد الى دمشق . فلم يلبث ان خرج ثانياً الى حصار الموصل فلم ينال منها بغية واستقر الصلح بينه وبين صاحب الموصل بان يسلم صاحب الموصل الى السلطان شهر زور وأعمالها وان يختطب له ويضرب اسمه على الدراهم . فانحرف عن الموصل وأقام بمران مريضاً واشتد به المرض حتى أبسوا منه ثم انه عوفي وعاد الى دمشق (لاني الفداء وابن خلدون)

بقديون الخامس (١١٨٥ م)

٢١٢ وكان بقديون الرابع ملك القدس قد مات بالشام (١١٨٥ م) وأوصى بالملك لابن اخيه صغيراً فكفله أرناط صاحب طرابلس . فقام أرناط بتدبير الملك وكان من أعظم الفرنج

أعادهُ نور الدين الى مصر سنة ٥٦٢ هـ فاغار اسد الدين عليها ودوَّخ بلادها . ثم هلك وقام صلاح الدين ابن اخيه مكانهُ . وفي ولايته مات العاضد ومحا الله دعوة العلويين وذهب بدولتهم . فاستولى صلاح الدين على بلاد مصر وكان جهاً عاملاً لنور الدين ثم استطال صلاح الدين على نور الدين فاسترجعه فسار اليه صلاح الدين . ثم كرَّر راجعاً الى مصر وكتب لنور الدين يعتزله بأنه بلغه عن بعض سفلة العلويين بمصر انهم معتمدون على الوثوب . فلم يقبل نور الدين عذرهُ في ذلك واعتزم على عزله عن مصر . فاستشار صلاح الدين اباهُ نجم الدين وكان خيراً عاقلاً حسن السيرة ذا حزم ورأي فآشار عليه بملاطفة نور الدين ومراعاته ففعل واطهر الطاعة . وكان نور الدين يستفحل ملكهُ مع الأيام فدخل بلاد الفرنج وعبث بها فحاقوا عن لقاءه فاكتسح بلادهم وحزب ما مرَّ به من القلاع . ثم شرع في التجهز لأخذ مصر من صلاح الدين بن أيوب فاتاه أمر الله الذي لامر دله سنة ٥٥٩ هـ . وكان نور الدين اسمر طويلاً القامة ليس له لحية الا في حنكه حسن الصورة وكان قد اتسع ملكهُ جداً وخطب له في الحرمين وفي اليمن ومصر وكان مولده سنة ٥١٠ هـ وطبق ذكرهُ الارض بحسن سيرته وعدله . وكان في الزهد والعبادة على قدمٍ عظيم وكان يصلي كثيراً من الليل فكان كما قيل :

جمع الشجاعة والخشوع لربِّهِ ما احسن الجراب في الجراب

وهو الذي حصن قلاع الشام وبني الأسوار على مدنها لما تهدمت بالزلازل . ولما توفي اجتمع الامراء والمقدمون وأهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنهُ الملك الصالح اسماعيل وهو ابن احدى عشرة سنة . وأطاعهُ الناس بالشام . وكان صلاح الدين بمصر وخطب له هناك وضرب السكَّة باسمه ثم استفحل ملكهُ وعظمت دولة بني أيوب من بعده الى ان انقرضوا . ولما مات نور الدين سار ابن اخيه سيف الدين غازي من الموصل وملك جميع البلاد الجزيرية . واجتمع الفرنج وحاصروا قلعة بانياس من اعمال دمشق . فراسلهم أهل دمشق وتهددوهم بسيف الدين صاحب الموصل فصالحهم على مالٍ يبعثونه اليهم فتقررت الهدنة . وبلغ ذلك صلاح الدين فنكرهُ واستعظمهُ وكتب الى الصالح يقبح مُرتكب أهل دمشق ويعدهم بغزوة الفرنج . وفي سنة ٥٧٠ هـ توفي اماريك ملك الفرنج صاحب القدس (١١٧٥) (كتاب الروستين)

بقدوين الرابع (١١٧٥ م) فتوحات صلاح الدين

٢١١ فعقبهُ في الملك ابنهُ بقدوين الرابع وكان مجذوماً . فلما رأى أهل دمشق ان العدو قد استفحل وكون ولد نور الدين طفلاً لا ينهض باعباء الملك كاتبوا صلاح الدين فطار اليهم . فخرج اليه أهل الدولة بمقدتهم وسلموا اليه المدينة فاستخلف عليها اخاه سيف الاسلام طغركين ابن أيوب . ثم سار الى محاربة سيف الدين غازي صاحب الموصل فاستولى على حمص وحماة ثم زحف الى حلب وأقام محاصراً لها وجهاً الملك الصالح بن نور الدين فاجتمع أهل حلب وقتلوا

وأحضر جماعة من الامراء التركمان وبذل لهم الرغائب ان ظفروا بجوسلين وسموه اليه . لانه علم عجزه عنه في القتال . فجعل التركمان عليه العيون فخرج متصيداً فظفر به طائفة منهم وحملوه الى نور الدين اسيراً . فسار نور الدين الى قلاع جوسلين فلكها وهي عين تاب والراوندان ودلوك ومرعش وغير ذلك من أعماله . وفي سنة ٥٥٤ هـ ملك الفرنج مدينة عسقلان من يد العلوية خلفاء مصر فاستطالوا على دمشق ووضعوا عليها الجزية . وكان صاحبها مجير الدين أنز واهي القوى مستضعف القوة فخشي نور الدين عليها من الفرنج . فكتب أهل دمشق واستألفهم في الباطن ثم سار اليها وحصرها وملك المدينة . فلحق مجير الدين بمدينة بغداد وأقام بها الى ان توفي وأما نور الدين فرحف الى بعلبك واستنزل عنها صاحبها ونازل قلعة حارم وهي للفرنج فرحل عنها ولم يملكها . وفي بعض مسيره كعبه الفرنج وهو نازل في البقعة تحت حصن الاكراد . فلم يشعر نور الدين وعسكره الا وقد اظلت عليهم صلبان الفرنج وقصدوا خيمة نور الدين . فلمسرة ذلك ركب نور الدين فرسه وفي رجله السيف فقتل انسان كردي فقطعها فجا نور الدين وقتل الكردي فاحسن نور الدين الى مخلصيه ووقف عليهم الوقوف . وسار نور الدين الى بحيرة حمص ولحق به المنهزمون فتواف اليه الامداد فسار الى حارم وأخذها من الفرنج بعد مصاف جري بين الفريقين وانتصر فيه نور الدين ودار رحى الحرب عليهم . ثم عزم على منازلة بانياس لقلعة حاميتها فحاصرها وضيق عليها ففتحها وشحن قلعتها بالمقاتلة والسلاح . وفي سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) توفي بقديون صاحب القدس في مدينة انطاكية (لابن الاثير)

ملك أموري (١١٥٩ م) وفاة نور الدين وظهور صلاح الدين

٢١٠ فقام بعده بالأمر اماليك اخوه . وفي سنة ٥٥٦ هـ تولى العاضد لدين الله وهو آخر الخلفاء العلويين بالديار المصرية . وكانت دولة العلويين بمصر قد أخذت في التلاشي وصار استئداد وزرائها على خلفائها . فهرب شاور وزير العاضد صاحب مصر من ضرغام الذي نازبه في الوزارة الى الشام متجئاً الى نور الدين ومستجيراً بهم . وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ويكون له ثلث دخل البلاد . فتقدم نور الدين بتجهيز لجيوش وقدم عليها اسد الدين شيركوه فجهز وساروا جميعاً وشاور في صحبتهم . ووصل اسد الدين والعساكر الى مدينة بليس فخرج اليهم اخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهم خرج ضرغام من القاهرة فقتل وخلع على شاور وأعيد الى الوزارة . وأقام اسد الدين بظاهر القاهرة ففد به شاور وعاد عما كان وعده نور الدين . وأرسل الى الفرنج يستمدد فصارعوا الى تلبية دعونه ونصرتهم فلما قربوا مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بليس وجعلها ظهراً يتحصن به . فحصر بها العساكر المصرية والفرنج ثلاثة اشهر وهو يفادجهم القتال ويرأوهم فلم يبلغوا منه غرضاً . فراسله الفرنج في الصلح والعود الى الشام فاجابهم الى ذلك وسار الى الشام . ثم

بملكته من كل جهة وهو يتنصف منها ويستولي على بلادهم . ودُفِن في الرقة فولى امر الموصل بعده أخوه قطب الدين مودود . وكان أخوه الأكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة . فسار الى سنجار وملكها ولم يحاققه أخوه قطب الدين ثم اصطلحا وأعاد نور الدين سنجار الى قطب الدين وتسلم هو مدينة حمص والرحبة فبقي الشام له وديار الجزيرة لأخيه . فلما قُتِلَ الاتابك زنكي طمع جوسلين ان يسترد الرها وكان مقيماً في ولايته في تل باشر فراسل أهل الرها وعامتهم من الارمن وحملهم على العصيان على المسلمين وتسليم البلد له فاجابوه وأوعده ليوم عيَّنه فسار في عسكره وملك البلد . فزحف اليهم نور الدين واقطم البلد واستباح اهله

زحقة الفرنج الثانية الى المشرق (١١٤٧ م) غزوات نور الدين

٢٠٩ ولما استولى المسلمون على الرها أخذ ظلّ الفرنج بالتفلس في المشرق فذهب القسوس والرهبان الى بلاد النصرانية من الروم والفرنج يستجدونهم على المسلمين ويخوفونهم استيلاءهم على انطاكية وما يخشى بعد ذلك من ارتجاعهم بيت المقدس . فتأبّت امم الفرنج من كل ناحية وسير ومدد لهم على المسلمين لما يرونه من تغرّد هولاء بالشام بين عدوهم . فسار في سنة ٥٤٣ هـ ملك الفرنج (لويس الرابع) وملك الألمان (كونراد) مع الامراء في جموع عظيمة قاصدين بلاد الاسلام لا يشكون في الغلب والاستيلاء لكثرة عساكرهم وتوفر عددهم وأموالهم . فتجسّسوا بالقسطنطينية وساروا الى الشام فهلك منهم جمع كثير بدسائس ملك القسطنطينية فلما وصلوا الشام اجتمع عليهم عساكر بقدوين وممثلين امرهم . فجدّوا بالمسير الى دمشق فحاصروها فقام معين الدولة أنز في مدافعتهم المقام المحمود . ثم قاتلهم الفرنج فزالوا من المسلمين بعد الشدة والمصاهرة . فقوي الفرنج ونزل ملك الألمان الميدان الاخضر فبعث معين الدين الى سيف الدين غازي بن زنكي يدعوه الى نصرته المسلمين . فجمع عساكره وسار الى الشام واستدعى أخاه نور الدين من حلب ونزلوا على حمص فبعث معين الدولة الى طائفتي الفرنج من سكّان الشام والواردين مع الألمان يتهددهم بتسليم البلد الى صاحب الموصل . فلم يزل يضرب بينهم وجعل للفرنج حصن بانياس طُفحة . فاجتمعوا الى ملك الألمان وخوفوه من صاحب الموصل وقتلوا له في الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلاده على البحر المحيط (١١٤٩ م) . وفي سنة ٥٤٦ هـ جمع نور الدين محمود عسكره وسار الى بلاد جوسلين الفرنجي وهي شمالي حلب . وكان جوسلين فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشيعة والرأي فسار في عسكره نحو نور الدين فالتقوا واقتلوا وانخرم المسلمون وقُتِلَ منهم وأسر جمع كثير . وكان في جملتهم سلاحدار نور الدين فاخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيّره الى الملك مستود بن قلع ارسلان صاحب قونية واقصرا وقال له : هذا سلاح دار زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما هو اعظم منه . فلما علم نور الدين الحال عظم عليه واعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ثاره .

خرت برت تحيل الفرنج وخرجوا من محبسهم بمدخله بمض الجند . وسار بقديون الى بلده
وملك الآخرون القلعة فعاد بآلك اليهم وحاصرها وارتجمها من ايديهم ورتب فيها الحامية . وفي
سنة ٥١٨ هـ أخذ الفرنج يافا وملكوا مدينة صور بعد حصار طويل . وكانت للحلفاء العلويين
اصحاب مصر . وكان ملكها بالآمان فدخلها الفرنج وخرج المسلمون بما قدروا على حمله من
اموالهم . وفي عهد بقديون ظهر عماد الدين أتابك زنكي بن أنقر وكان أول امره ان السلطان
محمود السلجوقي ولأه على الموصل والجزيرة وديار بكر ثم استقل في ملكه واستولى على الشام
وأورث بنيها ملكها . وكانت لهم دولة عظيمة ونشأت عن دولتهم دولة بني أيوب وتفرعت
منها . ثم سار زنكي الى قتال الفرنج وكانوا قد اجتمعوا على حلب وحاصروها فضاقت الأبر على
أهلها . فلما قرب زنكي من حلب اجفل عنه الفرنج ورحلوا عنها فسلم أهل حلب المدينة والقلعة
اليه . ثم اجتمع الفرنج سنة ٥٢٠ هـ وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر واستجد طفر كين
صاحبها امراء التركان من ديار بكر وغيرها فجاءوا اليه . وخرج الى الفرنج والتقى معهم فسقط
طفر كين في المعترك . فظن اصحابه انه قتل فانهم طفر كين والحبالة والفرنج في آتباعهم وقد
اغتنوا في رجالة التركان . فلما اتبعوا المنهزمين خالف الرجالة الى معسكرهم فنبهوا سوادهم
وقتلوا من وجدوا فيه ولحقوا بدمشق ورجع الفرنج عن المنهزمين فوجدوا خيامهم وأتقاهم
منهوبة فانهمزوا ايضا . مات بعد زمان ملكهم بقديون (١١٣١) (لابن خلدون)

فُلُك (١١٣١ م) بقديون الثالث (١١٤٥ م) حروب زنكي ووفاته

٢٠٨ وصار الأمر الى فُلُك من زعمائهم وفي عهده سار زنكي عسكرياً كشيخاً لفتح دمشق
فبعث معين الدولة أنز صاحبها الى ملك الفرنج ليستجده على مدافعتهم على ان يحاصر قاشاش فإذا
فتحها اعطاهم إياها . فاجابوا الى ذلك حذراً من استطالة زنكي على دمشق فحصر الله عسكر زنكي
فانهزموا . ثم سار معين الدولة مع الفرنج الى قاشاش فملكها وأعطاها الى الفرنج كما عاهدوا وكانت
لزنكي . فاستلحموا بها الحامية واستبد بها الفرنج . ثم استقام الأمر بعد فُلُك لبقديون الثالث
(١١٤٥) . وفي أيامه مات صاحب الرها فارس عماد الدين اليها فحاصرها ثمانية وعشرين يوماً
ونقب سورها ونصبوا عليها السلام وتسلوها وفتحوا البلد عنوة واغشوا في اقتل والسي والنهب .
ثم نادوا بالآمان فراجع النصاري الى البلد فاقرروهم في الجزية . ثم أقام بها زنكي مدة حتى اصلى
اسوارها وخنادقها فحسن عمارتها وأنزل بها الحامية . ثم تسلم مدينة سروج وسائر الأماكن التي
كانت بيد الفرنج شرقي الفرات الآ البيرة لامتاعها . ومات زنكي صاحب الموصل سنة ٥٢١ هـ
قتله جماعة من مالهيك . وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين قد
وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة . وكان شديد الهبة على عسكره . وكان له
الموصل وما معها من البلاد وملك الشام خلا دمشق . وكان شجاعاً فاتكاً وكانت الاعداء محيطة

بينهم القتلى واستشهد صاحب عسقلان وتماجزوا وعاد كل إلى بلده . ثم سار الفرنج إلى حنين
اقامية فحاصروه حتى جهد أهلها الجوع وملكوا البلد والقاعة . وقتلوا القاضي المتغلب عليها . وفي
سنة ٥٩٩ هـ سار صنجيل ثالثة إلى طرابلس وأقام عليها وبنى بالقرب منها حصناً وبنى تحتها رباطاً
وهو المعروف بخصن صنجيل فسار صاحب طرابلس إليه وأحرق الرّبض ووقف صنجيل على
بعض سقوطه المحرقة فانخسف به فهلك وحمل إلى القدس مدفون فيه . وفي سنة ٥٠٢ هـ سار
طفر كين إتابك من دمشق إلى طابرية فزحف إليه ابن اخت بقديون ملك القدس واقتتلوا
فانكشف المسلمون ثم استأثروا وهزموا الفرنج واسروا ابن اخت الملك فقتله طفر كين بعد أن
فادى نفسه بثلاثين ألف دينار وخمسمائة أسير فلم يقبل منه إلا الإسلام والقتل . ولما كانت
سنة ٥٠٣ هـ وصل القمص (ريموند) بن صنجيل بمراكب عديدة مشحونة بالرجال والأسلح
والميرة وحاصروا طرابلس مع بقديون ملك القدس ونصبوا عليها الأبراج . فاشتد بهم الحصار
وعدموا القوات لتأخر الأسطول المصري بالميرة فلكوها غنوة وانثخروا فيها . ثم استولى الفرنج على
بيروت غنوة واجتمعوا مع قوم كثير ممن قصد الحج والغزو ونازلوا صيدا براً وبحراً
واسطول مصر يميز عن النجادم . ثم زحفوا إلى صور في ابزاج الحشب المصفحة فضعفت نفوسهم
أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فاستأنوا فأمتهم الفرنج وعاد بقديون إلى القدس . ثم
دخلت سنة ٥٠٤ هـ فقصد بقديون الديار المصرية فاتتهى إلى الفرما ودخلها وأحرقها وأحرق
جامعها ومساجدها ورحل عنها راجعاً إلى الشام وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصوله إلى
العرش . فرحل أصحابه بجثته فدفنوها بكنيسة القيامة (لآلئ الفداء ولجبر الدين الحنبلي)

ملك بقديون الثاني (١١١٨ م) زنكي وقتوحاته

٢٠٧ ووصى بقديون ببلاده القمص صاحب الرها وهو بقديون الثاني الذي كان أسر
جكرمش وأطلقه جادلي وكان حاضراً في القدس لزيارة الحج . فسلم أمر الرها لجوسلين وكان
شجاعاً من فحولهم أغار مراراً على جموع العرب والتركمان وغنم أموالهم ومواشيهم . وفي عهد
بقديون الثاني سار أبو الغازي صاحب ماردین إلى غزو الفرنج واجتمع بطفر كين صاحب دمشق
فاستولوا على رمية من أعمال دمشق وغيرها من بلاد الفرات فبالغوا في تحصينها واعتزموا على
تخريب بلاد الفرنج . فاسروا وغنموا وقتلوا صاحب انطاكية فاستبعد الفرنج ببقديون فشد
العساكر وزحف إلى مقاتلة المسلمين فناجزهم أبو الغازي وصدق الحملة عليهم فقاتلوه أشد القتال
وهزموه . ثم رجع طفر كين إلى دمشق وأبو الغازي إلى ماردین فاغتالته بها المنية . ثم قام بعده
بلك ابن أخيه فعاودوا الحرب ففتك بلك في الفرنج فتكة شعاء فأسر جوسلين صاحب الرها
وحبس في خرت برت فسار بقديون إليه في جموعه فزهم بلك وأسر الملك وجماعة من
رعايهم وحبسهم في قلعة خرت برت مع جوسلين . ثم سار بلك إلى حران وملكها ولما غلب من

ملكه السلجوقية . ثم طمع فيه أهل مصر فاستولوا عليه فصار امر القدس في يد خليفة مصر . فاستناب عليها افتخار الدولة الذي كان بدمشق فقصده الفرنج وحاصروه اربعين ليلة ونصبوا على المدينة برجين وملكوها من الجانب الشمالي وركب الناس السيف فاحصي القتل فكانوا سبعين ألفاً او يزيدون . وغنموا من المدينة ما لا يقع عليه الاحصاء وجاء الصريح الى بغداد صحة القاضي ابي سعيد الهروي فكثر البكاء والأسف . وقال في ذلك المظفر الايبوردي :

مزجنا دماء بالدروع السواجم	فلم يبق لنا عرصة للراجم
وشر سلاح المر دمغ يفضه	اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
وكيف تنام العين ملء جفونها	على هفوات ايقظت كل نائم
واخواننا بالشام أضحي مقامهم	ظهور المذاكي او بطون القشاعم
يسومهم الروم الهوان وأنتم	تجرون ذيل الخنفس فل المسالم
أترضى صناديد الأعراب بالأذى	وتعضي على ذل كاهة الاعاجم
فلتهم إذ لم يذودوا حمية	عن الدين ضنوا غيراً بالمحارم

الملك غفرید (١٠٩٩ م) وبقدوين الاول (١١٠٠ م)

٢٠٦ وتمكن الفرنج من البلاد وولوا على بيت المقدس غفرید من ملوكهم . ولما بلغ خبر الواقعة الى مصر جمع الافضل الجيوش والمساكر واحتشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج بالتكبر والتهديد . فاعادوا الجواب ورحلوا مسرعين فكبسوه بعسقلان على غير أهبة فهزموه واستلموا المسلمين ونهبوا سوادهم . ونازل الفرنج عسقلان حتى مانع اهلهما الفرنج بمشرين الف دينار وعادوا الى القدس . ثم اتوا الفتح واستولى تنكري على طبرية وتقدم عليها الامارة ثم افتتح حصن حيفا . وكانت وفاة غفرید سنة ثلاث وتسعين واربعمائة

وقام بالأمر بعده اخوه بقدوين صاحب الرها . وسار في ملكه الفرنج الى سروج وقيسارية فلكوها عنوة (١١٠٠ م) وملكوا ارسوف بالأمان . وفي سنة ٥٤٩٥ هـ سار صغيل (رينوند) الى طرابلس وشد حصارها واثانها اهل الجبل والنصارى من أهل سوادها . ثم صالحوه على مال وخيل ورحل عنهم الى انطرسوس من اعمال طرابلس فحاصرها وملكها عنوة . ثم رحل الى حمص ونازلها وملك اعمالها . ثم استغل امر الفرنج بالشام وتذب بقدوين جمعاً كثيراً ممن سار الى زيارة القدس للزوفافاروا على عكا وقيسارية واكتسحوا نواحيها . وفي سنة ٥٤٩٧ هـ وصلت مراكب من بلاد الفرنج تحمل سفناً كثيراً من التجار والحجاج فاستعان بهم صغيل على حصار طرابلس فحاصرها براً وبحراً حتى ينسوا منها فارتحلوا الى جبيل وملكوها بالأمان . ثم سار الأفضل صاحب مصر عسكرياً فخصاً الى قهر الفرنج فلكوا الرملة واستخدم صاحب عسقلان وطفرकिन اتابك صاحب دمشق فقصدهم بقدوين فاقتتلوا وكثرت

الْبَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي التَّارِيخِ (*)

اخبار الفرنج فيما ملكوا من سواحل الشام وثغوره وكيف تغلبوا عليه
وبداية امرهم في ذلك ومصابره

الزحفة الاولى (١٠٩١ - ١٠٩٩ م)

٢٠٥ كانت دولة الفرنسيس من أعظم دول الفرنج واستفحل أمرهم بعد الروم . وكان
مبتدا خروجهم سنة تسعين واربعائة (١٠٨٧ م) فتجهزوا لذلك . وكان ملوكهم الحاضرون
بقدوين والقمص (ريوند) وغفريد وبويعوند . فجعلوا طريقهم في البر على القسطنطينية فمنهم
ملك الروم (ألكيس) من العبور عليه من الخليج حتى شرط عليهم ان يسلموا له انطاكية لكون
المسلمين كانوا اخذوها من ماليكهم فقبلوا شرطه وسهل لهم العبور في خليجه . فاجازوا في العدد
العدة وانتهوا الى بلاد قليج ارسلان صاحب قونية فجمع للقائهم فهزموه . ثم ساروا الى انطاكية
وجا باغيسيان من امراء السلجوقية فاخذوها عنوة ووضعوا السيف في المسلمين الذين جا ونجوا
اموالهم . وقتل باغيسيان وحمل رأسه اليهم وردوا امر المدينة الى بويعوند (١٠٩٩ م) . فلما
سمع كربوقا صاحب الموصل بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام في كثير
من الامراء والقواد فزحفوا الى انطاكية وحاصروها ثلاثة عشر يوماً . فوهن الفرنج واشتد عليهم
الحصار لما جاءهم على غير استعداد وطلبوا الخروج على الأمان فامتنع كربوقا . ثم ان كربوقا
لساء السيرة فيمن اجتمع معه من الملوك والامراء فخبثت نياتهم عليه . وكان مع الفرنج
راهب مطاع فيهم فقال لهم : ان رُجَّ الحربه التي طعن بها المسيح مدفونة بكنيسة الفتيان فان
وجدتموها فانكم تغفرون . وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام . فلما كان اليوم
الرابع ادخلهم الموضع فحفروا عليها في جميع الاباكن فوجدوها كما ذكر . فقال لهم : أبشروا
بالظفر . فقويت عزيمتهم وخرجوا اليوم الخامس . فلما تكاملوا ولم يبق بانطاكية احد منهم ضربوا
مصافاً عظيماً فولى المسلمون منهزمين فقتل الفرنج منهم الوفاً وغنموا ما في العسكر من الاقوات
والأموال والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم . وساروا الى معرة النعمان
فلكوها وزحفوا الى حمص فصالحهم اهلها واستولى بقدوين على مدينة الرها وملطية فلما كانوا
دخلت سنة اثنتين وتسعين واربعائة فسار الفرنج الى انيت المقدس وكان بيت المقدس قد

(٥) قد سبق الوعد بان نجعل خاتمة التاريخ ظهور الأتراك . فحصرنا في هذا الجزء اخبار
لدول الاسلاميه وحروب الصليبيين واكتفينا بلعمه من تاريخ التت وسلاطين الدولة العثمانية

ما ضيَّع الباكي عليك دموعهُ
ان الدموع على سواك تضيقُ
قصدتك طلاب العلوم ولا أرى
العلم باباً بعد بابك يُقرعُ
مات النهر وتعلَّط أسبابه
وقضى التأذُّب والمكارم أجمعُ

أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ (٣٠٣ - ٣٥٤) (٩١٦ - ٩٦٦)

٢٥٤ هو أبو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفي الكندي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور. وهو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباه واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها. وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطالعين على غريبتها وحراشيها. ولا يُسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر. وأما شعره فهو في النهاية ولا حاجة الى ذكر شيء منه لشهرته لكن الشيخ تاج الدين الكندي كان يروي له بيتين لا يوجدان في ديوانه وهما:

أَبْعَيْنِ مُقْتَرِ اليك نظرتي فاهتني وقدفتني من حالي
لست الملوِّم أنا الملوِّم لاني انزلت آمالي بغير الخالق

ولمَّا كان بمصر مرض وكان له صديق يقشاه في علته فلما أبل انقطع عنه. فكتب اليه: وصلتي وصلك الله ممتلاً. وقطعتني مبللاً. فان رأيت ان لا تحبب العلة الي. ولا تكدر الصحة علي. فعلت ان شاء الله تعالى. والناس في شعره على طبقات. فمنهم من يرجعه على أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجع ابا تمام عليه وله التشابه البديعة كقوله:

في جفيل ستر العيون غباره فكأنما يصرن بالآذان

واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه أكثر من اربعين شرحاً ما بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره. ولا شك انه كان رجلاً مسعوداً ورزق في شعره السعادة التامة. واما قيل له المتنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم. فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق اصحابه وحبس طويلاً. ثم استتابه وأطلقه. وقيل غير ذلك وهذا اصح. وقيل انه قال: انا اول من تنبأ بالشعر. ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٣٧. وكان لسيف الدولة مجلس يحضره العلماء كل ليلة فيتكلمون بحضرته. فوقع بين المتنبي وبين (ابن خالويه الفروي كلام. فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه فشجّه وخرج ودمه يسيل على ثيابه. فغضب وخرج الى مصر سنة ٣٤٦ وامتدح كافوراً ولم يرضه هجاء وفارقه سنة ٣٥٠ فوجه كافور خلفه رواحل الى جزات شتى فلم يلحق به. وقصد المتنبي بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزل جائزته. ولمَّا رجع من عنده قاصداً بغداد ثم الكوفة في شعبان لئن خلون منه عرض له فأتاك بن ابي الجهل الاسدي بعدة من اصحابه. وكان مع المتنبي ايضاً جماعة من اصحابه فقاتلوه. فقتل المتنبي وابنه وغلالة مفلح بالقرب من النعمانية (اليمنية للثعالبي وغير ذلك)

دُونَ لَكَانِ لاهِلِ الصَّنَاعَةِ . خَيْرُ بَضَاعَةٍ . اَيْنَ قَسٌّ عِنْدَ فِصَاحَتِهِ . وَاَيْنَ قَيْسٌ فِي مَقَامِ حِصَاقَتِهِ .
وَمَنْ حَاتَمٌ وَعَمَرُو فِي سَاحَتِهِ وَحِمَاسَتِهِ . وَلَمْلَمُهُ وَنَوَادِرُهُ كَثِيرَةٌ وَلَهُ فِي النِّظْمِ اَيْضًا اَشْيَاءٌ حَسَنَةٌ
مِنْهَا قَوْلُهُ : وَاِذَا السَّعَادَةُ لَاحْظَتْكَ عِيُونُهَا نَمَّ فَالْخَافُوفُ كَلَمُنَ اَمَانٍ
وَاصْطَدَّ بِهَا الْعَنْقَاءُ فِي حَبَائِلُ وَاقْتَدَّ بِهَا الْجُوزَاءُ فِي عَنَانٍ
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْقَاهِرَةِ (الْخَرِيدَةُ لِلْعَمَادِ الْاَصْبَهَانِيِّ)

أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّيِّ (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) (٩٧٤ - ١٠٥٨ م)

٢٠٣ هو أحمد بن عبد الله القضاعي المعري التنوخي كان علامة عصره . وله التصانيف المشهورة والرسائل الماثورة . وله من النظم لزوم ما لا يلزم . وله سقط الزند وهو متن التنوير وكتاب الايك والنصون . وكان متضلعا من فنون الأدب . وأخذ عنه أبو القاسم التنوخي والخطيب أبو زرعيا يحيى التبريزي شارح الحماسة وغيرهما ثم عني بالجُدري . ومن تصانيفه كتاب الالامع العزيزي وهو شرح شعر المتنبي ولما قرئ عليه الكتاب المذكور أخذ الجماعة في وصفه واطرائه . فقال أبو العلاء : كأننا نظر المتنبي اليّ بلطخ الغيب حيث يقول :
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَاسْمَعْتَ كَأَنِّي مِنْ يَدِهِ صَمَمُ

واختصر ديوان أبي تمام حبيب وشرحه وديوان الجعدي وديوان المتنبي وتكلم على غريب أعارهم ومعانيها وما أخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم . وتولى الانتصار لهم والتقد في بعض المواضع عليهم . والتوجيه للخطأ في بعض الأماكن . ورحل الى بغداد مرتين . ولما رجع منها في المرة الثانية لزم منزله وشرع في التصنيف . وكان يعلّي على بضع عشرة محبرة في فنون من العلوم . وأخذ عنه ناس وسار اليه الطلبة من الآفاق والعلماء والوزراء وأهل الأقدار وسعى نفسه رهن الحبسين للروم منزله ولذهاب عينيه . ومكث خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم تزهدا . وعمل الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة . ولما توفي قرئ على قبره سبعون مرثية منها قول أبي الفتح حصينة المعري :

العلم بعد أبي العلاء مضيع	والارض خالية الجوانب بلقع
أودى وقد ملأ البلاد غرائباً	تسري كما تسري النجوم الطلّع
ما كنت اعلم وهو يوضع في الثرى	ان الثرى فيه الكواكب تودع
جبل ظننت وقد تزعزع ركنه	ان الجبال الراسيات تزعزع
وعجبت ان تسع المعرة قبره	ويضيّق بطن الارض عنه الأوسع
لو فاضت المهجات يوم وفاته	ما استكثرت فيه فكيف الأدمع
عنّ تسهد للعفاف وللتقى	ابداً وقاب للمهين يمشع
شيم تجمله فهنّ لجده	تاج ولكن بالثناء يرصع
جادت ثراك أبا العلاء غمامة	كندى يدك ومزنة لا تقامع

الْفَرَزْدَقُ (٣٨ - ١٢٠ هـ) (٦٥٩ - ٧٢٩ م)

٢٠١ اسمه همام بن غالب بن صمصمة دارمي من أشرف تميم . والفردق لُقِّبَ به لجهومة وجهه وغلظه . والفردق قطع العجين . وكان الفردق ردي الطباع قبيح المنظر . سيئ الخبر . قاذفًا المحصنات خبيث الهجو . وكان مهيبًا تخافه الشعراء . وقد يحتج البعض في تقديمه على أنه يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسرِهِ . والفردق أكثر الشعراء مقلدًا والمقلد النقي المشهور الذي يُضرب به المثل فمن ذلك قوله :

وكنتُ إذا الجبار صعرُ خدِّه ضربناه حتى تستقيمَ الاخادعُ
وقوله : وكنت كذّاب السوء لما رأى دمًا بصاحبه يوماً أحال على الدمِ
وقوله : ترى كل مظلومٍ لنا فراره ويجرب منا جهده كلُّ مظلمِ
وقوله : ترى الناس ما سرنا يسرون حولنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وله القصائد الغراء في الرثاء والفخر والهجو والمدح فمن ذلك قصيدته المنيعة في زين العابدين . وقوله في بني المهلب :

فلا مدحني بني المهلب مدحةً غراء قاهرة على الأشعارِ
مثل النجوم أمانها قرأوها تجلو المعى وتضيء ليل السارِ
ورثوا الطعان عن المهلب والقرى وخلائقاً كتدفق الأنهارِ
كان المهلب للعراق وقايةً وجبا الربيع ومقلد الفرارِ
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصارِ
ومات الفردق بالبصرة سنة مات فيها الحسن وابن سيرين وجبرير (للشريشي)

الْأَخْمِيُّ (٥١٩ - ٥٩٦ هـ) (١١٢٦ - ١٢٠٠ م)

٢٠٢ هو أبو علي عبد الرحيم بن أحمد الخمي العسقلاني المصري الدار المعروف بالقاضي الفاضل الملقب بحمير الدين وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين وتمكّن منه غاية التمكن . وبرز في صناعة الاشياء وفاق المتقدمين وله فيه غرائب مع الأكتاف . ان مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات . في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلدة وهو مجيد في أكثرها . وهو رب القلم رائبانيان . واللحن واللسان . والقرينة الوقادة . والبصيرة النقادة . والبديعة المعجزة . والبديعة المطرزة . والفضل الذي ما سمع في الأوائل بن لو عاش في زمانه لتعلق بنباره . او جري في مضاره . يخترع الأفكار . ويفترع الأبكار . ويطلع الأنوار . ويدع الأزهار . وهو ضابط الملك بأرائه . رابط السلك بلائته . ان شاء انشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو

وكان أبو بكر قليل الوفاء فجهأه أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي :

أبو بكر له أدبٌ وفضلٌ ولكن لا يدوم على البقاء

موَدَّتُهُ إذا دامت لُحْلُثٌ ثن وقت الصباح الى المساء

ولمحه ونوادره كثيرة . ولما رجع من الشام سكني نيسابور ومات بها (لابن خلكان)

الطُّفْرَائِيُّ (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) (١٠٦٦ - ١١٢٠ م)

١٩٩ هو مؤيد الدين الاصمعياني المنشأ المعروف بالطفرائي كان عزيز الفضل لطيف الطبع . فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر . وله ديوان شعر جيد . ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم . وكان علمها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حاله ويشكو زمانه . وكان الطفرائي ولي الوزارة بمدينة اربل مدة وذكر المهاد الكاتب في تاريخ الدولة السلجوقية ان الطفرائي المذكور كان يُنعت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل . وانه لما جرى بينه وبين اخيه السلطان محمود المصاف بالمقرب من همدان وكانت النصرمة لمحمود فأول من أخذ الاستاذ ابو اسماعيل وزير مسعود . فاخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين السمريري فقال : من يكن ملحدًا يُقتل . وقد كانوا خافوا منه فاعتمدوا قتله بهذه الحجة وقتل في سوق ببغداد عند المدرسة النظامية . وقيل قتله عبد اسود كان للطفرائي المذكور لانه قتل استاده (لابن خلكان)

الْفَارِضِيُّ (٥٧٦ - ٦٣٢ هـ) (١١٨١ - ١٢٣٥ م)

٢٠٠ هو عمر بن أبي الحسن الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف . له ديوان شعر لطيف . واسلوبه فيه رائق ظريف . ينحو منحنى طريقة النفرات . وله قصيدة مقدار ستائة بيت على اصطلاحهم ومنهجهم . وما ألفت قوله من جملة قصيدة طويلة :

أَهْلًا بَمَا لَمْ أَكُنْ أَهْلًا بِمَوْقِعِهِ قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذُكِرْتَ ثُمَّ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ بَوَاجِجٍ
وَأَحْسَنُ مَا قَالَ فِي صِفَةِ الْبَارِي قَوْلُهُ :

وعلى تفنُّنٍ واصل فيه بحسنة يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وله ذوبيت مواليا والغار . وسمعت انه كان رجلاً صالحاً كثير الخير على قدم التجرد جاور مكة زماناً وكان حسن الصبغة محمود العشرة . وكانت ولادته بالقاهرة وتوفي بها ودُفن من الغد بسفح المقطم (لابن خلكان)

صَفِيُّ الدِّينِ الْحَلِيِّ (٦٨٥ - ٧٤٠ هـ) (١٢٨٧ - ١٣٤٠ م)

١٩٧ هو عبد العزيز بن سرايا الحلبي الملقب بصفي الدين مناهل ألفاظ العذاب صافية من شوائب التعقيد . ورياض معانيه المفرحة بنشرها الأبواب شافية لمن كرع من نحرها الرائق المديد واخبر عن نفسه قال : كنت قبل ان اشبَّ عن الطوق . واعلم ما دواعي الشوق . بهجاً بالشعر نظماً وحفظاً . متقناً علومه معنىً ولفظاً . فاعدهُ من أدب الفضائل . ثم جرت بالعراق حروب ومحن اوجبت بُعدي عن عريني . وهجر اهلي وقريني . بعد ان تكمل لي من الأشعار . ما سبقتني الى الأمصار . فحططت رحالي بقاء ملوك آل أرتق اصحاب مارددين . فبَتُوا بالاحسان قديمي . وصانوا عن بني الزمان وجي ودي . فنظمت في مدح السلطان الأعظم نجم الدين ابي الفتح غازي تسعاً وعشرين قصيدة . كل منها تسعة وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم يبدأ في كل بيت منها وبه يُختم . ووسمته بدرر الخور . في مدائح الملك المنصور . ثم قذف بي خوف بلادى الى الديار المصرية . واهلت للثول في الحضرة الشريفة المكيَّة الناصرية . فشملني من الانعام ما الزمتني المروءة مكافأة تلك الحقوق . ورأيت كفرانها كالعقوق . فنجحت له من جد شعره وحزله . ورقيق لفظه وحزله . فبوَّبه ابيّن التبويب . ورتبته احسن الترتيب . فوقع عنده بموقع الاستحسان . واكرم مثواي وأجزل تلي الاحسان . (اه) وصفي الدين الحلبي مؤلفات منها كتاب في علم الرمي وكتاب في اغلاط العرب . وكانت وفاته في بغداد (من ديوانه)

الْخَوَارَزْمِيُّ (٣١٦ - ٣٨٣ هـ) (٩٢٩ - ٩٩٢ م)

١٩٨ هو ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور ويقال له الطبر خزي ايضاً ابن اخت الطبري صاحب التاريخ وأبو بكر المذكور احد اشعراء المجيدين الكبار المشاهير . كان اماماً في اللغة والانساب . أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب وكان يُشار اليه في عصره . ويُحكى انه قصد حضرة صاحب بن عباد وهو بارجان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابيه : قل للصاحب : على الباب احد الادباء وهو يستأذن في الدخول . فدخل الحجاب واعلمه فقال للصاحب : قل له : قد ألزمت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب . فخرج اليه الحجاب واعلمه بذلك . فقال له ابو بكر : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء . فدخل الحجاب فاعاد عليه ما قال . فقال للصاحب : هذا يكون ابو بكر الخوارزمي فاذن له في الدخول . فدخل عليه فعرفه وانبسط له . و ابو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر ومن نظمه قوله :

رَأَيْتُكَ اِنْ اِسْرَتْ خَيْمَتُ غَدْنَا . مَقِيمًا وَاِنْ اِسْرَتْ زُرْتُ لِمَامَا
فَانْتَ اِلَّا الْبَدْرُ اِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ . اَغْبُ وَاِنْ زَادَ الضِّيَاءُ اَقَامَا

بنفسه منها وذهب ما كان معه :

لا تعب الدهر في خطب رماك به
حاسب زمانك في حالي تصرفه
والله قد جمل الأيام دائرة
ورأس مالك وهي الروح قد سلت
ما كنت أول مفدوح بمحادثة
ورب مال غنا من بعد مرزئة
وكانت وفاته بالقاهرة بالوباء
ان استردّ فقداً طالما وهبا
تجده اعطاك اضعاف الذي سلبا
فلا ترى راحة تبقى ولا تعباً
لا تأسفن لشيء بعد ما ذهبها
كذا مضى الدهر لا بدءاً ولا عجباً
أما ترى الشمع بعد القطف ملتهباً
(لابن خلكان)

جرير (٤٢ - ١١٠هـ) (٦٦٣ - ٧٢٩ م)

١٩٦ هو ابو حرزة جرير بن عطية التميمي الشاعر المشهور من فحول شعراء الاسلام .
وكان بينه وبين الفرزدق مهاجة ونقائض وهو أشعر من الفرزدق والأخطل ويختلف في اجمع
المتقدم . واحتج من قدم جرير بأنه كان اكثرهم فنون شعر واسلمهم الفاظاً واقلمهم تكلفاً
وكان ديناً عفيفاً . وسئل اعرابي اجمع عندكم أشعر الشعراء . قال : بيوت الشعر فخر ومدح
وهباء وفي كلها غلب جرير . فقال في الفخر :

إذا غضبت عليك بنو تميم
وقال في مدح ابن مروان :

السم خير من ركب المطايا
وفال في هجاء الراعي الشاعر :

ففض الطرف انك من غير
فلا كمياً بلغت ولا كلاباً

وذكر الأصمعي قال : كان ينهش جريراً ثلاثة واربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره
ويري بهم واحداً واحداً وثبت له الفرزدق والأخطل . وامتدح جرير الخلفاء فمن قوله في
مدح عمر : أنا لارجو اذا ما النيث أخلفنا
ناب الخلافة اذ كانت له قدراً
أذكر الجهد والبلوى التي نزلت
ما زلت بعدك في دار تعرفني
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا
كم بالمواسم من شتاء أرملة
يدعوك دعوة لاهوت كان به
ممن يعدك تكفي فقد والده
من الخليفة ما نرجو من المطر
كما أتى ربّه موسى على قدر
ام تكفي بالذي بلغت من خبري
قد طال بعدك إصعادي ونغدري
ولا يجوز لنا بادٍ على حصر
ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر
خبلاً من الجن أو مساً من البشر
كالفرخ في العش لم ينهش ولم يطير (الأغاني)

غير اني رددت برّك اذ كان رباً منك والربا لا يحلُّ
 واذا ما جزيت شعراً بشعرٍ قضي الحق والدنانير فضل
 فلما عارت الدنانير اليه حلّ الصرة وضم اليها خمسين ديناراً اخرى وحلف انه لا يردها عليه
 وسيراً فلما وصلت البعثة انشأ يقول :

شكرتك ان الشكر للعبد نعمة ومن يشكر المعروف فانه زائدة
 لكل زمان واحد يقتدى به وهذا زمان انت لاشك واحدة (الأغاني)

البستي (٣٣٩ - ٤٠٠ هـ) (٩٥١ - ١٠١٢ م)

١٩٤ هو ابو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي الشاعر المشهور صاحب الطريقة الأنسية والتجنيس الأنيس . البديع التأسيس . وكان في عنقوان امره كاتباً لبايتوز صاحب بستان . فلما افتتحها الأمير ناصر الدولة ابو منصور سبكتكين أراد ابو الفتح ان يتخلى عن الخدمة فدلّ عليه فاستغضره وفوض اليه مهمات ديوانه مع كون بايتوز في قيد الحياة . فأشفق من سعي حساده فطلب ان يعتزل في بعض أطراف المملكة حتى تسكن الفتنة ويستقرّ الأمر فأجيب الى طلبه وأشار عليه بناحية الرنج . فبقي فيها حتى استدعاه السلطان المعظم عين الدولة محمود بن سبكتكين وقد كتب له عدة فتوح . فبقي عنده الى ان زحزحه القضاء عن خدمته ونبذته الى ديار الترك فانتقل بها الى جوار ربه . وله نثر رائق بديع وفصول قصار تجري مجرى الأمثال

بهاء الدين زهير (٥٨١ - ٦٥٦ هـ) (١١٨٦ - ١٢٥٩ م)

١٩٥ أبو الفضل زهير الملقب بهاء الدين الكاتب من فضلاء عصره وأحسنهم نظماً ونثراً وخطاً ومن اكبرهم مروءة . كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل بالديار المصرية . وتوجه في خدمته الى البلاد الشرقية . واقام بها الى ان ملك الملك الصالح مدينة دمشق فانتقل اليها في خدمته . وأقام كذلك الى ان جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح . وخرجت عنه دمشق وخانته عسكره وهو على نابلس وتفرّق عنه . وقبض عليه ابن عمه الملك الناصر داود صاحب الكرك واعتقله بقاعة الكرك . فقام بهاء الدين زهير المذكور بنابلس محافظاً لصاحبه ولم يتصل بغيره . ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية . وقدم اليها بهاء الدين سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فاجتمعت به ورأيت فوق ما سمعت عنه من مكارم الاخلاق وكثرة الرياضة ودمائه السجيا . وكان متمكناً من صاحب كبير القدر عنده لا يطلع على سره الخفي غيره . ومع هذا كله فانه كان لا يتوسّط عنده الا بالخبر . ونفع خلقاً كثيراً بحسن وساطته وجميل سفارته واشدني كثيراً من شعره . وديوانه كثير الوجود بايدي الناس . وله شعر جَد . فن ذلك ما قاله وقد غرقت به سفينة فسلم

وله أيضاً في الفتح بن خاقان وقد نزل الى الأسد وقتله :

حملت عليه السيف لاعطفك انثى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
فاججم لما لم يجيد فيك مطعماً وصمم لما لم يجيد عنك مهرباً
وله فيه : وما منع الفتح بن خاقان نيله
سحاب خطائي جوذه وهو مسبل ومجر عداي فيضه وهو مفعم
أأشكوناه بعدان وسع الوري ومن ذا يذم الفيت الآ مذمم

والبحثري مكثراً جداً وديوان شعره نسخ مختلفاً بالزيادة والنقص لأن شعره لا ينضبط
لكثرتيه . قال البحثري : كنت أذم الشعر في حديثي وكنت ارجع فيه الى الطبع ولم اكن اقف
على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه اليه واتكلت في تعريفه
عليه . فكان أول ما قال لي : أبا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الصوم صفر من الصوم .
ومن ذاك وقت السحر لان النفس تكون قد اخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم . فان
اردت النسب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً . وإذا اخذت في مدح سيد فاشهر مناقبه . وأظهر
مناسبه . وأين معالته . وإياك ان تشين شعرك بالألفاظ الهجيه . وكن كأنك خياط تقطع
التياب على مقادير الأجسام . وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل شعراً إلا وانت فارغ
القلب . واجعل شہوتك الى قول الشعراء الذريعة الى حسن نظمه . فان الشهوة تجمع النفس .
وجملة الحال ان تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما تركوه
فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى . فاعلمت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة

ومن اخبار البحثري انه كان بحلب شخص يقال له طاهر ابن محمد الهاشمي مات ابوه وخلف
له مقدار مائة الف دينار فأنفقها على الشعراء والزوار في سبيل الله . فقصد البحثري من العراق
فلما وصل الى حلب قيل له انه قد قعد في بيته لديون ركبته . فاعتم البحثري لذلك غماً شديداً
وبعث المدحة اليه مع بعض مواليه . فلما وصلته ووقف عليها بكى ودعا بغلام له وقال له : يغ
داري . فقال له : اتبع دارك وتبقى على رؤوس الناس . فقال : لا بد من يعمها . فباعها بثلاثمائة دينار
فاخذ صرة وربط فيها مائة دينار وانفذها الى البحثري . وكتب اليه معها رقعة فيها هذه الآيات :

لو يكون الحباء حسب الذي أؤ ت لدينا به محل وأهل
لحيت الجين والدر واليا قوت ختوا وكان ذاك يقل
والأديب الأريب يسبح بالعد ر اذا قصر الصديق المقل

فلما وصلت الرقعة الى البحثري رد الدنانير وكتب اليه :

بأبي انت والله للبر أهل والمساعي بعد وسعك قبل
والنوال القليل يكثر ان شا مرجحك والكثير يقل

سعيد محمد بن يوسف البصري فأنشدته قصيدة أولها: (أأفلت صب من هوى فأيقنا).
فسر أبو يوسف بما وقال: أحسنت والله يا فتى واجدت. وفي مجلسه رجل رفيع نبيل قريب
الجلس منه فوق كل من حضر. فاقبل علي وقال: أما تستحي مني. هذا شعري تتخله وتأنشه
بمحضرتي. فقال له أبو سعيد: أحقاً ما تقول. قال: نعم. وإنما علقه مني وسبق به إليك وزاد
فيه. ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى تشككني علم الله في نفسي وبقيت متحيراً. فقال لي أبو
سعيد: يا فتى قد كان لك في قرابتك مني ما يغنيك عن هذا. فجعلت احذف بكل محرجة من
الآيمان ان الشعر لي ما سمعته منه ولا اتحاته فلم ينفع ذلك شيئاً. وأطرق أبو سعيد وقطع بي
حتى تمثيت ان يساخ بي في الارض. فقمت منكسف البال اجر رجلي فما بلغت باب الدار حتى
ردني الغلام. فاقبل علي الرجل وقال: الشعر لك يا بُني. والله ما قلته قط ولا سمعته إلا منك.
ولكنني كنت ظننت انك تجاوزت بموضعي فاقدمت على الانشاد بمحضرتي تريد مضاهاتي حتى
عرّفتي الامير نسبك. ولوددت ان لاتلد طائفة إلا مثلك. ودعاني وضعتني اليه وعاقني وأبو
سعيد يضحك. فلزمته بعد ذلك واخذت عنه واحذيت فنه

وعن أبي الغوث عن ابيه البصري قال: قال لي أبو تمام: بلغني ان بني حميد اعطوك ما لا جليلاً فيم
مدحتهم فأنشدني شيئاً منه. فأنشدته فقال لي: كم اعطوك. فقلت: كذا. فقال لي: ظلموك. ما
وفوك حقك والله لبيت منها خير مما اخذت. ثم اطرق قليلاً ثم قال: لعمري لقد مات الكرام
وزهب الناس وغاضت المكارم وكسدت اسواق الأدب. انت والله يا بُني امير الشعراء غداً
بعدي. فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت: والله لهذا القول اسر لي ما وصل الي منهم.
قيل البصري أَيْسِكاً أشعر انت أو أبو تمام قال: جیده خير من جيدي وردتي خير من رديتي.
وصدق فان أبا تمام لا يعلّق به احد في جیده. وربما اختل لفظه لا معناه. والبصري لا يخلّ لفظه.
وقيل له: قد عثرت باخذائك ابا تمام في شعرك. فقال: أَيْعَاب علي ان اتبع أبا تمام ما عملت
بيتاً قط حتى أخطر شعره بيالي. وذكرنا معنى تعاورة البصري وأبو تمام فقال المبرد البصري:
انت في هذا أشعر من أبي تمام. فقال: لا والله ذلك الرئيس الأستاذ. والله ما أكلت الخبز إلا
به. قال المبرد: شعر البصري احسن استواء من شعر ابي تمام. لان البصري يقول القصيدة كلها
فتكون سليمة من طعن طاعن. وأبو تمام يقول البيت النادر والبادر. (وهذا المعنى كان اعجب
الي الاصمعي) وما أشبهه إلا بغائص يخرج الدرة ثم قال: لأبي تمام والبصري من الحاسن ما لو
قيس باكثر شعر الأوائل ما وجدوا فيه مثله وذكر المبرد شعراً له وقدمه على نظائره:

وإذا ذكرت محاسن ابني صادق أدت اليك محابيل ابني مخد

الفرقدين اذا تأمل ناظر

لم يعل موضع فرقده عن فرقده

بخلي فافقرني بما أغناني

أعنت يدها يدي وشرّد جوده

وبعدها:

وله مئة وقائع كثيرة . وكانت وفاته ببغداد . وأما قيل له أبو نواس لذو ابنتين كانتا له
توسان على عاتقيه . وصفه أبو عبد الله الجعفي قال : كان أبو نواس اطرف الناس منطقاً
وأعزرم أدباً . وأقدرهم على الكلام وأسرعهم جواباً وأكثرهم حياءً . وكان ابيض اللون جميل
الوجه مليح النفسمة والإشارة . ملتف الأعضاء بين الطويل والقصير . مسنون الوجه قائم
الأنف . حسن العينين والمضحك . حلوا الصورة لطيف الكف والاطراف . وكان فصيح اللسان
جيد البيان . عذب الالفاظ حلوا الشائل كثير النوادر . وأعلم الناس كيف تكلمت العرب .
حداوية للاشعار علامة بالأخبار كأن كلامه شعرٌ موزون (لابن خلكان والقيرواني)

الأيوردي (٤٩٨ - ٥٥٧ هـ) (١١٠٥ - ١١٦٣ م)

١٩٢ هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس الأيوردي الشاعر المشهور . كان من الادباء
المشاهير راوية نسبة شاعراً ظريفاً . قسم ديوان شعره الى أقسام منها العراقيات ومنها النجديات
وغير ذلك . وكان من أخبر الناس بعلم الأنساب . نقل عنه الحفاظ الأثبات الثقات . وكان
فخر الرؤساء . حسن الاعتقاد جميل الطريقة متصرفاً في فنون حجة من العلوم . عارفاً بتاريخ
العرب فصيح الكلام حاذقاً في تصنيف الكتب . وافر العقل كامل الفضل . فريد دهره وحيد
عصره . وكان فيه تبه وكبر وعزة نفس . ومن محاسن شعره قوله :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت	لنا رغبة أو رهبة عطاؤها
فلما انتهت أيامنا علقت بنا	شدائد أيام قليل رخاؤها
وكان الينا في السرور انساها	فصار علينا في الصوم بكاؤها
وصرنا نلاقي الناثبات بأوجه	رفاق الحواشي كاد يقطر ماؤها
إذا ما هممنا ان نبوح بما جنت	علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

وله تصانيف كثيرة مفيدة منها تاريخ ابورد وكتاب الختاف والمؤلف . وطبقات كل فن
وما اختلف وانتلف في أنساب العرب . وله في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق الى مثلها . وكان
حسن السيرة جميل الأثر له معاملة صحيحة . وكانت وفاته باصهان مسموماً (لابن خلكان)

النجفري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) (٨٢٢ - ٨٩٨ م)

١٩٣ هو ابو عبادة الوليد بن عبيد النجفري شاعر مقدم لا يمدل به أحد يفضل على حبيب .
والناس في تفضيلها على اختلاف . ولد بمنج و نشأ وتخرج بها . ثم خرج الى العراق ومدح
جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل وأقام ببغداد دهرًا طويلاً ثم عاد الى الشام . وكان حسن
المذهب نقي الكلام ختم به الشعراء المحدثون . وله تصرف في ضروب الشعر سوى الهجاء فان
بضاعته فيه نزره . وحدث النجفري عن نفسه قال : وكان أول امرئ اتي دخلت على أبي

الى الفرات . والمرة الثانية أسره الروم على منبج في شوال سنة احدى وخمسين ومملوه الى
قسطنطينية . وأقام في الاسر اربع سنين وله في الاسر أشعار كثيرة مشتهرة في ديوانه . وكانت
مدينة منبج اقطاعاً له ومن شعره :

قد كنت عدتي التي اسطوي بها ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي
فرميتُ منك بضد ما أملتُهُ والمرة يشرق بالزلال البارد
فصبرتُ كالولد التي لبره أغضى على ألم لضرب الوالد

ومحاسن شعره كثيرة . وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي اسرته في سنة سبع وخمسين
وثلاثمائة . ورأيت في ديوانه انه لما حضرته الوفاة كان يشد غناطاً ابنته :

ابنيتي لا تمجزعي كل الأنام الى ذهاب
نوحى عليّ بحمرة من خلف سترك والحجاب
قولي اذا كلمتني فعبت عن ردّ الجواب
زين الشباب أبو فرا س لم يمتع بالشباب

هذا يدل على انه لم يقتل أو يكون قد جرح وتأخر موته ثم مات من الجراحة (البئمة للشمالي)

أبو نواس (١٤٥ - ١٩٨ هـ) (٧٦٣ - ٨١٤ م)

١٩١ هو أبو علي الحسن بن هاني المعروف بابي نواس الحكمي الشاعر المشهور ولد بالبصرة
ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ثم صار الى بغداد فاستحلها والبة بن الحباب . ورأى فيه مخايل النجابة
فصار أبو نواس معه . ورؤي ان الحبيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نواس عن
نسيبه فقال : أغثاني أدبي عن نسيبي . فامسك عنه . قال اسماعيل بن نوبخت : ما رأيت قط اوسع
علماً من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه . وهو في الطبقة الاولى من المولدين وشعره
عشرة انواع وهو مجيد في العشرة . وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء منهم أبو بكر
الصولي وعلي بن حمزة فلهذا يوجد ديوانه مختلفاً ومع شهرة ديوانه لا حاجة الى ذكر شيء منه .
ورأيت في بعض الكتب ان المأمون كان يقول : لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول
أبي النواس : ألا كل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عري
ذا تمن الدنيا ليب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
وكان محمد الأمين قد سخط على أبي نواس لقضية جرت له معه فتهدده بالقتل وحبسه .
فكتب اليه من السجن :

بك أستجير من الردى متعوذاً من سطو باسك
وحياة رأسك لا اعو دُ لملها وحياة رأسك
من ذا يكون أبا نوا سك إن قتلت أبا نواسك

بعين التمر وهي بليدة بالحجاز قرب المدينة . ونشأ بالكوفة وسكن بغداد وكان يبيع الجوز رقيقاً
لَهُ الجُرَّار . قال أشجع السلي الشاعر المشهور . اِذْنُ الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه .
فدخلنا فامرنا بالجلوس فأتقن ان جلس بجني بشار بن برد . وسكت المهدي فسكت الناس
فسمع بشار حساً فقال لي : من هذا . فقلت : أبو العتاهية . فقال : أترأى ينشد في هذا الحفل .
فقلت : احسب سيفعل . قال فامرهُ المهدي فاشد :

أَتَتْهُ الخِلافةُ منقاداً اليهِ تجرّ اذيالها
فلم تكُ تصلحُ إلّا لَهُ ولم يكُ يصلحُ إلّا لها
ولو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعهُ بناب القلوب لما قبل الله اعمالها

فقال لي بشار : انظر ويحك يا أشجع هل طار الخليفة عن فرشه . قال أشجع : فوالله ما
انصرف احد عند ذلك المجلس بجائزة غير أبي العتاهية . وله في الزهد أشعار كثيرة وهو من
مقدي المولدين في طبقات بشار وأبي نواس وتلك الطائفة . وشعره كثير . وتوفي ببغداد ولما
حضرته الوفاة قال : اشتي ان يجي مخارق المغني ويغي عند رأسي . والبيتان نه من جملة أبيات
إذا ما انقضت مني من الدهر مدتي فإن عزاء الباكيات قليل
سيمرّض عن ذكري وتُنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل
وأوصى ان يكتب على قبره :

إن عيشاً يكون آخرهُ المَوْتُ تَأمِشُ بمَجَلِّ التَّنْقِيزِ (لابن خلكان)

أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِيُّ (٣٢٠ - ٣٥٧ هـ) (٩٣٣ - ٩٦٩ م)

١٩٠ هو الحارث بن أبي العلاء الحمداني كان فرد دهره وشمس عصره أدباً . وفضلاً
وكرماً ومجداً . وبلاغاً وبراعاً . وفروسيّة وشجاعاً . وشعره مشهور بين الحسن والجودة .
والسهولة والجزالة والمذوبة . والفخامة والحلاوة . ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة
الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلّا في شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يُعدّ أشعر منه
عند أهل الصنعة وثقّة الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول : بدى الشعر بملك وختم
بملك . يعني امرأ القيس وأبا فراس . وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحاي جانبه . فلا
ينبهي لمباراته . ولا يجترئ على مجاراته . وانما لم يدحه ومدح من دونهُ من آل حمدان تحيياً له
واجلالاً . لا اغفالاً واضلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جداً بحسان أبي فراس ويميزه
بالأكرام على سائر قومه . ويستصحبهُ في غزواته ويستغفله في أعماله . وأمر أبو فراس مرتين
فالمرة الاولى بمفارة الخيل في سنة ثمان واربعين وثلاثمائة وما تمدوا به خرسنة وهي قلعة ببلاد
الروم والفرات يجري من تحتها . وفيها انه ركب فرسه وركضه برجله فاهوى به من أعلى الحصن

أيوب وأتصل بالملك الأشرف موسى وكتب له الانشاء . فحبر حل البراعة ووثنى . واطرب
المسامع وأنشأ . ومدحه بقصائد نظم بها في جيد الدهر اللآلي . وخلد ذكره في صحائف الأيام
والليالي . وله الديوان المشهور انتخب من نتائج فكره . ونفثات شعره . لأنه كان ينتقي الدرّة
الفريدة واختها . ويتحرى النادرة الشاردة ليثبتها . وسكن ابن النبي نصيبين الشرق وتوفي بها

أَبُو تَمَّامٍ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ (١٩٠ - ٥٢٢٨ هـ) (٨٠٧ - ٨٤٣ م)

١٨٨ قال الصولي: كان أبوه نصرانياً . وكان واحد عصره في دياجة لفظه وبضاعة
شعره وحسن اسلوبه . وله كتاب الحماسة التي دلت على غزارة فضله . واثقان معرفته بحسن
اختياره . وله مجموع آخر سماه (نحول الشعراء) جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية
والخضرمين والاسلاميين . وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره . قيل انه كان يحفظ
أربعة آلاف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطع . ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم . وجاب
البصرة . وقال العلماء: خرج من قبيلة طي ثلاثة كل واحد مجيدين في باب حاتم الطائي في جوده .
وداود بن نصير الطائي في زهد . وأبو تَمَّامٍ حبيب بن أوس الطائي في شعره . وأخباره كثيرة
ورأيت الناس يطبقون على انه مدح الخليفة بقصيدته السنية فلما انتهى فيها الى قوله:

إقدام عمرو في ساحة حاتم في حلم أخف في ذكاء إياس
قال الوزير أنشبه أمير المؤمنين باجلاف العرب فاطرق ساءة ثم رفع رأسه وأنشد يقول:
لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس
فانه قد ضرب الاقل لنوره مثلاً من المشكاة والندراس
فقال الوزير للخليفة: أي شيء طلبه فاعطيه . وذكر الصولي ان أبا تَمَّامٍ لما مدح محمد بن
عبد الملك الريات الوزير بقصيدته التي منها قوله:

ديمته سمحة القياد سكوب مستفيث بما الترى المكروب
لوسعت بقعة لأعظام أخرى كسعى نحوها المكان الجديب

قال له ابن الريات: يا أبا تَمَّامٍ انك تلحني شعرك من جواهر لفظك وبدع معانيك ما
يزيد حسناً على جبي الجواهر في أجياد الكواعب . وما يُدْخِرُ لك شيء من جزيل المكافاة إلا
ويقصر عن شعرك في الموازة . وراثه الحسن بن وهب بقوله:

فنجع القريض بخاتم الشعراء وغدير روضته حبيب الطائي
ماتا معاً فقبأورا في حفرة وكذاك كانا قبل في الأحياء

أَبُو الْعَتَاهِيَةِ (١٣٠ - ٥٢١١ هـ) (٧٤٨ - ٨٢٧ م)

١٨٩ هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم العتري المعروف بابي العتاهية الشاعر المشهور مولده

صورة وذر وله شيء كثير من الرسائل والنظم فمن ذلك قوله:

يا بائعاً حظهُ مني ولو بُدَّت لي الحياةُ بِحَظِّي منه لم أَبِعْ
يكفِكَ أَلَكْ إِنْ حَمَلَتْ قَلْبِي مَا لَا يَسْتَطِيعُ قُلُوبُ النَّاسِ يَسْتَطِيعُ
تَهْ أَحْتَمِلُ وَأَسْتَطِيعُ أَصْبِرُ وَعَزَّ أَهْنُ وَوْلَ أَقْبِلْ وَقُلْ أَسْمِعْ وَمَنْ أَطْعَمَ
ولهُ القصائد الطنَّانة ولولا خوف الاطالة لذكرنا بعضها . ومن بديع قلائده قصيدته التوفيقية
التي منها: تكادُ حين تناجيكم ضمائرنا بَغْضِي عَلَيْنَا الْأَمْسَى لَوْلَا تَأْسِينَا
حالت لبعْدكم أَيْامُنَا فغَدب سُوْدًا وَكَانَتْ بِكُمْ يَبِضًا لِيَالِنَا
بِالْأَمْسِ كُنَّا وَمَا يُخَشَى تَفَرُّقُنَا وَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقُنَا
وهي طويلة وكل أيتها تُغَب . وكانت وفاته بأشبيلية (الذخيرة لابن بسام)

إِبْنُ مَطْرُوحٍ (٥٩٢ - ٦٤٩ هـ) (١١٩٧ - ١٢٥٢ م)

١٨٦ هو أبو الحسن يحيى بن مطروح الملقَّب جمال الدين من أهل سعيد مصر . ونشأ هناك وأقام بقوص مدةً وتقلَّت به الأحوال في الحَدَم والولايات . ثم اتَّصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقَّب نجم الدين الأيوبي . وكان اذ ذاك نائباً عن أبيه الملك الكامل بالديار المصرية فرتبه السلطان ناظرًا في الخزانة . ولم يزل يقرب منه ويحظى عنده إلى أن ملك الملك الصالح دمشق . فرتبه بدمشق نائباً في صورة وزير لها . فحسنت حاله . وارتفعت منزلته . ثم تغيَّر عليه الملك الصالح وتَنَكَّر له وغزله عن ولايته لأُمُورٍ نَقَمَهَا عَلَيْهِ . فبقي ابن مطروح مواظبًا على الخدمة مع الاعراض عنه إلى أن مات الملك الصالح . فدخل مصر وأقام بجاني داره إلى وفاته . وكانت أدواته جميلةً وخِلاله حميدة . جمع بين الفضل والمروءة والأخلاق المرضية . ويستجاد له قوله في بعض أسفاره وقد نزل في طريقه بمسجد وهو مريض:
يَا رَبِّ إِنْ عَجَزَ الطَّيِّبُ فِدَاوَنِي بَلَطِيفُ صُنْعِكَ وَاشْفِنِي يَا شَافِي
أَنَا مِنْ ضِيُوفِكَ قَدْ حُسِبْتُ وَإِنْ مِنْ شَيْمِ الْكِرَامِ الْبَرِّ بِالْأَضْيَافِ
وكان بينه وبين أدباء عصره مذكرات أدبية لطيفة ومكاتبات في الغيبة . واجتمع في مصر بهاء الدين زهير الشاعر . ولابن مطروح ديوان شعر يتداوله الناس (لابن خلكان)

إِبْنُ النَّبِيِّ (٥٥٩ - ٦١٩ هـ) (١١٦٥ - ١٢٢٣ م)

١٨٧ هو أبو الحسن علي الشاعر البارع كمال الدين بن النبيه المصري . بدر فصاحته فحلى بصفة الكمال . وشمس بلاغته لا يعاري سناها زوال . كلامه متعشقه الطباع . وتأتذ به الأسماع . وله شعر اعذب من الماء الزلال . وأغرب من السحر الحلال . ونثره ألطف من كاسات الشمول وأرق من نبات الشمال . فالنظم والنثر عنده جَنَّتَانِ عن يمين وشمال . مدح بني

ابن دُرَيْدٍ (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) (٨٣٩ - ٩٣٤ م)

١٨٣ هو أبو بكر محمد بن دُرَيْدٍ الأَزْدِيُّ ولد بالبصرة ونشأ بعمان . وطلب علم النحو وكان من اكبر علماء العربية مقدماً في اللغة وانساب العرب واشعارهم . وكان شاعراً كثير الشعر . فمن ذلك مقصورته المشهورة فكان يقال ان أبا بكر بن دُرَيْدٍ أعلم الشعراء وأشعر العلماء . وله في الكتب كتاب الجمهرة في اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب الخيل الكبير وكتاب الخيل الصغير وكتاب الانواء وكتاب الملاحن وكتاب أدب الكتاب الى غير ذلك . وذكر انه مات هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد ودُفِنَا في مقبرة الخيزران . وقال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دُرَيْدٍ والجبائي . ورثاه جمحة فقال :

فَقَدْتُ بَابَ دُرَيْدٍ كُلَّ مَنْفَعَةٍ لَّمَّا خَدَا ثَالِثُ الْأَحْجَارِ وَالتَّرَبِّ
فَدَكَنْتُ أَبْيَكَ لَفَقْدِ الْجُودِ أَوْنَةً فَصُرْتُ أَبْيَكَ لَفَقْدِ الْجُودِ وَالْأَدَبِ (للانباري)

ابنُ الرُّومِيِّ (٢٢١ - ٢٨٢ هـ) (٨٣٧ - ٨٩٦ م)

١٨٤ هو أبو الحسن بن جورجيس المعروف بابن الرومي . الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب . والتوليد الغريب . يفوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة . ولا يترك المعنى حتى يستوفيه الى آخره . ولا يُبْقِي فِيهِ بَقِيَّةٌ . وله القصائد المطوّلة والمقاطع البديعة . وله في العجاو والمديح كل شيء ظريف . فمن ذلك قوله وما سبقه أحد الى هذا المعنى :

أَرَأَيْتُمْكُمْ وَوُجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَّوْنَ نُجُومٍ
مِنْهَا مَعَالِمٌ لِلْهُدَى وَمَصَابِيحُ تَجَلُّو الدَّجَى وَالْأَخْرِيَاتِ رُجُومٍ

ومات ابن الرومي ينفد وفيها يقول وقد غاب عنها في بعض أسفاره :

بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّيْبَةَ وَالصَّبَا وَلِبَسْتُ ثُوبَ الْعَيْشِ وَهُوَ جَدِيدٌ
فَإِذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأْيُهُ وَعَلِيهِ أَغْصَانُ الشَّبَابِ تَمِيدٌ

ابنُ زَيْدُونَ (٣٥٤ - ٤٠٥ هـ) (٩٦٦ - ١٠١٤ م)

١٨٥ هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي الشاعر المشهور كان غاية مثور ومنظوم . وخاتمة شعراء بني مخزوم . أخذ من حر الأبيام حراً . وفاق الأتنام طراً . وصرف السلطان نفعا وضراً . ووسع البيان نظماً ونثراً . الى أدب ليس للبحر تدفقه . ولا للبدر تألقه . وشعر ليس للشعر بيان . ولا للنجوم اقتترانه . وحظ من النثر غريب المعاني . شعري الألفاظ والمعاني . وكان من أبناء وجوه الفقهاء قرطبة . وبرع ادبه وجاد شعره . وعلا شأنه وانطلق لسانه . ثم انتقل عن قرطبة الى المعتضد عبّاد صاحب إشبيلية فجعله من خواصه يجالسه في خلواته . ويركن الى إشارات . وكان معه في

يعمرو : انه غيرهُ فذكر له ذلك فغضب وقال : هاته فضرب عنق بعير ضربه واحدة فابانها وقال : انما اعطيتك السيف لا الساعد . وكان كثير الكذب فقيل له : انك شجاع في الحرب والكذب فقال : اني كذلك : وشهد عمرو وقعة اليرموك وكان يستشيرهُ القواد في حروجه

لَيْسِدُ (٦٨٠ م)

١٨١ هو أبو عقيل بن ربيعة بن مالك العامري أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرمين . وهو من أشرف الشعراء المجيدين والفرسان الممتمرين . وأدرك لَيْسِدُ الاسلام وحسن إسلامه ونزل الكوفة أيام عُمر فأقام بها حتى مات في آخر خلافة معاوية . وكان عمره مائة وخمسة وأربعين سنة . وكان لَيْسِدُ جواداً من أفصح شعراء العرب وأقلم لغواً في شعره يتنقى منه العجب لجودة اختياره وصحة إنشاده . وقيل انه هو الذي جمع القرآن . فقال عند جمعه : الحمد لله اذ لم يأتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا

ولم يقل غير هذا البيت في الإسلام . وقيل ان عُمر بن الخطاب استنشد أيام خلافته من شعراء فأنطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها وقال : ابدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر . فسرَّ عُمر بجوابه وأجزل عليه العطاء . وله المعلقة المقامة المشهورة (لاني عبيدة)

(الشعراء المسلمون)

إِبْنُ خَفَاجَةَ (٤٥٠ - ٥٣٣ هـ) (١٠٦٠ - ١١٣٨ م)

١٨٢ هو أبو اسحاق بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر ولد ببجزيرة شقر من أعمال بلنسية من بلاد الأندلس وكان مقيماً بشرق الأندلس ولم يتعرض لاستراحة ملوك طوائفها مع تحافتهم على أهل الأدب . وله ديوان شعر احسن فيه كل إحسان . وابن خفاجة هذا هو مالك أعتة الحاسن ونابج طريقها . العارف بترصيعها وتنميقها . الناظم لعقودها . الراقم لبرودها . المجيد لإرهافها . العالم بمجالاتها وزفافها . تصرف في فنون الإبداع كيف شاء . وابلغ دلوه من الاجادة الرشاء . فشعشع القول وروقه ومد في ميدان الاعجاز طلقه . فجاء نظامه ارق من النسيم العليل . وآتى من الروض البليل . يكاد يمتزج بالروح . وترتاح له النفس كالغصن المرواح . ان وصف فناهيك من غرض انفراد بمضاره . وتجرد بحسى ذماره . وان مدح فلا الأعشى المحلق . ولا حسان لأهل جلق . وان تصرف في فنون الأوصاف . فهو فيها كفارس خصاف . وكان في شبيبته مخلوع الرسن . في ميدان مجونه . كثير الوسن . بين صفا الانتهاك وحجونه . لا يبايى بمن ألبس . ولا اي نار اقتبس . الا انه قد نسك نسك ابن أذينة . وغض عن ارسال نظره في اعقاب الهوى عنه . وقد اثبت ما يقف عليه اللواء .

(قلائد العقيان لابن خاقان)

وتصرف إليه الاهواء

دار الخلد والمقامة . فلما اضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدموا واحداً بعد واحد ينشدون
اراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قُتلوا عن آخرهم . فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذي
شرفني بقتالهم . وأرجو من ربي أن يجمعني بهم مستقر الرحمة . وكان عمر بن الخطاب يعطيها
أرزاق بنيتها الأربعة وكان لكل منهم مائتا درهم حتى قبض . ون قولها في أخيها صخر :

ألا يا صخر ان ابكيت عيني فقد أضحتك زماً طويلاً
بكيتك في نساء ممولات وكنت أحق من أبدى العويلا
دفعت بك الخطوب وأنت حي فن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا فجع البكاء على قتيل رأيت بكاء الحسن الجبيل
ولمافي : إذ عُب فلا يُمدنك الله من رجل دراك ضمير وطالب بأوز
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة وما أضاءت نجوم الليل للساري

وقالت أيضاً :

وما بلغت ككف امرئ متناولاً من المجد الآ والذي نلت أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة وان أطبوا إلا الذي فيك أفضل
وقيل ان النساء أدركت الاسلام وأسكت (للشريشي)

عمر بن معدى كرب (٦٤٣ م) (٥٢١ هـ)

١٨٠ هو أبو ثور بن عبد الله الزبيدي الصحابي من سادات أهل اليمن وفصحاءهم يقول
الشعر الحسن . وكان بعيد الفارة وشهد يوم القادسية وله فيها بلاء حسن . وكان هو آخر
القوم . وكانت فرسه ضعيفة فطلب غيرها . فأتى بفرس فأخذ بعكوة ذنبه وأجلده به إلى الأرض
فألقى الفرس فرده . وأتى بأخر ففعل به مثل ذلك ففحل ولم يقع . فقال : هذا على كل حال
أقوى من تلك . وقال لأصحابه : في حامل — وعابر الجسر فان اسرعت بمقدار جزر الجزور
وجدتوني وسيفي بيدي أقاتل — به تلقاء وجي وقد عقرني القوم وانا قائم بينهم وقد قتلت
وجردت . وان ابطأتم وجدتوني قتيلاً بينهم وقد قُتِلت وجردت ثم انغمس فحمل في القوم
فقال : بعضهم : يا بني زيد تدعون صاحبكم والله ما نرى ان تدركوه حياً . فحملوا فانتهوا
اليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فأمسكها وان الفارس يضرب
الفرس فما تقدر ان تتحرك من يده . فلما غشيته رى الأعجمي بنفسه وخلق فرسه فركبه عمرو
وقال : أنا أبو ثور كدتم والله تفقدوني . قالوا : ابن فرسك . قال : ربي بنشابة فشب
فصرعني . ثم شد على رستم وهو الذي كان قدمة ملك الفرس وكان رستم على فيل . فحذم
عرقوبه فسقط مات رستم من ذلك فانهمز الفرس . وله في الحروب أخبار ماثورة يضرب
الأعداء بسيفه الصمصامة . قيل ان عمر بن الخطاب استوهبه الصمصامة فوهبه عمرو له . فقيل

فاخرج لسانه كأنه حية ثم قال : هذا اذا طمع . وأخبر المدائني قال : مر ابن الحماسة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته فقال : السلام عليكم . فقال : قلت ما لا ينكر . قال : اني خرجت من أهلي بنير زاد . فقال : ما ضمنت لأهلك قراك . قال : افتأذن لي ان آتي ظل بيتك فاتفياً به . قال : دونك الجبل يفي عليك . قال : انا ابن الحماسة . قال : انصرف وكن ابن أي طائر شئت . ومن شعره في المديح :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البناء
وإن كانت النماء فيهم جزوا جبا
وإن قال مولاهم على جمل حادث
وكان الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر . فاستمدى عليه الزبرقان عُمر بن الخطاب فرفعه
عمر إليه ثم أمر به فنجعل في بئر فأنشده :

ماذا تقول لأفراخ يذي مَرخ
ألقيت كاسبهم في قمر مظلمة
انت الإمام الذي من بعد صاحبه
لم يؤثروك جبا إذ قدموك لها
فامن على صنية بالرمل مسكنهم
فاخرجه وقال له : أياك وهجاء الناس . فاقام بالبادية الى وفاته في خلافة عمر وكان قد بلغ
من العمر نيفاً ومائة سنة (الأغاني للأصبهاني)

الخنساء (٦٤٦ م) (٢٤ هـ)

١٧٩ هي غاضر بنت عمرو بن الشريد من سرة قبائل سليم من أهل نجد من شواعر العرب . وأجمع علماء الشعر انه لم تكن قط امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها . وكان النابغة الذبياني يجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسي يأنشده فيفضل من يرى تفضيله . فأنشدته في بعض المواسم فأعجب بشعرها وقال لها : لولا ان هذا الأعمى أنشدني قبلك (يعني الأعشى) فضلتك على شعراء هذا الموسم . وأكثر شعرها في مراثي اخويها معاوية وصخر . وكان صخر قُتل يوم الكلاب من أيام العرب . فلما مات دُفن في أرض بني سليم بقرب عسب وحضرت الخنساء القادسية مع بنينا وهم أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل يا بني انكم أسلتم طائعين وهاجرتم مختارين . والله الذي لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم . ولا غيرت نسبكم . واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية . اصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها . وجلت ناراً على أوراقها . فتمسوا وطيسها . وحالدارسيها . نظفروا بالغنم والكرامة . في

شاعراً مقلداً طويل البقاء في الجاهلية والاسلام . نادى المنذر ومدحه وكان على دين الحنيفة يقر بالتوحيد ويصوم ويستغفر ويتوقع اشياء لمواقبها ومن قوله :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها ففسده ظمها

الحافظ الرافع السماء على ال ارض ولم يبين تحتها دعماً

وكانت وقته بأصبهان وله من العمر ما ينيف على المائة (شعراء الجاهلية لابي عبدة)

الشعراء المخضرمون

حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (٦٧٥ م) (٥٤ هـ)

١٧٧ هو أبو عبد الرحمان حسَّان بن ثابت بن المنذر الأنصاري من المخضرمين . عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام وتوفي بالمدينة . وقد أجمعت العرب على ان حسَّان أشعر أهل المدر . ولما كان أهل مكة يعبرون الاسلام ويهجون صاحبه أذن محمد لحسان أن يحمي أعراض المسلمين فقال : اهجم وجبريل معك وسيعينك عليهم روح القدس . ومن قوله في الفخر :

نحنُ الملوك فلا حيُّ يقاربنا منَّا الملوك وفيما يُؤخَذُ الرُّبُعُ

نلكُ المكارم حُرْناها مقارعةً اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

كم قد نشدنا من الأحياء كلهم عند النهار وفضل الغر يُتبعُ

وتحرُّ الكوم عبطاً في منازلنا للنازلين اذا ما استطعموا شبعوا

ونحنُ نُطعم عند الحَلِّ ما أكلوا من العبيط اذا لم يظهر الفرعُ

وتنصرُ الناسُ ثأثناً سرَّاحهم من كل أوبٍ فتضي ثم تُتبعُ

وقد تستحسن له قصائد في وقعة بدر يفخر بها . وفي آخر حياته كف بصره

الْحُطَيْبَةُ

١٧٨ الْحُطَيْبَةُ لَقَّبُ لُقْبَ بِهِ لِقَصْرِهِ واسمه أبو مليكة جرول بن أرس بن مالك من فحول الشعراء ومتقدمهم وفصحايم . متصرف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر . وكان ذا شر وسفه ينتهي الى كل قبيلة اذا غضب على الآخرين . وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام . وكان الحطيب مطبوعاً على الهجاء دنيء النفس قبيح المظهر رث الحجة فاسد الدين . وكان بذياً هجاءً . فالتمس ذات يوم انساناً يهجوهُ فلم يجدهُ وضاق عليه ذلك فانشأ يقول :

أَبَتْ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمًا بَشَرًا فَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ

وجعل يدهور هذا البيت في أشدائه ولا يرى انساناً اذ أطلع في ركي فرأى وجهه فقال :

أَرَى لِي وَجْهًا شَوْهَ اللَّهِ خَلَقَهُ فَقُبَّعَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبَّعَ حَامِلُهُ

قال ابن أبي بكرة لقيت الحطيبه بذات عرق فقلت له : يا أبا مليكة من أشعر الناس

وَإِذَا الْكُتَيْبَةُ أَجْمَعَتْ وَتَلَاظَمَتْ . الْفَيْتُ خَيْرًا مِنْ مُعَمٍّ مَخُولٍ
وَالْحَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَتْنَى . فَرَّقَتْ جَعْمَهُمْ بِضَرْبَةِ فَيْصَلٍ
أَنْ يَلْحَقُوا أَكْرَزَ وَأَنْ يَسْتَلْحِمُوا . أَشَدُّ وَأَنْ يَلْقُوا بِضَنْكَ أَنْزَلٍ
وَلَقَدْ أَبَيْتَ عَلَى الطَّوْىِ وَاطْلَلَهُ . حَتَّى إِذَا نَالَ بِهِ كَرِيمُ الْمَأْكَلِ

وقيل لعنترة أنت أجمع العرب قال : لا . قال : فبإذا شاع لك هذا في الناس . قال :
كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزمًا . وأجمع إذا رأيت الاحجام خرمًا . ولا أدخل موضعًا إلا
أرى لي منه مخرجًا . وكنت اعتمد الضعيف الجبان فاضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب
الشجاع فائتي عليه فاقتله . وحُذِّثَ عن عمر بن الخطاب أنه قال للحطيمية : كيف كنتم في حربكم .
قال : كنّا ألف فارس حازم . قال : وكيف يكون ذلك . قال : كان قيس بن زهير فينا .
(وكان حازمًا) فكنّا لا نصفيه . وكان فارسنا عنترة فكنّا نحمل إذا حمل ونفجم إذا أجمع . وكان
فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأي فكنّا نستشيرهُ ولا نخافهُ . وكان فينا عروة بن الورد فكنّا
نأتم بشعرهُ فكنّا كما وصفت لك . فقال عمر : صدقت . قال ابن الكلبي : كان عمرو بن معدي
كرب يقول : ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقيني حرًا وهجينًا يعني بالحرين
عامر بن الطفيل وعُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب وبالعبد بن عنترة والسليك بن السلُكَة .
وكان عنترة أحسن العرب شيمَةً وأعلامهم همّةً وأعزهم نفساً . وكان مع شدة بطشه حليماً
أبى العريكة سهل الأخلاق . وكان شديد النخوة كريماً مضيافاً لطيف الحاضرة رقيق الشعر .
وله فيه لطائف كثيرة يعرض فيه عن تنافر الألفاظ وخشونة المعاني . وعمر عنترة تسعين سنة

النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيَّةُ (٦٠٤ م) وَالنَّابِغَةُ الْجَعْدِيَّةُ (٦٨٠ م)

١٧٦ هو زياد بن معاوية ويكنى أبا أمية . وهو أحد الأشراف الذين غضر الشعر منهم .
وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء . وإنما لُقِّبَ نابغةً لطول باعه في الشعر . وكان
يُضْرَبُ للنابغة قبة من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعريض عليه أشمارها . وكان النابغة
كبيراً عند النعمان خاصاً به . وكان من ندمائه وأهل أنسه . ثم تغير عليه وأوعده وتهدده .
فهرب منه فأتى قومه ثم شخص إلى ملوك غسان فامدحهم . ثم كتب إلى النعمان يعتذر إليه
بقصيدته الميمية التي مطلعها (يادارمية) . فأمّنه النعمان واستنشدته من شعره فأذن له أن
ينشده قصيدته التي يقول فيها :

حلفت فلم أترك لنفسك ربيّةً . وليس وراء الله للمرء مذهبُ
لأنك شمسٌ والملوك كواكبُ . إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

ثم أسنَّ النابغة وكبر وتوفي في السنة التي قُتِلَ فيها النعمان بن المنذر
أما النابغة الجعدي فهو أبو ليلى حسان بن قيس وكان أسنَّ من النابغة الذبياني . وكان

عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ (م ٥٧٠)

١٧٤ هو ابن مالك بن عتاب التغلبي صاحب المعلقة المعروفة . وله في شعره غرائب يفوق في بحر الكلام على دُرِّ المعنى الغريب . وكان يقوم بقصائده خطيباً يسوق عكاظ في مواسم مكة . وبنو تغلب تُعَظِّمُهَا جَدًّا يرونها صفارها وكبارها . ولما حَضَرَتْهُ الوفاة وقد أَتَتْ عليه خمسون ومائة سنة جمع بنيه فقال : يا بني قد بلغتُ من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي . ولا بد أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت . وإني والله ما عَبرْتُ أَحَدًا بشيء إلا عَبرْتُ بمثله . إن كان حقاً فحقاً وإن كان باطلاً فباطلاً . فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لكم . وأحسنوا جواركم يُحسِنُ ثَنَاءُكُمْ . وامتنعوا من ضم الغريب . وإذا حَدَّثْتُمْ فَعُوا . وإذا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجِزُوا . فإن مع الأَكْثَارِ تَكُونُ الْأَهْذَارُ . وأَشْجَعُ الْقَوْمِ الْعُطُوفُ بَعْدَ الْكُرِّ كما إن أكرم المنايا القتل . ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب ولا من إذا عوتب لم يعتب . ومن الناس من لا يرجي خيره ولا يخاف شره . فَبَسْكَوْهُ خَيْرٌ مِنْ دَرِّهِ . وعقوفه خير من بره .

عَنْتَرَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ (م ٦١٥)

١٧٥ هو عنتره بن شداد العبسي . وكانت أمه أمة حبشية يقال لها زبيبة . وكان سبب ادعاء أبي عنتره إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم وعنتره يومئذ فيهم فقال له أبوه كبر يا عنتره . فقال عنتره : العبد لا يحسن الكبر . أنا يحسن الحلب والصبر . فقال : كر وأنت حرٌّ فكرر . وقاتل يومئذ قتالاً حسناً فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه . وعنتره أحد أغربة العرب وهم ثلاثة عنتره وخُفَاف بن نُذْبَةَ والسُّلَيْك بن سُلَيْكَة . قال أبو عمرو الشيباني : غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قيس بن زُهَيْر فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم فوقف لهم عنتره . ولحقهم كَبْكَبَةٌ من الخيل فحامي عنتره عن الناس فلم يُصَبِّ مدبر . وكان قيس بن زُهَيْر سيدهم فساءه ما صنع عنتره يومئذ فقال حين رجع : والله ما حمى الناس إلا ابن السوداء . وكان قيس أكولاً فبلغ عنتره ما قال . فقال يعرض به قصيدته التي يقول فيها :

اصبغتُ عن عرض الختوف بمَعزِلِ	بَكَرْتُ تَخَوُّفِي الْخُتُوفَ كَأَنِّي
لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَهْلِ	فَاجِبَتَهَا إِنْ الْمَنِيَّةُ مِنْهَا
أَتَى امْرُؤٌ سَأَوْتُ إِزْنَ لَمْ أُقْتَلِ	فَاقْنِي حَيَاءُكَ لَا أَبَا لِكَ وَاعْلِي
مِثْلِي إِذَا تَزَلُّوا بِضَنْكِ الْمَنْزِلِ	إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ تَمَثَّلَتْ مُثْلِي
شَطْرِي وَاحْيِي سَاثِرِي بِأَنْصَلِ	إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عِبْسٍ مَنْصَبًا

وأما ابنه كعب فهو من المضرمين ومن فحول الشعراء وكان له أخ اسمه يُجَيْرُ سمع من محمد فأسلم . فباع ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغا عني بُجَيْراً رسالةً على أي شيء وبِ غبرك ذلك
على خُلُقٍ لم تُلفِ أماً ولا أباً عليه ولم تُدرِكْ عليه أخاً لك
صفاك أبو بكرٍ بكاس رويةٍ فانهلك المأمون منها وعلكا

فبلغت آياته محمداً فغضب عليه واهدر دمه . وقال : من لقي منك كعب بن زهير فليقتله . فكتب إليه أخوه يُجَيْرُ وقال له : انج وما أراك بمغفلت . وكتب إليه بعد ذلك بأمره أن يسلم فأسلم كعب . وقال قصيدته (بانت سعاد) يعتذر فيها إلى محمد فأمنه (الأناني)

الشَّنْفَرَى (٥١٠ م)

١٧٢ هو ثابت بن أوس الأزدي الشاعر من أهل اليمن . والشنفرى هو العظيم الشفتين . وهو شاعر من الأزد من العدائين . وكان في العرب من العدائين من لا يلحقه الخيل منهم هذا وسليك بن السلكة وعمر بن براق وأسيد بن جابر وتأبط شراً . وكان الشنفرى حلف ليقتلن من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين . وكان إذا وجد الرجل منهم يقول له الشنفرى : لطرفك . ثم يرميه فيصيب عينه . فاحتالوا عليه فامسكوه وكان الذي أمسكه أسيد ابن جابر أحد العدائين رصده حتى نزل في مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فأمسكه ليلاً ثم قتلوه فمر رجل منهم بجحيمته فضر بها برجله فدخلت شظية من الجحمة فمات منها . فتمت القتلى مائة . وله الشعر الحسن في الفخر والحجاسة منه لا يمتنه المعروفة بلامية العرب (الليداني)

عروة بن الورد (٥٩٦ م)

١٧٣ هو أبو نجد عروة بن الورد بن زياد العبسي شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها المتقدمين الأجواد . وكان يُلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم . ولم يكن لهم معاش إلا مغزاه وكان يعارض حاتمًا في جوده . فكان غض الطرف قليل الفحش كثير العطاء حامياً لحقيقته . ومن شعره قوله :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأدنين كلاً وأوشكت صلات ذوي القرى له أن تنكرا
وما طالب الحاجات من كل وجهةٍ من الناس إلا من أجد وشمرا
فسير في بلاد الله والتيس الغني تعيش ذا يسار أو تموت فتعذرا
وقُتِلَ عروة في بعض غاراته . قتله رجل من طهية (من ديوانه)

قال : فَلِمَ هَجَوْتَنِي . قال : مَنْ أَنْتَ . قال : انا عبد الله بن جُدعان . قال : هَجَوْتُكَ لَأَنَّكَ كُنْتَ
امراً كريماً فأحييتُ أن اضع شمري موضعه . فقال له عبد الله : لَأَنَّكَ كُنْتَ هَجَوْتَ لَقَدْ مَدَحْتَ
وكساهُ وحمله على ناقية برجلها . فقال دُرَيْدٌ بمدحه :

إِلَيْكَ ابْنُ جُدْعَانَ أَعْلَمْتُهَا عَقْفَةً لِلسُّرَى وَالنَّصَبِ
فَلَا خَفَضَ حَتَّى تَلْقَى امراً جَوَادَ الرِّضَا وَحَلِيمَ الْغَضَبِ
وَبَلَدًا إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْ بِوَيْعِينَ عَلَيْهَا بِجَزْلِ الْحَطَبِ
رَحَلْتُ الْبِلَادَ فَمَا إِنِّي أَرَى شَبِيهَ ابْنِ جُدْعَانَ وَسَطَ الْعَرَبِ
سَوْىَ مَلِكٍ شَاخِخٍ مُلْكُهُ لَهُ الْبَحْرُ يَجْرِي وَعَيْنُ الذَّهَبِ

وكانت وفاته في وقعة حُنين أدركه ربيعة بن ربيع السلمي فاخذ بِخِطَامِ جَمَلِهِ وهو يظن انها
امراً وذلك انه كان شِعَارَ لَهُ فَاَنَاحَ بِهِ . فاذا هو برجل شيخ كبير ولم يعرفه الغلام . فقال له
دُرَيْدٌ : ماذا تريد . قال : اقتلك . قال : ومن انت . قال : انا ربيعة بن ربيع السلمي . فانشأ
دُرَيْدٌ يقول :

وَيْحَ ابْنِ أَكْصَمَةَ مَاذَا يَرِيدُ مِنْ الْمَرَعَشِ الذَّاهِبِ الْأَدْرِدِ
فَاقْصِمْ لَوْ أَنَّ بِي قُوَّةً لَوَلَّتْ فَرَائِصُهُ تَرَعِدُ
وَيَا كَهْفَ نَفْسِي إِنْ لَا تَكُونُ مَعِي قُوَّةُ الشَّاخِخِ الْأَمْرِدِ

ثم ضربه السلمي بسيفه فلم يبقَ شيء . فقال له : بئس ما سلحتك أمك . خذ سيفي هذا من
مؤخر رحلي في القراب فاضرب وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ . فاني كذلك كنت
افعل بالرجال . ففعل كما قال فوقع صريعاً (لاي زكريا النوي)

زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى (٦٣١ م) وَأَبْنُهُ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ (٦٦٢ م)

١٧١ زُهَيْرٌ هُوَ رَبِيعَةُ بْنُ رِبَاعِ الْمَزْنِيِّ . وَكَانَ سَيِّدًا كَثِيرَ الْمَالِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَلِيمًا مَعْرُوفًا
بِالْوَرَعِ . وَهُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الْمَقْدَمِينَ عَلَى سَائِرِ الشُّعْرَاءِ . وَهُوَ ابْنُ الْقَيْسِ وَزُهَيْرُ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي .
وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَسْمِيهِ شَاعِرَ الشُّعْرَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَعْظَلُ فِي الْكَلَامِ . وَكَانَ يَتَجَنَّبُ وَحْشِيَّ
الشُّعْرِ وَلَمْ يَمْدَحْ أَحَدًا إِلَّا بِمَا فِيهِ وَيَبْعَدُ عَنْ سَخْفِ الْكَلَامِ . وَيَجْمَعُ كَثِيرَ الْمَعَانِي فِي قَلِيلٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ .
وَكَانَ يَنْظُبُ فِي مَدْحِ هَرَمِ بْنِ سِنَانِ الْمُرِّيِّ مِنْ آلِ أَبِي حَارِثَةَ أَحَدِ غَطَارِفَةِ الْعَرَبِ . وَلَهُ فِيهِ
غُرَرُ الْقِصَاصِ . وَكَانَ هَرَمٌ قَدْ آلَى أَنْ لَا يَمْدَحُهُ زُهَيْرٌ إِلَّا أَعْطَاهُ . وَلَا يَسْأَلُهُ إِلَّا أَعْطَاهُ . وَلَا يَسْلَمُ
عَلَيْهِ إِلَّا أَعْطَاهُ عَبْدًا أَوْ وَلَدَةً أَوْ فَرَسًا . فَاسْتَحْيَا زُهَيْرٌ مَا كَانَ يَقْبَلُهُ مِنْهُ . فَكَانَ إِذَا رَأَاهُ
فِي مَلَأَ قَالَ : عَمُوا صَبَاحًا غَيْرَ هَرَمٍ وَخَيْرٌ كَمْ اسْتَنْثَيْتُ . حَدَّثَ الْجَوْهَرِيُّ عَنْ عُمَرَ قَالَ : قَالَ
عُمَرُ لِابْنِ زُهَيْرٍ : مَا فَعَلْتَ الْخَلَّلَ الَّتِي كَسَاهَا هَرَمٌ أَبَاكَ . قَالَ : أَبْلَاهَا الدَّهْرُ . قَالَ : لَكِنَّ الْخَلَّلَ
الَّتِي كَسَاهَا أَبُوكَ هَرَمًا لَمْ يُبْلِهَا الدَّهْرُ

فَهَبُ تَسَمَّى اسْمِي وَسُمِّيْتُ بِاسْمِهِ فَايْنُ لَهُ صَبْرِي عَلَى مُعْظَمِ الْخُطْبِ
وَايْنُ لَهُ بَأْسٌ كَبَائِي وَسُورَتِي وَايْنُ لَهُ فِي كُلِّ فَادَحَةٍ قَلْبِي
وَقُتِلَ تَأَبَّطُ شَرًّا فِي بِلَادِ هُذَيْلٍ وَرُمِي بِهِ فِي غَارِيقَالٍ لَهُ رَحْمَانُ (الْأَنَافِي)

حَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ (٥٦٠ م)

١٦٩ هو ابن مكروه بن يزيد الشكري البكري صاحب المعلقة . وكان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث الى قولها ان عمرو بن هند الملك وكان جبّاراً عظيم الشأن والمالك لما جمع بكراً وتغلب ابني وائل واصلح بينها اخذ من الحيين رهناً من كل حيّ مائة غلام ليكتب بعضهم عن بعض . فكان اولئك الرهن يكونون معه في مسيره ويفزون معه . فأصابهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون . فقالت تغلب لبكر : اعطونا ديات ابنائنا فان ذلك لكم لازم . فأبى بكر بن وائل . فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة . فقال عمرو : ارى والله الامر سينجلي عن أحمر أصلح أصم من بني يشكر . فنجأت بكر بالحارث بن حلزة وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم . فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للحارث بن حلزة : يا أصم جاءت بك اولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك . فقال الحارث : وعلى من اظلمت السماء كلها يفخرون ثم لا ينكر ذلك . وقام الحارث بن حلزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً . توكأ على قوسه وانشدها واقطع كفه وهو لا يشعر من الضرب حتى فرغ منها . قال ابن الكلبي : انشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وضع . فقبل لعمرو بن هند ان به وضعاً . فامر ان يجعل بينه وبينه ستر . فلما تكلم اعجب بمنطقه فلم يزل عمرو يقول : ادنوه ادنوه حتى امر بطرح الستر واقعده معه قريباً منه لا يجابه به . وعمر الحارث طويلاً وابنه ظليم من فحول شعراء العرب (شعراء الجاهلية لأبي عبيدة)

دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ (٦٣٠ م)

١٧٠ هو معاوية بن الحارث فارس شجاع وشاعر فحل . وكان اطول الفرسان الشعراء غزواً وابعدهم اثراً واكثرهم ظفراً . وأيتمهم نقيبة عند العرب يقال انه غزا مائة غزاة ما اخفق في واحدة منها . فادرك الاسلام فلم يسلم . وخرج مع قوم يوم حنين مظاهراً للشركين ولافضل فيه الحرب . وانما اخرجوه تبعاً به وليقبسوا من ورائه . فنعمهم مالك بن عوف من قبول مشورته . وقُتِلَ دُرَيْدُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى شِرْكِهِ . وله في اخيه عبد الله مراتب اجاد فيها ما اراد . واخبر ابو عبيدة قال : هجا دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ عبد الله بن جدعان التيمي تم قريش فقال :

هل بالحوادث والايام من عجب ام بآبن جدعان عبد الله من كلب
قال : فلقية عبد الله بن جدعان بمكاظ فحياه وقال له : هل تعرفني يا دُرَيْدُ . قال : لا .

اذا عِينانِ في رأسِ قَبِيحٍ كُرَأْسِ المَرْمَشَقوقِ اللسانِ
وساقاً مُخَدَّجٍ وشَوَاةً كَلْبٍ وثوبٌ من عباءِ اوشنانِ

ومن اخباره انه كان يشنار عسلاً في غار من بلاد هذيل يأتيه كل عام . وان هذيلاً ذكرته
فرصدوه لِأَبْنِ ذلك حتى اذا جاء هو واصحابه تدلى فدخل الغار وقد اغاروا عليهم . فانفروهم
وسبقوهم ووقفوا على الغار . فحركوا الحبل فاطلع تأبط شراً رأسه . فقالوا : اصعد . فقال : لا
اراكم . قالوا : بلى قد رأينا . فقال : فعلام اصعداً على الطلاقة ام الفداء . قالوا : لا شرط لك .
قال : فاراكم قاتلي وآكلي جنادني . لا والله لا افعل . قال : وكان قبل ذلك نقب في الغار
نقبا عدهُ الحرب . قال : فجعل يسيل العسل من الغار ويهرقه ثم عمد الى الزرق فشدّه على
صدره ثم لصق بالعسل . فلم يبرح يترلق عليه حتى خرج سليماً . وفاتمم موضعه الذي وقع فيه
وبين القوم مسيرة ثلاث . فقال تأبط شراً في ذلك :

اقول لبلبانٍ وقد صغرت لهم وطايي وبوي ضيقُ الحِجرِ معورُ
لكم خصاصةً اماً فداءً ومنه واما دمًا والقتلُ بالحرِّ اجدُرُ
واخرى اُصادي النفس عنها وإيها لموردُ حزمٍ ان ظفرت ومصدرُ
فرشت لها صدري فزلّ عن الصفا به جوؤُ صلبٍ ومتنٌ مخصرُ
فخالط سهل الأرض لم يلدح الصفا به كدحة خزيان والموت ينظرُ
فأبْتُ الى قَهمٍ وما كنتُ آتياً وكم مثلها فارقتها وهي تصفرُ
اذا المرء لم يحتلّ وقد جدّ جدّه اضاع وقاسى امره وهو مدبرُ
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلاً به الامر الا وهو الحزم مبصرُ
فذاك قريعُ الدهر ما كان حوْلاً اذا سُدَّ منه مخزُّ جاش مخفرُ
فانك لو قايست بالصبّ حباتي بلبيان لم يقصر بي الدهر مقصرُ

وكان تأبط شراً اعدى ذي رجلين وذو ساقين وذو عيين . وكان اذا جاع لم تقم له
قائمة فكان ينظر الى الطلباء فينتقي على نظره اسمها . ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى ياخذه
فيذبحه بسيفه فيشويه ثم يأكله . وقيل ان تأبط شراً لقي ذات يوم رجلاً من ثقيف يقال له
ابو وهب كان جباناً اهوَجَ وعليه حلّة جيدة . فقال ابو وهب لتأبط شراً : يم تغلب الرجال
يا ثابت وانت كما أرى دمى ضليل . قال : باسمي . انما اقول ساعة ما لقي الرجل : انا تأبط شراً
فيخضع قلبه حتى انال منه ما اردت . فقال له الثقيفي : فهل لك ان تبيعني اسمك . قال : نعم .
قال : فم تبتاعه . قال : هذه الخلّة وبكتيتي . قال له افعَلْ ففعل . وقال له تأبط شراً : لك
اسمي ولي كنييتك . واخذ حلّته واعطاه طمريه ثم انصرف . وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقيفي :
ألا هل اتى الحسنة ان حليلها تأبط شراً واكتنيت ابا وهب

بشعره . فاجمعوا له مائة من الابل . ففعلوا فاحذوها وانطلق الى بلده . فلما كان بقاع منفوحة
رمى به بعيره فقتله (الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني)

أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ (٦٢٠ م)

١٦٧ قال الأصمعي : هو أوس بن حجر بن مالك شاعر تميم من شعراء الجاهلية وفعلوها .
يحيد في شعره ما يريد . وهو من الطبقة الثانية وكان انقطع الى فضالة بن كعدة لما جاد عليه من
للنعم . فلما مات فضالة وكان يكنى ابا دليجة . قال فيه اوس بن حجر يرثيه :

يا عين لا بد من سكبٍ وتحمال على فضالة جل الرزء والعالِي
أبا دليجة من توصي بارملة ام من لأشعث ذي طمرين محال
أبا دليجة من يكفي العشيرة اذ امسوا من الأمر في لبسٍ وبلبال
لا زال مسكٌ وريحانٌ له ارج على صدك بصافي اللون سلسال
ومن فاضل مراثيه اياه ونادرها قوله :

ايها النفس أجملِي جزأ ان الذي تكرهين قد وقعا
ان الذي جمع الساحة والـ م جدة والحزم والقوى جعما
المخلف المتليف المرزأ لم تمتع بضعفٍ ولم يمت طبعا
اودى وهل تنفع الإشاحة من شيء لمن قد يحاول التزعا
وعمر أوس بن حجر طويلاً وكانت وفاته في أول ظهور الاسلام

تَابَطُ شَرًّا (٥٣٠ م)

١٦٨ هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهسي احد محاضير العرب ومغاويرهم المعدودين . وقد
غلب عليه هذا اللقب لما اخبره الأصمعي قال : سارتا بط شرأ في ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد
فاخذ عليه الطريق اسد وقيل غول فلم يراوغه وهو يطلبه ويلتمس غرة منه فلا يقدر عليه حتى
ظفريه وقتله . فلما اصبح حمله تحت ابطه وجاء به الى اصحابه فقالوا له : لقد تابطت شرأ فقال :

ألا من مبلغ فتیان قَهَم بما لا قيت عند رحي بطن
واني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصخيفة صحصان
فقلت لها كلانا نضو أين اخو سفي فخلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فاهوى لها ككفي بصقول يمان
فأضربها بلا دهش فخرت صريعاً لليدين وللجنان
فقلت عد فقلت لها رويدا مكانك انني ثبت الجنان
فلم انفك منكنا عليها لأنظر مصعبا ماذا أتاني

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي التَّرَاجِمِ

شعراء الجاهلية

أَعْشَى قَيْسٍ (٦٢٩ م)

١٦٦ هو ميمون بن قيس بن جندل ويكنى أبا بصير وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم . وتقدم على سائرهم وليس ذلك بجمع عليه لافيه ولا في غيره . وكان قوم يقدّمون الأعشى على سائر الشعراء فيعتجبون بكثرة تصرفه في المديح والهجو وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره . ويقال انه أول من سأل بشعره واتبع به أقاصي البلاد . وكان يفني في شعره فكانت العرب تسميه صنّاجة العرب . ومن أخباره انه أتى الأسود العنسي وقد امتدحه فاستبسط جأثرته . فقال الأسود : ليس عندنا عين ولكن نعطيك عرساً . فاعطاه خمسمائة مثقال ذهناً وبخمسائة حلاً وعنبراً . فلما مرّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه فألقى علقمة بن علاثة . فقال له : أجزني . فقال : قد أجرتك . قال : من الجن والإنس . قال : نعم . قال : ومن الموت . قال : لا . فألقى عامر بن الطفيل . فقال : أجزني . قال : قد أجرتك . قال : من الجن والإنس . قال : نعم . قال : ومن الموت . قال : نعم . قال : وكيف تُخبرني من الموت . قال : ان متّ وانت في جوارِي بعثت الى اهلك الدية . فقال : الان علمت انك قد أجرتني من الموت . فمدح عامراً وهما علقمة . فقال علقمة : لو علمت الذي اراد كنت اعطيته اياه . ويُخبر عن الأعشى انه لما ظهر الاسلام وفد على محمد بقصيدة . فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صنّاجة العرب ما مدح احداً قط الا رفع في قدره . فلما ورد عليهم قالوا له : أين اردت يا ابا بصير . قال : اردت صاحبكم هذا لاسلم . قالوا : انه ينهك عن خلل ويجرمها عليك . وكلها بك رفق ولك موافق . قال : وما هن . فقال ابو سفيان بن حرب : القمار . قال : لعلني ان لقيته ان أصيب منه عوضاً من القمار . ثم ماذا . قالوا : الربا . قال : ما دنت ولا أدنت . ثم ماذا . قالوا : الخمر . قال : اوه ارجع الى صُبابة قد بقيت لي في الميهراس فاشربها . فقال له ابو سفيان : هل لك في خير مما سمعت به . قال : وما هو . قال : نحن وهو الآن في هُدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه وتنتظر ما يصير اليه امرنا فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفاً وان ظهر علينا آتية . فقال : ما اكره ذلك . فقال ابو سفيان : يا ممشر قريش هذا الأعشى والله لن اتي محمداً واتبعه ليضر من عليكم نيران العرب

فلا تدعن للخطب آدك ثقله فثلك للأمر العظيم حول
فلا تجزعن للكلب مسك وقعه فان خلاخيل الرجال كبول
في الوصاة

كتب بديع الزمان الى ابي نصر الميكالي يوصيه باي نصر

١٦٤ انا في مفاتحة الامير بين ثقة تعد . ويدترعد . ولم لا يكون ذلك البحر وان لم أره .
فقد سمعت خبره . ومن رأى من السيف أثره . فقد رأى أكثره . واذا لم ألقه . فهل أجمل
خلقه . وما وراء ذلك من تالداصل ونسب . وطارف فضل وأدب . وبعد همه وصيت .
فعلوم تشهد بذلك الدفاتر . والخبر المتواتر . وتنطق به الأشعار . كما تختلف عليه الآثار . والعين
اقل الحواس ادراكا . والآذان اكثرها استمساكا . ان شيخنا أبا نصر بن دوسنام سألني
طوال هذه المدة . مكاتبه تلك السدة . مستشفعا بكتابي الى الخاق العظيم . والعلق الكريم .
والفضل الجسيم . وكل شيء على الميم في باب التغميم . وبني ان أعرف شغل شاغل . وحتى أقبل
وأدخل . دخولا معلوما . لا يقتضي لوما . فلا تظنن ألا الجميل وعرفته ان المرء وجوده . ثم
جوده . وشفيح لا يعرف غريب ولكنه من غريب الخيث . لا من غريب الحديث . فأبي الآن
أفعل وقد فعلت على السخط من القراط . فان قبلت الشفاعة فالجد بأبي الآن يعمل عمله . وان
رُدت فليست كلمة السوء مثله . والسلام

كتاب ابن الخطيب الى شيخه ابي عبد الله بن مرزوق التلمساني شافعا

١٦٥ يا سيدي ابقاكم الله تعالى محط الآمال وقبلة الوجوه . وبلغ سيادتكم ما تؤمل من فضل
الله تعالى وترجوه . وكلأ بعين حفظه ذاتكم الفاخرة . وجعل عز الدنيا متصلا لكم بعز الآخرة .
بعد تقبيل يديكم التي يدها لاتزال تُشكر . وحسنها عند الله تعالى تُذكر . أنهي الى مقامكم ان
الشيخ ابا فلان مع كونه مستحق التجلة . بهجرة الى ابوابكم الكريمة قدمت . ووسائل من
اصالة وحشمة كرم . وفضل ووقار وتنويه للولاية ان كانت ذات احتقار وسن اقتضى
الفضل برة . وادب شكر الاختبار عليه وسره . وله بمعرفة سلفكم الارضى وسيلة مرعية . وفي
الاعتراف بنعمتكم مقامات مرضية . وتوجه الى بابكم والتمسك باسبابكم . والمؤمل من سيدي
سنه بجناح رعيه في حال الكبرة . ولحظه بطرف المبرة . اما في استعمال يليق بذوي الاحتشام .
او سكن تحت رعي واهتمام . واعانة على عمل صالح يكون مسكة ختام . وهو احق الغرضين
بالترام . واحالة سيدي في حفظه رسم مثله . على الله تعالى الذي يميز المحسنين بفضل . ومنه
نسأ ان يديم ايام المجلس العلي محروسا من النوائب . مبلغ الآمال والمآرب . والمملوك قد
قرّر شأنه في اسعاف المقاصد المأمولة من الشفاعة اليكم . والتحسب في هذه الابواب عليكم .
وتقلب القلوب بيد الله تعالى الذي يعطي ويمنع . ويملك الأمر اجمع . والسلام (نفع الطيب للقري)

أَمْسَى عَمَادُ الدِّينِ بَعْدَ عُلُومِهِ
وَإِذَا الْقَضَاءُ جَرَى بِأَمْرٍ نَافِذٍ
أَنْ لَمْ تُصَرَفِ الدَّهْرُ فِيهِ أَجَابِي
أَوْ قَاتِ ابْنَ تَرَى الْمُؤَيَّدُ قَالَ لِي
أَمْ أَيْنَ كَسْرَى أَرْدَشِيرُ وَقِصْرُ
ابْنِ ابْنِ دَاوُدَ سَلِيمَانَ الَّذِي
وَالرَّيْحُ تَجْرِي حَيْثُ شَاءَ بِأَمْرِهِ
فَتَكْتُبُ جَمْعَ أَيْدِي الْمُنُونِ وَلَمْ تَزَلْ
لَوْ كُنْ يَخْلُدُ بِالْفَضَائِلِ مَا جُدَّ
كُلُّهُ يَصِيرُ إِلَى الْبَلَى فَاجْتَبَهُ

كُتِبَ الطُّغْرَائِيُّ إِلَى مَعِينِ الْمَلِكِ فَضَّلَ اللَّهُ فِي نَكْبَتِهِ

١٦٣

فَصَبْرًا مَعِينِ الْمَلِكِ أَنْ عَنْ حَدَثٍ
وَلَا تَبَاسُنْ مِنْ صَنْعِ رَبِّكَ إِنَّهُ
فَإِنْ الْيَلَالِي إِذْ يَزُولُ نَعِيمُهَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ بَعْدَ ظِلَامِهِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ بَعْدَ كُسُوفِهَا
وَأَنَّ الْهَلَالَ النَّضْوُ يَقْمِرُ بَعْدَ مَا
فَقَدْ يَعْطِفُ الدَّهْرُ الْإِيَّ عَنَانَهُ
وَيَرْتَاشُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحَيْنِ بَعْدَ مَا
وَيَسْتَأْنِفُ النَّصْنُ السَّلِيبُ نَضَارَهُ
وَلِلنَّجْمِ مِنْ بَعْدِ الرَّجُوعِ اسْتِقَامَةٌ
وَبَعْضُ الرُّوَايَا يُوجِبُ الشُّكْرَ وَقَفَهَا
وَلَا غُرُورَ أَنْ اخْتِ عَلَيْكَ فَالْمَا
وَإِي قَنَاقَةً لَمْ تَرْتَحِ كَعُوجَهَا
اسْتَأْتِ إِلَى الْإِيَّامِ حَتَّى وَتَرْتَحَا
وَصَارِمَتَهَا فِيمَا ارْزَادَتْ صُرُوفَهَا
وَمَا أَنْتَ إِلَّا السِّيفُ يَسْكُنُ غَمْدَهُ
مَا لَكَ بِالصَّدِيقِ يَوْسُفَ اسْوَدَّ
وَمَا غَضَّ مِنْكَ الْحَبْسُ وَالذِّكْرُ سَائِلُ

فَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلُ
ضَمِينٍ بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يَدْبِلُ
تَبَشِّرُ أَنَّ النَّائِبَاتِ تَزُولُ
عَلَيْهِ لِإِسْفَارِ الصَّبَاحِ دَلِيلُ
لَهَا صَفْحَةٌ تَغْشَى الْعَيُونَ صَقِيلُ
بَدَا وَهُوَ شَفَتْ الْجَانِبَيْنِ ضَمِيلُ
فِي شَفَى عَلِيلٍ أَوْ يِلَّ غَلِيلُ
تَسَاقُطُ رِيَشُ وَاسْتَطَارَ نَسِيلُ
فِي بُورْقٍ مَا لَمْ يَعْتَوِرَهُ دُبُولُ
وَاللَّحْظُ مِنْ بَعْدِ الذَّهَابِ قَفُولُ
عَلَيْكَ وَاحْدَاتِ الزَّمَانِ نَكُولُ
يَصَادِمُ بِالْخَطْبِ الْجَلِيلِ جَلِيلُ
وَإِي حَسَامٍ لَمْ تَصْبُهُ فَلُولُ
فَعَنْدَكَ أَضْغَانٌ لَهَا وَتَبُولُ
وَلَوْلَاكَ كَانَتْ تَنْتَهِي وَتَصُولُ
لِيَشْقَى بِهِ يَوْمَ التَّرَالِ قَتِيلُ
فَتَحْمِلُ وَطْءَ الدَّهْرِ وَهُوَ ثَقِيلُ
طَلِقْ لَهُ فِي الْحَافِقَيْنِ زَمِيلُ

طريق ولا مذهب . ولو تعرضت لسخطه . بعد ما عرفته من شططه . لتحملت دونه الوزر في ظلي . ولكنت مقدمته الى ذي . ومن قعدت تحت الريبة ركبته . ومن تعرض للظنة نالته

ومن دعا الناس الى ذمه رموه بالحق وبالباطل

واقبل ما كان ينبعث من حضوري ان يثب هذا الجواد وثبة يصون القاضي عنها . وابتذلني لها . فاكون قد ضررت نفسي ولم انفع غيري فاذا بالحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين . وتكررت عليه كرتين . يرى بولي من اوليائه . داء لا يقدر على دوائه . ويرى وقوداً لا يصل الى اطفائه . ويتبين في حالة متصلة بحاله ثلثة لا يمكن سدها . وحنة لا يستوي لها ردّها . فلما مثلت بين تخلفي آمنّا . وحضوري خائفاً . عدلت بين طرفي الرؤية . ووزنت بين مقداري الخنة . فرأيت ان اميل مع السلامة . واقع من العمل بالنية . واغتر عهدة التفصيل لصحة الجملة . فغبت وكلي غير جسي شاهد . وتميزت وما انا الا مشاهد . وبعدت وقلبي سهم واغضيت على عين كلها قذى . وانطويت على صدر كل شجاً . وانصرف بقلب ساقط راض واغضت بجفن ضاحك باك وقلت :

فان تسجنوا القسري لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفة في القبائل

ولقد نسجت في ذم الظالم حلالاً لا يلبها الماء . ولا يحققها الهواء . ولا تغطي عليها الظلماء . والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض والراجح من محنته فانية . ومثوبته باقية . ولو انصف الظالم لكان يعزى . ولو انصف المظلوم لكان يحنى . جعل الله تعالى هذه الحادثة براء عفا ليس لها مدد . ولا ليومها غد . وجعل العمل بها آخر عهد القاضي بالعسر . وخاتمة لقائه لرب الدهر . ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين . ولا اخلاه فيما بعده من الشاكرين . برحمته

١٦٢ قال صني الدين الحلي يعزى الملك الافضل صاحب حماة بوالده الملك المؤيد

خفّض همومك فالحياة غرور
والمرء في دار الفناء مكلف
والناس في الدنيا كظل زائل
فالنكس والملك المتوج واحد
عجبا لمن ترك التذكر وانثى
في فقدنا الملك المؤيد شاهد
ملك تيمنت الملوك برأيه
ما آل ايوب الذين سماهم
اضحت مداخه الحسان مرثيا
وبكت له اهل الثغور وطالما
ورحى المنون على الانام تدور
لا قادر فيها ولا معذور
كل الى حكم الفناء يصير
لا امر يبقى ولا مأمور
في الامن وهو بعيشه مغرور
الا يدوم مع الزمان سرور
فكانه لصلاحه انفس
بجر بامواج الندى مسجور
للناس منها رنة وزفير
ضحكت لدست الملك منه تغور

عليه بكاء لي نصفه . وخرزت عليه حزناً لنفسي شطره . وسألت الله تعالى فانه اكرم مسئول . واعظم مأمول . أن يفيض عليه من رحمته . ما يتم به سبه من نعمته . وأن يتعمد كل زلة ارتكبا برحمته . ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بمنته . وان يذكر له تلك الاخلاق الكريمة . وتلك المروءة الواسعة العظيمة . ثم تذكرت ما نزل بسيدي من الوحشة لفقدته . والعمّة من بعده . والتحسر على قرينه يعدم . فخلص الى قلبي وجع ثان انساني الماضي . وثالث انساني الثاني . حتى استفرغ ذلك ما في صبري . بل ما في صدري . وحتى صار الوجع وجمعين . والمصاب اثنين . ثم رجعت الى أدب الله تعالى فقلت : انا لله وانا اليه راجعون اللهم لا شكاية لقضائك . ولا استبطاء لجزائك . ولا كُفران لنعمتك . ولا مناصبة لقدرتك . اللهم ارحم الماضي رحمة تجبب اليه ماته . وابق الحى بقاء يحنيه حياته . واطبع على قلبه حتى لا يطبع داعية الخزع . ولا يضع عنانه بيد الهكع . ولا يثلم جانب الاجر والذخر . بالاثم والوزر . ولا يبعد عدوه الشيطان سيلاً اليه . ولا سلطاناً عليه . اقتصرت من تعزية سيدي على هذا المقدار . لا جرياً على مذهبي في الافتصار والاختصار . ولكني لم اجد من اساني بسطة . ولا في قريحتي فضلة . ويحتمى لهذه الفادحة الحادثة ان تدع اللسان محصوراً . والبيان مقصوراً . او ان تحدث في العقل خلاصاً . وفي البيان شلاً . وليرفني سيدي خير ما هداه الله اليه من جميل الغزاء . الذي لم يعدم جميل الجزاء . ليكون سكوتي الى ما عرفه من سلوته . اضعاف قلقى كان بما ظننته من حُرقتيه . وان كنت اعلم انه لا يخلي ساحة الحالم والعلم . ولا يخل بالواجب من التمسك بالخزم . ولا يخل عقدة صبره . ولا تتداعى اركان صدره . ولا يعنى الرشد في جميع امره . وهذه شريطة الكمال . وسجينة الرجال

وكتب الى قاضي سجستان حين نكبه اميرها

١٦١ أما بعداً يد الله القاضي فانه لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسه . ولم ينصر اصدقاءه . من خذل حوباءه . وانما يجب المرء اخاه بما فضل عن محبته لروحه التي له خيرها . وعليه ضيرها . وكانت محنة القاضي محنة شملت الانام . وخصت الكرام . ووجب على كل من اشم روائح العقل . وميز بين نقصان والفضل . ان ينظر لها المأ . وان يكي عندها دماً . وخلص الي من ذلك ما اضحك مني الاعداء . وابكى لي الاصدقاء . حتى غضضت طرفاً طالما رفعت . وقبضت بناثاً طالما بسطته . وحتى عزيت كما يعزى الثكلان . وسليت كما يسلى الالفان . وانا بعد ذلك استصغر فعل نفسي وهي جرعة هلمة . واستقل سعي عيني وهي سخينة دمة . وكان يجب على مقتضى هذه الجملة . واساس هذه البنية . ان احضر مجلس القاضي فاصابه تحاراً واساهره لبلاً وتكون المحنة بيني وبينه احملها عنه ويحملها عني . ولكني علمت ان والينا هذا رجل ينظر الى الذنب الحفي . ويتغابي عن العذر الحلي . وله اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهي كاذبة . واخرى يسم بها عن المعاذير وهي صادقة . وليس بينه وبين العفو نسب . ولا له الى التثبت

كتب بديع الزمان الهمذاني الى أبي عامر عدنان الضبي يعزيه بعض اقاربه
اذا ما الدهر جر على اناس حوادثه اناخ بأخريه
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما أقينا

١٥٩ احسن ما في الدهر عمومهُ بالنوائب . وخصوصهُ بالرغائب . فهو يدعو الجفلى اذا
ساء . ويحتص بالنعمة اذا شاء . فلينظر الشامت فان كان أفلت . فله ان يشمت . وينظر
الانسان في الدهر وصروفه . والموت وصنوفه . من فاتحه امره . الى خاتمة عمره . هل يجد اثراً
في نفسه ام لتدبيره . عوناً على تصويبه . ام لعمله . تقدماً لأمله . ام لحيله . تأخيراً لأجله .
كلا بل هو العبد لم يكن شيئاً مذكوراً . خلق مقهوراً . ورزق مقدوراً . فهو يحيا جبراً . ويميت
صبراً . وليتأمل المرء كيف كان قبلاً . فان كان العدم اصلاً . والوجود فضلاً . فليعلم الموت
عدلاً . والعاقل من رفع من حوائل الدهر ما ساء ليذهب ما ضر بما نفع . وان احب ان لا يحزن
فلينظر يمينه . هل يرى الأمانة . ثم يعطف يسره . هل يرى الآحسة . ومثل الشيخ الرئيس من
تفطن لهذه الاسرار . وعرف هذه الديار . فاعد لنعمتها صدرًا لا يملؤه فرحاً . ولبوسها قلباً لا
يطيره جزماً . وصعب الدهر برأى من يعلم ان للجنة حدًا . وللعارية ردًا . ولقد نعي الى ابو
قيصة قدس الله روحه . وبرد ضريحه . فعرضت على آمالي قعوداً . وأماني سوداً . وبكيت
والسني بما يملك . وضحكك وشر الشدائد ما يضحك . وعضضت الاصبع حتى اقيته . وذممت
الموت حتى تمنيته . والموت خطب قد عظم حتى هان . وأمر قد خشن حتى لان . ونكر قد عم
حتى عاد عرفاً . والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت اخف خطوبها . وجعت حتى صار اصغر
ذنوبها . واضمرت حتى صار اسر غيوبها . واجمعت حتى صار اظهر عيوبها . ولعل هذا
السهم آخر ما في كائناتها . وازكى ما في خزانتها . ونحن معاشر التبعية نتعلم الأدب من اخلاقه .
والجميل من افعاله . فلا نخش على الجميل وهو الصبر . ولا نرغب في الجزيل وهو الاجر .
فاير فيها رأيه . ان شاء الله تعالى (رسائل بديع الزمان الهمذاني)

كتب ابوبكر الخوارزمي الى رئيس طوس يعزيه عن شقيقه له
١٦٠ كتابي عن سلامة . وما سلامة من يرى كل يوم ركنًا مهدودًا . ولحدًا لمحدودًا . واخًا
مفقودًا . وحوضًا من المنية مورودًا . ويعلم ان ايامه مكتوبة . وأنفاسه محسوبة . وان شباك
النيا لهُ منصوبة . أف لهذه الدنيا ما اكدر صافيا . وأخيب راجيا . وأقدر ايامها ولياليها .
وانقص لذاتها وملاهيها . تفرق بين الاحباء . والاحباب بالفوات . وبين الاحياء والاموات
بالرفات . ورد على خبر وفاة فلان . فدارت في الارض حيرة . واظلمت في عيني الدنيا حسرة .
وملأ الوله والوهل قلبي وساوس وفكرة . وتذكرت ما كان يجمعني وآياه من سكري الشباب
والشراب . فقلت انه شرب بكاس انا شارب من شرابها . ورئي بهم سوف أرى بها . فبكيت

للفقيه الكاتب ابي عبد الله اللوثي رسالة كتب بها الى امير المسلمين
يعزيه في الامير مزدي

١٥٧ اطال الله بقاء امير المسلمين . وناصر الدين . الشائع عدله . السابغ فضله . العظيم
سلطانه . العلي مكانه . السني قدره وشانه . في سعد تطرف عنه اعين النواب . وجد تصرف
دونه اوجه المصائب . كل رزء ادام الله تأييده وان عظم وجل . حتى استولى على النفوس منه
الوجل . اذا عدا بابه . وتخطى بنابه . فقد اخطأ بمحمد الله المقتل . وصد عن سواء الغرض
وعدل . واذا كانت اقدار الله تعالى غالبه لا تصاول . واحكامه نافذة لا تزاول . فالصبر
لواقعها اولى . وكتبته ادام الله تأييده والنفس بنار زفراتها محترقة . والعين بماء عبرتها شربة
مفروقة . لما نفذ قدر الله المقدور . وقضاؤه المسطور . من وفاة الامير الاجل ابي محمد مزدي
قدس الله روحه . وسقى ضريحه . فياله من رزء قسم الظهير . ووسم النجوم الزهر . واذا كى الاخران .
وابكى الاجفان . واقصى الهامد بكائته من الدولة المنيفة . ومزكته من الامرة الرفيعة الشريفة .
وعند الله نحتسبه ذخيرة عظمى . ونسأله المغفرة له والرحمى . فانه كان نور الله وجهه متوفر
الصمة على الجهاد . من اهل الجدي في ذلك والاجتهاد . وحسبه انه لم يقض نجه الا وهو متجهز
في عساكره فادركه الموت مهاجراً . ومع الله تاجراً . واجزوا ان يكون تعالى قد قرن له فاتحة
السعادة . بخاتمة الشهادة . وأمير المسلمين اورى في الرئاسة زنداً من ان تضعضه الخطوب وان
اهمت . وتوجعه الحوادث اذا ادهست . والله يحسن عزاءه على فجمه . ولا يذني حادثاً بعده
من ربعة . بمنه عز وجل

١٥٨ كتب الوزير ابو محمد بن القاسم معزياً القاضي ابا الحسن بن زنباع
في قريب مات له

يشاطرك الصبابة والسهادا	ويحضك الحبة والودادا
صديق لو كشفت الغيب عنه	وجدت هواك قد ملأ الفؤادا
يعز عليه رزء بت عنه	شقيق النفس تلهما سدا
أشفق للعباد ونحن منهم	من الرب الذي خلق العبادا
أراد بنا الفناء على سواء	ولا بد لنا مما ارادا
لئن قدمت علناً مستفاداً	لقد أكرمت خطأ مستفادا
ومثلك لا يضعضه مصاب	ولا يعطي لنايبة قيادا
وما زلت الرشيد نبي وحاشي	لمثلك أن نعلمه الرشادا

الأمرين حزمة . ولم يدع أن يوطن نفسه على النازلة قبل نزولها . ويأخذ الالهة للحالة قبل حلولها . وإن يجاور الخير بالشكر . ويساور الحنة بالصبر . فيتخير فائدة الأولى عاجلاً . ويستمرى عائدة الاخرى آجلاً . وقد نفذ من قضاء الله في المولى الجليل قدراً . الحديث سنأما أرمض وأقض . وأقلق وأمض . وسني من التألم له ما يحق على مثلي ممن نوالتي ابدي الرئيس اليه . ووجبت مشاركته في الملم عليه . فأن الله وأنا اليه راجعون . وعند الله نحتسبه غصناً ذوى وشهاباً خبا . وفرعاً دل على اصله . وخطيباً ابتته وشيخه . وإياه أسأل ان يجعله الرئيس فرطاً صالحاً وذخراً عتيداً . وان ينفعه يوم الدين حيث لا ينفع إلا مشله بين البنين بمجوده ومجده . وابن كان المصاب به عظيماً . والحادث فيه جسيماً . لقد احسن الله اليه . والى الرئيس فيه . أما اليه . فان الله نزهه باحترام . عن اقتدار الآثام . وصانه بالاختصار . عن ملابسة الاوزار . فورد دنياه رشيداً . وصدر عنها سعيداً . نقي الصغيف من سواد الذنوب . بري الساحة من دَرَن العيوب . لم تدنس الحرائر . ولم تعلق به الصغار والكبار . قد رفع الله عنه دقيق الحساب . واسم له الثواب مع أهل الصواب . وألحقه بالصديقين الفاضلين في المعاد . وبوأة حيث فضلهم من غير سعي واجتهاد . وأما الرئيس فان الله لما اختار ذلك قبضه قبل رؤيته وقبل معانيه على الحالة التي يكون معها الرقة . التي تتضاعف عندها الحرقه . وحماه من فتنه المرافقة . ليرفعه عن جزع المفارقة . وكان هو المبقى في دنياه . والواجب الماضي الذخيرة لأخراه . وقد قيل ان تسلم الحلة فالتسلل هدر . وعزيز علي ان اقول المهور اللامر من بعده ولا أوفي التوجع عليه . واجب فقدته فهو له سلاة ومنه بضعة . ولكن ذلك طريق التسلية . وسيل التعزية . والمنهج السلوك في مخاطبة مثله ممن يقبل منفعة الذكرى وان اغناه الاستبصار . ولا يأتي ورود الموعظة وان كفاه الاعتبار . والله تعالى يقي الرئيس المصائب . ويميده من النوائب . ويرعاه بعينه التي لا تنام . ويجعله في حماه الذي لا يرام . ويقيه موفوراً غير منتقص يقدمنا الى السوء امامه . والى الحذور قدأماه . ويبدا لي من بينهم في هذه الدعوة . اذ كنت اراها من أسعد احوالي . وأعدّها من أبلغ اماني وآمالي (للقيرواني)

لاي فضل الميكالي تغزية الى أبي عمرو البجيري في آخر

١٥٩ لقد عاش اخوك نبيه الذكر . جليل القدر . عبق الثناء والنشر . يتجمل به أهل بلده . ويتباهى بمكانه ذوو مودته . ويفتخر الأثر وحاملوه بتراحي بقائه ومدته . حتى اذا تسم ذروة الفضائل والمناقب . وظهرت محاسنه كالنجوم الثواقب . اختطفته يد القدار . ومحت أثره بين الآثار . فالفضل خاشع الطرف لفقدته . والكرم خالي الربع من بعده . والحديث ينوب حافظة ودارسه . وحسن العهد يبكي كافله وحارسه

وصفا له ولاخوة يتلونهُ ماء الحياة لديك غير مكدر
فلأنت بدر السعد وهو هلالهُ ولانت سيف المجد وهو السّموري
لازلت تبقى للحامد جامعاً مع احمد في ظلّ عيش اخضر
والسعد ينشر فوق راسك رايةً تبقى مع العليا بقاء الادهر
١٥٣ قال صفي الدين الحلي يشكر انعام السلطان الملك المؤيد عماد الدين

اسماعيل وقد حمل اليه تحفاً وكسرات البيت وآلاته ومهمات جميعها

جزاك الله من حُسنك خيراً وكان لك الميمن خير راع
فقد قصرت بالاحسان لفظي كما طوّلت بالانعام باعي
فأخزني الحياء وليس يدري جميع الناس ما سبب امتناعي
فأشكرُ حسن صنعك في اتصال وخطوي نحو ربك في انقطاع
وقافية شبيه الشمس حسناً تُردّد بين كفي واليراع
لها فضلٌ على غرر القوافي كما فضل البقاع على البقاع
غدت تثني على عليك لماً ضمنت لربها بنجح المساعي
فدمت ولا برحت مدى اللبالي سعيد الجدّ ذا امرٍ مطاع

١٥٤

كتاب لسان الدين بن الخطيب الى بعض الفضلاء

تعرفت قرب الدار مِمَّنْ أُحِبُّ فكنت اجد السير لولا ضرورة
لاتلوم من آي الحامد سورة وأبصر من شخص الحاسن صورة

كنت ابقاك الله تعالى لاغباطي بولائك . وسروري لبقائك . اودّ أن اطوي اليك
هذه المرحلة . واجدد العيد بلياك المؤلمة . فنع مانع . وما ندرى في الآتي ما الله صانع . وعلى
كل حال فشأنني قد وضع منه سبيلٌ مسلوك . وعله مالكٌ ومملوك . واعتقادي أكثر بما تسمه
العبرة . والالفاظ المستارة . وموصلها ينوب عني في شكر تلك الذات المستكملة شروط
الوزارة . المتّصّفة بالمعاف والطهارة . والسلام (فتح الطيب للقرى)

في التعزية

كتاب ابي اسحاق الصابي الى محمد بن العباس يعزيه عن طفلي

١٥٥ الدنيا اطال الله بقاء الرئيس أقدارُ تردّ في اوقاتها . وقضايا تجري الى غاياتها . ولا
يردّ منها شيء من مداها . ولا يصدّ عن مطلبه ومناه . فهي كالسهم التي ثبتت في الأغراض . ولا
ترجع بالاعتراض . ومن عرف ذلك معرفة الرئيس لم عند يائثر الزيادة ولم يقنط عند
المصيبة . ولم ينجزع عند النقيصة . وأمن أن يستغف أحد الطرفين حكمه . ويستترل أحد

ادبانكم واعراضكم . وتوبوا الى الصلاح في جميع اغراضكم واخلصوا السمع والطاعة لوالي اموركم . وخليفتنا في تدبيركم . وسياسة جمهوركم . اخينا الكريم علينا ابي اسحاق ابراهيم ابقاه الله . وادام عزه بتقواه . واعلموا ان يده فيكم كيدنا . ومشهده كمشهدنا . فقفوا عند ما يحضركم عليه . ويدعوكم اليه . ولا تختلفوا في امر من الامور لديه . واتقادوا سلس انقياد لحكمه وعزمه . ولا تقيموا على شي عناد بين حده ورسمه . والله تعالى يفي بكم الى الحسنى . وييسركم الى ما فيه صلاح الدين والدنيا . بقدرته
(قلائد العقيان لابن خاقان)

في المديح والتهنئة والشكر

من كتاب لابي محمد البسطامي الى بعض الامراء

١٥١ الحمد لله الذي اقام الامير مقاماً تسر به الخواطر . واحيا به بلدة العلوم احياء الروض بالسحب المواطر . واعاد شمسها المنيرة الى افقها . واحلها بالمطالع الذي هو من حقها . فعاد الى وظيفتها عود الحلي الى العاقل . واطهرها به ظهور الحق على الباطل . فاصبحت منيرة شمس ظاهرة في يومه بحسن ما عودها في امسه . فنظر اليها نظر السحاب الى مواقع وبلها . وحنوه على اهلهما حنو المرضع على طفلها . فاصبحت رياح الأمن بها سارية . وتغاب السمن من فوقها جارية والارزاق تنهل من اقلامه كما ينهل المطر من مزنه . وانواع الخيرات تجني من كرمه كما جني الثمر من غصنه . لازالت اقلامه محكمة في اراضي العلماء . نافذاً امرها في اقاليم الفضلاء
١٥٢ كتب ذو الوزارتين ابوبكر بن احمد بن رحيم الى الوزير المشرف اخيه

ينيه بولود من قصيدة

ورد الكتاب به فرحت كاني	نشوان راح في ثياب تبخر
لما فضضت ختامه فتبليت	بيض الاماني في سواد الاسطر
قبلت من فرح به خذا الثرى	شكراً ولا حظ لمن لم يشكر
يا مورد الخبر الشبي وحادي ال	أمل القصي وهادي النبأ السري
زدني من الخبر الذي اوردت	يا برد ذاك على فؤاد المخبر
صفوا وعفوا للزمان فانه	ضحكت اسرة وجهه المتسمر
طلع البشير بنجم سعد لاح من	أفق العلى وبشال ليث عندير
لله درك اي فرع سيادة	اعطيه وقضيب دوحة مفخر
طابت أرومته وابنع فرعه	والفرع يعرف فيه طيب النضر
انت الجدير بكل فضل نلت	وحويته وبكل مكرمة حري
حننا رحيماً انما قد انجيت	برحيم الحمود اسنى مذكر
نامت عيون الدهر عن جنباته	وحمت مناهله متون الضمر

لا زلت ترقى على زهر النجوم علًا ما هبت الريح أقواماً وما رصدوا
في العتاب واللوم

كتاب ابي بكر بن القصيرة عن امير المسلمين وناصر الدين الى طائفة متعديّة

١٤٩ اماً بعد يا أمة لا تعقل رشدًا . ولا تجري الى ما تقتضيه نعم الله عندها . ولا تقلع عن
اذى تفشيه قريباً وبعداً جهدها . فانكم لا ترعون لجار ولا لغيره حرمة . ولا تراقبون في مؤمن
إلا ولا ذمة . قد اعلمكم عن مصالحكم الأثر . واضلّكم ضلالاً بعيداً البطر . وبذتم المعروف
وراء ظهوركم واتيتم ما ينكر مقتدياً في ذلك صغيركم كبيركم . وخالكم بمشهوركم . ليس فيكم
زاجر . ولا منكم ألا غوي فاجر . وما نرى إلا ان الله عز وجل قد شاء مسيئكم . وأراد نسيخكم
وفسخكم . فسلط عليكم الشيطان يغركم ويغريكم . ويزين لكم قبائح معاصيكم . وكانكم به قد
نكص على عقبيه عنكم . وقال : اني بريئ منكم . وترككم في صفقة خاسرة . لا تستقبلونها ان لم
تتوبوا في دنيا ولا آخرة وحسبنا هذا عذاراً لكم . وانذاراً قبلكم . فتوبوا . وأنيبوا . واقبلوا .
وانزعوا . واقتصوا من انفسكم كل من وترقوه . وأنصفوا جميع من ظلمتموه وغشتموه . ولا
تستطيروا على احد بعد . ولا يكن الى اذاه صدور ولا ورد . والأجل لكم من عقوبتنا ما يجعلكم
مثلاً سائراً . وحديثاً غابراً . فاتقوا الله في انفسكم واهليكم . واياكم والاعتزاز فانه يورطكم فيما
يرديكم . ويسوقكم الى ما يُشمت بكم اعاديكم . وكفى هذا تبصرة وتذكرة . ليست لكم بعدها
حجة ولا معذرة . ولا توفيق إلا بالله تعالى

كتاب الوزير الفقيه ابي القاسم ابن الجدة عن امير المسلمين وناصر الدين
الى اهل أشيلية

١٥٠ كتابنا ابقاكم الله وعصمكم بقواه . ويسركم من الاتفاق والائتلاف الى ما يرضاه .
وجنبكم من اسباب الشقاق والخلاف ما يستغظه وينهاه . من حاضرة مرآكش حرسها الله لست
بقين من جمادى الاولى سنة اثنتي عشرة وخمسة . وقد بلغنا ما تأكد بين اعيانكم من اسباب
التباعد والتباين . ودواعي التحاسد والتضامن . واتصال التباغض والتدابير . وقادي التقاطع
والتهاجر . وفي هذا على فقهاكم وصلحاكم مطعن بين . ومفسز لا يرضاه مؤمن دين . فهلا
سعوا في إصلاح ذات البين سعي الصالحين . وجدوا في ابطال اعمال المفسدين . وبذلوا في تأليف
الآراء المختلفة وجمع الاهواء المفترقة جهد المجتهدين . ورأينا والله الموفق للصواب . ان نمذر
اليكم هذا الخطاب . فاذا وصل اليكم . وقرئ عليكم . فاقعوا الانفس الامارة بالسوء . وارغبوا
في السكون والهدوء . ونكبوا عن طريق البني الذم المشنوء . واحذروا دواعي الفتى . وعواقب
الآحن . وما يجرداء الضائر . وفساد السرائر . وعن البصائر . وخيم المصاير . واشفقوا على

ألا يا أخي هذا الفراق فمن لنا
 ألا بلغها عن أخيها تحية
 جريح طريح بالسيف مبضع
 حمام نجد بلقي قول شائق
 وقولي ضرار في القيود مكبل
 حمام نجد اسمعي قول مغرد
 وان سألو عني الأجابة خبري
 حمام نجد ان اتيت خيامنا
 وقولي لهم ان الأسير بحرقه
 له من عداد العمر عشر وسبعة
 وفي خده خال تحت مدامع
 مضى سائرا يعني الجهاد تبرعا
 ألا فادفني بارك الله فيكما
 ألا يا حمامات الحطم وزمزم
 عسى تسمع الايام منها بزورة
 بخير رجوع قادم منك بالبر
 وقولا غريب مات في قبضة القهر
 على نصرة الاسلام والطاهر الطهر
 الى عسكر الاسلام والسادة الغر
 بعيد عن الأوطان في بلد وغير
 غريب كئيب وهو في ذلة الاسر
 بان دموعي كالسحاب وكالقطر
 فقولي كذاك الدهر عسر على يسر
 له علة بين الجوانح والصدر
 وواحدة عند الحساب بلا نكر
 على فقد اوطان وكسر بلا جبر
 فوفاه اولاد اللثام على غدر
 ألا واكتب هذا الغريب على قبري
 ألا أخبري أمي ودلي على قبري
 لقبر غريب لا يزار من النكر

١٤٨ للصاحب فخر الدين بن مكائس يستدعي سراج الدين الاسكندري ويداعبه

يا ذا الذي فكره مثل اسمه يقد
 بم اعتذارك عن هذا الصدود لنا
 عافاك ربك من داء القطيعة بل
 فيم التواني والخللن قد حفلت
 ان ذاع وصفك في تأديهم طربوا
 ان لم تشرف بناديهم فاشرفوا
 اذا هجرت بني الآداب فابده لنا
 قدصرت توحشهم بعدا وان قربوا
 ما هكذا تفعل الدنيا بصاحبها
 وبعد فاحضر وذنب البعد مغفرا
 بادر لنا فبنو الآداب كلهم
 وأوعدوك فان لم تأت نحوهم
 وأنت أدري بقوم ان بلوا سلقوا
 فندت عنا وما من شأنك الفند
 هذا وقد ضمنا بالجيرة البلد
 شفاك من داء أمر كله نكد
 على المودة لاحقد ولا حسد
 أو جال ذكرك فيما بينهم سجدوا
 أو لم تنفق لهم آدابهم كسدوا
 بم اعتذارك لا أهل ولا ولد
 وكنت تؤنسهم قربا وان بعدوا
 فالناس بالناس والإخوان تنقذ
 وان تطاول من هجرانك الأمد
 تجمعوا من فجاج الأرض واحتشدوا
 وكلهم منجز في الحال ما يعد
 بالسن ما لقتلى حربها قود

مُسَاعَدَةً . الْآذِلُ تَعْلَمُ مَقْدَارَهُ . وَتَحَقِّقُ مَنَازِلَهُ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ عَقُوبَتَنَا تَوْبِيخَكَ
وَتَقَرِيبَكَ إِلَى الْمَوْتِ دَوْنَهُ . وَبِإِثْقَانِهِ نَسْتَعِينُ وَلَا نَسْتَبْطِئُ فِي مَسِيرِنَا إِلَيْكَ وَابْتَغَاءِ نَصْرِ دِينِهِ . وَالسَّلَامُ
عَلَى مَنْ عِلْمُ الْحَقِّ فَأَتْبَعُهُ . وَاجْتَنِبُ الْبَاطِلَ وَخُذْهُ

مَكْتُوبُ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عِبَادٍ إِلَى يُوسُفَ بْنِ تَاشْفِينٍ لِيَسْتَجِدَّهُ عَلَى الْإِذْفَنَشِ

١٤٦ (مِنْ أَشْبِيلِيَّةٍ فِي غُرَّةِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ٣٧٩) . أَيَّدَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَنَصَرَهُ وَنَصَرَ
بِهِ الدِّينَ فَأَنَّا نَحْنُ الْعَرَبُ فِي هَذِهِ الْأَنْدَلُسِ قَدْ تَلَفَتْ قِبَائِلُنَا . وَتَفَرَّقَ جَمْعُنَا . وَتَغَيَّرَتْ أَسَابِنَا .
بَقِيعُ الْمَادَةِ مِنْ خَنِيئَتِنَا . فَصَرْنَا فِيهَا شُعُوبًا لَا قِبَائِلَ وَاشْتَاتَا لَا قَرَابَةَ وَلَا عَشَائِرَ . فَقُلْنَا نَاصِرُنَا وَكَثُرَ
شَامَتُنَا . وَتَوَلَّى عَلَيْنَا هَذَا الْعَدُوُّ الْمَجْرُمُ اللَّعِينُ الْإِذْفَنَشُ . وَانَاخَ عَلَيْنَا بِكُلَّاكِهِ وَوَطِئَ بِقَدَمِهِ وَأَسْرَ
الْمُسْلِمِينَ وَاخَذَ الْبِلَادَ وَالْقُلَاعَ وَالْحَصُونِ وَنَحْنُ أَهْلُ هَذِهِ الْأَنْدَلُسِ لَيْسَ لَنَا أَحَدٌ مِمَّنْ طَاقَةُ
عَلَى نَصْرَةِ جَارِهِ وَلَا أَخِيهِ وَلَوْ شَاءَ وَافْعَلُوا . الْآنَ إِنْ هَوَاءَ وَالْمَاءُ مَنَعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَقَدْ سَاءَتِ
الْأَحْوَالُ . وَانْقَطَعَتِ الْأُمُورُ . وَانْتَمَى أَيَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَكُمْ سَيِّدَ حَمِيرٍ . وَمَا كَيْفَا الْأَكْبَرِ . وَامِيرَهَا
وَزَعِيمَهَا نَزَعَتْ حُجْمَتِي الْيَكْمَ . وَاسْتَصْرَخْتُ بِاللَّهِ وَبِكُمْ . وَاسْتَعْنَتْ بِمَجْرَمِكُمْ . لَتَجُوزُوا لِلْجِهَادِ هَذَا
الْعَدُوَّ الْكَافِرَ وَتَحْيُوا شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ . وَتَذُبُّوا عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ . وَلَكُمْ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ الثَّوَابُ
الْكَرِيمُ . وَالْأَجْرُ الْجَسِيمُ . وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ . عَلَى حَضْرَتِكُمْ
السَّامِيَةِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ (تَارِيخُ غُرْنَاتَا لِبْنِ الْخَطِيبِ)

فِي الظَّبِّ وَالْأَشْوَابِ

١٤٧ لَمَّا اسْتَأْذَنَ الرُّومُ ضَرَّارَ كَتَبَ إِلَى أُخْتِهِ وَإِلَى مُعَشَرَ الْإِسْلَامِ

أَلَا أَيُّهَا الشَّخْصَانِ بِاللَّهِ بَلَّغْنَا
فَلَا قِيَامًا مَا عَشْنَا الْفَ نِعْمَةً
وَلَا ضَاعَ عِنْدَ اللَّهِ مَا تَصْنَعَانِي
بَصْنَعَكُمَا بِي نَأْتُ خَيْرًا وَرَاحَةً
وَمَالِي وَبَيْتَ اللَّهِ مَوْتِي وَنَا
ضَعِيفَةٌ حَبْلٌ لَيْسَ فِيهَا جَلَادَةٌ
وَكُنْتُ لَهَا رَكْنًا بُعِيدَ رَجَالِهَا
وَاطْعَمَهَا مِنْ صَيْدٍ كَفَى إِرَانًا
وَاحِي حَامَاهَا أَنْ تُضَامَ فَلَمْ أَزَلْ
وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ
كَذَلِكَ أُخْتِي جَاهَدَتْ كُلَّ كَافِرٍ
تَقُولُ وَقَدْ جَارَ الْفِرَاقُ بَيْنَهُ

سَلَامِي إِلَى أَطْلَالِ مَكَّةَ وَالْحِجْرِ
بَعَزَ وَأَقْبَالَ يَدُومَ مَعَ النُّصْرِ
فَقَدْ خَفَّ عَنِّي مَا وَجَدْتُ مِنَ الضَّرِّ
كَذَلِكَ فَعَلَ الْخَبْرُ بَيْنَ الْوَرَى يَجْرِي
تَرَكْتُ عَجُوزًا فِي الْمَهَامَةِ وَالْقَفْرِ
عَلَى نَائِبَاتِ الْحَادِثَاتِ الَّتِي تَجْرِي
وَأَكْرَمَهَا جَهْدِي وَإِنْ مَسَّنِي فَقْرِي
مَعَ الْغِيَةِ وَالْوَحْشِ الْمَقْسِيَةِ فِي الْبَرِّ
لَهَا نَاصِرًا فِي مَوْقِفِ الشَّرِّ وَالضَّرِّ
وَجَاهَدْتُ فِي جَيْشِ الْمَلَاعِينِ بِالسَّمْرِ
وَمَا بَرِحْتُ بِالطُّغْيَانِ فِي الْكُرِّ وَالْفَرِّ
إِلَّا يَا أَخِي مَا لِي عَلَى الْبَيْنِ مِنْ صَبْرِ

كتاب ألفنس بن سانشس الى المعتمد

(لما ملك اذفنس ابن شانجه اعمال طليطلة طمع في الاستيلاء على الجزيرة كلها . وهابت الملوك امره لكون طليطلة نقطة دائرتها وخاطب المعتمد على الله ابا القسم بن عبّاد يطلب منه تسليم اعماله الى رسله وعماله وتشطط عليه في الطلب . واطهر له السرور بالقلب . فما خاطبه به)

١٤٤ من الأنيطور ذي الملتين الملك المفضل اذفنس بن شانجه الى المعتمد بالله سدّد الله آراءه وبصره مقاصد الرشاد . سلام عليك . من مشيد ملك شرّفه القنا . ونبت في ربه المني . باغترار الرمح بهامله . والسيف بساعد حامله . وقد ابصرتم بطليطلة نزال اقطارها . وما حاق باهلها حين حصارها . فاسلمت اخوانكم . وعظمت بالدعة زمانكم . والحذر من ايقظ باله . قبل الوقوع في الحباله . ولولا عهد سلف بيننا نحفظ زمامه . ونسعى بنور الوفاء امامه . انهض بنا نحوكم ناهض الغم ورائده . ووصل رسول الغزو ووارده . لكن الأقدار . تقطع بالاعدار . ولا يجعل إلا من خاف الفوت فيما يرومه . او خشي الغلبة على ما يسومه . وقد حملنا الرسالة اليك القمّس البرهانس وعنده من التسديد الذي تلقى به امثالك . والعقل الذي تدبر به بلادك ورجالك . ما اوجب استنابته فيما يدق ويميل . فيما يصلح لافيا يخل وانت عندما تأتي من آرائك . والنظر بعد هذا من ورائك . والسلام عليك . يسعى يمينك وبين يديك (تاريخ العباديين)

جواب المعتمد بالله الى الملك ألفنس بن سانشس

١٤٥ من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتض بالله ابي عمرو بن عبّاد الى اذفنس بن شانجه الذي لقب نفسه بملك الملوك وبهاها بذوي الملتين قطع الله بدعواه . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فانه أوّل ما يبدأ به من دعواه انه ذو الملتين والمسلمون احق بهذا الاسم لان الذي تملكوه من امصار البلاد . وعظيم الاستعداد . ومجي المملكة لا تبلغه قدرتكم . ولا تعرفه ملتكم . وانما كانت سنة سعد ايقظ منها مناديك . واغفل عن النظر السديد جميل مباديك . فركبنا مركب عجز نسخة الكيس . وداطينا ككووس دعة قات في اثناها ليس . ولم تستحي ان تأمر بتسليم البلاد لرجالك . وانما انجب من استجبالك . براي لم تحكم النخاؤه . ولا حسن النخاؤه . واعجابك بصنع وافقتك فيه الاقدار . واغتررت بنفسك اسوأ الاغترار . وتعلم أنا في العدد والعديد . والنظر السديد . ولدينا من كماء الفرسان . وحيل الانسان . وحماة الشجعان . يوم يلتقي الجمعان . رجال تدرّعوا الصبر . وكرهوا القبر . تسيل نفوسهم على حد الشفار . وينعاهم المنام في القفار . يدبرون رحي المنون بجركات الغزائم . ويشفون من خبط الجنون بخواتم الغزائم . وقد اعدوا لك ولقومك جلاداً رتبة الاتفاق . وشفاراً حداداً شحذاها الاصفاق . وقد يأتي المحبوب من المكروه . والندم من عجلة الشره . نهيت من غفلة طال زمانها . وايقظت من نومة تجدد ايمانها . ومتى كانت لاسلافك الاقدمين مع اسلافنا الاكرمين يد صاعدة . او وقفة

من النعم . وضروب متفاوتة الدرج . بحسب ما تفتنيه من المصحح . فاعظمها ايلاًماً للقلوب . واضراماً للكروب . واستجلاً للوايح العموم . وايجاباً للوازم الحزن على العموم . رزقه تساهم فيه الانام . واطمئت ليوميه الأيام . وكان في معاهد الخلافة ناجماً . وعلى سدة الامامة المقدسة هاجماً . كالنجمية بطود الدين الشامخ . ودوحة الجند الباذخ . وبحر الكرم الزاخر . وقبلة المآثر والمفاخر . واهماً هو خطب كاد يشيب منه الاطفال . وتنشق الأرض وتخر الجبال . غير ان الله جلّت اسماءه . وتعاضم علاؤه . نظر لأصناف عبيده . ومن على أهل توحيدِهِ . باستخلاف المسترشد بالله . ولولا هذه النعمة التي انتاشت الدين . وجبرت مصاب السليلين . لفسدت الأرض . ولكن الله ذو الفضل على العالمين . نشر الله في الخافقين اعلام دولته . وحلّى تواريج السير بمناب سيرته . وحقّق آمال المستضعفين والمستضعفين في اسمافه ونصرته . قد التزم الخادم من شرائط هذين الأمرين المقدورين . والمقامين المشهورين . ما يلزمه المباهي باخلاص الطاعة . المتناهي في الخدمة المستطاعة

١٤٣ كتاب ابن صمادح الى المعتمد يعزّيه بقتل ابن زيدون وزير ابيه

يا أجبها الملك العليُّ الأعظمُ
واحصم سيفك داء كل منافق
لا تحقرن من الكلام قايله
فاحصم دواعي كل شرّ دونه
كم سقط زنديق غما حتى غدا
وكذلك السيل الجفاف فائماً
واذكر صنيع أليك أول مرة
لم يبق منهم من توقع شره
فعلى م تنكل عن صنيع مثله
وجنّانك الثبت الذي لا يثنى
والحال أوسع والعوالي حمة
لاتتركن للناس موضع حمة
قد قال شاعر كندة فيامضى
لا يسلّم الشرف الرفيع من الأذى
فاجعله قدوتك التي تعادها
واسلم على الأيام انك زينها
لازلت بالنصر العزيز مهتاً
ووقيت مكروه الحوادث واغتدت

إقطع وريدي كل باغ ينثم
ييدي الجميل وضد ذلك يكتم
إن الكلام له سيف تكلم
فالداء يسري إن غدا لا يحسم
بركان نار كل شيء يحطم
أولاه طل ثم وبل يحجم
في كل منهم فانك تعلم
فصفت له الدنيا ولد المظلم
ولأنت أمضى في الخطوب وأشهم
وحسامك العضب الذي لا يكتم
والمجد أشم والصرية ضبم
واخرم فثلك في العظام يحزم
بيتاً على مر الليالي يعلم
حتى يراق على جوانبه الدم
في كل ما يبق ورايك أحكم
وجمالها والدره دونك مآثم
والدين عن محمود سميك يبسم
طير السعد بايككم تدرم

أَلْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

مراسلات بين الملوك والأعيان

كتاب أبي القاسم بن الجدة عن أمير المسلمين إلى أهل سبته

١٤٠ كُتِبْنَا بِقَاكُمُ اللَّهُ وَآكِرُكُمْ بِتَقْوَاهُ . وَبَسْرُكُمْ لِمَا يَرْضَاهُ . وَاسْبِغْ عَلَيْكُمْ نِعَاهُ . وَقَدْ رَأَيْنَا وَاللَّهِ بِفَضْلِهِ يَقْرُنُ جَمِيعَ آرَائِنَا بِالتَّسْدِيدِ . وَلَا يَحْتَلِنَا فِي كَافَةِ انْخَائِنَا مِنَ النَّظَرِ الْحَمِيدِ . إِنْ نَوَلِيْنَا أَبَا زَكَرِيَّا بَيْحِي بْنَ أَبِي بَكْرٍ مَحَلَّ ابْنِنَا . النَّاشِئُ فِي حِجْرِنَا . اعَزَّهُ اللَّهُ وَسَدَّدَهُ فِيمَا قَلَدْنَاهُ أَيَّاهُ مِنْ مَدِينَتِي فَاسَ وَسَبْتَهُ وَجَمِيعِ أَعْمَالِهَا حَرْسَهَا اللَّهُ عَلَى الرَّعْمِ الَّذِي تَوَلَّاهُ غَيْرُهُ قَبْلَهُ . فَانْفَذْنَا ذَلِكَ لَهُ . لَمَّا تَوَسَّعْنَاهُ مِنْ خَائِلِ النَّجَابَةِ قَبْلَهُ . وَوَصَيْنَاهُ بِمَا نَرْجُو أَنْ يَحْتَذِيَهُ وَيَتَّشَلَّهُ . وَيَجْرِي قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ . وَنَحْنُ مِنْ وَرَاءِ اخْتِبَارِهِ . وَالْفَحْصِ عَنْ أَخْبَارِهِ . لِأَنِّي بِجَوْلِ اللَّهِ فِي امْتِحَانِهِ وَتَجَرُّبِهِ . وَالْعَنَابَةِ بِتَجَرُّبِهِ وَتَدْرِيبِهِ . وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحْقُقُ تَحْلِيلَتَنَا فِيهِ . وَيُوَفِّقُهُ مِنْ سِدَادِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَى مَا يَرْضِيهِ . فَاذْأَوْصِلَ إِلَيْكُمْ خُطَابَنَا فَالْتَزِمُوا لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ . وَالتَّصَبُّعَ وَالْمَشَايِعَةَ جَهْدَ الْإِسْطَاعَةِ . وَعَظِّمُوا بِحَسَبِ مَكَانِهِ مَنَاقِدَهُ . وَامْتَثِلُوا فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْحَقِّ نَهْيَهُ وَأَمْرَهُ . وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِتَوْفِيقِهِ وَهُدَايَتِهِ وَيَعْرِفُكُمْ يُبَيِّنُ لَيْتَهُ بِعَزَّتِهِ (لَا بَنَ خَافَانَ)

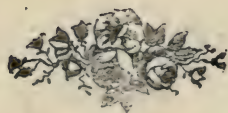
كتاب خالد إلى أبي بكر يُخْبِرُهُ بِفَتْحِ اجْنَادِينَ

١٤١ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنِّي أَهْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . ثُمَّ أَرْزِيهِ حَمْدًا وَشُكْرًا عَلَى سَلَامَةِ الْمُسْلِمِينَ وَدِمَارِ الْأَعْدَاءِ وَاتِّحَادِ جَمْرَتِهِمْ وَأَنْصِدَاعِ بَيْضَتِهِمْ . وَإِنَّا لَقَيْنَا جَمْعَهُمْ بِأَجْنَادِينَ مَعَ وَرْدَانٍ صَاحِبِ حِمَصٍ وَقَدْ نَشَرُوا كَتَبَهُمْ وَرَفَعُوا أَعْلَاهُمْ وَتَقَاسَمُوا بِدِينِهِمْ إِنْ لَا يَفِرُّونَ وَلَا يَنْهَزِمُونَ . فَخَرَجْنَا إِلَيْهِمْ وَاقِنًا بِاللَّهِ مَتَوَكِّلِينَ عَلَى اللَّهِ فَعَلِمَ رَبُّنَا مَا أَضْمَرْنَا فِي أَفْئِدَتِنَا وَسِرَائِرِنَا فَرَزَقْنَا الصَّبْرَ وَأَيَّدْنَا النَّصْرَ . وَكَبَتْ أَعْدَاءُ اللَّهِ فَفَقَتْنَا مِنْهُمْ فِي كُلِّ فِجٍّ وَشَبٍّ وَوَادٍ . وَجُمْلَةٌ مِنْ أَحْصَيْنَا مِنَ الرُّومِ مِائَتَيْنِ قَتَلَ خَمْسُونَ الْفَأَ وَقَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَثَانِيهِ أَرْبَعِ مِائَةٍ وَخَمْسَةِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا خَتَمَ اللَّهُ لَهُمُ الشَّهَادَةَ . وَنَحْنُ رَاجِعُونَ إِلَى دِمَشْقٍ فَادَعِ اللَّهُ لَنَا بِالنَّصْرِ . وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ (فَتْوحُ الشَّامِ لِلْوَاثِقِيِّ)

كتاب الحريري إلى المسترشد بالله لما ولي الخلافة بعد المستظهر

١٤٢ أَلْهِمْنَا اللَّهُ أَنْصَارَ الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ وَأَدَامَ لَهُ مَسَاعِفَةَ الْأَقْدَارِ . وَمُضَاعِفَةَ الْاِقْتِدَارِ . رِايِلَاءَ صَنَائِعِ الْمُبَارَى . وَالْاِسْتِيلَاءِ عَلَى جَوَامِعِ الْمَسَارَى . خُطُوبَ مُتَفَاضِلَةِ الْقِيَمِ . كَتَفَاضِلِ مَا تَنْشِيهِ

أَيْنُكَ رِيحُ اللَّيْلِ حَتَّى يَذُوقَهُ
وَقَدْ فَجَعَتْهُ بِأَبْنِهِ وَأَبْنِ صِهْرِهِ
مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي قُوَّةِ الظُّبَا
وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرِفَةِ فِيهِمْ
يُسِرُّ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جَهَالَةٍ
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ
وَإِنِّي لَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَعْيِ
عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرَجْلِهِ
أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَسْتَ مُغَمِّدًا
هَنِيئًا لِمَنْ ضَرَبَ الْهَامَ وَالْمُجْدِ وَالْعُلَى
وَلَمْ يَلَيْقِ الرَّحْمَانُ حَدَّيْكَ مَا وَفَى
وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللَّيْلِ الْبَهَائِمُ
وَبِالصَّهْرِ حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْفَوَائِمُ
بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْعَصَامُ
عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ
وَلَكِنَّ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَاثِمُ
فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمُ
فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ
إِذَا وَقَعْتَ فِي مِسْمَعِهِ الْفَعَاغِمُ
وَلَا فَيْكَ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْكَ عَاصِمُ
وَرَاغِبُكَ وَالْإِسْلَامُ أَنَّكَ سَالِمُ
وَتَفْلِيْقُهُ هَامُ الْعِدَى بِكَ دَائِمُ



وَقَدْ حَاكُمُهَا وَالْمَنَآيَا حَوَاكِمُ
أَتَوْكَ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ
تَحْمِيسُ بَشْرِقِ الْأَرْضِ وَالْقُرْبُ زَحْمُهُ
تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأُمَةٍ
فَلَلَهُ وَقْتُ ذَوْبِ الْفَشِّ نَارُهُ
تَقْطَعُ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعُ وَالْقَنَا
وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَا هَزِيمَةٌ
تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنُّهَى
صَمَّمْتَ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ذَمَّةً
بِضْرِبِ آتِي الْأَهْمَامِ وَالنَّصْرِ غَائِبُ
حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ نَثْرَةَ
تَدْوَسُ بِكَ الْحَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
تَظُنُّ فِرَاحُ الْفَتْحِ أَنَّكَ زُرْتَهَا
إِذَا زَلَقْتَ مَشِيَّتَهَا بِبُطُونِهَا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتَقِ مُقَدِّمُ

فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ
سَرَوْا بِحِيَادٍ مَا لَهْنٌ قَوَائِمُ
ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَامُ
وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَامُ
فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَارِمُ
وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمُ
وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَتْرَكَ بَاسِمُ
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمُ
تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ
وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ وَالنَّصْرِ قَادِمُ
وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرَّحْمِ شَاتِمُ
مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ
كَمَا نَثَرْتَ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ
بِأُمَاتِهَا وَهِيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ
كَمَا تَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ
قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَا نِمُ

وَلَا تَعُدُّكَ صَوَّانًا لِمُهْجَتِهَا
لَوْلَا الْمُسَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ
وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ
إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرَكُ الْقَبِيحَ بِهِ
ذِكْرُ الْقَتْلِ عُمَرُ الْثَّانِي وَحَاجَتُهُ
إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي الرُّوعِ بَذَالُ
الْجُودِ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ
مَا كُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّجْلِ شِمَالُ
مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانُ وَإِجْمَالُ
مَا قَاتَهُ وَفُضِّلَ الْعَيْشِ أَشْفَالُ

وللمتني يمدح سيف الدولة ويذكر بناء قلعة الحداث

١٣٩

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا
يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ
وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ
يُفِدِّي أُمَّ الطَّيْرِ عُمَرَا سِلَاحَهُ
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ يَغْيِرُ مَخَالِبَ
هَلْ أَلْحَدْتُ الْحُمُرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا
سَقَتَهَا الْغَمَامُ الْغُرُقُ قَبْلَ زُورِهِ
بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَقَرَّعُ الْقَنَا
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ
طَرِيدَةً دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدَتْهَا
تُفِيتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ
وَكَيْفَ تَرْجِي الرُّومَ وَالرُّوسَ هَدَمَهَا
وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ
وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخَضَارِمُ
وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاعِمُ
نُسُورُ الْمَلَا أَحْدَاثُهَا وَالْقَسَائِمُ
وَقَدْ خَلَقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ
وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ
فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتَهَا الْجُمَاجِمُ
وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ
وَمِنْ جَثِّ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ
عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِيِّ وَالْدَّهْرُ رَاغِمُ
وَهَنَّ لَمَّا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ غَوَارِمُ
وَذَا الطَّعْنُ آسَاسُ لَهَا وَدَعَائِمُ

تَجْرِي النُّفُوسُ حَوَالِيهِ مَخْلُطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَأَبَالٌ
لَا يَحْرِمُ الْبَعْدُ أَهْلَ الْبَعْدِ نَائِلَهُ وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ الْأَطْفَالُ
أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَّةٌ وَالْبَيْضُ هَادِيَةٌ وَالسَّمَرُ ضَلَالٌ
بَيْنَ الرِّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْأَلُ إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ الْعَقْلِ عَقَالٌ
يَرْنِي بِهَا الْجَيْشُ لَا بُدَّ لَهُ وَلَهَا مِنْ شَقِيهِ وَلَوْ أَنَّ الْجَيْشَ أَجْبَالٌ
إِذَا الْعَدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ حِلْمٌ وَرِيَالٌ
يَرْوِعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرَفُهُ أَبَدًا مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَقْتَالُ
أَنَالَهُ الشَّرَفَ الْأَعْلَى تَقْدَمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَتَى نَالُوا
إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حَلِيَّتُهُ مَهْدٌ وَأَصَمٌ الْكُعبِ عَسَالٌ
أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةٌ هَوْلٌ مَنَّمُهُ مِنَ الْهَيْجَاءِ أَهْوَالٌ
تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ فِي الْحَمْدِ حَاءٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالٌ
عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَائِيلُ مُضَاعَفَةٌ وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَآذِي سِرْبَالٌ
وَكَيْفَ أَسْتَرْمَأُولِيَّتٍ مِنْ حَسَنِ وَقَدْ غَمَرَتْ نَوَالًا أَيُّهَا النَّالُ
لَطَفْتُ رَأْيِكَ فِي يَرِي وَتَكْرِمَتِي إِنْ الْكَرِيمِ عَلَى الْعَلَمَاءِ يَحْتَالُ
حَتَّى غَدَوْتُ وَلِلْأَخْبَارِ تَجْوَالُ وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفِّكَ آمَالُ
وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طُولُ لَابِسِهِ إِنْ الثَّنَاءُ عَلَى التَّنْبَالِ تَنْبَالُ
إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَحْتَالَ فِي بَشَرٍ فَإِنَّ قَدْرَكَ فِي الْأَقْدَارِ يَحْتَالُ
كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالُ

وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشَّكْلِ تَنْعِي
وَمَا شَكَّرْتُ لِأَنَّ الْمَالَ فَرَحَنِي
لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا
فَكُنْتُ مِنْتُ رَوْضِ الْحَزَنِ بَاكِرَهُ
غَيْثُ يَبِينُ لِلنَّظَارِ مَوْقِعُهُ
لَا يُدْرِكُ الْحَمْدُ إِلَّا سَيِّدُ فَطْنُ
لَا وَارِثُ جَمَلَتْ يَمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ
قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَخَذَهُ
تَدْرِي الْقَنَاءُ إِذَا أَهْتَرَتْ بِرَاحَتِهِ
كَفَاتِكَ وَدُخُولُ الْكَافِ مَنَصَّةُ
الْقَائِدِ الْأَسَدِ غَذَّتْهَا بَرَاثُهُ
الْقَاتِلِ السَّيْفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ
تُغَيِّرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ
لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ
تَسْمِي الضُّيُوفِ مُشَاهَدَةً بِعَقْوَتِهِ
لَوْ أَشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لِبَادَرِهَا
لَا يَعْرِفُ الرُّزْءُ فِي مَالٍ وَلَا وَلَدٍ
بُرُوزِ صَدَى الْأَرْضِ مِنْ فَضَلَاتِ مَا تَمَرُّبُوا
تَشْرِي صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ عَبْطَ دَمٍ

ظُهُورَ جَرِي فِلِي فِيهِنَّ تَضَاهُلُ
سَيَّانٍ عِنْدِي إِكْثَارُ وَإِفْلَالُ
وَأَنَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَالُ
غَيْثُ بَغِيرِ سِبَاخِ الْأَرْضِ هَطَّالُ
أَنَّ الْغَيْوُثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَالُ
لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالُ
وَلَا كُؤُوبُ بَغِيرِ السَّيْفِ سَالُ
أَنَّ الزَّمَانَ عَلَى الْإِمْسَالِ عَذَالُ
أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلُ وَأَبْطَالُ
كَالْتَمَسِ قَاتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ
بِمِثْلِهِمَا مِنْ عِدَادٍ وَهِيَ أَشْبَالُ
وَالسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ
وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الْبَرِّ أَهْمَالُ
غَيْرُ وَهَيْقُ وَخَسَاءُ وَذَيَالُ
كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فِي الطَّيْبِ آصَالُ
خَرَّازِلُ مِنْهُ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالُ
إِلَّا إِذَا اخْتَفَرَ الضَّيْفَانِ تَرْحَالُ
مُحَضُّ الْقَاحِ وَصَافِي الْأَوْنِ سَلْسَالُ
كَأَنَّمَا السَّاعُ زَرَالُ وَقِفَالُ

فَتَى كَالسَّحَابِ الْجَوْنِ يُخْشَى وَيُتَجَمَّى
وَلَكِنَّهَا تَمْضِي وَهَذَا مُخَيَّمٌ
تَخْلَى مِنَ الدُّنْيَا لِيَنْسَى فَمَا خَلَّتْ
غَدَا الْهِنْدُ وَآيَاتِ بِالْهَامِ وَالطَّلَى
تُسَقِّقُ مِنْهُنَّ الْجُيُوبَ إِذَا غَزَا
يُجَنِّبُهَا مِنْ حَقِّهِ عَنْهُ غَافِلٌ
يُحَاجِي بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهُوَ سَاكِتٌ
نَكَرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي
كَأَنَّكَ فِي الْإِعْطَاءِ لِلْمَالِ مُبْغِضٌ
أَلَا قَلَمًا تَبَقَى عَلَى مَا بَدَأَ لَهَا
سَيِّئِي بِكَ السَّمَارُ مَا لَاحَ كَوْكَبٌ
فَمَا تَرَزَقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ
وَلَا تَفْتَقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاقِبٌ
أَلَكِ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامٍ مِنْ غَيْرِكَ الْغَنَى
هِيَ الْفَرَضُ الْأَقْصَى وَرَوَيْتُكَ الْمُنَى

١٣٨ وقال ابو الطيب يمدح ابا شجاع فاتكأ وكان يُلقَّب بالجنون

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالُ
وَأَجَزُ الْأَمِيرِ الَّذِي نِعْمَاهُ فَاجِئَةٌ
قَرُبًا جَزَتْ الْإِحْسَانَ مُوْلِيَهُ
فَلَيْسَعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ
بَغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ
خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مِكْسَالُ

وَأَرَى الْحَيَاةَ لَذِيذَةً بِحَيَاتِهِ
 فَلَوْ أَنِّي خُيِّرْتُ مِنْ دَهْرِي الْمُنَى
 يَا آلَ أَيُّوبَ جُزَيْتُمْ صَالِحًا
 وَنَعِمْتُمْ مَا افْتَرَعَنْ ثَغَرَ الصُّحَى
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَارَ الْعُلَى
 أَمَا الزَّمَانُ فَأَنْتَ دُرَّةُ عِقْدِهِ
 وَالشَّعْرُ أَنْتَ أَحَقُّ مِنْ يَهْتَرَعُهُ
 فَاسْلَمَ لِلْمَلِكِ بَلْ لِمَجْدٍ أَنْتَ فِي

وَأَرَى الْوُجُودَ مُشْرِقًا بِوُجُودِهِ
 لَا خَيْرَ تَطُولُ بَقَايَهُ وَخُلُودِهِ
 عَنْ مُحْسِنٍ مَدَحَ الْمُلُوكِ مُجِيدِهِ
 صَبَحَ وَمَا فَضَحَ الدُّجَى بِعَمُودِهِ
 فَتَنَى عِنَانَ الْفِكْرِ عَنْ تَحْدِيدِهِ
 وَسِنَانُ صَعْدَتِهِ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ
 دَسَمَاعِهِ وَيَمِيلُ عِنْدَ نَشِيدِهِ
 تَأْسِيسِهِ وَاللَّهُ فِي تَأْيِيدِهِ

لابي الطيب المتنبي في الحسين بن اسحاق التتوخي

١٣٧

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَائِقُ
 وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ
 وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بَثًّا وَقُوفُنَا
 فَرِيقِي هَوَى مِمَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ
 وَقَدْ صَارَتِ الْأَجْنَانُ قُرْحِي مِنْ أَنْبَا
 وَصَارَ بَهَارًا فِي الْخُدُودِ الشَّائِقُ
 عَلَى ذَا مَضَى النَّاسِ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ
 وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامُوتُ
 تَغْيِيرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِمَجَالِهَا
 وَشَبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغُرَاقُ
 وَلَيْلَ دُجُوجِي كَأَنَّا جَلَّتْ لَنَا
 نُحْيَاكَ فِيهِ فَأَهْتَدَيْنَا السَّمَاثُ
 فَمَا زَالَ لَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ جَنُوهُ
 وَلَا جَاهَهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا الْآيَاتُ
 وَهَزُّ أَطَارِ النَّوْمِ حَتَّى كَأَنِّي
 مِنَ السُّكْرِ فِي الْغَرَزِينَ ثَوْبُ شَبَارِقُ
 شَدَّوْا بَابِنِ اسْحَاقَ الْحُسَيْنِ فَصَالِحَتْ
 دَفَارِيهَا كَعِرَانِهَا وَالنَّارِقُ
 يَمْنُ تَشْعِيرُ الْأَرْضِ خَوْقًا إِذَا مَشَى
 عَلَيْهَا وَزَرَجَ الْجِبَالُ الشَّوَاهِقُ

للتلمساني في مدح الملك المنصور محمد بن عثمان الايوبي

أَخَافُ صَرْفَ الدَّهْرِ أَمْ حَدَّثَانَهُ
وَالدَّهْرُ لِلْمَنْصُورِ بَعْضُ عَيْدِهِ
مَلِكٌ نَدَاهُ فَكَّنِي وَأَنْتَ أَشْنِي
مِنْ مَخْلِيهِ وَمِنْ إِسَارِ قِيُودِهِ
مَلِكٌ إِذَا حَدَّثْتُ عَنْ إِحْسَانِهِ
حَدَّثْتُ عَنْ مُبْدِي النَّدَى وَمُعِيدِهِ
سَادَ الْمُلُوكُ بِفَضْلِهِ وَنَفْسِهِ
وَالْعِزُّ مِنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
وَإِذَا تَرَمَّتِ الرُّوَاهُ بِمَدْحِهِ
وَتَنَاءِيهِ أَهْتَرَّتْ مَعَاطِفُ جُودِهِ
لِأَيِّ الْمَعَالِي رَاحَةٌ وَكَكَافَةٌ
كَأَنَّيْتُ يَوْمَ بُرُوقِهِ وَرَعُودِهِ
صَبُّ بِتَحْصِيلِ الثَّنَاءِ وَجَمْعِهِ
كَلْفٌ بِبَذْلِ الْمَالِ أَوْ تَبْدِيدِهِ
مَا زَالَ يَشْتَمَلُ حَاسِدِيهِ نَوَالُهُ
حَتَّى أَقَرَّ بِهِ لِسَانُ حُسُودِهِ
سَلَّ عَفْوُهُ وَحُسَامُهُ فِي غَمْدِهِ
وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْ تَجْرِيدِهِ
يَغْشَى الْوَرَى مُتَلَقِّعًا بِرَدَائِهِ
وَيَخُوضُهَا مُتَسَرِّبًا بِمَحْدِيدِهِ
فَقَرَى الشَّحَاحَ يَفْرِئُهُ مَهَابَةً
وَالْمَوْتَ بَيْنَ لَهَاتِهِ وَوَرِيدِهِ
يَتَهَقَّرُ الْجَيْشُ الْأَلْهَامُ مَخَافَةً
مِنْهُ إِذَا وَافَى أَمَامَ جُنُودِهِ
وَتَعُودُ مُخَفِّقَةُ الرَّجَاءِ عُدَاتُهُ
وَقُلُوبُهَا خَفَاقَةٌ كَبُودِهِ
فِي مَعْرَكٍ إِنْ كَسَرْتَ فِيهِ الْقَنَا
وَلَدَيْنِ أَصْلَهُ وَشَدَّ مَنَارَهُ
جَارَى الْغَنَامَ فَفَاتَهُ بِنَوَالِهِ
حِينَ أَعْتَنَى بِحُقُوقِهِ وَحُدُودِهِ
وَالْمَلِكُ لَمْ يَنْفَكْ يُعْمَلُ عَزْمُهُ
فِي نَعْرِ ظَاهِرِهِ وَنَضْحِ سَعِيدِهِ
إِنَّ الْمَنَايَا وَالْأَمَانِي لَمْ تَزَلْ
طَوْعًا لِسَابِقِ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ

لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرِّي بِكَثْرَتِهِ
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا
وَلَى وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِيئَةَ مَنَظِقَهُ
أَحْسَى قَرَايِنَهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضَى
مُوكَّلاً يَفْغَى الْأَرْضَ يُشْرِفُهُ
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوُ الظَّالِمِ فَقَدْ
تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نُضِجَتْ
يَارُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا أَجَتْ دَائِرَهُمْ
وَمَغْضَبٍ رَجَعَتْ بَيْضُ السُّيُوفِ بِهِ
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقِ لُجْبٍ
كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاها مِنْ سَنَا قَمَرٍ
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصْلَتَهُ
بَيْضٌ إِذَا انْتَضَيْتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ
خَلِيفَةُ اللَّهِ جَارِي اللَّهِ سَعِيكَ عَنْ
بَصُرَتْ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ الْأَلَايِ نَصِرَتْ بِهَا
أَبَقَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمُصْفَرَّ كَأَسْمِهِمْ

عَلَى الْخَصَى وَبِهِ فَتَرُّ إِلَى الذَّهَبِ
يَوْمَ الْكَرِيمَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَنْبٍ
يَحْتِثُ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ
مِنْ خِفَّةِ الْخُوفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ
أَوْسَعَتْ جَاوِحَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ
جُلُودُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ الْتَيْنِ وَالْغَيْبِ
طَابَتْ وَلَوْ ضَخِغَتْ بِأَلْسِنِكِ لَمْ تَطِبِ
حَيَّ الرِّضَاعِ عَنْ رَدْلِهِمْ مَيِّتَ الْغَضَبِ
تَجْنُو الرِّجَالُ بِهِ صُفْرًا عَلَى الرُّكْبِ
وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضِ شَنْبٍ
إِلَى الْمُخْدَرَةِ الْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ
تَهْتَرُّ مِنْ قُضْبٍ تَهْتَرُّ فِي كَشَبِ
أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنَ الْحُجْبِ
جُرْثُومَةُ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
نُنَالُ إِلَّا عَلَى جَسَرٍ مِنَ الْعَبَبِ
مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُقْتَضِبِ
وَبَيْنَ أَيَّامٍ بَذَرَ أَقْرَبَ السَّبَبِ
صُفْرَ الْوُجُوهِ وَجَّاتِ أَوْجُهُ الْعَرَبِ

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى
مَا رُبِعَ مِئَةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ
لَمْ يَعْلَمْ الْكُفْرُكُمْ مِنْ أَعْصُرٍ كُنْتُ
تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ
وَمَطْعُمُ النَّصْلِ لَمْ تَكُكُمْ أَسَلْتُهُ
لَمْ يَغْزُقُوا وَلَمْ يَنْهَضْ إِلَى بَلَدٍ
لَوْ لَمْ يَقْدَحْ جَفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَعَدَا
رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا
مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبُوها وَاثْقَيْنِ بِهَا
وَقَالَ ذُو أَمْرِهْمَ لَا مَرْتَعَ صَدْرُ
أَمَانِيَا سَلَبْتَهُمْ نَجَحَ هَاجِسُهَا
إِنَّ الْحَمَامَيْنِ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَمَرٍ
لَبِيتَ صَوْتًا زَبْطَرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ
عَدَاكَ حَرُّ الشُّغُورِ الْمُسْتَظَامَةِ عَنْ
أَجْبَتُهُ مُعَلَّنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلَّتَا
حَتَّى تَرَكْتَ عَمُوهَ الشَّرِّكَ مُنْقَعِرًا
لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنِ تَوَفِّلِسُ
غَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ خَزَائِنَهَا
هَيْهَاتَ زُعِزَعَتِ الْأَرْضُ الْوُقُورِيهِ

بَانَ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَعْرُبْ عَلَى عَزَبِ
غَيْلَانُ أَبْهَى رَبِّي مِنْ رَبِّهَا الْحَرْبِ
لَهُ الْمُنِيَّةُ بَيْنَ السَّمَرِ وَالْغَضَبِ
لِلَّهِ مُرْتَبِعٌ فِي اللَّهِ مُرْتَبِعٌ
يَوْمًا وَلَا حِجْبَتْ عَنْ رُوحٍ مُخْتَبِ
إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ
مِنْ نَفْسِهِ وَخَدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ
وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ يَصِبِ
وَاللَّهُ مُفْتَاخُ بَابِ الْمُعْقِلِ الْأَشْبِ
لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَشَبِ
ظَبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السَّابِ
دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبِ
كَأْسُ الْكُرَى وَرِضَابُ الْحُرْدِ الْعَرَبِ
بَرْدِ الشُّغُورِ وَعَنْ سَنَاسِلِهَا الْخُصْبِ
وَلَوْ أَجَبَتْ بَغِيرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ
وَلَمْ تُعْرِجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنْبِ
وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ
فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو الْتِيَارِ وَالْعَبِ
عَنْ غَزْوٍ وَمُخْتَسِبٍ لَا غَزْوٍ مُكْتَسِبِ

فَتَحَّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ
يَا يَوْمَ وَقَعَتْ غَمُورَةٌ أَنْصَرَفَتْ
أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعْدِ
أَمْ لَهُمْ لَوْ رَجَوُا أَنْ تُقْتَدَى جَعَلُوا
وَبَرَزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتَهَا
مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرَ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ
يَكُرُّ فَمَا أَفْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ
حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهُ السِّنِينَ لَهَا
أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةٌ
جَرَى لَهَا الْقَالُ مُحْصَا يَوْمَ أَنْقَرَةٍ
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ
كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ
بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِيئَةِ مِنْ دَمِهِ
لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا
عَادَرْتَ فِيهَا بِهِمِ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى
حَتَّى كَانَ جَلَابِيبُ الدَّجَى رَغَبَتْ
ضَوْءُ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ
تَصْرَحُ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا

وَبَرَزُ الْأَرْضِ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ
عَنْكَ الْمُنَى حَفَلًا مَعْسُولَةً الْحَلَبِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشِّرْكِ فِي صَبَبِ
فِدَاءِهَا كُلُّ أُمَّ بَرَّةٍ وَأَبِ
كِنَرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ
شَابَتْ نَوَاصِي الْأَيَّامِ وَهِيَ لَمْ تَشِبِ
وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ الزُّنُوبِ
مَخْضُ الْحَلِيَّةِ كَانَتْ زُبْدَةُ الْحَقَبِ
مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةُ الْكُرْبِ
إِذْ غَوْدَرَتْ وَحْشَةً السَّاحَاتِ وَالرَّجَبِ
كَانَ الْحُرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
قَانِي الذَّوَابِ مِنْ آتِي دَمٍ سَرَبِ
لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ
لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ
يُقِلُّهُ وَسَطُهَا صُبْحٌ مِنَ الْأَهَبِ
عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبِ
وِظْلَامَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضَحَى شُجْبِ
وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ
عَنْ يَوْمٍ هَيَّجَاءٍ مِنْهَا طَاهِرِ جُنْبِ

يَا أَبْنَى الْخَلَائِفِ إِنَّ بُرْدَكَ مِلْؤُهُ
يَسْمُوكَ السَّفَاحُ وَالْمَنْصُورُ وَأَا
مَنْ يَعِشُ ضَوْءَ أَلَاكَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ
فُرْسَانُ مَمْلَكَةِ أُسُودٍ خِلَافَةٍ
فِي دَوْلَةٍ بَيْضَاءَ هَارُونِيَّةٍ
قَدْ أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ فِي سُلْطَانِهَا
يَفْدِي أَمِينَ اللَّهِ كُلَّ مُنَافِقٍ
مِمَّنْ يَدَاهُ يُسْرِيَانِ وَلَمْ تَرَلْ
تُدْعَى بِطَاعَتِكَ الْوُحُوشُ فَرَعَوِي
مَا فَوْقَ مَجْدِكَ مُرْتَقَى مَجْدٍ أَلَا

١٣٥ وله في المعتمد بالله عند فتح عمورية عاصمة الروم

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
بَيْضُ الصَّفَاحِ لِأُسُودِ الصَّخَائِفِ فِي
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٍ
أَيْنَ الرِّوَايَةِ بَلْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا
تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلْفَقَةً
عَجَابًا زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفَلَةً
وَخَوْفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءٍ مُظْلِمَةٍ
فَتَحَ الْقُتُوحُ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ
فِي حَذِّهِ الْحُدُ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
مُتَوَنِّهِنَ جَلَاءَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
بَيْنَ الْحَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهِ أَوْ مِنْ كَذِبِ
لَيْسَتْ بِنِعْ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرْبِ
عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ
إِذَا بَدَأَ الْكُوكَبُ الْغُرِّي ذُو الذَّنَبِ
نَظَمَ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثَرَ مِنَ الْخُطْبِ

وَإِلَيْكُمَا حَلًّا تَشَابَهَ تَسْجُمَا مِثْلِي يُفَصِّلُهَا وَمِثْلَكَ يَلْبَسُ
وَأَهْنَأُ بِمَعْدٍ بِاسِمٍ مُتَهَلِّلٍ وَأَفَاكَ يُجَهِّرُ بِالسُّرُورِ وَيَهْمِسُ
وَأَحْبِسُ لَوَاءً أَلْفَخْرِ مَوْقُوفًا فِيمَا نَ الْحَمْدُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ مُحَبَّرُ

لا يبي تمام في هارون الواثق بالله من قصيدة

١٣٤

سِيرُوا بَنِي الْحَاجَاتِ شُجَّ سَعِيكُمْ غَيْثُ سَحَابِ الْجُودِ مِنْهُ هَتُونُ
فَالْحَادِثَاتِ بَوْبِهِ مَضْفُودَةٌ وَأَحْلُ فِي شُؤْبِيهِ مَسْجُونُ
حَمَلُوا ثِقِيلَ أَلْهَمٍ وَأَسْتَنَى بِهِمْ سَفَرُ يَهْدُ الْمُنَى وَهُوَ مَتِينُ
حَتَّى إِذَا الْقَوْدُ عَنْ أَكْتَفِيهِمْ بِالْعَزْمِ وَهُوَ عَلَى النَّجَاحِ صَبِينُ
وَجَدُوا جَنَابَ الْمَلِكِ أَخْضَرَ فَاجْتَلَوْا هَارُونُ فِيهِ كَأَنَّهُ هَارُونُ
أَلْفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَدَهُ خَضِلُ الْعِمَامِ وَظَلُّهُ مَسْكُونُ
فَعَدَوْا وَقَدَّوْثُ قُومُوا بِرَأْفَةٍ وَاثِقُ بِاللَّهِ طَائِرُهُ لَمْ يَمُوتُوا
مَلَكُوا خِطَامَ الْعَيْشِ بِالْمَلِكِ الَّذِي أَخْلَاقُهُ لِلْمَكْرَمَاتِ حُصُونُ
مَلِكٌ إِذَا خَاضَ الْمَسَامِعَ ذِكْرُهُ خَفَّ الرَّجَاءُ إِلَيْهِ وَهُوَ رَكِينُ
لَيْثٌ إِذَا خَفَقَ أَلْوَاءُ رَأْيَتُهُ يَغْلُو قَرَأَ الْهَيْمَاءُ وَهِيَ زَبُونُ
لِحْيَا عِزِّهَا مُتَوَرِّدٌ وَلِحْظُهَا مُتَعَمِّدٌ وَبِثَدْيِهَا مَلْبُونُ
جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِيهِ رَبُّ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ
وَلَقَدْ رَأَيْنَاهَا لَهُ بِفُلُونِنَا وَظُهُورُ خَطْبٍ دُونَهَا وَبُطُونُ
وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ حَلِيَّةٌ صَدَقُ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عِيُونُ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَذًى تَرَعَّرَ أَنَّهُ لِأَمِينٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينُ

١٣٣ لابن الازرق الاندلسي في مدح الرئيس ابي يحيى بن عاصم وتهنئته بعيد

يَا مُطْلِعَ الْأَنْوَارِ زَهْرًا يُجْتَنَى
بِكَ مَجْلِسُ الْأَنْسِ أَطْمَآنٌ وَبِابْنِ عَا
بَدْرُ بَآنْوَارِ الْهَدَى مُتَطَّلِعُ
حَامِي فَلَمْ زَرَعَ لِحَطْبٍ يَغْتَرِي
شِيمٌ مُهَذَّبَةٌ وَعِلْمٌ رَاسِخٌ
لَوْ كَانَ شَخْصًا ذَكَرَهُ لَبَدَأَ عَلَى
ذَاكُمْ أَبُو يَحْيَى بِهِ تُحْمَى الْعُلَى
بَيْتٌ عَلَى عَمْدِ الْفَخْرِ مُطَنَّبٌ
إِنَّا لَنَعْدُو هِمًّا قَيْلِنَا
حَتَّى أَقْنَا وَالْأَمَانِي مُنْهَضَا
لَمْ نَدْرِ قَبْلَ بَرَاعِهِ وَبَنَانِهِ
هَنْ أَلِيرَاعُ بِهَا يَوْمَنْ خَائِفُ
مَهْمَا أَتَبَرَتْ فَهِيَ السَّهَامُ يُرَى لَهَا
يَشْفَى بِمَا لِمِ الشَّكِيِّ الْمُعْتَرَى
قَدْ جَمَعَ الْأَضْدَادَ فِي حَرَكَاتِهِ
عَطْشَانُ ذُورِي يَبِيسٌ مُثْمَرُ
لِلَّهِ مِنْ رِثَاكَ أَلِيرَاعِ جَوَادِبُ
رُضْنَا شِمَاسَ الْقَوْلِ فِي أَوْصَافِهَا

وَمُشْعِشِ الصَّهْبَاءِ نَارًا تُلَمَسُ
صِمِّ أَطْمَآنٍ مِنَ الرِّيَاسَةِ مَجْلِسُ
غَيْثٍ بِأَشْجَاتِ النَّدَى مُتَجَسِّسُ
وَوَقَى فَلَمْ تَحْفَلْ بِدَهْرِ يَجْسُ
وَمَكَارِمِ هُنَّ وَمَجْدٍ أَقَسُ
أَعْطَافِهِ مِنْ كُلِّ حَمْدٍ مَلْبَسُ
وَبِهِ خِلَالُ الْفَخْرِ طَرًّا مُحْرَسُ
مَجْدٌ عَلَى مَثَنِ السَّمَاءِ مُوَسَّسُ
رِيًّا وَيُوحِشُنَا النَّوَى قِيُونِسُ
تُ وَابْتَسَمْنَا وَالزَّمَانُ مُعْبَسُ
أَنَّ الدَّوَابِلَ بِالْقَمَامِ تَجْسُ
وَيُحَاطُ مَذْعُورٌ وَيَغْنَى مُفْلِسُ
وَقَعَ لِأَغْرَاضِ الْيَاسَنِ مَقْرُطِسُ
يَحْيَا بِأَمْنِهِ الْحَمَامُ الْمُؤَيَّسُ
فَلَذَا أَطْرَادُ فَخَارِهِ لَا يُعَكَّسُ
غَضْبَانُ ذُو صَفْحٍ فَصِيحٌ أَخْرَسُ
لِلْمُحَرِّ مِنْكَ كَأَنَّهَا الْمُغْنِطِسُ
فَهِيَ أَلَّتِي رَاضَتْ لَنَا مَا يَشْمُسُ

لابن خفاجة الاندلسي في مدح الاميرابي يحيى بن ابراهيم

صَافِي رِدَاءِ الْمُجْدِ طَمَاحُ الْعُلَى
جَرَّارُ أَذْيَالِ الْمَعَالِي وَالْقَنَا
طَرِدُ الْقَنِيصِ بِكُلِّ قَيْدٍ طَرِيدَةٍ
مُلْتَقَةُ أَعْطَافِهِ بِجَبِينَةِ
خَدَمِ الْقَضَاءِ مُرَادُهُ فَكَأَنَّمَا
وَعَنَى الزَّمَانُ لِأَمْرِهِ فَكَأَنَّمَا
وَجَلَا الْإِمَارَةُ فِي رَيْقِ نَضَارَةٍ
فِي حَيْثُ وَشَّعَ لَبَّةً بِفِلَادَةٍ
جَذْلَانُ يَمَلَأُ مِنْحَةً وَبَشَاشَةً
أَرْجَ النَّدِيِّ بِذِكْرِهِ فَكَأَنَّهُ
بَطْلٌ حَوَى أَلْفَ الْهَيْطِ بِسَرِّهِ
بِمَنْهِ يَوْمَ الْوَعَى وَشِمَالِهِ
وَأَخْلِيلُ تَعَثَّرُ فِي شَبَاشُوكِ الْقَنَا
وَالْبَيْضُ تَحْنِي فِي الطَّلَى فَكَأَنَّمَا
وَالْتَقَعَ يَكْسِرُ مِنْ سَنَا شَمْسِ الصُّحَى
صَحْبَ الْحَسَامِ النَّصْرُ صُحْبَةُ غِبْطَةٍ
لَوْ أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ بَنْظَرَةً
وَقَضَى وَقَدْ مَلَكَتْهُ هِزَّةُ عِزَّةٍ

طَامِي عُبابِ الْجُودِ رَحْبُ الدَّارِ
حَامِي الْحَقِيقَةِ وَالْحِمَى وَالْجَارِ
زَجَلِ الْجَنَاحِ مُورِدِ الْأَظْفَارِ
مَكْحُولَةُ أَجْفَانِهِ بِنُضَارِ
مَلَكَتْ يَدَاهُ أَعْنَةً الْأَقْدَارِ
أَصْنَى الزَّمَانُ بِهِ إِلَى أَمَارِ
جَلَّتِ الدُّجَى فِي حُلَّةِ الْأَنْوَارِ
مِنْهَا وَحَلَى مِقْصَمًا بِسَوَارِ
أَيْدِي الْغَفَاةِ وَأَعْيُنَ الزُّوَارِ
مُتَقَسِّسٌ عَنْ رَوْضَةِ مِغْطَارِ
وَأَسْتَلَّ صَارِمَهُ يَدُ الْمَقْدَارِ
مَا شَاءَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ إِعْصَارِ
قِصْدًا وَتَسْجُجٌ فِي أَلْدَمِ الْمَوَارِ
لُؤَيْثُ عُرَى مِنْهَا عَلَى أَرْزَارِ
فَكَأَنَّهُ صَدَأٌ عَلَى دِينَارِ
فِي كَفِّ صَوَالٍ بِهِ سَوَارِ
يَوْمًا لَسَارَ وَلَمْ يَنْمَ عَنْ نَارِ
تَحْتَ الْعِمَاجِ وَضَمَكُهُ أُسْتَبْشَارِ

مُشْتَقَّةٌ مِنْ كَرَامِ الْقَوْمِ نَبَعَتْهُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ
اللَّهُ شَرَّفَهُ قَدْرًا وَعَظَّمَهُ
وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بِضَائِرِهِ
كَتَلَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا اقْتَرَضُوا
مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ
عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَأَنْقَشَتْ
مِنْ مَعَشَرِ حَبِيبِهِمْ دِينَ وَبَعْضُهُمْ
إِنْ عَدَّ أَهْلَ التَّقَى كَانُوا أَيْمَتَهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادُ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
هُمُ الْغُيُوثُ إِذَا مَا أَرَمَهُ أَرَمَتْ
لَا يُنْقِصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
يَا بِي لَهُمْ أَنْ يَجُلَّ الدَّمُّ سَاحَتَهُمْ
أَيُّ الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
مَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفِ أَوْلِيَّةَ ذَا

طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْحَيُّ وَالشَّيْمُ
بِحَدِّهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خْتَمُوا
جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
الْعَرَبُ تُعْرِفُ مَنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ
يُسْتَوْكِفَانِ وَلَا يَعْرِوهُمَا عَدَمُ
يُزِينُهُ أَثْنَانِ حُسْنُ الْخَلْقِ وَالشَّيْمُ
حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعَمُ
لَوْلَا التَّشْهِيدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ
عَنْهَا الْغِيَاثُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ
كُفْرُ وَقُرْبُهُمْ مِنْجَى وَمُعْتَصِمُ
أَوْقِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ لَهُمْ
وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرِّ وَالْبَاسُ مُحْتَدِمُ
سَيِّانِ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
فِي كُلِّ بَدَأٍ وَمُخْتَوِّمٍ بِهِ السَّكِيمُ
خُلُقُ كَرِيمٍ وَأَيَّدَ بِاللَّيْذِ هُضْمُ
لَأَوْلِيَّةِ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمُ
فَالدِّينُ مِنْ يَتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

فَقَالَتْ أَلَيْسَ ابْنُ الْوَلِيدِ الَّذِي لَهُ
 مَجُودٌ وَإِنْ لَمْ تَرْتَحِلْ يَا ابْنَ غَالِبٍ
 مِنَ النَّيْلِ إِذْ عَمَّ الْفُكَارُ غُثَاوُهُ
 فَإِنْ أَرْتَدَادَ اللَّهُمَّ عَجْزٌ عَلَى الْفَقَى
 وَلَا يُنْجِي فِي هَمٍّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
 جَرَى ابْنُ أَبِي الْعَاصِي فَأَحْرَزَاغَاةٌ
 وَكَانَ إِذَا أَحْمَرَّ الشَّتَاءُ جَفَانُهُ
 لَهُمْ طُرُقُ أَقْوَامِهِمْ قَدْ عَرَفْنَهَا
 وَمَا مِنْ حَنِيفٍ آلَ مَرْوَانَ مُسْلِمٍ
 إِذَا عَدَّ قَوْمٌ مَجْدَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ

يَمِينٌ بِهَا الْإِمْحَالُ وَالْفَقْرُ يُطْرَدُ
 إِلَيْهِ وَإِنْ لَاقَيْتَهُ فَهُوَ أَجُودُ
 وَمَنْ يَأْتِيهِ مِنْ رَاغِبٍ فَهُوَ أَسْعَدُ
 عَلَيْهِ كَمَا رَدَّ الْبَعِيرُ الْمُقِيدُ
 زَمَاعٌ وَحَبْلٌ لِلصَّرِيمَةِ مُحْصَدُ
 إِذَا أَحْرَزْتَ مَنْ نَالَهَا فَهُوَ أَجْمَدُ
 جَفَانٌ إِلَيْهَا بَادِيُونَ وَعُودُ
 إِلَيْهِمْ وَأَيْدِيهِمْ إِلَى الشَّخْمِ جَمْدُ
 وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا عَلَيْهِ لَكُمْ يَدُ
 فَضَلْتُمْ إِذَا مَا أَكْرَمَ النَّاسِ عَدَدُوا

والفرزدق في وصف الامام زين العابدين

١٣١

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأْتَهُ
 هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
 إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
 يُنَمِّي إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
 يَكَادُ يَمْسِكُهُ عِرْقَانُ رَاحَتِهِ
 فِي كَفِّهِ خَيْرَانُ رِيحُهُ عَمِيقُ
 يُغْنِي حَيَاءً وَيُغْنِي مِنْ مَهَابَتِهِ
 يَنْشَقُّ نُورُ الْهُدَى مِنْ نُورِ غُرَّتِهِ

وَأَلَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
 هَذَا أَلْتَقَى النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
 إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
 عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
 رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
 مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمُّ
 فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ
 كَأَلَشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَتَمُ

وَأَنْتَ الَّذِي آثَرَهُ فِي عَدُوهِ
وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا قَبِيلُهُ
وَلَا تَحْرِمَنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ
مِنَ الْبُؤْسِ وَالنُّعْمَى لَهْنٌ نُدُوبُ
فَحَقُّ لِسَانٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبُ
مَسَاوٍ وَلَا دَانَ لَذَاكَ قَرِيبُ
فَإِنِّي أَمْرُؤٌ وَسَطُ الْقَبَابِ غَرِيبُ

للفرزدق في عمر بن الوليد بن عبد الملك

١٣٠

إِلَيْكَ سَمْتُ يَا ابْنَ الْوَلِيدِ رِكَابَنَا
إِلَى عُمَرِ أَقْبَلْنَ مُعْتَمِدَاتِهِ
وَلَمْ تَجْرِ إِلَّا جِئْتَ لِلْخَيْلِ سَابِقًا
إِلَى ابْنِ الْإِمَامَيْنِ الَّذِينَ أَبُوهَا
إِذَا هُوَ أَعْطَى الْيَوْمَ زَادَ عَطَاؤُهُ
بِحَقِّ أَمْرِي بَيْنَ الْوَلِيدِ قَاتُهُ
أَقُولُ لِحَرْفٍ لَمْ يَدْعُ رَحْلَهَا لَهَا
عَلَيْكَ فَتَى النَّاسِ الَّذِي إِنْ بَلَغَتْهُ
وَأَنَّ لَهُ نَارَيْنِ كَلْتَاهَا لَهَا
فَهَذِي لِعَبْطِ الشُّبَعَاتِ إِذَا شَتَا
وَلَوْ خَلَدَ الْفَخْرُ أَمْرًا فِي حَيَاتِهِ
وَأَنْتَ أَمْرُؤُ عَوْدَتٍ لِلْمَجْدِ عَادَةٌ
تُسَائِلُنِي مَا بَالُ جَنْبِكَ جَافِيًا
فَقُلْتُ لَهَا لَا بَلَّ عِيَالُ أَرَاهُمْ
وَرُكْبَانُهَا أَسْمَى إِلَيْكَ وَأَعْمَدُ
سِرَاعًا وَنِعَمَ الرُّكْبِ وَالْمُعْتَمَدُ
وَلَا عُدَّتْ إِلَّا أَنْتَ فِي الْعَوْدِ أَحْمَدُ
إِمَامٌ لَهُ لَوْلَا النُّبُوَّةُ يُسَجَّدُ
عَلَى مَا مَضَى مِنْهُ إِذَا أَصْبَحَ الْغَدُ
وَكِنْدَةٌ فَوْقَ الْمُرْتَقَى يَتَصَعَّدُ
سَنَامًا وَتَشْوِيدُ الْقَطَا وَهِيَ هَجْدُ
فَمَا بَعْدَهُ فِي نَائِلٍ مُتَلَدُّ
قَرَى دَائِمٌ قُدَّامَ بَيْتِهِ تَوْقَدُ
وَهَذِي يَدٌ فِيهَا الْحُسَامُ الْمُهَنَّدُ
خَلَدَتْ وَمَا بَعْدَ النَّبِيِّ مُخَلَّدُ
وَهَلْ فَاعِلٌ إِلَّا بِمَا يَتَعَوَّدُ
أَهْمًا جَفَا أَمْ جَفَنُ عَيْنِكَ أَرْمَدُ
وَمَا لَهُمْ مَا فِيهِ لِلْغَيْثِ مَقْعَدُ

وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ إِلَّا شَرًّا بَعْدَهُ
حَبُوتُهَا غَسَّانٌ إِذْ كُنْتُ لَا حِثًّا
بِقَوْمِي وَإِذْ أَعَيْتَ عَلَيَّ مَذَاهِي

١٢٩ لقائمة الفحل في مدح الحارث الوهاب سيد بني غسان وملك الشام

إِلَى الْحَارِثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقِي
لِسُلْبِي دَارَ أَمْرِي كَانَ نَائِيًا
وَأَنْتَ أَمْرٌ وَأَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَانِي
فَأَدَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ رَيْبَهَا
فَوَاللَّهِ لَوْلَا فَارِسُ الْجَوْنِ مِنْهُمْ
تَقَدَّمَهُ حَتَّى تَغِيبَ حُجُولُهُ
مُظَاهِرُ سِرِّ بَالِي حديدٍ عَلَيْهِمَا
فَجَالَدَتِهِمْ حَتَّى اتَّقَوْكَ بِكَبِشِهِمْ
وَقَاتَلَ مِنْ غَسَّانٍ أَهْلَ حِفَاطِهَا
تَحْتَشِشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ
تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا
كَانَ رِجَالُ الْأَوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ
رَغَافَتُهُمْ سَقَبُ السَّمَاءِ فَدَاحِصُ
كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ
فَلَمْ تَنْجُ إِلَّا شَطْبَةً بِلِجَامِهَا
وَالَا كَمِي ذُو حِفَاطٍ كَأَنَّهُ

لَكَ كَلَامُهَا وَالْقَصْرَيْنِ وَجِيبُ
فَقَدْ قَرَّبْتَنِي مِنْ نَدَاكَ قُرُوبُ
وَقَبْلَكَ رَبَّتِي فَضَعْتُ رُبُوبُ
وَعُودِي فِي بَعْضِ الْجُنُودِ رَيْبُ
لَا بُوا خَزَايَا وَالْأَيَّابُ حَيْبُ
وَأَنْتَ لَيْتُضِ الدَّارِ عَيْنَ ضَرُوبُ
عَقِيلًا سُيُوفٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ
وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُ
وَهَبْ وَقَاسُ جَالِدَتْ وَشَيْبُ
كَمَا خَشِشَتْ يَسِيرُ الْحَصَادِ جَنُوبُ
وَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ الْإِقَاءِ تَطِيبُ
وَمَا جَمَعَتْ جَلُّ مَعًا وَعَتِيبُ
بِشِكَايِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيبُ
صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَيْبُ
وَالَا طِيرُ كَالْفَنَاءِ نَجِيبُ
بِمَا أَتَلَ مِنْ حَدِّ الطُّبَاتِ خَضِيبُ

تَرَوْدُ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَإِنَّهُ وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ آخِرُ مَوْعِدٍ

١٢٨ للناطقة الذبياني في عمرو بن الحارث الأصغر الغساني من قصيدة

وَنَثَّتْ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ
بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا وَعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ
يُصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغَرْنَ مُغَارَهُمْ
جَوَانِحُ قَدْ أَتَقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ
لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَاهَا
عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطَّعَانِ عَوَاسٍ
إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُمْ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا
فَهُمْ يَتَسَاقُونَ الْمُنِيَّةَ بَيْنَهُمْ
يَطِيرُ فِضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْسٍ
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ
بِضَرْبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ
لَهُمْ شِمَّةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ
جَعَلَتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينَهُمْ
رِقَاقُ النَّعَالِ طَبِيتْ حُجْرَاتُهُمْ
تُحْيِيهِمْ بِيضُ الْوَلَائِدِ بَيْنَهُمْ
يَصُونُونَ أَجْسَامًا قَدِيمًا نَعِيمَهَا

كُتَابٌ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ بِأَسْهُمٍ غَيْرُ كَاذِبِ
عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
مِنَ الضَّارِبَاتِ بِالْدمَاءِ الدَّوَارِبِ
إِذَا مَا اتَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
إِذَا عَرَضَ الْخَطِيءُ فَوْقَ الْكَوَائِبِ
بَيْنَ كُلُّومٍ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبِ
إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالُ الْجَمَالِ الْمَصَائِبِ
بِأَيْدِيهِمْ بِيضُ رِقَاقِ الْمَضَارِبِ
وَيَتَّبَعُهَا مِنْهُمْ فَرَّاشُ الْحَوَاجِبِ
بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ
وَطَعْنُ كَايَزَاعِ الْمُخَاضِ الضَّوَارِبِ
مِنَ الْجُودِ وَالْأَحْلَامِ غَيْرُ عَوَازِبِ
قَوِيمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ
يُحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ
وَأَكْسِيَةِ الْأَرْضِ يَجُفُّ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ
بِخَالِصَةِ الْأَرْدَانِ خُضِرِ الْمَنَاكِبِ

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْمَدِيحِ

زهير في مدح هرم بن سنان من قصيدة

١٢٧

إِلَى هَرَمٍ سَارَتْ ثَلَاثًا مِنَ اللَّوَى
سِوَاهُ عَلَيْهِ أَيَّ حِينٍ أَتَيْتُهُ
أَلَيْسَ بِضَرَابِ الْكُمَاةِ بِسِفِهِ
كَلَيْثٍ أَبِي شَبْلِينَ يَحْمِي عَرِينَهُ
وَمَدْرَهُ حَرْبٍ حَمِيهَا يَتَّقِي بِهِ
وَتَقُلُّ عَلَى الْأَعْدَاءِ لَا يَضَعُونَهُ
أَلَيْسَ بِفَيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ
إِذَا ابْتَدَرَتْ قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ غَايَةً
سَبَقَتْ إِلَيْهَا كُلُّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ
كَفَضْلِ جَوَادٍ أُخِيلَ يَسْبِقُ عَفْوُهُ
تَقِي نَقِي لَمْ يُكْثِرْ غَنِيمَةً
سِوَى رَجْعٍ لَمْ يَأْتِ فِيهِ مَخَانَةٌ
يَطِيبُ لَهُ أَوْبُ أَفْطَرَاصِ بِسِفِهِ
فَلَوْ كَانَ حَمْدُ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ
وَلَكِنَّ مِنْهُ بَاقِيَاتٍ وَرَاثَةٌ

فَنَعَمْ مَسِيرُ الْوَاتِقِ الْمُتَمَدِّ
أَسَاعَةٌ نَحْسٌ تُتَقَى أَمْ بِأَسْعَدِ
وَفَكَالِكِ أَغْلَالِ الْأَسِيرِ الْمُقِيدِ
إِذَا هُوَ لَاقَى نَجْدَةً لَمْ يُعْرِدِ
شَدِيدُ الرِّجَامِ بِالْأَسَانِ وَبِالْيَدِ
وَحَمَالُ أَثْقَالٍ وَمَأْوَى الْمُطْرَدِ
ثِمَالِ الْيَتَامَى فِي السَّنِينَ مُحَمَّدٍ
مِنْ الْحُجْدِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهَا يَسُودُ
سَبُوقٍ إِلَى الْغَايَاتِ غَيْرِ مُجَلَّدِ
السَّرَاعِ وَإِنْ يُجْهَدَنْ يُجْهَدُ وَيَبْعُدُ
بَنَهْكَةٍ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلَدِ
وَلَا رَهَقًا مِنْ عَائِدٍ مُتَهَوِّدِ
عَلَى دَهْشٍ فِي عَارِضٍ مُتَوَقِّدِ
وَلَكِنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُجْلَدِ
فَأَوْرِثَ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَزَوَّدِ

كَأَنِّي إِذَا طَلْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي أَلْبِلَادِ مَنْ لَهُمْ
يَهُمُّ الْإِلَهِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضِيرُ
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ
وَأَعْدُو وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمُ
وَإِنِّي جَوَادٌ لَمْ يُحَلِّ لِحَامُهُ
فَإِنْ كَانَ فِي لُبْسٍ أَلْقَى شَرَفُ لَهُ
وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنْزِلِي
لَدَى مَوْطِنٍ يَشْتَاقُهُ كُلُّ سَيِّدٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا
فَوَاعْجَبَاكُمْ يَدْعِي الْفَضْلَ نَاقِصُ
وَكَيْفَ تَنَامُ الطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
يُنَافِسُ يَوْمِي فِي أَمْسِي تَشْرِفَا
وَطَالَ أَعْتَزَانِي بِالزَّمَانِ وَصَرَفِهِ
فَلَوْ بَانَ عُنُقِي مَا تَأَسَّفَ مِنْكِ ي
إِذَا وَصَفَ الطَّائِي بِالْجُلِّ مَادِرُ
وَقَالَ السُّهَى لِلشَّمْسِ أَنْتِ ضَيْلَةُ
وَطَاوَاتِ الْأَرْضِ السَّمَاءُ سَفَاهَةُ
فَيَا مَوْتَ زُرْ إِنْ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةُ

رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ
بِإخْفَاءِ شَمْسِ ضَوْءِهَا مَتَكَامِلُ
وَيُثْقَلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلُ
لَا تَبِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ
وَأُسْرِي وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ حَجَائِلُ
وَنَضَلُّ يَمَانٍ أَغْفَلَتْهُ الصَّيَاقِلُ
فَمَا السَّيْفُ إِلَّا غِمْدُهُ وَالْحَمَائِلُ
عَلَى أَنِّي بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنِ نَازِلُ
وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْمُتَوَائِلُ
تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظَنَّ أَنِّي جَاهِلُ
وَوَا أَسْفَاكُمْ يُظْهِرُ النَّقْصَ فَاضِلُ
وَقَدْ نَصِبْتُ لِلْفِرْقَدَيْنِ الْحَبَائِلُ
وَتَحْسُدُ أَسْحَارِي عَلَى الْأَصَائِلُ
فَلَسْتُ أَبَالِي مَنْ تَعْمَلُ الْغَوَائِلُ
وَلَوْ مَاتَ زَنْدِي مَا بَكَتْهُ إِلَّا نَائِلُ
وَعَيْرَ قُسًا بِالْفَهَاهَةِ بِاقِلُ
وَقَالَ الدُّجَى لِلصُّبْحِ لَوْ نَكَتَ حَائِلُ
وَفَاخَرَتِ الشُّهُبُ الْحَصَى وَالْجَنَادِلُ
وَيَا نَفْسَ جِدِّي إِنْ دَهْرَكَ هَازِلُ

أَصَاغِرْنَا فِي الْمَكْرَمَاتِ أَكْبَارُ وَآخِرُنَا فِي الْمَأْثَرَاتِ أَوَّاسِلُ
إِذَا صَلْتُ صَوْلًا لَمْ أَجِدْ لِي مُصَاوِلًا وَإِنْ قُلْتُ قَوْلًا لَمْ أَجِدْ مَنْ يَقَاوِلُ

١٢٥ وعرضت على سيف الدولة خيوله وبنو أخيه حضور فكل اختار منها وطاب حاجته
من دون أبي فراس فغضب عليه سيف الدولة فأنشده :

غَيْرِي يُغَيِّرُهُ الْقَعَالُ الْجَلْفِي وَيَحُولُ عَنْ شَيْمِ الْكَرِيمِ الْوَافِي
لَا أَرْتَضِي وَدًّا إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ عِنْدَ الْوَفَاءِ وَقَلَّةِ الْإِنْصَافِ
تَعَسَ الْحَرِيصُ وَقَلَّ مَا يَأْتِي بِهِ عِوَضًا مِنَ الْإِلْحَاحِ وَالْإِلْحَافِ
إِنَّ الْغَنِيَّ هُوَ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوَانَهُ عَارِي الْمُنَاكِبِ جَافِ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا فَإِذَا اقْتَنَعْتَ فَكُلْ شَيْءٌ كَافِ
وَيَعَافُ لِي طَبْعُ الْحَرِيصِ أُبُوْتِي وَمُرُوْتِي وَقَنَاعَتِي وَعَفَافِي
مَا كَثُرَ الْخَيْلُ الْجِيَادِ بَرَائِدِ شَرَفًا وَلَا عَدُوَّ السَّوَامِ الصَّافِي
وَمَكَارِمِي عَدَدُ النُّجُومِ وَمَنْزِلِي بَيْتُ الْكِرَامِ وَمَنْزِلُ الْأَضْيَافِ
لَا أَقْتَنِي لِصُرُوفِ دَهْرِي عُدَّةً حَتَّى كَانَ صُرُوفُهُ أَخْلَافِي
خَيْلِي وَإِنْ قَلَّتْ كَثِيرُ نَفْعِهَا بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَتَا الرَّعَافِ
شَيْمٌ عُرِفَتْ مِنْهُ مَذًى أَنَا يَافِعٌ وَلَقَدْ عُرِفَتْ بِمِثْلِهَا أَسْلَافِي

لابي العلاء المعري في الفخر

١٢٦

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلُ عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلُ
أَعْنَدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ يُصَدِّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيِّبُ سَائِلُ
تَعْدُ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا أَلْعَى وَالْفَضَائِلُ

هُمْ قَوْمُوا دَرَّةَ الشَّامِ وَأَيَقُظُوا
يَمْدُونُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا
إِذَا أَسْرُوا لَمْ يَأْسِرِ الْبَغْيُ عَفْوَهُمْ
إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعُ غُلَّةِ
وَأِنْ صَارَعُوا عَنْ مُفْخِرٍ قَامَ دُونَهُمْ
فَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ رَامَنِي فَقَذَعْتُهُ
كَشَفْتُ قِنَاعَ الشَّعْرِ عَنْ حَرِّ وَجْهِهِ
بِعِزِّ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ
يُودُّ وَدَادًا أَنْ أَعْضَاءَ جَسَدِهِ

قال ابو فراس الحمداني يفتخر

١٢٤

وَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ الْعُلَى
مَوَاعِيدُ آمَالٍ مَتَى مَا انْتَجَعْتُهَا
تُدَافِعُنِي الْأَيَّامُ عَمَّا أُرِيدُهُ
فِيئِلَى مَنْ نَالَ الْأَعَادِي بِسَيْفِهِ
وَمَا لِي لَا تُنْسِي وَتُضَيِّعُ فِي يَدِي
أَحْكَمُ فِي الْأَعْدَاءِ عَنْهَا صَوَارِمًا
وَمَا زَالَ مَحْمِي الْحَمَائِلُ عَنْوَةً
يَنَالُ اخْتِيَارَ الصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ
لَنَا عَيْبُ الْأَمْرِ الَّذِي فِي صُدُورِهِ

وَلَكِنْ كَانَ الدَّهْرُ عَنِّي غَافِلُ
حَلَبْتُ بِكِيَّاتٍ وَهْنٌ حَوَافِلُ
كَمَا دَفَعَ الدِّينَ الْغَرِيمُ الْمَاطِلُ
وَيَارُبَّمَا غَالَتْهُ عَنْهَا الْغَوَائِلُ
كَرَاهِمُ أَمْوَالِي الرِّجَالُ الْعَقَائِلُ
أَحْكَمَهَا فِيهَا إِذَا ضَاقَ نَازِلُ
سِوَى مَا أَقَلَّتْ فِي الْجُفُونِ الْحَمَائِلُ
لَهُ عِنْدَنَا مَا لَا تَنَالُ الْوَسَائِلُ
تَطَاوَلُ أَعْنَاقُ الْعِدَى وَالْكُوَاهِلُ

وَلَوْ لَا تَكَالِيفُ الْعَلَى وَمَغَارِمُ
لَا عَطِيتُ نَفْسِي فِي التَّخْلِ مُرَادَهَا
مِنْ الْحَزْمِ أَنْ لَا يَصْجُرَ الْمَرْءُ بِالَّذِي
إِذَا جَلَدِي فِي الْأَمْرِ خَانَ وَلَمْ يَعْنِ
وَمَنْ يَسْتَعِنُ بِالصَّبْرِ نَالَ مُرَادَهُ
ثَقَالَ وَأَعْقَابُ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
فَذَلِكَ مُرَادِي مُذْكَشَاتُ وَمَقْصَدِي
يَعْنِيهِ مِنْ مَكْرُوهَةٍ فَكَانَ قَدْ
مَرِيرَةٌ عَزَمِي نَابَ عَنْهُ تَجَلْدِي
وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ إِنَّهُ غَيْرُ مُسْعَدٍ

قال ابو تمام يفتخر بقومه

١٢٣

أَنَا ابْنُ الَّذِينَ اسْتَرْضَعُ الْجُودَ فِيهِمْ
نُجُومُ طَوَالِيْعُ جِبَالٍ فَوَارِعُ
مَضُوءًا وَكَانَ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمْ
فَأَيُّ يَدٍ فِي الْحُلِّ مُدَّتْ فَلَمْ يَكُنْ
هُمْ اسْتَوْدَعُوا الْمَعْرُوفَ مَحْفُوظًا مَا لَنَا
بِهَالِيلٍ لَوْ عَايَنْتَ فَيْضَ أَكْفِهِمْ
إِذَا خَفَقَتْ بِالْبَذْلِ أَرْوَاحُ جُودِهِمْ
رِيَا حُ كَرِيحِ الْعَنْبَرِ الْغَضِّ فِي النَّدَى
هِيَ السَّمُّ مَا تَنَفَّكُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
أَصَارَتْ لَهُمْ أَرْضُ الْعَدُوِّ قَطَائِمًا
يَكُلُّ قَتَى مَا شَابَ مِنْ رَوْعٍ وَقَعَةٍ
إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَوُوا مَالَ مَعْشَرٍ
فَقَطَعِي الَّذِي تُعْطِيهِمُ الْخَيْلُ وَالْقَنَا
وَقَدْ سَادَ فِيهِمْ وَهُوَ كَهْلٌ وَيَافِعُ
غِيُوثُ هَوَامِيْعُ سِيُولُ دَوَافِعُ
إِكْثَرَةٌ مَا أَوْصُوا بِهِنَّ شَرَائِعُ
لَهَا رَاحَةٌ مِنْ جُودِهِمْ وَأَصَابِعُ
فَضَاعَ وَمَا ضَاعَتْ لَدَيْنَا الْوَدَائِعُ
لَأَيَقُنْتَ أَنَّ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعُ
حَدَاهَا النَّدَى وَاسْتَشَقَّتْهَا الْمَطَامِعُ
وَلَكِنَّهَا يَوْمَ الْإِلْقَاءِ زَعَارِعُ
تَسِيلُ بِهِ أَرْمَاحُهُمْ وَهُوَ نَاقِعُ
نُفُوسُ لِحْدِ الرُّهَفَاتِ قَطَائِعُ
وَلَكِنَّهُ قَدْ شَبِنَ مِنْهُ الْوَقَائِعُ
أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ
أَكْفُ لِرِثِّ الْمَكْرُمَاتِ مَوَانِعُ

نَهَضَتْ بِهَا وَحْدِي وَغَيْرِي مُدَعٍ
 أَيْسَى مَقَامِي إِذْ أَكْفَجُ دُونَهُ
 وَيَذْكُرُ يَوْمًا قُتُّ فِيهِ بِخُطْبَةٍ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَرْءُ يُقْطَعُ رَأْسُهُ
 تَهْأَوْنَ بِالْإِنْصَافِ حَتَّى أَحْلَهُ
 وَلَوْ كَانَ يُعْطَى الزَّائِرِينَ حُقُوقَهُمْ
 يُشَارِكُ أَهْلَ الْقَوْلِ شِرْكَ عِنَانٍ
 وَقَدْ طَارَ قَلْبُ الذَّعْرِ بِالْخَفَقَانِ
 كَأَثَارِ عِدِّ الْمَاءِ بِالسَّيْلَانِ
 وَإِنْ دَهْنُوهُ حِيلَةٌ بِدِهَانٍ
 وَقَدْ كَانَ ذَا عِزٍّ بِدَارِ هَوَانٍ
 لَمَّا تَرَكَوهُ فِي يَدِ الْحَدَثَانِ

قال الطغرائي يفتخر

١٢٢

أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُوَ بغيرِ فَضَائِلِي
 وَإِنْ كَرَّمْتَ قَبِيلِي أَوَائِلُ أَسْرَتِي
 يُذِمُّ لِأَجْلِ الْمُهْرِ إِنْ يَكُ مَرَّةً
 وَمَا مَنْصَبٌ إِلَّا وَقَدْرِي قَوْفُهُ
 إِذَا شَرَفَتْ نَفْسُ الْفَتَى زَادَ قَدْرُهُ
 كَذَلِكَ حَدِيدُ السِّيفِ إِنْ يَصِفُ جَوْهَرًا
 تَكَادُ تَرَى مَنْ لَا يُقَاسُ نِجَادُهُ
 وَمَا أَلْمَالُ إِلَّا عَارَةٌ مُسْتَرْدَّةٌ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي الْوِلَايَةِ بَسْطَةٌ
 وَلَا كَانَ لِي حُكْمٌ مُطَاعٌ أَجِيزُهُ
 فَأَعْذَرُ إِنْ قَصَّرْتُ فِي حَقِّ مُجْتَدِي
 أَكْفَى وَلَا أَكْفَى وَتِلْكَ غَضَاضَةٌ
 إِذَا مَا سَمَا بِالْمَالِ كُلُّ مُسَوِّدٍ
 فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَبْدَأُ سُودْدِي
 بِجِدِّي وَإِنْ يَنْهَضُ بِجِدِّي يُحْمَدُ
 وَلَوْ حُطَّ رَجُلِي بَيْنَ نَسْرِ وَفَرْقَدٍ
 عَلَى كُلِّ أَسْنَى مِنْهُ ذِكْرًا وَأَفْجَدٍ
 قَقَمِيَّتُهُ أَضْعَافُهُ وَزَنَ عَسْجَدٍ
 بِشَسْعِي إِذَا مَا صَمْنَا صَدْرُ مَشْهَدٍ
 فَهَلَّا بِفَضْلِي كَأَثْرُونِي وَمُحْتَدِي
 يَطُولُ بِهَا بَاعِي وَتَسْطُو بِهَا يَدِي
 فَأَرْغَمَ أَعْدَائِي وَآكَيْتُ حُسْدِي
 وَأَمِنُ أَنْ يَعْتَادَنِي كَيْدُ مُعْتَدٍ
 أَرَى دُونَهَا وَقَعَ الْحُسَامُ الْمُهْنَدُ

وَكُنَّا إِذَا مَا اسْتَكْرَهَ الضَّيْفُ بِالْقَرَى
وَكُلَّ قَرَى الْأَضْيَافِ تَقْرِى مِنَ الْقَنَا
وَجَدْنَا أَعَزَّ النَّاسِ أَكْثَرَهُمْ حَصَى
وَكِلْتَاهُمَا فِينَا لَنَا حِينَ تَلْتَقِي
مَنْزِيلُ عَنْ ظَهْرِ الْقَلِيلِ كَثِيرُنَا
فَلَقْنَا الْحَصَى عَنْهُ الَّذِي فَوْقَ ظَهْرِهِ
وَجَهْلٌ بِجِلْمٍ قَدْ دَفَعْنَا جُنُونَهُ
زَجَجْنَا بِهِمْ حَتَّى اسْتَبَانُوا حُلُومَهُمْ

قال الاديب ابو عبد الله بن الفخار المالقي

١٢١

بِأَيِّ حُسَامٍ أَمْ بِأَيِّ سِنَانٍ
لَنْ عَرِيَّ الْيَوْمَ الْجَوَادُ لِعِلَّةٍ
وَإِنْ عَطِلَ السَّهْمُ الَّذِي كُنْتُ رَأِئِشًا
أَلَا إِنَّ دِرْعِي نَثْرَةٌ تُبْعِيَّةٌ
وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِأَذْهَمِي
تَمَّتْ لِقَائِي مَنْ حَلَّتْ وَثَاقُهُ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ مَنْ صَحَّ وَدُهُ
وَمَا يَزِدْهِنِي قَوْلُ كُلِّ مُمَوِّهِ
وَزَعَمُ آتِي فِي الْبَيَانِ مُقَصِّرٌ
وَإِنِّي لِنَهَاضٍ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ

أُنَازِلُ ذَاكَ الْقُرْنَ حِينَ دَعَانِي
فَبِالْأَمْسِ شَدُّوا سَرَجَهُ لِيَطْعَانِ
فَفِيهِ دَمُ الْأَعْدَاءِ أَحْمَرُ قَانِ
وَسَيَفِي صِدْقٌ إِنْ هَزَزْتُ يَمَانِي
إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ فِي مَجَالِ رِهَانِ
وَأَعْطَى غَدَاةَ الْمَنِّ ذِلَّةً عَانِ
وَمَنْ كَانَ مِنَّا دَائِمَ الشَّنَانِ
وَلَيْسَ لَهُ بِالْمُعْضَلَاتِ يَدَانِ
وَيَأْبَى بَنَانِي وَاقْتِدَارَ لِسَانِي
يَضِيقُ عَلَيْهَا ذَرْعُ كُلِّ جَنَانِ

تَرَاهُمْ قُعُودًا حَوْلَهُ وَعُيُونُهُمْ
وَبُنْيَانُ بَيْتِ اللَّهِ مَخْنُ وَلَا تَه
تَرَى النَّاسَ مَاسِرَنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا
وَلَا عِزَّ إِلَّا عِزُّنَا قَاهِرٌ لَهُ
وَإِنْ فَتَوْا يَوْمًا ضَرَبْنَا رُؤُوسَهُمْ
فَإِنَّكَ إِنْ تَسْعَى لَتُدْرِكَ دَارِمًا
أَتَطْلُبُ مِنْ عِنْدِ النُّجُومِ مَكَانَةً
وَشَيْخَيْنِ قَدْ عَاشَا ثَمَانِينَ حِجَّةً
عَطَفْتُ عَلَيْكَ الْحَرْبَ إِنِّي إِذَا وَنَى
أَتَى لَجْرِيرٍ رَهْطُ سُوءِ أَذَلَّةٍ
وَجَدْتُ الثَّرَى فِينَا إِذَا وَجَدَ الثَّرَى
وَنَمْنَعُ مَوْلَانَا وَإِنْ كَانَ نَائِيًا
تَرَى جَارَنَا فِينَا بِخَيْرٍ وَإِنْ جَنَى
وَكُنَّا إِذَا نَامَتْ كِلَابٌ عَنِ الْقَرَى
وَقَدْ عَلِمَ الْجِيرَانُ أَنَّ قُدُورَنَا
تَرَى حَوْلَهُنَّ الْمُتَعَفِّينَ كَأَنَّهُمْ
وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِي نَدِيَا
وَإِنِّي لِمِنْ قَوْمٍ يَتَّقِي الرَّدَى
وَأَضْيَافٍ لَيْلٍ قَدْ نَقَانَا قِرَاهُمُ

مُكَسَّرَةٌ أَبْصَارُهَا مَا تَطَرَّفُ
وَبَيْتٌ بِأَعْلَى الرَّامَتَيْنِ مُشَرَّفُ
وَإِنْ مَخْنُ أَوْ مَا نَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
وَيَسَاءَ لَنَا النِّصْفَ الذَّلِيلُ فَتَنْصِفُ
عَلَى الْآلَيْنِ حَتَّى يُقْتَلَ الْمُتَأَلِّفُ
لَأَنْتَ الْمُعْنَى يَا جَرِيرُ الْمُكَلَّفُ
بَرِيقٍ وَعَيْرٍ ظَهْرُهُ يَتَقَرَّفُ
ذَلِيلَيْنِ ذَاهِمٌ وَذَلِكَ أَعْجَفُ
أَخُو الْحَرْبِ كَرَارُ عَلَى الْقَرْنِ مُعْطَفُ
وَعَرِضٌ لَيْمٌ لِلْمَخَازِي مُوَقَّفُ
وَمِنْ هُوَ يَزُجُو فَضْلَهُ الْمُتَضَيِّفُ
بَنَاءُ دَارِهِ مِمَّا يَخَافُ وَيَأْنَفُ
وَلَا هُوَ مِمَّا يُنْطَفُ الْجَارُ يُنْطَفُ
إِلَى الضَّيْفِ تَمَشِّي مُسْرِعِينَ وَمُخْلِفُ
جَوَامِعُ الْأَرْدَاقِ وَالرَّيْحُ زَفَرُفُ
عَلَى صَنْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُكْفُ
فَيَنْطِقُ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَعْرَفُ
وَرَأْبُ الدَّيِّ وَالْجَانِبُ الْمُتَخَوِّفُ
إِلَيْنَا فَأَتْلُفْنَا الْمُنَايَا وَأَتْلُفُوا

إِنَّا إِذَا نَعَرُوا لِحَرْبٍ نَعْرَةً نَشْفِي صُدَاعَهُمْ بِأَسْمَرَ صُلْدِمِ
 نَعْلُوا الْقَوَانِسَ بِالسُّيُوفِ وَنَعْتَرِي وَالْحَيْلُ مُشْعَلَةُ الْخُحُورِ مِنَ الدَّمِ
 يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَالِ الْغُبَارِ عَوَابِسًا خَبَبَ السِّبَاعِ بِكُلِّ أَكْلَفٍ ضَيْغَمِ
 مِنْ كُلِّ مُسْتَرْخِي التَّجَادِ مُنَازِلِ يَسْتَمُو إِلَى الْأَقْرَانِ غَيْرَ مُقَلِّمِ
 قَقْضَضْنَ جَمْعَهُمْ وَأَذِيرَ حَاجِبِ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ فِي الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ
 وَعَلَى عُقَابِهِمُ الْمَذَلَّةُ أَصْبَحَتْ نُبَذَتْ بِأَفْضَحِ ذِي مَخَالِبِ جَهْضَمِ
 أَقْصَدْنَ حُجْرًا قَبْلَ ذَلِكَ وَالْقَنَا شَرُعُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَكْبَعَ عَلَى الْقَمِ
 يَنْوِي مُحَاوَلَةَ الْقِيَامِ وَقَدْ مَضَتْ فِيهِ مَخَارِصُ كُلِّ لَدْنٍ لَهُذَمِ
 وَلَقَدْ خَبَطْنَ بَنِي كِلَابٍ خِبْطَةً أَحْلَقْنَهُمْ بِدَعَائِمِ الْمُتَحَيِّمِ
 وَسَلَقْنَ كَعْبًا قَبْلَ ذَلِكَ سَلَقَةً بِقَنَا تَعَاوَرَهُ الْأَكْفُ مُقَوْمِ
 حَتَّى سَقَيْنَا النَّاسَ كَأْسًا مَرَّةً مَكْرُوهَةً حَسَوَاتِهَا كَالْعَلَقِمِ
 قُلْ لَلْمَثَلَمِ وَأَبْنِ هِنْدٍ بَعْدَهُ إِنْ كُنْتَ رَأَيْتَ عِزَّنَا فَاسْتَقْدِمِ
 تَلَقَّ الَّذِي لَأَقَى الْعَدُوَّ وَتَضَطَّحَ كَأْسًا صَبَابَتِهَا كَطَعْمِ الْعَلَقِمِ
 نَحْبُو الْكُتَيْبَةَ حِينَ نَفْتَرِشُ الْقَنَا طَعْنًا كَالْهَابِ الْحَرِيقِ الْمُضْرَمِ
 وَلَقَدْ حَبَوْنَا عَامِرًا مِنْ خَلْفِهِ يَوْمَ النَّسَارِ بِطَغْنَةٍ أَمْ تَكَلِّمِ

قال الفرزدق واسمه همام بن غالب التميمي

١٢٠

لَنَا الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ وَالْعَدَدُ الَّذِي عَلَيْهِ إِذَا عُدَّ الْحَصَى يَتَخَلَّفُ
 لَنَا حَيْثُ آفَاقُ الْبَرِّيَّةِ تَلْتَقِي عَدِيدُ الْحَصَى وَالْقَسُورُ الْمُتَخَنِّفُ
 وَمِنَّا الَّذِي لَا تُنْطِقُ النَّاسُ عِنْدَهُ وَلَكِنْ هُوَ الْمُسْتَأَذَنُ الْمُتَصَرِّفُ

أَبْسَطُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي

قال حسان بن ثابت الانصاري

١١٨

لَعَمْرُأَيْكَ الْخَيْرُ يَا شَعْتُ مَا نَبَا
لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا
إِنْ أَكْ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ أَجْذِبُهُ
فَلَا أُمَالُ يُنْسِينِي حَيَاتِي وَعَقِي
وَأَكْثَرُ أَهْلِي مِنْ عِيَالٍ سِوَاهُمْ
وَإِنِّي لَمُعْطٍ مَا وَجَدْتُ وَقَائِلُ
وَإِنِّي لَقَوْلٍ لَدَى أَلْبَتٍ مَرْحَبَا
وَإِنِّي لِيدْعُونِي أَلْدَى فَاجِبُهُ
وَإِنِّي لَحُلُوْ تَعْتَرِينِي مَرَارَةً
وَإِنِّي لَمُزَجٍ لِلْمَطِيِّ عَلَى الْوَجِي
فَلَا تَجْلَنَ يَا قَيْسُ وَأَرْبَعُ فَإِنَّمَا
حُسَامٌ وَأَرْمَاحٌ بِأَيْدِي أَعَزَّةٍ
لِيُوثَ لَهَا الْأَشْبَالُ تُحْمِي عَرِينَهَا
فَقَدْ لَاقَتْ الْأَوْسُ أُنْقَتَالُ وَأُطْرِدَتْ
نَفْتَكُمْ عَنْ الْعُلَيَاءِ أَمْ لَيْمَةٌ

عَلَى لِسَانِي فِي الْخُطُوبِ وَلَا يَدِي
وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ مِذْوَدِي
وَإِنْ يَهْتَضِرُ عُودِي عَلَى الْجَهْدِ مُحَمَّدٍ
وَلَا وَاقِعَاتِ الدَّهْرِ يَفْلُتَنَّ مِزْدِي
وَأُطْوِي عَلَى الْمَاءِ الْقَرَّاحِ الْمُبَرَّدِ
لِمَوْقِدِ نَارِي لَيْلَةَ الرِّيحِ أَوْقِدِ
وَأَهْلًا إِذَا مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ مُرْصِدِ
وَأَضْرِبُ بَيْضَ الْعَارِضِ الْمُتَوَقِّدِ
وَإِنِّي لَتَرَّاكُ لِمَا لَمْ أُعَوِّدِ
وَإِنِّي لَتَرَّاكُ الْفَرَّاشِ الْمُهَمِّدِ
قُصَّارَاكَ أَنْ تُلْقَى بِكُلِّ مُهَنِّدِ
مَتَى تَرَهُمْ يَا ابْنَ الْخُطِيمِ تَبَلِّدِ
مَدَاعِيسُ بِالْخَطِي فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وَأَنْتَ لَدَى الْكِبَاتِ فِي كُلِّ مَطَرِدِ
وَزَنْدُ مَتَى تُقْدَحُ بِهِ النَّارُ يَصْلَدِ

وقال بشر بن ابي حازم الاسدي

١١٩

سَائِلُ تَيْمًا فِي الْحُرُوبِ وَعَامِرًا وَهَلِ الْعَجْرَبُ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ

فَإِنَّا وَمَنْ قَدْ بَادَ مِنَّا لَكَ الَّذِي رُوحٌ وَكَأَلْقَاضِي الْبَتَاتِ لِيَعْتَدِي

وقال عروة بن الورد العبسي الملقب بعروة الصعاليك

١١٧

فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمِيَّةِ لَمْ أَكُنْ
حَتَّى اللَّهُ صُغْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ
يَعْدُ الْغَنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ طَاوِيًا
قَلِيلُ التَّمَّاسِ أُمَالٍ إِلَّا لِنَفْسِهِ
يَعِينُ نِسَاءً الْحَيَّ لَا يَسْتَعْنَهُ
وَلَكِنْ صُغْلُوكًا صَفِيحَةً وَجْهِهِ
مُطِلاً عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ
وَإِنْ بَعْدُوا لَا يَأْمُنُونَ أَقْتَرَابَهُ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَ الْمِيَّةُ يَلْقَاهَا
أَيَّهِلِكَ مُعْتَمٌ وَزَيْدٌ وَلَمْ أَقِمِ
سَتَفْرَعُ بَعْدَ أَلْيَاسٍ مَنْ لَا يَخَافُهَا
يُطَاعِنُ عَنْهَا أَوَّلُ الْحَيْلِ بِالْقَنَاءِ
فَيَوْمًا عَلَى تَجْدٍ وَغَارَاتِ أَهْلِهَا
يُنَاقِلُنَ بِالشَّمْطِ الْكِرَامِ إِلَى النَّهْيِ
يُرِيحُ عَلَى اللَّيْلِ أَضْيَافَ مَا جِدِ
سَلَى السَّاعِبِ الْمُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَلَائِكِ

جَزُوعًا وَهَلْ عَنْ ذَلِكَ مِنْ مُتَأَخَّرِ
مَضَى فِي الْمَشَاشِ أَلِفًا كُلَّ مُجَزَّرِ
أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُبَسَّرِ
يَحْتِ الْحَمَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَقَرَّرِ
إِذَا هُوَ أَضْحَى كَأَنَّمَا رِيشُ الْجُورِ
فَيَمْسِي طَلِيحًا كَأَلْبَعِيرِ الْمُحْسَرِ
كَضَوْءِ شَهَابِ الْقَائِسِ الْمُتَسَوِّرِ
بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمُنِجِ الْمَشْهَرِ
تَشَوُّقُ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ
حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَعْنُ يَوْمًا فَاجْدِرِ
عَلَى نَدَبِ يَوْمَاوِي نَفْسُ مُخْطَرِ
كَوَاسِعُ فِي أُخْرَى السَّوَامِ الْمُفَرِّ
وَيَبِضُ خِفَافِ ذَاتِ لَوْنٍ مُشْهَرِ
وَيَوْمٌ بِأَرْضِ ذَاتِ شَتٍّ وَعَرَعَرِ
نَقَابِ الْحَجَّازِ فِي السَّرِيحِ الْمُسِيرِ
كَرِيمٍ وَمَالِي سَارِحًا مَالُ مُقْتَرِ
إِذَا مَا عَتَرَانِي بَيْنَ قَدْرِي وَمُجَزَّرِي

نَمْسُكَ الْخَيْلَ عَلَى مَكْرُوهٍهَا حِينَ لَا يُمَسِّكَ إِلَّا ذُو كَرَمٍ
نَذَرُ الْأَبْطَالَ صَرَغِي بَيْنَهَا تَعَكَّفُ الْعُقَبَانُ فِيهَا وَالرَّحْمَ

لعبيد بن الابصر الاسدي

١١٦

وَلَا أَتَّبِعِي وَدَّ أَمْرِي قَلَّ خَيْرُهُ
وَإِنِّي لِأُطْفِئَ الْحَرْبَ بَعْدَ سُبُوبِهَا
وَإِنِّي لَذُو رَأْيٍ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ
إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ الْخَوُونَ أَمَانَةً
وَجَدْتُ خَوُونَ الْقَوْمِ كَأَنْفِرٍ يَتَقَى
وَلَا تُظْهِرَنَّ وَدَّ أَمْرِي قَبْلَ خَيْرِهِ
وَلَا تَتَّبِعَنَّ الرَّأْيَ مِنْهُ تَقْصُهُ
وَلَا تَرْهَدَنَّ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ
وَإِنْ أَنْتَ فِي مَجْدٍ أَصَبْتَ غَيْمَةً
تَرَوْدُ مِنَ الدُّنْيَا مَتَاعًا فَإِنَّهُ
تَمَنَّى مَرِيءُ الْقَيْسِ مَوْتِي وَإِنْ أَمْتُ
لَعَلَّ الَّذِي يَرْجُو رَدَايَ وَمِيتَتِي
فَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو خِلَافِي بِضَايِرِي
وَلَا مَرِيءُ أَيَّامٍ تَعُدُّ وَقَدْ دَعَتْ
فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي الْيَوْمِ لَا بُدَّ أَنَّهُ
فَقُلْ لِلَّذِي يَنْفَعِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى

وَمَا أَنَا عَنْ وَصْلِ الصَّدِيقِ بِأَصِيدٍ
وَقَدْ أَوْقَدْتُ لِلْنِّفَى فِي كُلِّ مَوْقِدٍ
وَمَا أَنَا مِنْ عِلْمِ الْأُمُورِ بِمُبْتَدِي
فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرِّ مُسْنَدٍ
وَمَا خِلْتُ عَمَّ الْجَارِ إِلَّا بِمُعْهَدٍ
وَبَعْدَ بَلَاءِ الْمَرْءِ فَادْزَمُّ أَوْ أَحْمَدٍ
وَلَكِنْ بِرَأْيِ الْمَرْءِ ذِي اللَّبِّ فَاقْتَدِ
لِذَخِرٍ وَفِي وَصْلِ الْأَبَاعِدِ فَازْهَدِ
فَعُدْ لِلَّذِي صَادَفْتَ مِنْ ذَاكَ أَزْدَدِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُ زَادِ الْمُرُودِ
فَتِلْكَ سَبِيلُ أَسْتُ فِيهَا بِأَوْحِدٍ
سَفَاهَا وَجَبْنَا أَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّدِي
وَلَا مَوْتُ مَنْ قَدَمَاتِ قَبْلِي بِخُلْدِي
حِبَالُ الْمَنَاءِ لِلْفَتَى كُلِّ مَرُودِ
سَيَعْلُقُهُ حَبْلُ الْمَنِيَّةِ فِي غَدِ
تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدِ

الْبَابُ التَّاسِعُ فِي الْفَخْرِ

قال طرقة يقتخر في قومه

١١٥

سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا بِقَوَانَا يَوْمَ تَخْلَقُ اللَّيْمُ
يَوْمَ تُبْدِي أَلْيَضُ عَنْ أَسْوَقِهَا وَتَلْفُ الْخَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعَمِ
أَجْدَرُ النَّاسِ بِرَأْسِ صِلْدِمِ حَازِمِ الْأَمْرِ شَجَاعِ فِي الْوَعَمِ
كَامِلِ يَحْمِلُ آلاءِ الْفَتَى نَبِيهِ سَيِّدِ سَادَاتِ خِصَمِ
خَيْرُ حَيٍّ مِنْ مَعَدِّ عِلْمُوا إِكْفِي وَجَلَّارِ وَأَبْنِ عَمِ
يَجِبُ الْخُرُوبُ فِينَا مَالَهُ بِنَاءِ وَسَوَامِ وَخَدَمِ
نُقْلُ لِلشَّحْمِ فِي مَشَاتِنَا مُحَرُّ لِلنَّيْبِ طُرَادُ الْقَرَمِ
زَعُ الْجَاهِلِ فِي مَحَاسِنَا فَتَرَى الْمَجْلِسَ فِينَا كَالْحَرَمِ
وَتَفَرَّعْنَا مِنْ أُنْبَى وَإِلِ هَامَةِ الْمَجْدِ وَخَرْطُومِ الْكَرَمِ
مِنْ بَنِي بَكْرٍ إِذَا مَا نُسَبُوا وَبَنِي تَغْلِبَ ضَرَّابِي الْبَهْمِ
حِينَ يَحْمِي النَّاسَ نَحْمِي سِرْبَنَا وَاضْهِ الْأَوْجُهَ مَعْرُوفِي الْكَرَمِ
مُجَسَّمَاتٍ تَرَاهَا رُسَبًا فِي الضَّرَبَاتِ مُتَرَاتِ الْعُصَمِ
وَفُحُولِ هَيْكَلاتٍ وَفُحِ أَعُوجِيَّاتٍ عَلَى الشَّأْوِ أَرْمِ
وَقَنَا جُرْدٍ وَخَيْلٍ صُمَرِ شُرْبٍ مِنْ طُولِ تَعْلَاكِ الْلُحْمِ
وَشَبَابٍ وَكُهُولٍ نَهْدِ كَلْبُوثِ بَيْنَ عَرِيْسِ الْأَجَمِ

وَكُنْتُ قُبِيلَ الْمَوْتِ اسْتَغْظِمُ النَّوَى
هَبَيْتَنِي أَخَذْتُ النَّارَ فَيَكُ مِنَ الْعَدَى
وَمَا اسْتَدَّتْ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِيُصِفَهَا
هِيَ أَسْفَا أَنْ لَا أَكْبُ مُقْبَلًا
وَأَنْ لَا أَلَا قِي رُوحَكَ الطَّيِّبَ الَّذِي
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ
لَبُنْتُ لَذَّ يَوْمِ الشَّامِتِينَ يَوْمَهَا
تَقَرَّبَ لَا مُسْتَغْظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ
يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
كَأَنَّ بَيْنَهُمْ عَالَمُونَ بِأَنِّي
وَمَا أَجْمَعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدَيِ
وَلَكِنِّي مُسْتَصِرٌّ بِذُبَابِهِ
وَجَاءَهُ يَوْمَ الْإِقَاءِ تَحِيَّتِي
إِذَا قَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفِ بَعْدِهِ
وَإِنِّي لِمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَفُوسَنَا
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَاذْهَبِي
فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعْزِي

فَقَدْ صَارَتْ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْعُظْمَى
فَكَيْفَ أَخَذَ النَّارَ فَيَكُ مِنَ الْحُمَى
وَلَكِنْ طَرَفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَعْمَى
لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ الَّذِي مُلَأَ خَزْمًا
كَأَنَّ ذِكِّي الْمَسَكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا
لَكَانَ أَبَاكَ الصُّخْرُ كَوْنُكَ لِي أُمًّا
فَقَدْ وَلَدْتَ مِنِّي لَا نَافِعَهُمْ رَغْمًا
وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا
وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةِ طَعْمًا
وَمَا تَبْتَغِي مَا أَتَبَغِي جَلَّ أَنْ يُسْتَبَى
جَلُوبُ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتَامَى
بِأَصْعَبِ مَنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْقَهْمَا
وَمُرْتُكَ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشْمَا
وَالْأَفْلَسْتُ السَّيِّدُ الْبَطْلُ الْقَرْمَا
فَأَبْعُدْ شَيْءٌ مُمَكِّنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمًا
بِهَا أَنْفُ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعِظْمَا
وَيَا نَفْسُ زَيْدِي فِي كَرَائِمِهَا قُدَمَا
وَلَا صَحْبَتِي مَهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا

أَسِيفَ الدَّوْلَةِ أَسْتَجِدُّ بِصَبْرِ وَكَفِّ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجَبَالِ
فَأَنْتَ تَعْلَمُ النَّاسَ التَّعْزِي وَخَوْضَ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ السَّجَالِ

١١٤ وقال يرثي جدته وكانت يئست منه لطول غيبته فكتب اليها كتاباً
فلما وصلها قبلته وحمّت من وقتها لما غلب عليها من السرور فماتت

أَلَا لَا أُرِي الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا
إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ أَلْقَى مَرْجِعُ أَلْقَى
لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا
أَجْنُ إِلَى الْكَاسِ الَّتِي شَرِبْتَ بِهَا
بَكَيتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا
وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْأَحْيَيْنَ كُلَّهُمْ
عَرَفْتُ الْأَيَّامِي قَبْلَ مَا صَنَعْتَ بِنَا
أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرَحُّةٍ
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي
تَعْجَبُ مِنْ خَطِي وَلَفْظِي كَأَنِّي
وَلَيْسَ لَهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ
رَقًا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا
وَلَمْ يُسَلِّهَا إِلَّا الْمُنَايَا وَإِنَّمَا
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَقَاتَتْ وَفَاتَنِي
فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي النِّعَامَ لِقَبْرِهَا
فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا
يَعُودُ كَمَا أَبْدَى يَكْرِي كَمَا أَرَمِي
قَتِيلَةٍ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصَمَا
وَأَهْوَى لِشَوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَا
وَذَاقَ كِلَانَا تُكُلَ صَاحِبِهِ قَدَمَا
مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرَمًا
فَلَمَّا دَهَنِي لَمْ تَرُدَّنِي بِهَا عِلْمًا
فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمَتَّ بِهَا هَمًّا
أَعْدُ الَّذِي مَاتَ بِهِ بَعْدَهَا سَمًا
تَرَى بِحُرُوفِ السُّطْرِ أَغْرِبَةَ عُصَمَا
مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْيَابَهَا سُحْمًا
وَفَارَقَ حَبِي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدَمِي
أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا
وَقَدْ رَضِيتُ بِي لَوْرَضِيتُ لَهَا قِسْمَا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَعَى وَالْقَنَا الصَّمَا

أَسْأَلُ عَنْكَ بَعْدَكَ كُلَّ مَجْدٍ وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكَ خَالِي
يَمُرُّ بِقَبْرِكَ أَلْعَافِي فَيَبْكِي وَيَسْغُلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ السُّوَالِ
وَمَا أَهْدَاكَ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ لَوْ أَنَّكَ تَقْدِيرِينَ عَلَى فَعَالِ
بِعَيْشِكَ هَلْ سَلَوْتُ فَإِنَّ قَلْبِي وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكَ غَيْرُ سَالِ
نَزَلْتُ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ بَعُدْتُ عَنِ النُّعَامِ وَالشَّمَالِ
نَحْبُ عَنْكَ رَائِحَةُ الْحَزَائِي وَتَمْنَعُ مِنْكَ أُنْدَاءُ الطَّلَالِ
يَدَارُ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنَبْتُ الْحِبَالِ
حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الْمُرْنِ فِيهِ كَثُومُ السِّرِّ صَادِقَةُ الْمَقَالِ
يُعَلِّمُهَا نِطَاسِي الشُّكَايَا وَوَاحِدُهَا نِطَاسِي الْمَعَايِ
إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً بِغَيْرِ سَقَاهُ أَسِنَّةُ الْأَسَلِ الطَّوَالِ
وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَلَا اللَّوَاتِي تُعَدُّ لَهَا الْقُبُورُ مِنَ الْحِجَالِ
وَلَا مِنْ فِي جَنَازَتِهَا تِجَارٌ يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النَّعَالِ
مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَهَا حُفَاةً كَانَ الْمُرُوْ مِنْ زِفِّ الرِّبَالِ
وَأَبْرَزَتْ الْخُدُورُ مُخَبَّاتٍ يَضَعْنَ النَّفْسَ أَمَكِنَةَ الْغَوَالِ
أَتَمَّنَّ الْمُصِيبَةُ غَافِلَاتٍ قَدَمُ الْحُزْنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ
وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفَضَّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
وَمَا التَّائِيْتُ لِأَسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلرِّجَالِ
وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا قِيلَ الْفَقْدُ مَقْشُودَ الْمِثَالِ
يُدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمَشِي أَوْ آخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِ

وله أيضاً يرثي والده سيف الدولة وقد توفيت بميفارقين

وجاءه الخبر بموتها الى حلب

نُعِدُّ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي
وَزَرَّتِطُ السَّوَابِقِ مُقَرَّبَاتِ
وَمَنْ لَمْ يَعَشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا
نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبِ
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابْتَنِي سِهَامُ
وَهَانَ فَمَا أَبَالِي بِالرِّزَايَا
وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طَرًّا
كَانَ الْمَوْتُ لَمْ يَجْمَعْ بِنَفْسِ
صَلَاةُ اللَّهِ خَالِفَنَا خُوطُ
عَلَى الْمَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْنًا
فَإِنَّ لَهُ بَطْنَ الْأَرْضِ شَخْصًا
وَمَا أَحَدٌ يُخَلِّدُ فِي الْبَرَايَا
أَطَابَ النَّفْسَ أَنَّكَ مِتَّ مَوْتًا
وَزَلْتَ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيمًا
رِوَاقُ الْعِزِّ حَوْلَكَ مُسَبِّطُ
سَقَى مَشَوَاكِ غَادٍ فِي الْغَوَادِي
وَتَقْتُلْنَا الْمُنُونَ بِلَا قِتَالِ
وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ الْأَيَالِي
وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَصَالِ
نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالِ
فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ
لَأَنِّي مَا أَنْتَفَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي
لِأَوَّلِ مَيِّتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ
وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ
عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفَنِ بِالْجَمَالِ
وَقَبْلَ الْلَحْدِ فِي كَرَمِ الْجَلَالِ
جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهُوَ بَالِي
بَلِ الدُّنْيَا تَوَوُّلُ إِلَى زَوَالِ
تَمَّتْهُ الْبَوَاقِي وَالْخَوَالِي
يُسَرُّ الرُّوحُ فِيهِ بِالزَّوَالِ
وَمُلْكُ عَلِيٍّ أَيْنُكَ فِي كَمَالِ
نَظِيرُ نَوَالٍ كَيْفِكَ فِي النَّوَالِ

وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقَرَّعُ
وَصَلَّتْ إِلَيْكَ يَدُ سَوَاءٍ عِنْدَهَا الْبَازُ الْأَشْيَبُ وَالْغَرَابُ الْأَبْقَعُ
مَنْ لِلْمَحْافِلِ وَالْمَحْافِلِ وَالسُّرَى وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً
فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نِيرًا لَا يَطْلُعُ ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ
فُجَاءًا لَوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ أَمُوتُ مِثْلُ أَبِي شَجَاعٍ فَاتِكِ
وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِي الْأَوْكُ وَقَفَا يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَضَعُ
وَأَخَذَتْ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ وَتَرَكْتَ أَنْتِ رِيحَةَ مَذْمُومَةٍ
وَجَهْلُهُ لَهْ مِنْ كُلِّ لُومٍ يُرْقِعُ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِي الْأَوْكُ
وَقَفَا يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَضَعُ وَأَخَذَتْ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ
وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَضْوَعُ دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَّلَعُ
وَأَوْتِ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَالْأَذْرَعُ فَوْقَ الْقَنَاقَةِ وَلَا حُسَامٌ يَلْمَعُ
بَعْدَ اللَّزُومِ مُشِيعٌ وَمُودِعٌ وَاسِيفُهُ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتِعُ
كَبْرَى تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابَ وَتُخَضِّعُ أَوْ حَلَّ فِي غَرْبٍ فَفِيهَا تَبَعُ
فَرَسًا وَلَكِنَّ النِّيَّةَ أَسْرَعُ رُفْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعُ

وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً
تَصْنُفُ الْحَيَاةَ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ
وَلَمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ
تَخْلَفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا
لَمْ يُرِضْ قَلْبَ أَبِي شَجَاعٍ مَبْلَغُ
كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا
أَلْجَدُ أَخْسَرُ وَالْمَكَارِمُ صَفْقَةٌ
وَالنَّاسُ أُنْزِلُ فِي زَمَانِكَ مَنَزِلًا
بَرْدُ حَشَايَ إِنْ أَسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ
مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا
وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَا تُلَمُّ مِلَّةً
وَيَدُّ كَانَ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا
يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً
مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرِ فَادِحٍ
فَظَلَلْتَ تَنْظُرُ لَا رِمَا حَكَّ شَرْعُ
بِأَبِي الْوَحِيدِ وَجَيْشُهُ مُتَكَثِّرُ

وَيَلِمُ بِي عَثْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْرَعُ
عَمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يَتَوَقَّعُ
وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْحَالِ فَتَطْمَعُ
مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَضْرَعُ
حِينًا وَيَذِرُكُمَا الْفَنَاءُ فَتَتَّبِعُ
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعَهُ مَوْضِعُ
ذَهَبًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقِعُ
وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ
مِنْ أَنْ يَعِيشَ بِهَا الْكَرِيمُ الْأَرْوَعُ
مِنْ أَنْ تُعَالِشَهُمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ
فَلَقَدْ تَضَرَّ إِذَا تَشَاءُ وَتَقَعُ
مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ
إِلَّا نَفَاها عَنْكَ قَلْبُ أَصْمَعُ
فَرَضُ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبْرَعُ
أَنِّي رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تَنْزَعُ
حَتَّى لَيْسْتَ الْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
حَتَّى أَتَى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ
فِيمَا عَرَاكَ وَلَا سُوفَكَ قُطْعُ
يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السِّلَاحِ الْأَذْمَعُ

وَأَنْتَهِىَ الْيَأْسُ مِنْكَ وَاسْتَشْعَرَ الْوَجْدُ بِأَنْ لَا مَعَادَ حَتَّى الْمَعَادِ
 هَجَدَ السَّاهِرُونَ حَوْلَكَ لِلتَّمْرِ يَضِيحُ وَنَحْجُ لِأَعْيُنِ الْعُجَّادِ
 لَا يُغَيِّرُكُمْ الصَّعِيدُ وَكُونُوا فِيهِ مِثْلَ السُّيُوفِ فِي الْأَعْمَادِ
 فَعَزِزْتُ عَلَى خَلَطِ اللَّيَالِي رِمَّ أَقْدَامِكُمْ بِرِمِّ الْهُوَادِي
 كُنْتَ خَلَّ الصَّبَا فَلَمَّا أَرَادَ السَّيْنُ وَافَقَتْ رَأْيَهُ فِي الْمُرَادِ
 وَرَأَيْتَ الْوَفَاءَ لِلصَّاحِبِ الْأَوَّلِ مِنْ شِمَةِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ
 وَخَلَعْتَ الشَّبَابَ غَضًّا فَيَا لَيْسَتْكَ أَتْلَيْتَهُ مَعَ الْأَنْدَادِ
 فَأَذْهَبَا خَيْرَ ذَاهِبَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ بِسُقْيَا رَوَائِحِ وَغَوَادِ
 وَمَرَاتٍ لَوْ أَنَّهُنَّ دُمُوعٌ لَحَمُونَ السُّطُورَ فِي الْإِنْشَادِ
 فَلْيَكُنْ لِلْمُحْسِنِ الْأَجَلُ الْمَمْلُوكُ دُودُ رَغْمًا لِأَنْفِ الْحُسَّادِ
 وَلَيَطِبَّ عَنْ أَخِيهِ نَفْسًا وَأَبْنَا أَخِيهِ جِرَاحِ الْأَكْبَادِ
 وَإِذَا التَّجَرُّعَاضَ عَنِّي وَلَمْ أَرِ فَلَا رِيَّ بِأَذْخَارِ الثَّمَادِ
 كُلُّ يَتِّ لَاهْدَمَ مَا تَبَتَّنِي الْوَرَقَاءُ وَالسَّيِّدُ الرَّفِيعُ الْعِمَادِ
 وَالْأَلَيْبُ الْأَلَيْبُ مَنْ لَيْسَ يَغْتَسِرُ بِكَوْنِ مَصِيرِهِ لِلْفَسَادِ

قال ابو الطيب المتنبي يرثي ابا شجاع فاتك

١١٢

الْحُزْنُ يُقَلِّقُ وَالتَّجَمُّلُ يَزْدَعُ وَالْدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِي طَبَعُ
 يَتَنَارَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدِ هَذَا يَحْيَى بِهَا وَهَذَا يَرْجِعُ
 النَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرُ وَاللَّيْلُ مَعِيَ وَالْكَوَاكِبُ ظَلَعُ
 لِي لَأَجِبُنْ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتُحْسِنُ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَتَجَمُّعُ

أَبْنَاتِ الْهَدِيلِ أَسْعِدْنَ أَوْعِدْنَ قَلِيلَ الْعَزَاءِ بِالْإِسْعَادِ
فَتَسْلَبْنَ وَأَسْتَعِرْنَ جَمِيعًا مِنْ قَيْصِ الدُّحَى ثِيَابَ حِدَادِ
ثُمَّ غَرَّدْنَ فِي الْمَأْتِمِ وَأَنْدَبْنَ بِشَجْوٍ مَعَ الْقَوَانِي الْخِرَادِ
قَصَدَ الدَّهْرُ مِنْ أَبِي حَمْزَةَ الْأَوْمِ ابْنَ مَوْلَى حَجَّيْ وَخِذْنَ اقْتِصَادِ
وَفَقِيهًا أَفْكَارَهُ شِدْنَ لِلنَّهْ مَانَ مَا لَمْ يَشْدهُ شِعْرُ زِيَادِ
فَالْعِرَاقِيُّ بَعْدَهُ لِلْحَجَّازِيِّ م قَلِيلُ الْخِلَافِ سَهْلُ الْقِيَادِ
وَحَظِيبًا لَوْ قَامَ بَيْنَ وَحُوشِ عِلْمِ الصَّارِيَاتِ بَرُّ النِّقَادِ
رَأَوِيًا لِلْحَدِيثِ لَمْ يُخْجِجِ الْمَلَّةَ رُوفَ مَنْ صَدَّقَهُ إِلَى الْإِسْنَادِ
أَنْفَقَ الْعُمْرَ نَاسِكًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ مَ يَكْشِفُ عَنْ أَصْلِهِ وَانْتِقَادِ
مُسْتَقِي الْكَفِّ مِنْ قَلْبِ زَجَاجِ بَغْرُوبِ الْيَرَاعِ مَاءٌ مِدَادِ
ذَا بَنَانٍ لَا تَلْمَسُ الذَّهَبَ الْأَحْمَرُ مَرَزُهُدًا فِي الْعُسْجِدِ الْمُسْتَفَادِ
وَدَعَا أَيُّهَا الْخَفِيَّانِ ذَاكَ أَلَمْ شَخْصَ إِنْ الْوَدَاعَ أَيْسَرُ زَادِ
وَأَغْسَلَاهُ بِالْذَّمِّ إِنْ كَانَ طَهْرًا وَادْفَنَاهُ بَيْنَ الْحَشَى وَالْقَوَادِ
وَأَحْبَوَاهُ الْأَكْفَانِ مِنْ وَرَقِ الْمُهْ حَفِ كِبْرًا عَنْ أَنْفُسِ الْأَبْرَادِ
وَأَتْلَوْا النَّعْشَ بِالْقِرَاءَةِ وَالنَّسْ يَجِ لَا بِالنَّحْبِ وَالْتَفَادِ
أَسَفٌ غَيْرُ نَافِعٍ وَاجْتِهَادٌ لَا يُودِّي إِلَى غِنَاءِ اجْتِهَادِ
طَالَمَا أَخْرَجَ الْحَزِينَ جَوَى الْحَزْ نَ إِلَى غَيْرِ لَا يُقِي بِالسَّدَادِ
كَيْفَ أَصْبَحْتَ فِي مَحَلِّكَ بَعْدِي يَا جَدِيرًا مِنِّي بِحُسْنِ اقْتِفَادِ
قَدْ أَقَرَّ الطَّبِيبُ عَنْكَ بِعِزِّ وَتَقَضَّى تَرَدُّدُ الْعُمُودِ

سَلِّمْ إِلَى اللَّهِ فَكُلُّ الَّذِي سَاءَكَ أَوْ مَرَّكَ مِنْ عِنْدِهِ
لَا يَغْدَمُ الْأَنْسَرُ فِي غَايِهِ حَتْفًا وَلَا الْأَبْيَضُ فِي غَمْدِهِ
يُنَّ الَّذِي الْوَحْشَةُ فِي دَارِهِ تُؤْنِسُهُ الرَّحْمَةُ فِي لَحْدِهِ
لَا أَوْحِشْتَ دَارَكَ مِنْ شَمْسِهَا وَلَا خَلَا غَائِبَكَ مِنْ أَسَدِهِ

ولاي العلاء المعري في فقيه حنفي

٥٥

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتَادِي نَوْحُ بَاكِ وَلَا تَرْنُمُ شَادٍ
وَشَبِيهَ صَوْتِ النَّعِيِّ إِذَا قِيدَ سَرَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ
أَبَكَّتْ تِلْكَمُ الْحَمَامَةُ أَمَّ غَنَّتْ عَلَى فَرْعِ غَضَنِهَا الْمِلَادِ
صَاحُ هُذِي قُبُورُنَا تَمَلَّاهُ الرُّحْدُ بَاقَيْنِ الْقُبُورِ مِنْ عَهْدِ عَادِ
خَفَّفَ الْوُطْأَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ آلِ أَرْضٍ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
وَقَبِيحُ بِنَا وَإِنْ قَدَّمَ الْعَمَهُ دُ هَوَانُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
سِرٌّ أَنْ أَسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُؤَيْدًا لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُقَاتِ الْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضَاحِكٍ مِنْ تَرَاخُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْأَبَادِ
تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعَى حَبُّ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي أَرْضِيَادِ
إِنْ خُرْنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِلَادِ
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لِي إِلَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ
ضُجْعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ أَلِ جِسْمُ فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلُ السَّهَادِ

وَنَجْدُهُ أَفْعَالُهُ لَا الَّذِي مِنْ قَبْلِهِ كَانَ وَلَا بَعْدِهِ
لَوْلَا سَجَايَاهُ وَأَخْلَاقُهُ لَكَانَ كَالْمَعْدُومِ فِي وَجْدِهِ
تَشْتَاقُ أَيَّارَ نَفُوسِ الْوَرَى وَإِنَّمَا الشَّوْقُ إِلَى وَرْدِهِ
تَدْعُو بِطُولِ الْعُمُرِ أَفْوَاهُنَا لِمَنْ تَنَاهَى الْقَلْبُ فِي وَدِّهِ
يُسِرُّ إِنْ مَدَّ بَقَاءَهُ لَهُ وَكُلُّ مَا يَكْرَهُ فِي مَدِّهِ
أَفْضَلُ مَا فِي النَّفْسِ يَتَقَالَمَا فَلَسْتَعِذُ اللَّهَ مِنْ جُنْدِهِ
كَمْ صَابِرٍ عَنْ قُبْلَةٍ خَدَّهُ سَلَّطَتِ الْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ
وَحَامِلٍ ثِقَلِ الثَّرَى حِيدَهُ وَكَانَ يَشْكُو الضَّعْفَ مِنْ عَقْدِهِ
وَرُبَّ ظَمَانٍ إِلَى مَوْرِدٍ وَالمَوْتُ لَوْ يَعْلَمُ فِي وَرْدِهِ
وَمُرْسِلِ الْفَارَةِ مَبْثُوثَةً مِنْ أَذْهَمِ اللَّوْنِ وَمِنْ وَرْدِهِ
يَخُوضُ بَحْرًا نَعْمُهُ مَاوُهُ يَحْمِلُهُ السَّالِجُ فِي لَبْدِهِ
أَسْمِعْ مَنْ قَلْبَ خَطِيئَةٍ عَلَى طَوِيلِ الْبَاعِ مُتَمَدِّهِ
رَى وَقُوعَ الزُّرْقِ فِي دِرْعِهِ مِثْلَ وَقُوعِ الزُّرْقِ فِي جِلْدِهِ
لَا يَصِلُ الرِّيحُ إِلَى طَرَفِهِ وَلَا إِلَى الْمُحْكَمِ مِنْ سَرْدِهِ
يُلْقَى عَلَيْهِ الطَّغْنُ إِلقاءَكَ أَوْ حَسْبَ عَلَى الْمُسْرِعِ فِي عَقْدِهِ
بِلُحْظَةٍ مِنْهُ فَمَا دُونَهَا يَرُدُّ غَرْبَ الْجَيْشِ عَنْ قَصْدِهِ
أَمَلَهُ الدَّهْرُ فَأَوْدَى بِهِ مَبِيضُهُ يُجْدَى بِمُسَوْدِهِ
فَيَا أَخَا الْمَفْقُودِ فِي خَمْسَةِ كَأَشْهَبِ مَا سَلَكَ عَنْ فَقْدِهِ
جَاءَكَ هَذَا الْحُزْنُ مُسْتَجِدًّا أَجْرَكَ فِي الصَّبْرِ فَلَا تُجْدِهِ

لَيْسَ الَّذِي يُبْكِي عَلَى وَصْلِهِ مِثْلَ الَّذِي يُبْكِي عَلَى صَدِّهِ
وَالطَّرْفُ يَرْتَاحُ إِلَى غَضَبِهِ وَلَيْسَ يَرْتَاحُ إِلَى سَهْوِهِ
كَانَ الْأَسَى فَرَضًا لَوَانِ الرَّدَى قَالَ لَنَا أَفْدُوهُ فَلَمْ نَفِدِهِ
هَلْ هُوَ إِلَّا طَالِعٌ لَهْدَى سَارَ مِنَ التُّرْبِ إِلَى سَعْدِهِ
فَبَاتَ أَدْنَى مِنْ يَدِ بَيْتِنَا كَأَنَّهُ الْكَوْكَبُ فِي بُعْدِهِ
يَادْهَرُ يَا مُنْجِزَ إِيْعَادِهِ وَتُخْلَفُ الْأُمُومُ مِنْ وَعْدِهِ
أَيُّ جَدِيدٍ لَكَ لَمْ تُبْلِهِ وَأَيُّ أَقْرَانِكَ لَمْ تُرْدِهِ
تَسْتَأْسِرُ الْعُقْبَانَ فِي جَوْهَا وَتُنْزِلُ الْأَعْصَمَ مِنْ فِدِهِ
أَرَى ذَوِي الْفَضْلِ وَأَضْدَادَهُمْ يَجْمَعُهُمْ سَيْلُكَ فِي مَدِّهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ رُشْدُ الْقَتَى نَافِعًا فَفِيهِ أَنْفَعُ مِنْ رُشْدِهِ
تَجْرِبَةُ الدُّنْيَا وَأَفْعَالُهَا حَسَتْ أَخَا الزُّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ
إِنْ زَمَانِي بَرَزَايَاهُ لِي صَيَّرَنِي أَمْرُحُ فِي قَدِّهِ
كَأَنَّنَا فِي كَفِّهِ مَالُهُ يُنْفِقُ مَا يُخْتَارُ مِنْ نَقْدِهِ
لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مِقْدَارَهُ لَمْ يَفْخَرْ الْمَوْلَى عَلَى عَبْدِهِ
أَضْحَى الَّذِي أَجَلَ فِي سِنِّهِ مِثْلَ الَّذِي عُوجِلَ فِي مَهْدِهِ
وَلَا يُبَالِي أَلْمِتُ فِي قَبْرِهِ بِذِمِّهِ شَيْعَ أَمِّ حَمْدِهِ
وَالْوَاحِدُ الْمَفْرَدُ فِي حَتْفِهِ كَالْحَاشِدِ الْمَكْثَرِ مِنْ حَشْدِهِ
وَحَالَةُ الْبَاكِي لَا بَابَ لَهُ كَحَالَةِ الْبَاكِي عَلَى وَلَدِهِ
مَارْغَبَةٌ الْحَيِّ بِأَبْنَائِهِ عَمَّا جَنَى الْمَوْتُ عَلَى جَدِّهِ

وَمُبْتَدِرَ الْمَعْرُوفِ تَسْرِي هَبَاتِهِ
فَقِي لَمْ تَكُنْ تَقْلِي الْحُقُودُ بِصَدْرِهِ
وَكُنَّ سَجَايَاهُ يُضِيفُ ضُيُوفَهُ
طَوَاهُ الرَّدَى طَيَّ الرَّدَاءِ وَغَيْبَتْ
طَوَى شَيْمًا كَانَتْ تَرْوَحُ وَتَقْتَدِي
فَيَا عَارِضًا لِلْعُرْفِ أَقْلَعَ مَرْزُهُ
أَلَمْ تَرْنِي أَنْزَفْتُ عَيْنِي عَلَى أَبِي
وَأَخْضَلْتَهَا فِيهِ كَمَا لَوْ أَتَيْتُهُ
وَلَكِنِّي أَطْرِي الْحُسَامَ إِذَا مَضَى
وَأَسَى عَلَى جِحَانِ لَوْ غَاضَ مَاؤُهُ
عَلَيْكَ أَبَا كَلْثُومٍ الصَّبْرَ إِنِّي
يُعَادِلُ وَزْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَلَا أَرَى
فَأَنْتَ سَنَامٌ لِلْفَخَارِ وَغَارِبٌ
وَلَيْسَتْ أَثَافِي الْقَدْرِ إِلَّا ثَلَاثُهَا

لابي العلاء المعري في جعفر بن المهدي

١١٠

أَحْسَنُ بِالْوَاجِدِ مِنْ وَجْدِهِ
وَمَنْ أَبِي فِي الرِّزْقِ غَيْرَ الْأَسَى
فَلْيَذْرِفِ الْجَفْنُ عَلَى جَعْفَرٍ
وَالشَّيْءُ لَا يَكْزُرُ مَدَّاحَهُ

صَبْرٌ يُعِيدُ النَّارَ فِي زَنْدِهِ
كَانَ بُكَاهُ مُنْتَهَى جَهْدِهِ
إِذَا كَانَ لَمْ يُفْتَحْ عَلَى نِدِّهِ
إِلَّا إِذَا قِيسَ إِلَى ضِدِّهِ

وَحَكَّى الصَّارِمَ الْمُحَلَّى سَوَى أَمِّنَ حِلَاهُ جَوَاهِرُ الْأَدَابِ
وَهُوَ غَضُّ الْأَرَاءِ وَالْحَزْمُ خِرْقٌ ثُمَّ غَضُّ النَّوَالِ غَضُّ الشَّبَابِ
قَصَدَتْ تَحْوَهُ الْمَنِيَّةُ حَتَّى وَهَبَتْ حُسْنَ وَجْهِهِ لِلتُّرَابِ

ولبيب يرثي القاسم بن طوق

١٠٩

جَوَى سَاوَرًا الْأَحْشَاءُ وَالْقَلْبَ وَاعْلَاهُ
وَفَاجِعُ مَوْتٍ لَا عَدُوَّ يَخَافُهُ
وَأَيُّ أَخِي عَزَاءٌ أَوْ جَبَرِيَّةٍ
إِذَا مَا جَرَى مَجْرَى دَمِ الْمَرْءِ حَكْمُهُ
سَنَشْكُوهُ إِعْلَانًا وَسِرًّا وَنِيَّةً
فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي رَيْعَةً أَنَّهُ
وَأَنَّ الْحَجِيَّ مِنْهَا اسْتَطَارَتْ صُدُوعُهُ
مَضَى لِلزِّيَالِ الْقَاسِمُ الْوَاهِبُ اللَّهُي
وَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُرِيدُهُ
فَتَى سَيْطَ حُبِّ الْمُسْكِرُمَاتِ بِلُحْمِهِ
فَتَى لَمْ يَذُقْ سُكْرَ الشَّبَابِ وَلَمْ تَكُنْ
فَتَى جَاءَهُ مِقْدَارُهُ وَانْتَلَا الْعُلَى
فَتَى يَنْفُخُ الْأَيَّامُ مِنْ بَلْبِيبِ ذِكْرِهِ
لَقَدْ فَجِجَتْ عَتَابُهُ وَزَهْزِهْرُهُ
وَكَانَ لَهُمْ غَمًّا وَعِلْمًا لِمُعْدِمِ

وَدَمْعٌ يَضِيحُ الْعَيْنَ وَالْجَفْنَ هَامِلُهُ
فَيَبْقَى وَلَا يَلْقَى صَدِيقًا يُجَامِلُهُ
يُكَابِذُهُ أَوْ أَيُّ رَامٍ يُكَاضِلُهُ
وَبُتَّتْ عَلَى طُرُقِ النُّفُوسِ حَبَائِلُهُ
شَكَاةً مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ يُقَاتِلُهُ
تَشَعُّ طَلُّ الْجُودِ مِنْهَا وَوَابِلُهُ
وَأَنَّ النَّدَى مِنْهَا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يُزَايِلْنَا لَكُنَّا زُرَّابِلُهُ
بِفَجْعٍ وَلَوْ أَنَّ الْمُنَايَا تَرَايِلُهُ
وَخَامَرُهُ حَقُّ السَّمَّاحِ وَبَاطِلُهُ
تَهَبُّ شَمَالًا لِلصَّدِيقِ شَمَائِلُهُ
يَدَاهُ وَعَشْرُ الْمُسْكِرُمَاتِ أَنْامِلُهُ
ثَنَاءً كَأَنَّ الْغُبَرَ الْوَرْدَ شَامِلُهُ
وَتَقْلِبُهُ أُخْرَى الْأَيَّامِ وَوَابِلُهُ
فَيَسْأَلُهُ أَوْ بَاحِثٍ فَيَسَائِلُهُ

رَبِّ دَهْرٍ أَصَمَّ دُونَ الْعَتَابِ مُرْصَدٌ بِالْأَوْحَالِ وَالْأَوْصَابِ
جَفَّ دُرُّ الدُّنْيَا فَقَدْ أَصْبَحَتْ تَكْتَالُ أَرْوَاحًا بِغَيْرِ حِسَابِ
إِنَّ رَبَّ الزَّمَانِ يُحْسِنُ أَنْ يَهْدِيَ الرَّزَايَا إِلَى ذَوِي الْأَحْسَابِ
فَلِذَا يَجِفُّ بَعْدَ اخْضِرَارٍ قَبْلَ رَوْضِ الْوَهَادِ رَوْضُ الرِّوَايِ
لَمْ تَذُرْ عَيْنُهُ عَنِ الْحُمْسِ حَتَّى ضَعُفَتْ رُكْنُ خَيْرِ الْأَرْبَابِ
بَطَشَتْ مِنْهُمْ بُلُوْلَةٌ الْقَوَاصِ حُسْنًا وَدُمِيَّةُ الْحَرَابِ
بِالصَّرِيحِ الصَّرِيحِ وَالْأَزْوَعِ الْأَرْوَاعِ مِنْهُمْ وَبِاللُّبَابِ اللَّبَابِ
ذَهَبَتْ يَا مُحَمَّدُ الْفُرُ مِنْ أَيَّامِكَ الْوَاضِحَاتِ أَيَّ ذَهَابِ
عَبَسَ الْحَدُّ وَالْتَرَى مِنْكَ وَجْهًا غَيْرَ مَا عَابَسَ وَلَا قَطَّابِ
أَطْفَأَ الْحَدُّ وَالْتَرَى لُبَّكَ الْمُسْتَرْجَ فِي وَقْتِ ظِلْمَةِ الْأَلْبَابِ
وَتَبَدَّلَتْ مَنْزِلًا ظَاهِرَ الْجَدِّ بِ يُسَمَّى مُقَطَّعَ الْأَسْبَابِ
مَنْزِلًا مُوَحِّشًا وَإِنْ كَانَ مَعْمُورًا بِجُلِّ الصَّدِيقِ وَالْأَحْبَابِ
يَا شَهَابًا خَبَا لِأَلِ عِيْدِ اللَّهِ أَغْرَزَ بِفَقْدِ هَذَا الشَّهَابِ
زَهْرَةٌ غَضَّةٌ تَفْتَحُ عَنْهَا أَلْجَدُّ فِي مَنِيَّتِ أَنْيَقِ الْجَنَابِ
خُلُقٌ كَالْمُدَامِ أَوْ كَرُضَابِ الْمِسْكِ أَوْ كَالْعَمِيرِ أَوْ كَالْمَلَابِ
وَحَيَاءٌ أَهْيَكَ فِي غَيْرِ عِيٍّ وَصَبًا مُشْرِقٌ بِغَيْرِ تَصَايِ
أَنْزَلَتْهُ الْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ اثْبَاتِ رِجْلِهِ فِي الرِّكَابِ
حِينَ سَامَى الشَّابَّ وَاعْتَدَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ مَفْتُوحَةً الْأَبْوَابِ

وَالنَّاسُ كَالْعَيْنِ إِنْ نَقَدْتَهُمْ
يَاطَالِبُ الْجُودِ قَدْ قَضَى عُمْرُ
وَيَا مُنَادِيَ النَّدَى لِيُذِرْكُهُ
مَضَى الَّذِي كَانَ لِلْأَنَامِ أَبَا
وَسَارَ فَوْقَ الرِّقَابِ مُطَرِّحًا
مُقَلَّبَاتِ السُّرُوجِ شَاخِصَةً
وَحَلَّ دَارًا ضَاقَتْ بِسَاكِنِهَا
كَأَنَّهُ لَمْ يَطُلْ إِلَى رَبِّ
وَلَمْ يَمُهِدْ لِلْمَلِكِ قَاعِدَةً
وَلَمْ يُقْبَلْ لَهُ الْمُلُوكُ يَدًا
وَلَمْ يَقْدِرْ لِلْحُرُوبِ أَسَدًا وَغَى
أَيُّنَ الَّذِي كَانَ لِلْوَرَى سَنَدًا
أَيُّنَ الَّذِي إِنْ سَرَى إِلَى بَلَدٍ
أَيُّنَ الَّذِي يَحْفَظُ الزِّمَامَ لَنَا
يَا نَاصِرَ الدِّينِ وَابْنَ نَاصِرِهِ
وَصَاحِبَ الرُّتَبَةِ الَّتِي وَطَّئَتْ
يُثْنِي عَلَيْكَ الْوَرَى وَمَا شَهِدُوا
بِكَيْكَ مَا لَوْفَكَ أَلْتَقَى أَسْفَا

تَفَاوَتْ عِنْدَ نَقْدِكَ الْقِيمُ
فَكُلُّ جُودٍ وَجُودُهُ عَدَمُ
أَقْصِرْ قَفِي مَسْمَعِ النَّدَى صَمَمُ
فَالْيَوْمَ كُلُّ الْأَنَامِ قَدْ يَتَمَوُا
وَحَوْلَهُ الصَّافِنَاتُ تَزْدَحِمُ
لَهَا زَفِيرٌ ذَابَتْ بِهِ الْجُجُمُ
وَدُونَ أَدْنَى ذِيَارِهِ إِرْمُ
تَقْصُرُ مِنْ دُونَ نَيْلِهَا الْهَمَمُ
بِهَا عِيُونُ الْعُقُولِ تَحْتَلِمُ
تَرْغَبُ فِي سِلْمِهَا فَتَسْتَلِمُ
تَسْرِي بِهَا مِنْ رِمَاحِهَا أَجْمُ
وَرَحْبُ أَكْنَافِهِ لَهَا حَرَمُ
لَا ظُلْمَ يَبْقَى بِهِ وَلَا ظُلْمُ
إِنْ خَفِرَتْ عِنْدَ غَيْرِهِ الدِّمَمُ
وَمَنْ بِهِ فِي الْخُطُوبِ يُعْتَصَمُ
لَهَا عَلَى هَامَةِ السُّهَى قَدَمُ
مِنْ السَّجَايَا إِلَّا بِمَا عَلِمُوا
وَصَاحِبَاكَ الْعَفَافُ وَالْكَرَمُ

لَقَدْ عَزَى رَبِيعَةً أَنَّ يَوْمًا عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ
وَمِثْلَكَ مَنْ قَصَدَنَ لَهُ الْمُنَايَا بِأَسْهَمَهَا وَهَنَّ لَهُ جُنُودُ
سَقَى جَدًّا أَقَامَ بِهِ يَزِيدُ مِنَ الْوُسْطَى بِسَامٍ رَعُودُ
لِيَذْهَبَ مَنْ أَرَادَ فَلَسْتُ أَسَى عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ يَا يَزِيدُ

وقال صفي الدين الحلي يريثي الملك ناصر الدين عمر

١٠٧

بَكَى عَلَيْكَ الْحَسَامُ وَالْقَلَمُ وَأَنْفَجَعَ الْعِلْمُ فِيكَ وَالْعِلْمُ
وَصَنَجَتْ الْأَرْضُ فَالْعِبَادُ بِهَا لَاطِمَةٌ وَالْبِلَادُ تَلْتَظِمُ
تُظْهِرُ أَحْزَانَهَا عَلَى مَلِكٍ جُلُّ مُلُوكِ الْوَرَى لَهُ خَدَمُ
أَبْلَجَ غَضَّ الشَّبَابِ مُقْتَبِلِ أَوْ مُحْكَمٍ فِي الْوَرَى وَآمِلُهُ
يَجْتَمِعُ الْحُجْدُ وَالشَّاءُ لَهُ وَمَالُهُ فِي الْوَفُودِ يُقْتَسَمُ
يَلْقَاهُ مِنْ بَذْلِهِ الْوَدَى سَامُ بَلْ دُونَهُنَّ إِلَّا لَاءُ وَالنَّعَمُ
وَالْقَاتِلُ الْأَلْفَ وَهُوَ مُقْتَحِمُ وَعَابِسُ وَالسُّيُوفُ تَبْتَسِمُ
إِنْ لَمْ تُجَرِّدْ مِنْ قَبْلِهِ الْهَمَمُ كَأَنَّهَا فِي يَمِينِهِ قَلَمُ
لَمْ يَعْلَمْ الْعَالِمُونَ مَا فَقَدُوا مِنْهُ وَلَا الْأَقْرَبُونَ مَا عَدِمُوا
مَا فَقَدُوا فَرْدٍ مِنَ الْأَنَامِ كَمَنْ يَلْقَاهُ مِنْ بَذْلِهِ الْوَدَى سَامُ

بَكَى فَقَدَهُ رُوحُ الْحَيَاةِ كَمَا بَكَى
وَأَيَّقَظَ أَجْفَانَا وَكَانَ لَهَا الْكَرَى
نَدَاهُ النَّدَى وَابْنُ السَّيْلِ الْمُدْفَعُ
وَنَامَتْ عُيُونٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تَهْجَعُ

انشد ابو محمد الليثي في يزيد بن مزيد

١٠٦

أَحَقُّ أَنَّهُ أَوْدَى يَزِيدُ
أَحَامِي الْمُلْكِ وَالْإِسْلَامِ أَوْدَى
تَأَمَّلْ هَلْ تَرَى الْإِسْلَامَ مَالَتْ
أَمَا هَدَّتْ لِمَصْرَعِهِ زِرَارُ
وَجَلَّ ضَرِيحُهُ إِذْ حَلَّ فِيهِ
فَمَنْ يَحْمِي حِمَى الْإِسْلَامِ أَمْ مَنْ
وَأَيْنَ يَوْمٌ مُنْتَجِعٌ وَلَا جِ
فَلَوْ قَبِلَ الْقَدَاءُ قَدَاهُ مِنَّا
أَبْعَدَ يَزِيدَ تَحْتَرِنُ الْبَوَاكِي
وَإِنْ تَجْمَدُ دُمُوعُ لَيْمٍ قَوْمٍ
وَإِنْ يَكُ غَالَهُ دَهْرٌ لَمْ قَدْ
فَإِنْ يَكُ عَنْ خُلُودٍ قَدْ دَعَتْهُ
فَمَا أَوْدَى أَمْرُوهُ أَوْدَى وَابْقَى
لَيْبِكَ خَامِلٌ نَادَاكَ لَمَّا
وَيَبِكَ شَاعِرٌ لَمْ يُبْقِ دَهْرُ
أُصِيبَ الْمَجْدُ وَالْإِسْلَامُ لَمَّا
فَبَيْنَ أَيَّهَا النَّاعِي الْمَشِيدُ
فَمَا لِلْأَرْضِ وَنِيْحِكَ لَا تَمِيدُ
دَعَائِمُهُ وَهَلْ شَابَ الْوَلِيدُ
بَلَى وَتَقَوَّضَ الْمَجْدُ الْمَشِيدُ
طَرِيفُ الْمَجْدِ وَالْمَجْدُ تَلِيدُ
يَذُبُّ عَنِ الْإِكَارِهِ أَوْ يَذُودُ
وَأَيْنَ تَحْطُ أَرْحَلَهَا الْوُفُودُ
بِمُحْجَتِهِ الْمُسَوْدُ وَالْمُسَوْدُ
دُمُوعًا أَوْ تُصَانُ لَهُ الْخُدُودُ
فَلَيْسَ لِدَمْعٍ ذِي حَسَبٍ جَمُودُ
يُفَادَى مِنْ مَخَافَتِهِ الْأُسُودُ
مَآثِرُهُ فَكَانَ لَهَا الْخُأُودُ
لَوَارِثِهِ مَكَارِمَ لَا تَبِيدُ
تَوَاكَلَهُ الْأَقَارِبُ وَالْبَعِيدُ
لَهُ نَشَبًا وَقَدْ كَسَدَ الْقَصِيدُ
أَصَابَكَ بِالرَّدَى سَهْمٌ شَدِيدُ

وَكَيْفَ اتَّقَى مَثْوَى مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقُ
وَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ انْقَضَتْ أَلْفَى
وَرَأَى عَدُوَّ الدِّينِ جَذْلَانِ يَنْتَحِي
وَكَانَ حُمَيْدٌ مَعْقِلًا رَكَمَتْ بِهِ
وَكُنْتُ أَرَاهُ كَالرَّزَايَا رُزِئَتْهَا
لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِينَا أَلْمَنِيَا بِثَارِهَا
نَعَاءُ حُمَيْدًا لِلْسَّرَايَا إِذَا غَدَتْ
وَلِلْمَرْهَقِ الْمَكْرُوبِ ضَاقَتْ بِأَمْرِهِ
وَلِلْيَاسِ حَلَّتْهَا الْبُعُولُ وَلَمْ يَدْعُ
كَانَ حُمَيْدًا لَمْ يَقْدِرْ جَيْشَ عَسْكَرٍ
وَلَمْ يَبْعَثْ أُخَيْلَ الْمُغِيرَةِ بِالضُّحَى
رَوَّاجِعُ يَحْمِلُنَ النَّهَابَ وَلَمْ تَكُنْ
هُوَ جَبَلُ الدُّنْيَا الْمُنِيعُ وَغِيثُهَا أَوْ
وَسَيْفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ
فَأَقْبَعَهُ مِنْ مُلْكِهِ وَرِبَاعِهِ
عَلَى أَيِّ شَجْوٍ تَشْتَكِي النَّفْسُ بَعْدَهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ السُّمَرَ حَالٌ ضَيَّائُهَا
وَأَوْحَشَتِ الدُّنْيَا وَأَوْدَى بِهَائِهَا
وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ مُطْمَئِنَّةً

عَلَى جَبَلٍ كَانَتْ بِهِ الْأَرْضُ تُنَمُّعُ
وَأَضْحَى بِهِ أَنْفُ الدُّنْيَا وَهُوَ أَجْدَعُ
أَمَانِي كَانَتْ مِنْ حَشَاةٍ تُقَطِّعُ
قَوَاعِدُ مَا كَانَتْ عَلَى الضَّمِيمِ تَرْكُمُ
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْخَلْقَ تَبْكِيهِ أَجْمَعُ
وَحَلَّتْ بِخَطْبٍ وَهَيْهِ لَيْسَ يَرْفَعُ
تَذَادُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَتَوَزَعُ
فَلَمْ يَذِرْ فِي حَوَالَتِهَا كَيْفَ يَضَعُ
لَهَا غَيْرَهُ دَائِي الصَّبَاحِ الْمَفْرَعُ
إِلَى عَسْكَرٍ أَشْيَاعُهُ لَا تُرَوِّعُ
مِرَاحًا وَلَمْ يَرْجِعْ بِهَا وَهِيَ ظَلَعُ
كِتَابُهُ إِلَّا عَلَى النَّهْبِ تَرْجِعُ
مَرِيعُ وَحَامِيهَا الْكَمِي الْمَشِيعُ
وَمِفْتَاحُ بَابِ الْخُطْبِ وَالْخُطْبِ أَفْطَعُ
وَنَالِيهِ قَفْرٌ مِنَ الْأَرْضِ بَلَقَعُ
إِلَى شَجْوِهِ أَوْ يَذْخُرُ الدَّمْعُ مَدْمَعُ
عَلَيْهِ وَأَضْحَى لَوْحَهَا وَهُوَ أَسْفَعُ
وَأَجْدَبَ مَرَعَاهَا الَّذِي كَانَ يَمِيعُ
فَقَدْ جَعَلَتْ أَوْتَادُهَا تَقْلَعُ

وَلَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أَدَافِعَ عَنْهُمْ
وَإِذَا الْمُنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَانَ جُفُونَهَا
وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمْ
حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرُوءَةٌ
لَا بُدَّ مِنْ تَلَفٍ مُقِيمٍ فَانْتَظِرْ
وَلَقَدْ أَرَى أَنَّ الْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ
وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ يَوْمًا مَرَّةً
فَلَيْنَ بِهِمْ فَجَعَ الزَّمَانُ وَرَبِيهُ
وَإِذَا الْمُنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
أَلْقَيْتَ كُلَّ تَيْمَةٍ لَا تَنْفَعُ
كَلَحَتْ بِشَوْلٍ فَهِيَ عَوْرٌ تَدْمَعُ
أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُ
نِصْفَ الْمُسْقَرِّ كُلَّ يَوْمٍ تُقَرِّعُ
أَبَارِضِ قَوْمِكَ أَمْ بِأُخْرَى الْمَضْجَعُ
وَلَسَوْفَ يُوَلِّعُ بِالْبُكَاءِ مَنْ يُفْجَعُ
يَبْكِي عَلَيْكَ مُعَنَّاءَ لَا تَسْمَعُ
إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفْجَعُ

وقال في الطفل الذي بقي له

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَنْفَعُ

قال الاصمعي : هذا افضل بيت قالته العرب

عينية علي بن جبلة في حميد الطوسي

١٠٥

أَلَلَّ الدَّهْرُ تَبْكِي أُمَّ عَلَى الدَّهْرِ تَجَزَّعُ
وَلَوْ سَهَّلْتَ عَنْكَ الْأَسَى كَانَ فِي الْأَسَى
تَعَزُّبًا عَزِيَّتَ غَيْرِكَ إِنَّهَا
أَصْبَنَا يَوْمَ فِي حَمِيدٍ لَوْ أَنَّهُ
وَأَدَبْنَا مَا آدَبَ النَّاسَ قَبْلَنَا
أَلَمْ تَرَ لِلْأَيَّامِ كَيْفَ تَصَرَّمَتْ
وَمَا صَاحِبُ الْأَيَّامِ إِلَّا مُفْجَعُ
عَزَاءُ مُعَزٍّ لِلْيَبِّ وَمُفْنِعُ
سِهَامُ الْمُنَايَا حَامِئَاتٌ وَوَقَّعُ
أَصَابَ عُرُوشِ الدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضَعُضَعُ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِلصَّبْرِ مَوْضِعُ
بِهِ وَبِهِ كَانَتْ تُذَادُ وَتُدْفَعُ

مَتَى الْعَهْدُ بِالْأَهْلِ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ
 فَمَا تَرَكَ الطَّاعُونَ فِي ذِي قَرَابَةٍ
 فَقَدْ أَصْبَحُوا لِأَدَارِهِمْ مِنْكَ غُرَبَةً
 وَكُنْتَ تَرْجِي أَنْ تَوُوبَ إِلَيْهِمْ
 وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ كَوَارِدُ مَنْهَلٍ
 إِلَيْهِ تَسَاهَيْنَا وَلَوْ حَالَ دُونَهُ
 فَهَوْنٌ عَنِّي بَعْضُ وَجْدِي أَنِّي
 وَلَسْنَا بِأَحْيَا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّنَا
 وَإِنِّي إِذَا مَا شِئْتُ لَا قِيْتُ أَسْوَةً
 فَتَى كَانَ ذَا أَهْلٍ وَمَالٍ فَلَمْ يَزَلْ
 وَكَيْفَ عَزَاءُ الْمَرْءِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ
 مَتَى يَذْكُرُوا يَفْرَحُ فُؤَادِي لِذِكْرِهِمْ
 دُمُوعُ سَرَاهَا الشَّجُو حَتَّى كَانَهَا
 إِذَا مَا أَرَدْتُ الصَّبْرَ هَاجَ لِي الْبُكَاءُ
 فَوَجْدِي بِأَهْلِي وَجَدُهَا غَيْرَ أَنَّهُمْ
 لَهُمْ فِي فُؤَادِي بِالْعِرَاقِ نَصِيبٌ
 إِلَيْهِ إِذَا حَانَ الْأَيَّامُ تَوُوبٌ
 بَعِيدٌ وَلَا هُمْ فِي الْحَيَاةِ قَرِيبٌ
 فَقَالَتْهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ شُعُوبٌ
 عَلَى حَوْضِهِ بِالْبَاكِيَّاتِ نُهَيْبٌ
 مِيَاهُ رَوَاءَ كُلِّهِنَّ شَرُوبٌ
 رَأَيْتُ الْمُنَايَا تَقْتَدِي وَتَوُوبٌ
 إِلَى أَجَلٍ نُدْعَى لَهُ فَخَيْبٌ
 تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الْحَزِينِ تَطِيبُ
 بِهِ الدَّهْرُ حَتَّى صَارَ وَهُوَ حَرِيبٌ
 وَلَيْسَ لَهُ فِي الْغَايِرِينَ حَيْبٌ
 وَلَيْسَ جَمْعُ دَمْعٍ بَيْنَهُنَّ نَحِيبٌ
 جَدَاوِلُ تَجْرِي بَيْنَهُنَّ غُرُوبٌ
 فُؤَادُ إِلَى أَهْلِ الْقُبُورِ طُرُوبٌ
 شَبَابُ يَزِينُونَ النَّدَى وَمَشِيبُ

١٠٤ قصيدة أبي ذؤيب الهذلي وهو خويلد بن خالد وكان له اولاد سبعة

فماتوا كلهم الا طفلاً فقال يرثهم

أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَثَتُهَا تَتَوَجَّعُ
 قَالَتْ إِمَامَةٌ مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا
 وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مَنْ يَجْزَعُ
 مُنْذُ ابْتَدَلَتْ وَمِثْلُ مَا لَكَ يَنْفَعُ

وَلَا بَكْهَامٍ نَاصِلٍ عَنْ عَدُوِّهِ
 إِذَا ضَرَسَ الْغَزْوُ الرِّجَالَ وَجَدَتْهُ
 أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ
 تَحِيَّهِ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيًا
 فَكُنَّا كَنَدَمَائِي جَذِيَّةَ حِقْبَةٍ
 فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا
 وَفَقْدُ بَنِي أُمِّي تَوَلَّوْا وَلَمْ أَكُنْ
 وَلَكِنِّي أَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقَدِّمًا
 قَعِيدُكَ أَنْ لَا تَسْمِعَنِي مَلَامَةً
 وَحَسْبُكَ أَنِّي قَدْ جَهَدْتُ فَلَمْ أَجِدْ
 سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَهَا قَبْرُ مَالِكٍ

١٠٣ لشبل بن معبد البجلي يري بنيه وكانوا أصيبوا بالطاعون

أَتَى دُونَ حُلُوِّ الْعَيْشِ حَتَّى أَمَرَهُ
 تَتَابَعَنَ فِي الْأَحْبَابِ حَتَّى أَبَدْنَهُمْ
 بَرْتَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 فَأَصْبَحْتُ إِلَّا رَحْمَةً اللَّهِ مُفْرَدًا
 إِذَا رَدَّ قَرْنُ الشَّمْسِ عَلَّتْ بِالْأَسَى
 وَنَامَ خَلِيُّ الْبَلَالِ عَنِّي وَلَمْ أُنَمْ
 فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ قَذَفْتُ بِنَا
 نُكُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبُ
 فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ فِي الدِّيَارِ غَرِيبُ
 كَمَا تُبْتَرَى دُونَ الْحَاءِ عَسِيبُ
 لَدَى النَّاسِ صَبْرًا وَالْفُؤَادُ كَيْبُ
 وَيَأْوِي إِلَى الْحُزْنِ حِينَ يَوُوبُ
 كَلَّمْ يَنْخَمْ نَائِي الْفَنَاءِ غَرِيبُ
 نَوَى غُرْبَةً عَمَّنْ يُحِبُّ شَطُوبُ

نَدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ
وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
وَبِالرَّمْلِ مَنِي نِسْوَةٍ لَوْ شِئْتُ نِي
فَمِنْهُمْ أُمِّي وَأَبْنَاتُهَا وَخَالَتِي
وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ مِنِّي وَأَهْلِهِ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ
إِذَا مَتَّ فَاغْتَادِي الْقُبُورَ وَسَلَّمِي
تَرَى جَدًّا قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ
فَيَارَاكِبًا إِمَّا عَرَضَتْ فَيَلْفَنُ
وَيَلْبَغُ أَخِي عِمْرَانَ يُؤْذِي وَمُزْرِي
وَسَلَّمَ عَلَى شَيْخِي مِنِّي كُلِّهِمَا
وَعَطَّلَ قُلُوبِي فِي الرِّكَابِ فَأَمَّا
أَقْلَبُ طَرَفِي فَوْقَ رَحْلي فَلَا أَرَى

وقال متمم بن نورة اليربوعي يري أخاه مأكلاً

١٠٢

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ مَالِكٍ
لَقَدْ كَفَنَ الْمُنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ
لَيْبٌ أَعَانَ اللَّبَّ مِنْهُ سَمَاحَةٌ
أَغْرُ كَنْصَلَ السِّيفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى
وَمَا كَانَ وَقَافًا إِذَا الْخَيْلُ أَخْجَمَتْ
وَلَا جَزَعٌ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
فَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
خَصِيبٌ إِذَا مَارَاكِبُ الْجُدْبِ أَوْضَعَا
إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ أَمْرِئِ السُّوءِ مَطْمَعَا
وَلَا طَالِبًا مِنَ خَشْيَةِ الْمَوْتِ مَفْرَعَا

وَأَشْقَرُ خَنْدِيدٍ يَجْرُ عَنَانَهُ
وَلَمَّا تَرَأْتِ عِنْدَ مَرَوْ مَنِيَّتِي
أَقُولُ لِأَصْحَابِي أَرْفَعُونِي فَإِنِّي
فِي أَصْحَابِي رَحِي دَنَا الْمَوْتُ فَأُزَلَا
أَقِيمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ
وَقُومَا إِذَا مَا أَسْتَلَّ رُوحِي فَهَيَّا
وَلَا تَحْسُدَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا
وَحُطَّ بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مُضْجِعِي
خُذَانِي فَجَرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا
وَقَدْ كُنْتُ عَطَافًا إِذَا الْخَيْلُ أَدْبَرَتْ
وَقَدْ كُنْتُ مُحْمُودًا لَدَى الزَّادِ وَالْقَرَى
وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارًا عَلَى الْقِرْنِ فِي الْوَعَى
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي ضَالَالٍ وَمَجْمَعٍ
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي رَحَى مُسْتَدِيرَةٍ
وَقُومَا عَلَى بَنَرِ الشُّبَيْكِ فَاسْمِعَا
بِأَنَّكُمَا خَلَقْتَانِي بِقَفْرَةٍ
وَلَا تَنْسِيَا عَهْدِي خَلِيلِي بَعْدَمَا
فَلَنْ يَئْتِي الْوَلَدَانُ مِنِّي تَحِيَّتِي
يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونِي

إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا
وَحَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا
يَقْرُبُعِينِي أَنْ سُهَيْلٌ بِدَالِيَا
بِرَأْيَةٍ إِنِّي مُقِيمٌ لَيْلِيَا
وَلَا تَعْجَلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ مَا يَأْتِي
لِي السِّدْرُ وَالْأَكْفَانُ ثُمَّ أَبْكِيَانِيَا
مِنْ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرْضِ أَنْ تُوسِعَالِيَا
وَرُدَّ عَلَى عَيْنِي فَضْلُ رِدَائِيَا
فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
سَرِيعًا لَدَى الْهَيْمَى إِلَى مَنْ دَعَانِيَا
وَعَنْ شَتَمِ ابْنِ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَإِنِّيَا
ثَقِيلًا عَلَى الْأَعْدَاءِ عَضْبًا لِسَانِيَا
وَطَوْرًا تَرَانِي وَالْعِتَاقُ رِكَائِيَا
تُخْرِقُ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا
بِهَا الْوَحْشُ وَالْبَيْضُ الْحَسَنُ الرَّوَانِيَا
تَهِيلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السُّوْفِيَا
تَقْطَعُ أَوْصَالِي وَتَبْلَى عِظَامِيَا
وَلَنْ يَئْتِيَ الْمِيرَاثُ مِنِّي مَوَالِيَا
وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

قَدَرْتُ وَقَدْ عَشِي بَصَرِي عَلَيْهِ
 سَأَلْتُ الْحَيَّ أَيْنَ دَفَنْتُمُوهُ
 فَسِرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي حَيْثَا
 وَحَدَّثْتُ نَاقَتِي عَنْ ظِلِّ قَبْرِ
 لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعَ لَمْ يَشْنَهُ
 أَتَعْدُوا يَا كَلْبُ مَعِيَ إِذَا مَا
 أَتَعْدُوا يَا كَلْبُ مَعِيَ إِذَا مَا
 خُذِ الْعَهْدَ أَلَا كَيْدَ عَلَيَّ عُمَرِي
 وَلَسْتُ بِمُخَالِعٍ دِرْعِي وَسَيْفِي
 وَإِلَّا أَنْ تَبِيدَ سَرَاةُ بَكْرٍ
 كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِهَا الْعَقَارُ
 فَقَالُوا لِي بِسَفْحِ الْحَيِّ دَارُ
 وَطَارَ النَّوْمُ وَامْتَنَعَ الْقَرَارُ
 ثَوَى فِيهِ الْمَكَارِمُ وَالْفَخَارُ
 وَلَمْ يَمُحِّثْ لَهُ فِي النَّاسِ عَارُ
 جَبَانَ الْقَوْمِ أُنْجَاهُ الْفِرَارُ
 خُلُوقُ الْقَوْمِ يَشْتَحِذُهَا الشِّفَارُ
 يَتَرَكِي كُلَّ مَا حَوَتْ الدِّيَارُ
 إِلَيَّ أَنْ يَخْلَعَ اللَّيْلُ النَّهَارُ
 فَلَا يَبْقَى لَهَا أَبَدًا إِثَارُ

١٠١٠ وقال مالك بن الربيع التميمي يثرني نفسه ويصف قبره . وكان قد خرج مع سعيد بن عفان أخيه عثمان لما ولي خراسان . فلما كان ببعض الطريق أراد ان يلبس خفه فاذا بأفعى فيه فلسعته فلما أحس بالموت أنشأ يقول :

دَعَانِي الْهُوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَصُحْبَتِي
 أَجَبْتُ الْهُوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ
 أَلَمْ تَرَنِي بَعْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى
 لَعَمْرِي لَنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي
 فَلِلَّهِ دَرِّي يَوْمَ أَتْرَكُ طَائِعًا
 وَدَرُّ الطَّبَّاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً
 تَقَقَّدْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ
 بِذِي الطَّبَّاسِينِ فَالْتَفْتُ وَرَائِيَا
 تَقَقَّدْتُ مِنْهَا أَنْ أَلَامَ رِدَائِيَا
 وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَانَ غَارِيَا
 لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيَا
 بَنِي بَاعَلَى الرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا
 يُخْبِرُنَ أَنِّي هَالِكٌ مِنْ أَمَامِيَا
 سِوَى السِّيفِ وَالرَّمْحِ الرُّدَيْنِي بَاكِ يَا

تَرَاهُ نَحْمِصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمَقْدَرُ
وَأِنْ مَسَّهُ الْأَقْوَاهُ وَالْجَهْدُ زَادَهُ سَمَاحًا وَإِتْلَافًا لِمَا كَانَ فِي الْيَدِ
صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ أَتَبَدُّ
وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْجُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

لما دفن المهمل اخاه كليبا قام على قبره يرثيه

١٠٠

أَهَاجَ قَدْءًا عَيْنِي الْإِذْكَارُ هُدُوءًا فَالْدُمُوعُ لَهَا ائْتَحَدَارُ
وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
وَبِتُّ أَرَقِبُ الْجُوزَاءَ حَتَّى تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا ائْتَحَدَارُ
أَصْرَفُ مُقَلَّتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ تَبَايَنَتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فَعَارُوا
وَأَبْكِي وَالْجُومُ مُطْلَعَاتُ كَأَنَّ لَمْ تَحْوِهَا عَنِّي الْبِحَارُ
عَلَى مَنْ لَوْنَعِتُ وَكَانَ حَيًّا لَقَادَ الْخَيْلَ تَحْجِبُهَا الْغُبَارُ
دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبُ فَلَمْ تُجِِبْنِي وَكَيْفَ يُجِيبُنِي الْبَلَدُ الْقَفَارُ
أَجِيبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَائِكَ دَمِ ضَنِينَاتُ النُّفُوسِ لَهَا مَزَارُ
أَجِيبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَائِكَ دَمِ لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا زَرَارُ
سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيُسَارُ
أَبَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكْفَأَ كَأَنَّ قَدْىَ الْقِتَادِ لَهَا شِفَارُ
وَأَنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ وَتَعْفُو عَنْهُمْ وَلَكَ اقْتِدَارُ
وَتَمْنَعُ أَنْ يَمْسَهُمْ لِسَانُ مَخَافَةٍ مَنْ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
كَأَنِّي إِذْ نَعَى النَّاعِي كَلِيبًا تَطَايَرَ بَيْنَ جَنَبِي الشَّرَارُ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَاقِيَ الْحَيَّ مِنْهُمْ
لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ وَقَدْ أَتَى
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً
وَإِنِّي لَبَاكِهٍ وَإِنِّي لَصَادِقُ
فَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تُبَاعُ أَشْتَرَيْتُهُ
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاهُ مَا ذَرَّ شَارِقُ
إِلَى أَجَلٍ أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبُ
عَلَى يَوْمِهِ عَلِقْتُ عَلَى جَنْبِ
إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهْنُ ذُنُوبِ
عَلَيْهِ وَبَعْضُ الْقَائِلِينَ كَذُوبِ
بِهَا إِذْ بِهِ كَانَ النُّفُوسُ تَطِيبُ
وَمَا أَهْتَرِّي فَرَعُ الْأَرَاكِ قَضِيبُ

٩٩ قال دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ فِي مَقْتَلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ

تَنَادَوْا فَمَا لَوْ أَرَدْتَ الْخَيْلُ فَارِسًا
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ
دَعَانِي أَخِي وَالْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
فَحِجَّتْ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلُ حَتَّى تَنَفَّسَتْ
فَمَا رِمْتُ حَتَّى خَرَقْتَنِي رِمَاحَهُمْ
وَقَاتَلَ أَمْرِي أَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ
كَدِشُ الْأَزَارِ خَارِجُ نِصْفِ سَائِتِهِ
قَلِيلُ التَّشْكِي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظُ
سَلِيمُ الشَّظَى عِبْلُ السَّوَابِجِ وَالشَّوَى
يَفُوتُ طَوِيلُ الْقَوْمِ عَقْدُ عِذَارِهِ
لَهُ كُلُّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدُ
فَقُلْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ ذِيكُمْ الرَّدِي
فَمَا كَانَ وَقَاقًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ
فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِمُعْدٍ
كَوَقَعِ الصَّيَاصِي فِي التَّلْسِيعِ الْمُدِّ
وَحَتَّى عَلَانِي حَالُكَ اللَّوْنُ أَسْوَدُ
وَعُودِرْتُ أَكْبُو فِي الْقَتَا الْمُتَقَصِّدِ
وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخْلَدٍ
بَعِيدُ عَنِ الْأَقَاتِ طَلَّاعُ النَّجْدِ
مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابُ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
طَوِيلُ الْقَتَا نَهْدُ نَيْلِ الْقَلَدِ
مُنِيفُ كَجَذْعِ الْخَلَّةِ الْمُتَجَرِّدِ
وَإِنْ يَلْقَى مِثْنَى الْقَوْمِ يَفْرَحُ وَيَزْدَدُ

هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَضْمَنَ قَبْرُهُ
أَخُو سَنَوَاتٍ يَعْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ
حَبِيبٌ إِلَى الزَّوَارِغِشْيَانِ بَيْتِهِ
إِذَا قَصَرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْعُلَى
جُمُوعٌ خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
مُفِيدٌ يَلْقَى الْقَائِدَاتِ مُعَاوِدٌ
وَدَاعٌ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى
فَقُلْتُ أَدْعُ أُخْرَى وَارْفَعِ الصَّوْتَ جَهْرَةً
يُجِيبُكَ كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ إِنَّهُ
أَتَاكَ سَرِيعًا وَاسْتَجَابَ إِلَى النَّدَى
فَتَى مَا يُبَالِي أَنْ تَكُونَ بِجِسْمِهِ
إِذَا مَا تَرَأَى لِلرِّجَالِ رَأْيَتُهُ
عَلَى خَيْرٍ مَا كَانَ الرِّجَالُ رَأْيَتُهُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ
غِيَاثُ لِعَانٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُغِيثُهُ
عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ رَحْبُ فَنَائِهِ
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحَلِمُ زَيْنَ أَهْلِهِ
غَنِينَا بِخَيْرِ حِقْبَةٍ ثُمَّ جَلَّتْ
فَأَبْقَتْ قَلِيلًا ذَاهِبًا وَتَجَهَّزَتْ

مِنَ الْجَدِّ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يُشِيبُ
سَيَكْثُرُ مَا فِي قِدْرِهِ وَيَطِيبُ
جَمِيلُ الْحَيَاةِ شَبَّ وَهُوَ أَدِيبُ
تَنَاولَ أَقْصَى الْمَكْرُمَاتِ كَسُوبُ
إِذَا حَلَّ مَكْرُوهٌ بِهِنَ ذَهَابُ
لِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ نَدُوبُ
فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبُ
لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ
بِأَمثَالِهِ رَحْبُ الذَّرَاعِ أَرِيبُ
كَذَلِكَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ
إِذَا حَالَ حَالَاتُ الرِّجَالِ سُحُوبُ
فَلَمْ يَنْطَقُوا اللَّغْوَاءَ وَهُوَ قَرِيبُ
وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا طُعْمَةٌ وَنَصِيبُ
سَرِيعًا وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ
وَمُخْتَبِطٌ يَغْشَى اللُّحَانَ غَرِيبُ
إِلَى سَنَدٍ لَمْ تَحْتَجِبْهُ عِيُوبُ
مَعَ الْحَلِمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ هَيْبُ
عَلَيْنَا الَّتِي كُلُّ الْأَنَامِ تَصِيبُ
لَا خَرَ وَالرَّاجِي الْحَيَاةَ كَذُوبُ

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي الْمَرَاثِي

رثاء أعرابية لابنها

٩٧

أَيَا وَلَدِي قَدْ زَادَ قَلْبِي تَأَلُّبًا
وَقَدْ أَضْرَمْتَ نَارُ الْمُصِيبَةِ شُعْلَةً
وَأَسْأَلُ عَنْكَ الرَّكْبَ هَلْ يُخْبِرُونِي
فَلَمْ يَكْ فِيهِمْ مُخْبِرٌ عَنْكَ صَادِقٌ
فَيَا وَلَدِي مَذْغِبَتْ كَدَّرْتَ عَيْشَتِي
وَفِكْرِي مَسْقُومٌ وَعَمَلِي ذَاهِبٌ
وَقَدْ حَرَقَتْ مِنِّي الشُّوْنُ الْمَدَامِعُ
وَقَدْ حَمَيْتْ مِنِّي الْحُشَا وَالْأَضَالِعُ
بِحَالِكَ كَيْمَا تَسْتَكِنَ الْمُضَاجِعُ
وَلَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ إِنَّكَ رَاجِعُ
فَقَلْبِي مَضْدُوعٌ وَطَرْفِي دَامِعُ
وَدَمْعِي مَسْفُوحٌ وَدَارِي بِلَاقِعُ

لكعب بن سعد الغنوي في أخيه أبي المغوار

٩٨

تَتَابَعُ أَحْدَاثُ تَحَرَّمْنَ إِخْوَتِي
لَعَمْرِي لَنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مَنِيَّةُ
لَقَدْ كَانَ أَمَّا جِلْمُهُ فَمُرُوحُ
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاخِشُ عِنْدَ بَيْتِهِ
أَخْ كَانَ يَكْفِينِي وَكَانَ يُعِينِي
حَلِيمٌ إِذَا مَا سَوْرَةُ الْجَهْلِ أَطْلَقَتْ
هُوَ الْعَسَلُ الْمَازِي جِلْمًا وَشِيَّةُ
هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا
فَشَيَّبَنَ رَأْسِي وَالْخُطُوبُ تُشِيبُ
أَخِي وَالْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شُعُوبُ
عَلَيَّ وَأَمَّا جَهْلُهُ فَغَرِيبُ
وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ الْإِلْقَاءِ هَيُوبُ
عَلَى النَّائِبَاتِ السُّودِ حِينَ تَنُوبُ
حَبِي الشَّيْبُ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غُلُوبُ
وَلَيْتُ إِذَا لَاقَى الْعُدَاةَ قَطُوبُ
وَمَاذَا يُؤَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يَوْوبُ

تُغْرِي بِنَارِ هَطَمَسْعُودٍ وَإِخْوَتَهُ
كَتَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَقْلَعَهَا
لَا أَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّتْ عَدَاوَتُنَا
تُلْحِمُ أَبْنَاءَ ذِي الْجَدِّينِ إِنْ غَضِبُوا
لَا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكْثَرَتْهَا حَطَبًا
سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا
وَأَسْأَلُ قَشِيرًا وَعَبْدَ اللَّهِ كُلَّهُمُ
إِنَّا نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ
قَدْ كَانَ فِي آلِ كَهْفٍ إِنْ هُمْ احْتَرَبُوا
إِنِّي لَعَمْرُ اللَّهِ الَّذِي حَطَّتْ مَنَاسِمُهَا
لَنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدَدًا
وَإِنْ مُنِيتُ بِنَا فِي ظِلِّ مَعْرَكَةٍ
لَا يَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ
حَتَّى يَظْلَعَ عَمِيدُ الْقَوْمِ مُرْتَفِقًا
أَصَابَهُ هُنْدَوَانِي فَأَقْصَدَهُ
كَأَلَا زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لَا نُقَاتِلُكُمْ
فَخَنُّ الْفَوَارِسِ يَوْمَ الْخَنُو ضَاحِيَةٌ
قَالُوا الطَّرَادُ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا
قَدْ نَخْضِبُ الْعَيْرَ مِنْ مَكْنُونٍ فَائِلُهُ

يَوْمَ الْإِلْقَاءِ فَيُرْدِي ثُمَّ تَعْتَرِلُ
فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ
وَأَتَمَسَ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضٌ تَحْتَمِلُ
أَرْمَاحَنَا ثُمَّ تَلْقَاهُمْ وَتَعْتَرِلُ
تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ
أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَبْنَاءِ تَأَشْكُلُ
وَأَسْأَلُ رَيْعَةً عَنَّا كَيْفَ نَفْعَلُ
عِنْدَ الْإِلْقَاءِ وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ جَهِلُوا
وَالْجَاشِرِيَّةُ مَنْ يَسْعَى وَيَنْتَضِلُ
تُخْدِي وَسِيْقَ إِلَيْهِ الْبَاقِرُ الْفِيلُ
لَنَقْتُلَنَّ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمَثِلُ
لَا تُلْقِنَا مِنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْقِلُ
كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفَتْلُ
يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجْلُ
أَوْ ذَابِلُ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مُعْتَدِلُ
إِنَّا لِأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قُلُ
جَنَبِي فُطَيْمَةٌ لَا مِيلَ وَلَا عُزْلُ
أَوْ تَتْرُلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُ نُزْلُ
وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ

فَمَنْ أَطَاعَ فَأَعَقِبَهُ بِطَاعَتِهِ
 وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقِبَةً
 إِلَّا لِلْمَلِكِ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ
 فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي قَدْ زُرْتُهُ حُجَّاجًا
 مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ
 إِذَا فَعَاقَبَنِي رَبِّي مُعَاقِبَةً
 هَذَا لِأَبْرَأَ مِنْ قَوْلٍ قُدِفْتُ بِهِ
 مَهْلًا فِدَاءُ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ
 لَا تَقْدِفَنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ
 فَمَا أَلْفَرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ
 يَمِدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُزْبِدٍ لَجِبٍ
 يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَأَحُ مُعْتَصِمًا
 يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ
 أَنْبَيْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي
 هَذَا الشَّاءُ فَإِنْ تَسَمَّعَ لِقَائِلِهِ
 هَا إِنْ تَاغِدَرَةُ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفَعَتْ

نخبة من قصيدة الاعشى ميمون بن قيس بن جندل

٩٦

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَالِكَةً
 أَلَسْتُ مُنْتَهِيًا عَنْ تَحْتِ أَثْلَتِنَا
 أَبَا ثُمَيْتٍ أَمَا تَنْفَكُ تَأْكِلُ
 وَأَنْتَ ضَارِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

خَلَّتْ سَبِيلَ أَيٍّ كَانَ يَحْسِبُهُ
أَصَحَّتْ خَلَاءً وَأَصْحَى أَهْلُهَا أَحْتَمَلُوا
فَقَدَّ عَمَّا مَضَى إِذْ لَا أُرْتَجَاعَ لَهُ
مَقْدُوفَةٌ بِدَخِيسِ النَّحْصِ بَارِهَا
كَانَ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا
مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مَوْشِيٍّ أَكْرَاعُهُ
سَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَةٌ
فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ فَبَاتَ لَهُ
فَبَشَّرَ عَلَيْهِ وَأَسْتَمَرَ بِهِ
فَهَابَ ضَمْرَانُ مِنْهُ حَيْثُ يُوْزَعُهُ
شَكَّ الْفَرِيصَةَ بِالْمِدْرَى فَأَنْفَذَهَا
كَأَنَّهُ خَارِجًا مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ
فَقَالَ يَجْمُ أَعْلَى الرُّوقِ مُنْقِضًا
لَمَّا رَأَى وَاشْتَقَّ إِقْعَاصَ صَاحِبِهِ
قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ إِنِّي لَا أَرَى طَمَعًا
فَتَلَاكَ تُبْلِغُنِي النُّعْمَانَ إِنَّ لَهُ
وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ
إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهِ لَهُ
وَخَيْسَ الْجِنَّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ

وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَلَا تُضَدِّ
أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبِّدٍ
وَأَنْهَى الْقَتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أَجْدٍ
لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفٌ أَلْعَوِ بِالْمَسَدِ
بِذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وَحَدٍ
طَاوِي الْمَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الْقَرَدِ
تُرْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَامِدُ الْبَرَدِ
طَوَعَ الشَّوَامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدٍ
صُغَّ الْكُؤُوبِ بَرِيَّاتٌ مِنَ الْحَرَدِ
طَعَنُ الْمُعَارِكِ عِنْدَ الْحَجَرِ النَّجْدِ
شَكَّ الْمُبِيطِرِ إِذْ يَشْفِي مِنَ الْعَضَدِ
سَفُودُ شَرَبٍ لَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَادٍ
فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدَقَ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ
وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوْدٍ
وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصِدِّ
فَضْلًا عَلَى النَّاسِ فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعْدِ
وَمَا أَحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مَنْ أَحَدٍ
قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْذُذْهَا عَنِ الْقَدِّ
يَبْنُونَ تَذْمُرَ بِالصُّفَاحِ وَالْعَمَدِ

وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ
فَأَصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَمَلٍ وَلَا صَبِيرٍ
أَعْدَى عَدُوِّكَ أَذْنَى مَنْ وَثِقَتْ بِهِ
وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
غَاضُ الْوَفَاءِ وَفَاضُ الْقَدَرِ وَأَنْفَرَجَتْ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ
وَشَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ النَّاسِ كَذِبُهُمْ
إِنْ كَانَ يَنْجَعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمْ
يَا وَارِدًا سُورَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَكَدَرٍ
فِيمَ اعْتَرَاضُكَ لِحِجِّ الْأَجْرِ تَرْكِبُهُ
مُلْكُ الْقَنَاعَةِ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا
تَرْجُو الْبَقَاءَ بِدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا
وَيَا خَيْرًا عَلَى الْأَسْرَارِ مُطْلَعًا
قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرِ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ

لِي أُسْوَةٌ بِأَنْحَاطِ الشَّمْسِ عَنْ رُحْلِ
فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنْ الْحِلِّ
فَحَازِرِ النَّاسِ وَأَصْحَبِهِمْ عَلَى دَخَلٍ
مَنْ لَا يُعُولُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ
مَسَافَةِ الْخُلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ
وَهَلْ يُطَابِقُ مُعْوجٌ بِمُقَدِّلٍ
عَلَى الْعُهُودِ فَسَبَقَ السَّيْفُ لِلْعَدَلِ
أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الْوَشْلِ
تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَنْصَارِ وَالْحَوْلِ
فَهَلْ سَمِعْتَ يَظِلُّ غَيْرَ مُنْقَلٍ
أَنْصَتَ فِي الصَّمْتِ مُنْجَاةً مِنَ الزَّلَلِ
فَارَبُّ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَعَى مَعَ الْعَمَلِ

قصيدة النابغة يعقظها بها الى النعمان وكان قد جفاها

٩٥

يَا دَارَ مَيَّةَ فِي الْعِلْيَاءِ فَالْسِّنْدِ
وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلَانًا أَسَا ئِلْهَا
إِلَّا أَوَارِي لَا يَأْ مَا أَبْنَيْهَا
رُدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَدَهُ

أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ
عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
وَالنُّوْي كَالْحَوْضِ بِالْمُظْلُومَةِ الْجَلَدِ
ضَرْبُ الْوَلِيدَةِ بِالْهَسْحَاةِ فِي النَّادِ

وَضَجَّ مِنْ لَبٍّ نَضْوِي وَعَجَّ لِمَا
أُرِيدُ بَسْطَةً كَفَّ أَسْتَعِينُ بِهَا
وَالْدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي وَيُغْنِي
حُبَّ السَّلَامَةِ يَثْنِي هُمْ صَاحِبِهِ
فَإِنْ جَحَّتْ إِلَيْهِ فَأَتَّخِذْ نَفَقًا
وَدَعْ غِمَارَ الْعُلَى لِلْمُقَدِّمِينَ عَلَى
يَرْضَى الدَّلِيلُ بِخَفْضِ الْعَيْشِ يَخْفِضُهُ
فَادْرَأْ بِهَا فِي نُحُورِ الْبَيْدِ حَافِلَةً
إِنَّ الْعُلَى حَدَّثَتْنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى بُلُوغٌ مِنِّي
أَهْبْتُ بِالْحِظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعًا
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَأَ فَضْلِي وَنَقَضَهُمْ
أَعْلَى النَّفْسِ بِالْأَمَالِ أَرْقُبَهَا
لَمْ أَرْضَ الْعَيْشَ وَالْأَيَّامَ مُقْبِلَةً
غَالِي بِنَفْسِي عِرْقَانِي بِقِيَّتِهَا
وَعَادَةُ النَّصْلِ أَنْ يَزْهَوْ بِجَوْهَرِهِ
مَا كُنْتُ أُوتِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي
تَقَدَّمَتْنِي أَنَاسٌ كَانَ شَوْطُهُمْ
هَذَا جَزَاءُ أَمْرِي أَقْرَانُهُ دَرَجُوا

يَلْقَى رِكَابِي وَلَجَّ الرِّكْبُ فِي عَذَلِي
عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ الْعُلَى قَبْلِي
مِنْ الْغَنِيَّةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالْقَلِيلِ
عَنِ الْمَعَالِي وَيُغْيِرُ الْمَرْءَ بِالْكَسَلِ
فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَمًا فِي الْجَوْفِ عَاثِرِلِ
رُكُوبَهَا وَأَقْتَنَعَ مِنْهُمْ بِالْبَلَلِ
وَالْعِزُّ بَيْنَ رَسِيمِ الْأَيْتِقِ الدَّلِيلِ
مُعَارَضَاتٍ مَثَانِي الْجُحْمِ بِالْجَدَلِ
فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ الْعِزَّ فِي النُّقْلِ
لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمَ دَارَةِ الْحَمَلِ
وَالْحِظُّ عَنِّي بِالْجَهَالِ فِي شُغْلِ
لِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَذَبَّهَ لِي
مَا أَضَيَّقَ الْعَيْشَ لَوْ لَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ
فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِ
فَصْنَتُهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَدِلِ
وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيَّ بَطْلٍ
حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسَّفَلِ
وَرَاءَ خَطْوِي إِذَا أَمْشِي عَلَى مَهَلِ
مِنْ قَبْلِهِ فَمَتْنِي فَسْحَةُ الْأَجَلِ

وَأَصْبَحَ عَنِّي بِالْغَيْصَاءِ جَالِسًا
فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بَلِيلُ كِلَانَا
فَلَمْ تَكُ إِلَّا نَبَاهُ ثُمَّ هَوَمَتْ
فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ لَأَبْرَحَ طَارِقًا
وَيَوْمٍ مِنَ الشَّعْرِ يَذُوبُ لُعَابُهُ
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَا كُنْ دُونَهُ
وَصَافٍ إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ
وَحَرَقَ كَظْهَرِ الثُّرُسِ قَفَرٍ قَطَعَتْ
وَأَلْحَقْتُ أَوْلَاهُ بِأَخْرَاهُ مُوفِيًا
تَرُودُ الْأَرَاوِي الضُّخْمُ حَوْلِي كَأَنَّهَا
وَيَكُنْ بِأَلَا صَالٍ حَوْلِي كَأَنِّي

نخبة من لامية العجم للطغرائي (*)

٩٤

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعَ
فِيمَ الْإِقَامَةِ بِالزُّورَاءِ لَا سَكْنِي
نَاءً عَنِ الْأَهْلِ صَفَرُ الْكَفِّ مُنْفَرِدٌ
فَلَا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكِي خَزَنِي
طَالَ اغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي
وَحِلَّةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ
وَالشَّمْسُ رَأْدُ الصُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطُّفْلِ
بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
كَالسَّيْفِ عُرِّي مَنَاهُ مِنَ الْحِلْمِ
وَلَا أُنِيسُ إِلَيْهِ مُنْتَهَى جَذَلِي
وَرَحَلَهَا وَقَرَى الْعَسَالَةَ الذُّبْلِ

فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ
كَانَ وَغَاها حَجَرَتِيهِ وَحَوْلَهُ
تَوَافِينَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا
فَعَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا
وَأَلْفُ وَجْهِ الْأَرْضِ عِنْدَ اقْتِرَاشِهَا
وَأَعْدِلُ مَخْوضًا كَانَ فُصُوصُهُ
فَإِنْ تَبَتَّسَ بِالشَّنْفَرَى أَمْ قَسَطَلُ
طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَهُ
تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْطِي عِيُونَهَا
وَأِلْفُ هُمُومٍ مَا تَرَالُ تَعُودُهُ
إِذَا وَرَدَتْ أَصْدَرَتْهَا ثُمَّ إِنَّهَا
فَإِمَّا تَرَيْنِي كَأَنَّهُ الرَّمْلُ ضَاحِيًا
فَإِنِّي لَمَوْلَى الصَّبْرِ أَجْتَابُ بَرَّهُ
وَأَعْدِمُ أَحْيَانًا وَأَغْنِي وَإِنَّمَا
فَلَا جَزَعُ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفُ
وَلَا تَزْدَهِي الْأَجْهَالُ حِلْمِي وَلَا أَرَى
وَلَيْلَةَ نَحْسٍ يَصْطَلِي الْقُوسَ رَبُّهَا
دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتِي
فَأَيَّمْتُ نِسْوانًا وَأَيَّمْتُ وَلَدَةً

يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونُ وَحَوْصُلُ
أَضَامِيمٍ مِنْ سَفَرِ الْقَبَائِلِ نُزْلُ
كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الْأَصَارِيمِ مِنْهَلُ
مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أَحَاظَةِ مُجْهَلُ
بَاهِدًا ثَنِيهِ سَنَاسِينُ فَحَلُ
كَعَابُ دَحَاها لِأَعْبُ فَهِيَ مِثْلُ
لَمَّا ائْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطْوَلُ
كَحَقِيرَتِهِ لِأَيَّهَا حُمَّ أَوَّلُ
حِثَانًا إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلَّلُ
عِيَادًا نَحْمَى الرَّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ
تُثَوِّبُ فَتَأْتِي مِنْ تَحْتِ وَمِنْ دَلُ
عَلَى رِقَّةٍ أَحْفَى وَلَا أَتَعَلُّ
عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السَّمْعِ وَالْحَزْمِ أَنْعَلُ
يَنَالُ الْغَنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَذَّلُ
وَلَا مَرَحٌ تَحْتَ الْغَنَى أَتَحِيلُ
سَوْوَلًا بِأَعْقَابِ الْأَقَاوِيلِ أَيْمَلُ
وَأَقْطَعُهُ الْأَلَايِي بِهَا يَتَبَلُّ
سُعَارُ وَإِرْزِيزُ وَوَجْرُ وَأَفْكَلُ
وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلِيلُ

وَلَسْتُ بِمُخَيَّرِ الظَّلَامِ إِذَا أُتِخْتُ هُدَى الْهُوجَلِ الْعِسْفِ يَهْمَا هَوْجَلُ
إِذَا الْأَمْعَزُ الصَّوَانُ لَاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ
أَدِيمُ مِطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمَيْتِهِ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحًا فَاذْهَلُ
وَأَسْتَفُتُ رَبَّ الْأَرْضِ كَيْلَا يَرَى لَهْ عَلَيَّ مِنَ الطُّولِ أَمْرٌ مُتَطَوَّلُ
وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَّمِّ لَمْ يُلَفَّ مَشْرَبُ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَأْكَلُ
وَلَكِنَّ نَفْسًا مُرَّةً لَا يُقِيمُ بِي عَلَى الضَّمِّ إِلَّا رَيْثًا أَلْحَوْلُ
وَأَطْوِي عَلَى الْخُمْصِ الْحَوَايَا كَمَا انْظُرْتُ خِيُوطَةُ مَارِي تُتَارُ وَتُقْتَلُ
وَأَعْدُو عَلَى الْقُوتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَافُفُ أَظْهَلُ
غَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًا يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَيَعْسِلُ
فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوتُ مِنْ حَيْثُ أُمَّهُ دَعَا فَاجَابَتْهُ نَظَارُ نُحُلُ
مُهَلَّلَةٌ شَيْبُ أَنْوُجِهِ كَأَنَّهَا قَدَاحٌ بِكَفِّي يَاسِرٍ تَتَقَلَّقُلُ
أَوِ الْحَشْرَمُ الْمُبْعُوثُ حُثَّتْ دَبْرَهُ مَحَايِضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٌ مَعْسَلُ
مَهْرَتُهُ فُوهُ كَانَ شُدُوقَهَا سُفُوقُ الْعَصِي كَالْحَاتِ وَبَسَلُ
فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالْبَرَاكِ كَأَنَّهَا وَإِيَّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلِيَاءِ تُكَلُّ
وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَأَتَسَّى وَأَتَسَّتْ بِهِ مَرَامِيلُ عَزَاهَا وَعَزَّتُهُ مَرْمِلُ
شَكَوْشَكَتُمْ ثُمَّ أَرَعَوَى بَعْدُ وَارَعَوْتُ وَلَلصَّبْرُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوُ أَجَلُ
وَقَاءَ وَقَاءَتْ بِأِدْرَاتٍ وَكُلَّهَا عَلَى نَكْظٍ مِمَّا يُكَاثِمُ مُجْمِلُ
وَلَتَشْرَبُ أَسَارِي الْقَطَلِ الْكُذْرُ بَعْدَمَا سَرَتْ قَرَبًا أَخْنَاؤُهَا تَتَصَاصِلُ
هَمَّتْ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلَتْ وَتَمَرَّ مَنِي فَارِطٌ مُتَمَهِّلُ

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيَّكُمْ
فَقَدْ حَمَتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقَمَّرٌ
وَفِي الْأَرْضِ مَنَآيَ لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَدَى
لَعَمْرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى أَمْرِي
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدُ عَمَلَسٍ
هُمْ الْأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ
وَكُلُّ أَبِي بَاسِلٌ غَيْرَ أَنِّي
وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ
وَإِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مَنْ لَيْسَ جَارِيًا
ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ فَوَادٌ مُشِيعٌ
هَتُوفٌ مِنَ الْمَلَسِ الْمُتُونِ يَزِينُهَا
إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَتَّى كَانَهَا
وَلَسْتُ بِمُهَيَّافٍ يُعَشِّي سَوَامَهُ
وَلَا جُبَّاءُ أَكْنَهِي مُرِبٌ بِعَرْسِهِ
وَلَا خَرِقٌ هَيَّاقَانٌ فَوَادُهُ
وَلَا خَالِفٌ دَارِيَّةٌ مُتَعَزِّلٌ
وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُهُ دُونَ خَيْرِهِ

فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمِيلُ
وَشَدَّتْ إِطْيَاتِ مَطَايَا وَارْحُلُ
وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلَى مُتَعَزِّلُ
سَرَى رَافِعًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ
وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جِيَالُ
لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ
إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ
بِأَعْجَلِهِمْ إِذَا أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلُ
بُحْسَنَى وَلَا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلِّلُ
وَأَبْيَضُ إِصْلِيَتْ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
رَصَائِعُ قَدْ نَيْطَتْ إِلَيْهَا وَمَحْمَلُ
مُرَزَّاةٌ عَجَلَى تَرْنُ وَتَعُولُ
مُجَدَّعَةٌ سُقْبَانُهَا وَهِيَ بِهِلُ
يُطَالِعُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ
يُظَلُّ بِهِ الْمَكَاةُ يَعْلُو وَيَسْفَلُ
يُرُوحُ وَيَعْدُو دَاهِنًا يَتَكَلَّلُ
أَلْفٌ إِذَا مَا رَعَتْهُ أَهْتَاجُ أَغْزَلُ

لَمَّا رَأَى قَدْ زَلْتُ أُرِيدُهُ أَبَدِي نَوَاجِذُهُ بَغِيرَ تَبَسُّمٍ
عَهْدِي بِهِ مَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ اللَّبَنُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظَامِ
فَقَطَعَتْهُ بِالرُّمَحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ يَمْنَنِي صَافِي الْحَدِيدَةِ مَحْذَمٍ
بَطْلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرَحَةٍ يُحْذِي نَعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ
نُبْتُ عُمَرَا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي وَالْكَفْرُ مُجَنَّبَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعَمِ
وَلَقَدْ حَفَظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى إِذْ تَقَلَّصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضْعِ الْقَهْمِ
فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي غَمَرَاتِهَا الْأَبْطَالُ غَيْرَ تَعْنَمٍ
إِذْ يَتَمَوَّنُ بِي الْأَسِنَّةُ لَمْ أَخِمِ عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَاقِقُ مُقَدَّمِي
لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ يَتَذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمِّمٍ
يَدْعُونَ عَنَّتَ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّمَا أَشْطَانُ بَيْرٍ فِي لَبَانِ الْأَذْهَمِ
مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةٍ تُخْرِهَ وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسْرِبَلَ بِالْدَمِ
فَارْزَوْا مِنْ وَقَعِ الْقَتْلِ بَلْبَانِهِ وَشَكََا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمَمِ
لَوْ كَانَ يَذِيرِي مَا الْخَوَارِدَةُ أَشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامُ مُكَلِّمِي
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سَقَمَهَا قِيلُ الْقَوَارِسِ وَبِكَ عَنَّتَ أَفْئِدَمِ
وَالْحَيْلُ تَقْتَحِمُ الْخَبَارَ عَوَاسَا مِنْ بَيْنِ شَيْطَانَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْطَانٍ
ذُلٌّ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَايِعِي لِي وَأَحْفَزُهُ بِأَمْرِ مُبْرَمِ
وَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ أُمُوتَ وَلَمْ تُكُنْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنِي صَبْغَمِ
السَّائِمِي عَرْضِي وَلَمْ أَشْتَمَهُمَا وَالنَّاذِرِينَ إِذَا لَمْ أَلْتَهُمَا دَمِي
إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا جَزَرَ السِّبَاعِ وَكُلَّ لَسْرِ قَشْعَمِ

تَرَكُوهُمْ مُلَحِّبِينَ وَأَبَوَا بِنَهَابٍ يُصِمُّ مِنْهَا الْخُدَاءَ
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى خَنْفَةٍ أَمْ مَا جَمَعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْرَاءَ
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى قُضَاعَةٍ أَمْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِيمَا جَنَوْا أَندَاءَ
 ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرُجْعَ لَهُمْ شَأْمَةٌ وَلَا زَهْرَاءَ
 لَمْ يَحِلُّوا بَنِي رَزَاحٍ بَبْرَقًا نِطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءَ
 ثُمَّ فَاؤُوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ وَلَا يُبْرِدُ الْغَلِيلَ الْمَاءَ
 ثُمَّ خِيلُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَعَ الْعَمَلِ لَا رَافَةَ وَلَا إِبْقَاءَ
 وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ الْحَيَارَيْنِ وَالْبَلَاءِ بَلَاءَ

نخبة من معلّقة عنتر بن شداد العبسي

هَلَا سَأَلْتَ الْحَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ
 إِذْ لَا أَزَالَ عَلَى رِحَالِهِ سَابِجٍ
 طَوْرًا يُجَرِّدُ لِلطَّعَانِ وَتَارَةً
 يُخْبِرُكَ مِنْ شَهِدِ الْوَقِيعَةِ أَنِّي
 وَمُدَّجٍ كَرِهَ الْكُفَاةُ زِيَالَهُ
 جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَغْنَةٍ
 فَشَكَّكْتُ بِالرُّمْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ
 فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَلْشَنُهُ
 وَمَشَكَّ سَابِغَةً هَتَكَتْ فُرُوجَهَا
 رَيْدِ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا

إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
 نَهْدِ تَعَاوُرَهُ الْكُفَاةُ مُكَلَّمِ
 يَا وَيْهِ إِلَى حَصِيدِ الْقِسِيِّ عَرَمَرَمِ
 أَغَشَى الْوَعْيَى وَأَعْفَى عِنْدَ الْمُغْنَمِ
 لَا تُنْمَعِنْ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ
 بِمُتَقَفِّ صَدَقِ الْكُفُوبِ مُقَوِّمِ
 لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا مُجَرَّمِ
 يَقْضَمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمُعْصَمِ
 بِالسَّيْفِ عَنْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعَلِّمِ
 هَتَاكَ غَايَاتِ التِّجَارِ مُلَوِّمِ

ثُمَّ حُجْرًا أَغْنَى ابْنَ أُمِّ قَطَامٍ وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضِرَاءُ
 أَسَدُ فِي اللَّقَاءِ وَرَدُّهُمُوسُ وَرَبِيعٌ إِنْ شَمَرَتْ غَبْرَاءُ
 وَفَكَ كَذَا غُلَّ أَمْرِي الْقَيْسِ عَنْهُ بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ
 وَمَعَ الْجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَنِي الْأَوْسِ عِنْدُ كَأَنَّهُا دَفْوَاءُ
 مَا جَزَعْنَا تَحْتَ الْعُجَاةِ إِذْ وَلَّوْا سِلَالًا وَإِذْ تَطَلَّى الصَّلَاةُ
 وَأَقْدَنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بَأْنَهُ يَذِرُ كَرَهَا إِذْ لَا تُكَالُ الدَّمَاءُ
 وَأَتَيْنَاهُمْ بِتِسْعَةِ أَمْلَاءَ لِكِرَامِ أَسْلَابِهِمْ أَغْلَاءُ
 وَوَلَدْنَا عَمْرُو بْنَ أُمِّ إِيَّاسٍ مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا الْحَبَاءُ
 مِثْلَهَا تُخْرِجُ النَّصِيحَةَ لِقَوِّهِمْ فَلَاةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلَاءُ
 فَأَتَرَكُوا الطَّيْحَ وَالتَّعْدِيَّ وَإِمَّا تَتَعَاشَوْنَ فِي التَّعَاشِي الدَّاءِ
 وَأَذْكُرُوا حَلْفَ ذِي الْحِجَارِ وَمَا قُدِّمَ فِيهِ الْعُهُودُ وَالْكَفَلَاءُ
 حَذَرَ الْجَوْرِ وَالتَّعْدِيَّ وَهَلْ يَنْفُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ
 وَأَعْلَمُوا أَنَّنَا وَإِيَّاكُمْ فِي مَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ احْتَلَفْنَا سَوَاءُ
 عَنَّا بَاطِلًا وَظُلْمًا كَمَا تَرَوْا عَنْ حُجْرَةِ الرَّبِيعِ الطُّبَاءُ
 أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَنْفُذَ غَايِرِهِمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ
 أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادٍ كَمَا نَرَى طَبَّحُونَ الْمُحْمَلِ الْأَعْبَاءُ
 لَيْسَ مِنَّا الْمُضْرِبُونَ وَلَا قَدِيرٌ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا الْحَذَاءُ
 أَمْ جَنَاحَا بَنِي عُتَيْقٍ فَإِنَّا مِنْهُمْ إِنْ عَدَرْتُمْ لَبْرَاءُ
 وَتَمَانُونَ مِنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِيهِمْ رِمَاحُ صُدُورِهِنَّ الْقَضَاءُ

أَوْسَكْتُمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَعْمَضَ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا الْأَقْدَاءُ
أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّمَ تُتْمِدْهُ لَهُ عَلَيْنَا الْعُلَاءُ
هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يَنْتَهِبُ النَّاسُ غَوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عَوَاءُ
إِذْ رَفَعْنَا الْجَمَالَ مِنْ سَعَفِ النَّجْمِ رَيْنَ سَيْرًا حَتَّى نَهَاها الْحِسَاءُ
ثُمَّ مَلْنَا عَلَى تَقِيمٍ فَأَحْرَمَ نَا وَفِينَا بَنَاتُ قَوْمٍ إِمَاءُ
لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْلِ وَلَا يَنْفَعُ الذَّلِيلُ النَّجَاءُ
لَيْسَ يَنْجِي الَّذِي يُوَأِّلُ مِنَّا رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجُلَاءُ
مَلِكٌ أَضْرَعَ الْبَرِيَّةَ لَا يُؤْكَلُ الْيَفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا الْمُؤْمِنُ
مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِيٍّ قَطُلُوا نِزْرُ هَلْ نَحْنُ لِابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ
أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُبَلِّغُ عَنَّا لُ عَلَيْهِ إِذَا أُصِيبَ الْعَفَاءُ
مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ آيَا تْ ثَلَاثٌ فِي كُلِّهِ الْقَضَاءُ
آيَةُ شَارِقِ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَا تْ مَعْدُ إِكْلٍ حَيٍّ لَوَاءُ
حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلِمِينَ بِكَبْشٍ قَرِظِي كَأَنَّهُ عِبْلَاءُ
وَصَيَّتِ مِنَ الْعَوَاتِكِ لَا تَدْرَدْنَاهُمْ بِطَعْنٍ كَمَا يَحْزُجُ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءُ
وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى حَزْمٍ شَهْلَا نَ شِلَالًا وَدُمِي الْأَنْسَاءُ
وَجَبَنَاهُمْ بِطَعْنٍ كَمَا تُهْزِي فِي جَمَّةِ الطَّوِيِّ الدَّلَاءُ
وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلَّمَ اللَّهُ وَمَا إِنْ لِلْحَائِشِينَ دِمَاءُ

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَحَرُّ لَهُ الْجَبَابُرُ سَاجِدِينَ

نخبة من معلقة الحارث بن حِزْرة الشُّكْرِي

٩١

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَلَا؛ بَاءُ خَطْبٍ نُعْنَى بِهِ وَنَسَاءُ
 أَنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قِيَالِهِمْ إِخْفَاءُ
 يَخْلُطُونَ الْبَرِيَّ مِنَّا بِذِي الدِّ؛ بَ وَلَا يَنْفَعُ الْحَلِيَّ الْخِلَاءُ
 زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعِيَ رَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ
 أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَضْجَبَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
 مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُحِيبٍ وَمِنْ تَصَ هَالِ خَيْلٍ خِلَالِ ذَاكَ رُغَاءُ
 أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرْقِشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لَذَاكَ بَقَاءُ
 لَا تَخْلُنَا عَلَى غَرَاتِكَ إِنَّا قَبْلَمَا قَدْ وَثَى بِنَا الْأَعْدَاءُ
 فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءَةِ تَمِي نَا حُصُونٍ وَعِزَّةٍ قَعَسَاءُ
 قَبْلَ مَا الْيَوْمُ يَبْصُتُ بَعُيُونَ الَمِ اس فِيهَا تَغِيطُ وَإِبَاءُ
 فَكَأَنَّ الْمُنُونَ تَرْدِي بِنَا أَرِ عَنْ جَوْنًا يُنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ
 مُكْنَهَرًا عَلَى الْحَوَادِثِ لَا تَرِ تُوهُ لِلدَّهْرِ مُوَيْدُ صَمَاءُ
 إِرْمِي بِمِثْلِهِ جَالَتِ الْحِي لُ وَتَأْتِي لِحْصِمِهَا الْإِجْلَاءُ
 مَلِكٌ مُقْسِطٌ وَأَفْضَلُ مِنْ يَمِ شِي وَمِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ الشَّنَاءُ
 أَيُّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَادُّو هَا إِلَيْنَا تَسْمَى بِهَا الْأَمَلَاءُ
 إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِحْجَةٍ فَالْصَّا قِبَ فِيهَا الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ
 أَوْ نَقَشْتُمْ فَالْنَقْشُ يَجْشَمُهُ النَّا سُ وَفِيهِ الْإِسْقَامُ وَالْإِبْرَاءُ

ظَعَانُ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ بَكْرِ
 يَقْتُلُ جِيَادَنَا وَيَقْتُلُنَا لَسْتُمْ
 آخِذِينَ عَلَى بُعُولَتَيْنِ عَهْدًا
 لَيْسَتَ لِهِنَّ أَفْرَاسًا وَبَيْضًا
 تَرَانَا بَارِزِينَ وَكُلُّ حِيٍّ
 وَإِنَّا أَلْعَاصُمُونَ بِكُلِّ كَحْلٍ
 وَإِنَّا أَلْمَانِعُونَ لِمَنْ يَلِينَا
 كَانَا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّلَاتُ
 يُدْهِنُ الرُّؤُوسَ كَمَا يُدْهِنُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ
 بَأَنَّا الْمُطْعَمُونَ إِذَا قَدَرْنَا
 وَأَنَّا أَلْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا
 وَأَنَّا التَّارِكُونَ إِذَا سَخَطْنَا
 وَأَنَّا أَلْعَاصُمُونَ إِذَا أَطْعَمْنَا
 وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا أَلْمَاءَ صَفْوًا
 إِلَّا أَبْلَغَ بَنِي الطَّمَّاحِ عَنَّا
 إِذَا مَا أَلْمَلَّكَ سَامَ النَّاسِ خَسَفًا
 مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا
 لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا
 خَاطَنَ بَيْسَمٍ حَسَبًا وَدِينًا
 بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا
 إِذَا لَاقَوْا كِتَابَ مُعَلِّمِنَا
 وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّرِينَ
 قَدْ اتَّخَذُوا مَخَافَتَنَا قَرِينًا
 وَإِنَّا أَلْبَاذِلُونَ لِمُحْتَدِينَا
 إِذَا مَا أَلْبِضُ فَارَقَتْ أَلْجُفُونَا
 وَلَدَنَا النَّاسَ طُرًّا أَجْمَعِينَ
 خَزَاوِرَةٌ بِأَبْطَحِمَا الْكُرَيْنَا
 إِذَا قُبُ بِأَبْطَحِمَا بُيُنَا
 وَأَنَّا أَلْمَاهِكُونَ إِذَا ابْتَلَيْنَا
 وَأَنَّا أَلْنَارِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا
 وَأَنَّا أَلْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا
 وَأَنَّا أَلْعَارِمُونَ إِذَا عُصِينَا
 وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينًا
 وَدُعْمِيًّا فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونَا
 أَبَيْنَا أَنْ نُقِرَّ الْحُسْفَ فِينَا
 وَظَهَرَ الْبَحْرُ تَمْلَاهُ سَفِينَا
 وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا

وَعَتَابًا وَكُلْثُومًا جَمِيعًا
وَذَا الْبُرَّةِ الَّذِي حَدَّثَ عَنْهُ
وَمَنَا قَبْلَهُ السَّاعِي كَلِيبُ
مَتَى تَعْقُدْ قَرِينَتَنَا بِحَبْلِ
وَنُوجِدْ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذِمَارًا
وَنَحْنُ غَدَاةُ أَوْقَدَ فِي خَزَايِ
وَكُنَّا الْأَيْمِينَ إِذَا أَلْتَقَيْنَا
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ
فَأَبُوا بِالْإِهَابِ وَبِالسَّبَايَا
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ
أَلَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ
عَلَيْنَا الْيَنْصُ وَالْيَلْبُ الْيَلَانِي
عَلَيْنَا كُلُّ سَابِقَةِ دَلَاصٍ
إِذَا أُضِغَّتْ عَنِ الْأَبْطَالِ يَوْمًا
كَانَ غُضُونُهُنَّ مَتُونُ غَدَرٍ
وَتَحْمَلُنَا غَدَاةُ الرُّوْعِ جُرْدٌ
وَرَدَنَ دَوَارِعًا وَخَرَجْنَ شُعْنَا
وَرِثَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ
عَلَى آثَارِنَا بَيْضُ حِسَانٍ

بِهِمْ نَلْنَا تَرَاثَ الْأَكْرَمِينَا
بِهِ نَحْمِي وَنَحْمِي الْمُتَحِينَا
فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا
تَجَدَّ الْحَبْلِ أَوْ تَقْصُ الْقَرِينَا
وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا
رَفَدْنَا فَوْقَ رِفْدِ الرَّاغِبِينَا
وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينَا
وَصَلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا
وَأَبْنَا بِأَلْهُلُوكِ مُصَمِّدِينَا
أَلَّا تَعْرِفُوا مِنَّا أَلْيَقِينَا
كَتَابَ يَطْعِنَ وَيَرْتَمِينَا
وَأَسْيَافُ يَقْمَنَ وَيَنْجَحِينَا
تَرَى فَوْقَ النَّطَاقِ لَهَا غُضُونَا
رَأَيْتَ لَهَا جُلُودَ الْقَوْمِ جُونَا
تُصَفِّقُهَا الرِّيَّاحُ إِذَا جَرِينَا
عُرْفَنَ لَنَا نَقَائِدُ وَأَفْتَلِينَا
كَأَمْثَالِ الرِّصَائِعِ قَدْ بَلِينَا
وَنُورِثُهَا إِذَا مُتْنَا بَلِينَا
نُحَازِرُ أَنْ تُقْسَمَ أَوْ تَهُونَا

كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ
إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَفِ حَيٍّ
نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتِ حَدٍّ
يُسْبَانِ يَرُونَ الْقَتْلَ مَجْدًا
حَدِيًّا النَّاسِ كُلِّهِمْ جَمِيعًا
فَأَمَّا يَوْمَ خَشِينَا عَلَيْهِمْ
وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ
بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ
أَلَا لَا يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَّا
أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا
بِأَيِّ مَشِيَّةٍ عَمَرَوْا بَنَ هِنْدٍ
بِأَيِّ مَشِيَّةٍ عَمَرَوْا بَنَ هِنْدٍ
يَهْدِدُنَا وَتَوَعَدُنَا رُوَيْدًا
فَإِنَّ قَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعَيْتَ
إِذَا عَصَى الثَّقَافُ بِهَا شِمَارَتْ
عَشُورَتَهُ إِذَا انْقَلَبَتْ أَرْتَتْ
فَهَلْ حَدَّثْتَ فِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ
وَرِثْنَا مَجْدَ عَلَقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ
وَرِثْتُ بُهْلَةً وَالْخَيْرَ مِنْهُ

خُضِبْنَ بَارِجُونَ أَوْ طُلِينَا
مِنَ الْهَوْلِ الْمُسَبِّهِ أَنْ يَكُونَا
مُحَافِظَةً وَكُنَّا السَّابِقِينَ
وَشَيْبٍ فِي الْحُرُوبِ مُجَرِّبِينَ
مُقَارَعَةً بَيْنَهُمْ عَنْ بَيْنِنَا
فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصْبًا ثَبِينَا
فَنَمْنَعُنْ غَارَةً مُتَلَبِّسِينَ
نَدُقُ بِهِ السُّهُولَةَ وَالْحَزُونََا
تَضَعُضَعُنَا وَأَنَا قَدْ وَنِينَا
فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينََا
نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِينَا قَطِينَا
تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتُزْزِرِينَا
مَتَى كُنَّا لِأَمِّكَ مَقْتُونِينََا
عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
وَوَلَّتْهُ عَشُورَتُهُ زُبُونَا
تَشْجُ قَفَا الْمُشَقِّفِ وَالْجَبِينَا
بَقْصٍ فِي خُطُوبِ الْأَوَّلِينََا
أَبَاحَ لَنَا حُصُونُ الْمُجْدِ دِينَا
زُهَيْرًا نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينََا

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ طَوَالٍ عَصَيْنَا الْمُلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا
وَسَيِّدٍ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَجَّهَ بِتَاجِ الْمُلْكِ يَحْمِي الْأُجْمَرِينَ
تَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا
وَأَنْزَلْنَا الْبُيُوتَ بِذِي طَلُوحٍ إِلَى الشَّامَاتِ نَنْفِي الْمُوعِدِينَ
وَقَدَّهَرَتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذَبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
مَتَى تُثَقِّلْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يَكُونُوا فِي الْأَقَاءِ لَهَا طَحِينَا
يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرَفِي تَجْدٍ وَلَمْ يَوْتِهَا قُضَاعَةُ أَجْمَعِينَا
تَزَلُّمَ مَنْزِلِ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَجَعَلْنَا الْقَرَى أَنْ تَشْتُمُونَا
قَرِينَاكُمْ فَجَعَلْنَا قِرَاكُمْ قُبِيلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً صُحُونَا
نَعْمُ أَنْسَانَا وَنَعَفُ عَنْهُمْ وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا
نَطَاعِينَ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا
بِسْمٍ مِنْ قَتَا الْخَطِيئِ لَدُنِ ذَوَابِلَ أَوْ بِيضٍ يَعْتَلِينَا
كَانَ جَاهِجُ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَسُوقُ الْأَمْعَزِ يَرْتَمِينَا
نَشْقُ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنَخْتَبُ الرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا
وَإِنْ الضُّغْنُ بَعْدَ الضُّغْنِ يَنْشُو عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدِّفِينَا
وَرِثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمْتَ مَعَدُّ نَطَاعِينَ ذُوهُ حَتَّى يَلِينَا
وَتَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ خَرَتْ عَلَى الْأَحْقَاضِ نَنْعُ مَنْ يَلِينَا
تَجْدُ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ فَمَا يَذَرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا
كَانَ سُيُوقُنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ مَخَارِقُ بِيَايِدِي لَا عِينَا

أَدْعُو بَيْنَ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا تَأْوِي إِلَى الْأُطْنَابِ كُلُّ رَذِيَّةٍ وَيُكَلَّلُونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ إِنَّا إِذَا اتَّلتِ الْمَجَامِعُ لَمْ يَزَلْ وَمُقَسِّمٌ يُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا فَضْلاً وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى مِنْ مَعَشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ إِنْ يَفْزَعُوا تُلَقَّ الْمَغَافِرُ عِنْدَهُمْ لَا يَطْبَعُونَ وَلَا تَبُورُ فِعَالُهُمْ فَاقْتَعِ بِمَا قَسَمَ الْمَلِكُ فَإِنَّمَا وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِمَتْ فِي مَعَشَرٍ فَبَنَى لَنَا بَيْتًا رَفِيعًا سَمَّيْنَاهُ فَهُمْ السُّعَاةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْطَعَتْ وَهُمْ رِبِيعٌ لِلْمَجَاوِرِ فِيهِمْ وَهُمْ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبْطِئَ حَاسِدٌ

نخبة من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نَحْبِرَكَ الْيَقِينَا
بِأَنَّا نَوْرِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

فَعَدَّتْ كَلَامَ الْفَرَجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ
حَتَّى إِذَا يَبَسَ الرُّمَاءُ وَأَرْسَلُوا
فَلَحْمَنَ وَاعْتَكَّرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ
لِتَذُوْدَهُنَّ وَأَيَقَنْتْ إِنْ لَمْ تَذُدْ
فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابَ فَضْرَجَتْ
فَبِتْلَكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالصَّحَى
أَقْضِي اللَّبَانَةَ لَا أَفْرِطُ رِيْبَةً
وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقَرَّةً
وَلَقَدْ حَمَيْتُ أَلْحَى تَحْمِلُ شِكَّتِي
فَعَلَوْتُ مُرْتَقِبًا عَلَى ذِي هَبْوَةٍ
حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ
أَسْهَلْتُ وَأَنْتَصَبْتُ كَجَذْعٍ مُنِيفَةٍ
رَفَعْتُهَا طَرْدَ النَّعَامِ وَفَوْقَهُ
قَلَقْتُ رِحَالَهَا وَأَسْبَلْتُ نَحْرَهَا
تَرَقَّى وَتَطَعَنُ فِي أَلْعَانٍ وَتَنْتَحِي
وَكَثِيرَةً غُرَبَاؤُهَا مَجْهُولَةً
غُلْبٌ تَشْدُرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا
أَنْكَرَتْ بَاطِلَهَا وَبَوَتْ بِحَقِّهَا
وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَنِّهَا

مَوْلَى الْخُفَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا
غَضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامَهَا
كَالسَّهْرِيَّةِ حَدُّهَا وَقَامَهَا
أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الْخُشُوفِ حَمَامَهَا
بَدَمٍ وَغُودِرَ فِي الْمَكْرِ سَخَامَهَا
وَأَجْتَابَ أَرْدِيَّةَ السَّرَابِ إِكَامَهَا
أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةِ لَوَاهَا
قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامَهَا
فُرْطٌ وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لَجَامَهَا
حَرَجٌ إِلَى أَعْلَامِيْنَ قَتَامَهَا
وَأَجْنُ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامَهَا
جَرْدَاءٌ يَحْضُرُ دُونَهَا جَرَامَهَا
حَتَّى إِذَا سَخُنَتْ وَخَفَّ عِظَامَهَا
وَأَبْقَلَ مِنْ زَبَدِ الْحَمِيمِ جَرَامَهَا
وَرَدَّ الْحَمَامَةَ إِذْ أَجَدَّ حَمَامَهَا
رُجَى نَوَافِلَهَا وَيُخْشَى ذَامَهَا
جِنْ أَلْبَدِيِّ رَوَاسِيَا أَقْدَامَهَا
عِنْدِي وَلَمْ يَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامَهَا
بِمَغَالِقِ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامَهَا

وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ
وَأَنَّ أَلْفَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعَدْنَا وَعْدْتُمْ
وَمَنْ أَكْثَرُ التَّسَالِ يَوْمًا سَيَحْرَمُ

نخبة من معلقة ليبد بن ربيعة العامري

٨٩

إِقْطَعْ لُبَانَةً مَنْ تَعَرَّضَ وَصَلُهُ
وَلَحَيْرٌ وَاصِلٌ خُلَّةٌ صَرَامُهَا
بِطَلِيحٍ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً
مِنْهَا فَأَخْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا
وَإِذَا تَغَالَى لَحْمُهَا وَتَحَسَّرَتْ
وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الْكِلَالِ خِدَامُهَا
فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزِّمَامِ كَأَنَّهَا
صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجُنُوبِ جَهَامُهَا
أَقْتَلَكَ أُمٌّ وَحَشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ
خَذَلَتْ وَهَادِيَةَ الصَّوَارِ قِوَامُهَا
خَسَاءٌ ضَيَّعَتِ الْفَرِيدَ فَلَمْ تَرَمْ
عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبَغَامُهَا
لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوُهُ
غُبْسٌ كَوَاسِبٌ لَا يُمْنُ طَعَامُهَا
صَادَوْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَاصْبَنَهَا
إِنَّ الْمُنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا
بَاتَتْ وَأَسْبَلَ وَاكِفٌ مِنْ دِيمَةٍ
تُجْتَا فُأَصْلَاقُ الصَّامِتِ بُدَا
يَعْلُو طَرِيقَةً مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ
تُرْوِي الْخُمَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا
وَيُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مُنِيرَةٌ
بِجُجُوبٍ أَنْقَاءٍ يَمِيلُ هَيَامُهَا
حَتَّى إِذَا انْحَسَرَ الظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ
فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومُ غَمَامُهَا
عَلَّتْ تَرَدُّدٌ فِي نِهَاءٍ صُعَايِدٍ
كُجْمَانَةِ الْبُحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا
حَتَّى إِذَا يَبَسَتْ وَأَسْحَقَ حَالِقٌ
بَكَرَتْ تَرْلُ عَنْ الثَّرَى أَرْلَامُهَا
وَلَسَمَعَتْ رِزًّا الْأَنْبِيسِ قَرَاعَهَا
لَمْ يُبْلِهْ إِرْضَاعُهَا وَفَطَامُهَا
عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ وَالْأَنْبِيسِ سَقَامُهَا

فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَفْقَلُونَهُ
لِحِيَّ جَلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ
كَرَامٍ فَلَاذُو الضَّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ
سَمِيتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ
وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
رَأَيْتُ الْمُنَايَا خَطَّ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِيبُ
وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَجْلُ بِفَضْلِهِ
وَمَنْ يُوفِ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يَهْدِ قَلْبُهُ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمُنَايَا يَنْلَنَهُ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
وَمَنْ يَفْصِ اطِّرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ
وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
وَمَنْ يَفْتَرِبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ
وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يَسْتَرْحِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَكُلِّينِ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُنْجِبٍ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفُ فُؤَادِهِ

صَحِيحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ تَحْجَرِمُ
إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ
ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ
وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدِ عَمِ
تُسْتَهْ وَمَنْ تَخْطِي يَعْمَرُ فِيهِمْ
يُضَرُّ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَلْسَمِ
يُفْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ
عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفَنُّ عَنْهُ وَيُذَمُّ
إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبَرِّ لَا يَتَجَمَّعُ
وَإِنْ دَقَّ أَسْبَابُ السَّمَاءِ بِسَلَامِ
يَكُنْ حَمْدُهُ دَمًا عَلَيْهِ وَيَنْدَمُ
يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْذَمِ
يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يُظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ
وَلَا يُغْفَرُ يَوْمًا مِنَ الذَّلِّ يَنْدَمُ
وَإِنْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

تَدَارَكْتُمْ عَبَسًا وَذُيَّانَ بَعْدَ مَا
وَقَدْ قُتِلَ إِنْ نَذَرِكِ السَّلَامَ وَاسِعًا
فَأَصْبَحَتْ مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ
عَظِيمِينَ فِي عَلِيٍّ مَعْدٍ هُدَيْتَا
تُعَى السُّكُومُ بِالْمَيْنِ فَأَصْبَحَتْ
يُنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ
فَأَصْبَحَ يُجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ
أَلَا أَلْبِغِ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةً
فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ
يُؤَخِّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ
وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ
مَتَى تَبْعُوهَا تَبْعُوهَا ذَمِيمَةٌ
فَقَرَّكُمْ عَرَكُ الرَّحَى بِفَالِهَا
فَقُتِلَ لَكُمْ غُلَامَانِ أَشَامَ كُلُّهُمَا
فَقُتِلَ لَكُمْ مَا لَا تُغَلُّ لِأَهْلِيهَا
رَعَوْا ظِمَاهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا
فَقَضَوْا مَنَایَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا
لَعْنُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ
وَلَا شَارَكَتْ فِي الْمَوْتِ فِي دَمِ نَوَافِلِ

تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَشْهُمٍ
بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمٍ
بَعِيدِينَ فِيهَا مِنْ عُشُوقٍ وَمَأْثَمٍ
وَمَنْ يَسْتَجِ كُنْزًا مِنَ الْحُجْدِ يَعْظُمُ
يُنْجِمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بُحْرِمٍ
وَلَمْ يَهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلًّا حُجْمٍ
مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزْنَمٍ
وَذُيَّانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مُقْسَمٍ
لِيُخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمُ اللَّهُ يَعْلَمُ
لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلُ فَيَنْقَمُ
وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ
وَتَضَرَّ إِذَا ضَرَّ يَتَوَّاهَا فَتَضَرَّ
وَتَلْقَحُ كَسَافَاتُكُمْ تُنْتِجُ قَتْلَكُمْ
كَأَهْرٍ عَادِيكُمْ تُرْضِعُ قَنْطَرِمْ
قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمٍ
غِمَارًا تَقْرَى بِالسَّلَاحِ وَبِالدِّمِ
إِلَى كَلَالٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَحِّمٍ
دَمَ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمَثْلَمِ
وَلَا وَهَبَ مِنْهَا وَلَا ابْنَ الْخُزْمِ

يَقُولُ وَقَدْ تَرَّ الْوُظِيفُ وَسَاقَهَا
وَقَالَ أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ
فَقَالَ ذَرُوهُ إِنَّمَا نَفَعَهَا لَهُ
فَظَلَّ الْإِمَاءُ يَتَمَلَّنَ حُورَاهَا
فَإِنْ مِتُّ فَأَنْعِمْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
وَلَا تَجْعَلِينِي كَأَمْرِي لَيْسَ هُمُ
بَطِيءٌ عَنِ الْجَلِيِّ سَرِيعٌ إِلَى الْخُتَا
فَلَوْ كُنْتُ وَغَلَّافِي الرِّجَالِ لَضَرَّنِي
وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي الرِّجَالُ جَرَاءَتِي
لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغَمَّةٍ
وَيَوْمَ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهَا
عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الْفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى
وَأَصْفَرَ مَضْبُوحَ نَظَرْتُ حَوَارَهُ
سَتْبَدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبْعْ لَهُ
بَتَاءًا وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ

نخبة من معلة زهير بن ابي سلمى المزني

٨٨

فَاقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
يَمِينًا لَنِعَمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا
سَعَى سَاعِيَا غِيْظَ بَنِي مُرَّةٍ بَعْدَ مَا
رَجَالَ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجَرُّهُمْ
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبَرَّمٍ
تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدَّمِ

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَجْجَةٍ
 فَظَلَّ طُهَاهُ أَلْحَمَّ مِنْ بَيْنِ مُنْضَجٍ
 وَرُخَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ
 فَبَاتَ عَلَيْهِ سِرْجُهُ وَجَلَامُهُ
 أَصَاحَ تَرَى بَرْقًا أُرْيَاكِ وَمِیْضَهُ
 يُضِي سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ
 قَعَدَتْ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِحٍ
 عَلَى قَطَنِ بِالشِّمِّ أَيْمَنُ صَوْبِهِ
 فَأَضْحَى يَسُخُّ الْمَاءُ فَوْقَ كُتَيْفَةٍ
 وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفْيَانِهِ
 وَتِيَاءٌ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذَعَ نَخْلَةٍ
 دِرَاكًا وَلَمْ يُنْضِجْ بِمَاءٍ فَيَغْسِلِ
 صَفِيفَ شَوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُجَلِّ
 مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْهَلِ
 وَبَاتَ بَعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ
 كَلَمَعَ الْيَدَيْنِ فِي حَيٍّ مُكَّالِ
 أَمَالَ سَلِيطًا بِالذُّبَالِ الْمَقْتَلِ
 وَبَيْنَ الْعَذِيبِ بَعْدَ مَا مُتَأَمَّلِ
 وَأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَارِ فَيَذُبِلِ
 يَكْبُ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحُ الْكَنْهَلِ
 فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعُصَمَاءَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ
 وَلَا أَطْمَأ إِلَّا مَشِيدًا يَجْنَدِلِ

نخبة من معلقة طرفة بن العبد البكري

٨٧

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ
 وَأَلَيْتُ لَا يَنْفَكُ كَشْحِي بِطَانَةٍ
 حُسَامٍ إِذَا مَا قُتُّ مُتَّصِرًا بِهِ
 أَخِي ثِقَّةٌ لَا يَنْشِي عَنْ ضَرِيَّةِ
 إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السَّلَاحَ وَجَدْتَنِي
 وَبَرَكَ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي
 فَمَرَّتْ كَهَاءُ ذَاتٍ خِيفٍ جُلَالَةٍ
 خَشَّاشٌ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ
 لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهْدٍ
 كَفَى الْعُودَ مِنْهُ الْبَدَأُ لَيْسَ بِمَعْصِدِ
 إِذَا قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِزُهُ قَدِي
 مَنِيعًا إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي
 بِوَادِيهَا أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ
 عَقِيلَةٌ شَنِخٌ كَالْوَيْلِ يَلْنَدُ

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الشِّعْرِ الْقَدِيمِ

مُخَبَّرٌ مِنَ الْمَعْلَقَاتِ

نَجْةٌ مِنْ مَعْلَقَةِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ خُبْرٍ الْكَنْدِيِّ

٨٦

وَلَيْلٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَى بِصُلْبِهِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ
وَقَدْ أَغْنَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
مَكْرٍ مَفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدِيرٍ مَعَا
كَمِيتٍ يُزِلُّ اللَّبَدَ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ
عَلَى الدَّبَلِ جَيَّاشٍ كَأَنَّهُ تَرَامَهُ
مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَتَى
يُزِلُّ الْفَلَامَ الْحِفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ
دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ
لَهُ أَيْطَ لَا ظَنِي وَسَاقَا نِعَامَةٍ
فَمَنْ لَنَا سِرْبٌ كَانَ نِعَاجَهُ
فَالْحَمْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ
عَلَى أَنْوَاعِ الْهُمُومِ لَيْتَلِي
وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَاكِلِ
بِصُحْبٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمَثَلِ
بِأَمْرٍ أَسِ كَتَّانٍ إِلَى صَمٍّ جَنْدَلِ
بِمُجَرِّدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عِلِ
كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزِلِ
إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهِ عَلَى مِرْجَلِ
أَثْرَنَ غُبَارًا بِالْكَدِيدِ الْمُرْكَلِ
وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ
تَتَابَعُ كَفِّهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ
وَإِنْخَاءِ سِرْحَانٍ وَتَقَرِيبِ مُثْقَلِ
عَذَارَى دُورٍ فِي مَلَأٍ مُذَلِّ
جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَرَّيْلِ

أَسْدُ كَانَ سُكُونَهَا مُتَحَرِّكٌ فِي النَّفْسِ لَوْ وَجَدَتْ هُنَاكَ مُشِيرًا
وَتَذَكَّرَتْ فَتَكَتْهَا فَكَأَنَّمَا أَقَعَتْ عَلَى أَذْبَارِهَا لِسُورًا
وَتَخَالَهَا وَالشَّمْسُ تَجَلُّو لَوْنَهَا نَارًا وَالسُّنْهَ الْأَوَاحِشَ نُورًا
فَكَأَنَّمَا سَلَّتْ سُيُوفَ جَدَاوِلٍ ذَابَتْ بِهَا نَارُ فَعْدُنَ غَدِيرًا
وَكَأَنَّمَا نَسَجَ النَّسِيمُ لِمَا بِهِ دِرْعًا فَقَدَّرَ سَرْدَهَا تَقْدِيرًا
وَبَدِيعَةِ الثَّمَرَاتِ تَعَبَّرُ نَحْوَهَا عَيْنَايَ بِحَرِّ عَجَائِبِ مَسْجُورًا
شَجَرِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ تَزَعَّتْ إِلَى سَحَرٍ يُؤَثِّرُ فِي النَّهْيِ تَأْثِيرًا
قَدْ صُوِّبَتْ أَغْصَانُهَا فَكَأَنَّمَا قَبَضَتْ بَيْنَ مِنَ الْفَضَاءِ طُيُورًا
وَكَأَنَّمَا تَأْتِي لَوْقَعَ طَيْرِهَا أَنْ تَسْتَقِلَّ بِنَهْضِهَا وَتَطِيرًا
مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ تَرَى مِنْقَارَهَا مَاءً كَسَالِ الْخَيْنِ نَمِيرًا
خُرْسٌ يُعَدُّ مِنَ الْفَصَاحِ فَإِنْ شَدَتْ جَعَلَتْ تُغَرِّدُ بِالْمِيَاهِ صَفِيرًا
وَكَأَنَّمَا فِي كُلِّ غَضَنِ رِضَّةٌ لَأَنْتَ فَارْسِلْ خَيْطَهَا مَجْرُورًا
وَتُرِيكَ فِي الصَّهْرِ بِحَرِّ مَوْقِعِ قَطْرِهَا فَوْقَ الزَّرْجَدِ لَوْلُؤًا مَشُورًا
صَحَكَتْ مُحَاسِنُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّمَا جَعَلَتْ لَهَا زَهْرَ النُّجُومِ نُغُورًا
وَمُصَفِّحِ الْأَبْوَابِ تَبْرًا نَظَرُوا بِالنَّقْشِ فَوْقَ سُكُوبِهِ تَنْظِيرًا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَائِبِ سَقْفِهِ أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرًا
وَضَعَتْ بِهِ صُنَاعَهَا أَقْلَامَهَا فَارْتَكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصَوِيرًا
وَكَأَنَّمَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لَيْقَةٌ مَسْقُوبَاتِهَا التَّرْوِيقَ وَاللَّشْحِيرًا
وَكَأَنَّمَا الْأَلْأَزْدُ فِيهِ مُخَرَّمٌ بِالْخَطِّ فِي وَرَقِ السَّمَاءِ سُطُورًا

وَالطَّيْرُ قَدْ خَفَّتْ عَلَى أَفْئَانِهَا تُلْقِي فُنُونَ الشَّدْوِ فِي أَسْلُوبِهَا
تَشْدُو وَتَهْتَرُ الْفُصُونُ كَأَنَّمَا حَرَكَاتُهَا رَقْصٌ عَلَى تَطْرِيبِهَا

٨٥ قال ابن حمديس الصقلي يصف داراً بناها المنصور بن اعلی ببحایة

أَعْمَرَ بِقَصْرِ الْمَلِكِ نَادِيكَ الَّذِي أَضْحَى بِمَجْدِكَ بَيْتُهُ مَعْمُورًا
قَصْرُ لَوْ أَنَّكَ قَدْ كَحَلْتَ بُنُورِهِ أَعْمَى لَعَادَ إِلَى الْمَقَامِ بَصِيرًا
وَأَشَقَّ مِنْ مَعْنَى الْجَنَانِ لَسِيمُهُ فَيَكَادُ يُخْدِثُ بِالْعِظَامِ نُشُورًا
لِسِي الصَّبِيحِ مَعَ الْفَصِيحِ بِذِكْرِهِ وَسَمَا فَقَاقَ خُورَنَقًا وَسَدِيدًا
أَبْصَرْتُهُ قَرَأْتُ أَبْدَعَ مَنْظَرٍ ثُمَّ أَنْتَيْتُ بِنَاطِرِي مُحْشُورًا
فَظَنَنْتُ أَنِّي حَالِمٌ فِي جَنَّةٍ لَمَّا رَأَيْتُ الْمَلِكَ فِيهِ كَبِيرًا
لَوْ أَنَّ بِالْإِيوَانِ قُوبِلَ حُسْنُهُ مَا كَانَ شَيْئًا عِنْدَهُ مَذْكَورًا
أَعْيَتْ مَصَانِعُهُ عَلَى الْقُرْسِ الْأَلَى رَفَعُوا الْإِنَاءَ وَأَحْكُمُوا التَّدْبِيرَا
وَمَضَتْ عَلَى الرُّومِ الدُّهُورُ وَمَا بَنُوا لِلْمُلُوكِ شَبَهَا لَهُ وَنَظِيرَا
أَذْكُرْنَا الْفَرْدَوْسَ حِينَ أَرَيْنَا غُرَفًا رَفَعَتْ بِنَاءَهَا وَقُصُورَا
وَنُحَصَّبَ بِالْدَّرِّ تَحْسَبُ تَرْبُهُ مِسْكًا تَضُوعَ نَشْرُهُ وَعَبِيرَا
لَسْتَخْلَفُ الْأَبْصَارُ مِنْهُ إِذَا أَتَى صُبْحًا عَلَى غَسَقِ الظَّلَامِ مُنِيرَا

ثم ذكر بركة فيه عليها أشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه . ثم تفتن وذكر
أسوداً على حافاتها قاذفة بالمياه أيضاً فقال :

وَضَرَاغِمٍ سَكَنْتَ عَرِينَ رِنَاسَةٍ تَرَكْتَ خَرِيدَ الْمَاءِ فِيهِ زَيْتَا
فَكَأَنَّمَا غَشَى النُّضَارُ جُسُومَهَا وَأَذَابَ فِي أَفْوَاهِهَا الْبُلُورَا

مِنْ حَالِكِ اللَّوْنِ كَنَحِ الدَّجَى وَنَاصِعٍ يَلْمَعُ كَالْكَوْكَبِ
أَطْيَبُ بِهَا حِلًّا وَمَخْظُورَةٌ فِي كَرَمِهَا وَكَأْسِهَا الْأَطْيَبِ

زهرية الفقيه ابي الحسن بن زنباع

٨٤

أَبَدَتْ لَنَا الْأَيَّامُ زَهْرَةَ طَيْبِهَا وَتَسَرَّبَتْ بِنَضِيرِهَا وَقَشِيرِهَا
وَأَهْتَرَّ عَطْفُ الْأَرْضِ بَعْدَ خُشُوعِهَا وَبَدَتْ بِهَا النِّعْمَاءُ بَعْدَ سُخُوبِهَا
وَتَطَلَّعَتْ فِي عُفْوَانِ شَبَابِهَا مِنْ بَعْدِ مَا بَلَغَتْ عَتِيَّ مَشِيرِهَا
وَقَفَتْ عَلَيْهَا السُّحُبُ وَفَقَّةَ رَاحِمٍ قَبَكَتْ لَهَا بَعُيُونُهَا وَقُلُوبُهَا
فَجَبَّتْ لِلْأَزْهَارِ كَيْفَ تَضَاحَكْتَ بِبُكَائِهَا وَتَبَشَّرْتَ بِقُطُوبِهَا
وَتَسَرَّبَتْ حَلًّا لَا تَجُرُّ ذُيُوبُهَا مِنْ لَدَمِهَا فِيهَا وَشَقَّ جُيُوبُهَا
فَلَقَدْ أَجَادَ الزُّنُّ فِي إِنْجَادِهَا وَأَجَادَ حَرُّ الشَّمْسِ فِي تَرْتِيبِهَا
مَا أَنْصَفَ الْحَيْرِيُّ يَمْنَعُ طَيْبَهُ لِحُضُورِهَا وَيُيَخِّجُهُ لِمَغِيبِهَا
وَهِيَ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهِ يَدْفَعُهَا وَنَكَاهَتْهُ بِدَرِّهَا وَحَلِيْبِهَا
فَكَأَنَّهُ قَرَضَ عَلَيْهِ مَوْتٌ وَوُجُوبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِوُجُوبِهَا
وَعَلَى سَمَاءِ الْيَاسَمِينِ كَوَاكِبُ أَبَدَتْ ذُكَا الْفَجْرِ عَنْ تَقْيِيدِهَا
زَهْرُ تَوَقَّدُ لَيْلَهَا وَنَهَارُهَا وَتَفُوتُ شَاوُ خُسُوفِهَا وَغُرُوبِهَا
فَتَنَارَجَتْ أَرْجَاؤُهَا بِهَبُوبِهَا وَتَعَانَقَتْ أَزْهَارُهَا بِبُكُوبِهَا
وَتَصَوَّبَتْ فِيهَا فُرُوعُ جَدَاوِلٍ تَصَاعَدُ الْأَبْصَارُ فِي تَصَوُّبِهَا
تَطْفُو وَتَرَسُّبُ فِي أَصُولِ ثَمَارِهَا وَالْحُسْنُ بَيْنَ طُفُوهَا وَرُسُوبِهَا
أَوْ مَا تَرَى الْأَزْهَارَ مَا مِنْ زَهْرَةٍ إِلَّا وَقَدْ رَكِبَتْ فَقَارَ قَضِيْبِهَا

مَتَابِكًا فَكَأَنَّهُ مُتَطَلِّبٌ مَا لَا يُودَى
 مُتَلَفَعًا بِالْكِبْرِيَاءِ ۚ كَأَنَّهُ مَلِكٌ مُفْدَى
 أَذْنَى إِلَى الشَّيْءِ الْبَعِيدِ يُرَادُّ مِنْ وَهْمٍ وَأَهْدَى
 أَذْكَى مِنَ الْإِنْسَانِ حَتَّى لَوْ رَأَى خَلًّا لَسَدًّا

وصف الكرمة للطبرائي

٨٣

وَكَرْمَةٍ أَعْرَاقُهَا فِي الثَّرَى بَعِيدَةِ الْمُنْزَعِ وَالْمُضْرِبِ
 كَرِيمَةٍ تَلْتَفُ أَغْصَانُهَا مِثْلَ الْفَضَّةِ بِالْأَقْرَبِ فَأَلْأَقْرَبِ
 يَتَكَحُّ مِنْ قَعْرِ الثَّرَى رِيحًا أَشْطَانُهَا عَفْوًا وَلَمْ تُجْدِبِ
 أَنْفَاحُ الرِّيحِ وَصُوبُ الْحَيَا وَالشَّمْسُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
 فَأَعْقَبَتْ حَامِلُهَا بَعْدَ مَا عَاشَتْ زَمَانًا رَهِي لَمْ تُعْقِبِ
 وَوَضَعَتْهَا بِحِمَى يَتَمَيَّ إِلَى أَبِي الْكَرْمِ بِهِ مِنْ أَبِي
 وَأَلْحَفَتْهَا خُضْرُ أَوْرَاقِهَا مَعْدُوبَةً بِالْحَلَبِ الْأَعْدَبِ
 وَبَدَلَتْ خُضْرَ عَنَاقِيدِهَا بِأَذْهَمِ النُّجُومِ وَالْأَشْهَبِ
 فَاسْتَسَلَّتْ مَاءً وَجَاءَتْ بِهِ مُدَامَةً كَالْقَبَسِ الْمُلهَبِ
 وَلَمْ تَلَّ بِالرِّفْقِ حَتَّى اكْتَسَى لُجْنُهَا مِنْ صُنْعِهَا الْمَذْهَبِ
 فَأَلْأَشْفَرُ الْمُسُوجِ مِنْ نَسْلِهَا سَلِيلُ ذَاكَ الْأَشْهَبِ الْمُجَبِ
 تَرَى الثَّرِيًّا مِنْ عَنَاقِيدِهَا تَلُوحُ فِي أَخْضَرِ كَالْفَيْهَبِ
 أَلْوَانُهَا شَتَّى وَأَنْوَاعُهَا مُثَقَّاتُ النَّجْرِ وَالْمُنْصَبِ
 كَمْ سَجٍّ فِيهِ وَكَمْ جَزَعَةٍ صَحِيحَةِ التَّدْوِيرِ لَمْ تُثَقِّبِ

أَوْ شَقِيقَ الرُّوضِ مُنْتَظِمًا فَوْقَ مُجْدُولٍ مِنَ الْقَصَبِ
أَوْ ذُرَى نِيلُوفِرٍ رُفِعَتْ فَوْقَ قُضْبَانٍ مِنَ الْغَرَبِ

وصف الفيل لأبي الحسن الجوهري

فِيلٌ كَرَضَوَى حِينَ يَلْبَسُ مِنْ رِقَاقِ النِّعَمِ بُرْدًا
مِثْلُ الْغَمَامَةِ مُلِيتُ أَكْنَافُهَا بَرَقًا وَرَعْدًا
رَأْسٌ كَقَلَّةٍ شَاهِقٍ كُسِيتَ مِنَ الْخِيَلِ جِلْدًا
قَرَأَهُ مِنْ قُرْطِ الدَّلَالِ لِ مُصْعِرٍ لِلنَّاسِ خَدًّا
يُزْهِى بِخَرْطُومٍ كَمِثْلِ الصَّوْلَجَانِ يُرْدُّ رَدًّا
يَسْطُو بِسَارِيَّتِي لِحْنٍ يَخْطِمَانِ الصَّخْرَ هَدًّا
أُذْنَاهُ مَرْوَحَتَانِ أَسْنَدَتَا إِلَى الْقَوْدَيْنِ عَقْدًا
عَيْنَاهُ غَارَتَانِ ضَيِّقَتَا لَجْمِ الضَّوْءِ عَمْدًا
فَكُّ كَفْوَهِهِ الْخَلِيجِ يُلُوكُ طُولَ الدَّهْرِ حَقْدًا
تَلْقَاهُ مِنْ بُعْدٍ فَتَحْسَبُهُ غَمَامًا قَدْ تَبَدَّى
مَتْنًا كَبُئْيَانِ الْخَوْزِ نَقِ مَائِلًا فِي الدَّهْرِ كَدًّا
رِدْفًا كَدَكَّةٍ غَنَبٍ مُتَمَائِلِ الْأَوْرَاكِ نَهْدًا
ذَنَبًا كَمِثْلِ السَّوْطِ يَضْرِبُ حَوْلَهُ سَاقًا وَزَنْدًا
يَخْطُو عَلَى أَمْشَالِ أَعْمَدَةِ الْخَبَاءِ إِذَا تَصَدَّى
أَوْ مِثْلَ أَمْيَالٍ نُضِدْ نَ مِنَ الصُّخُورِ الصُّمِّ نَضْدًا
مُتَوَرِّدًا حَوْضَ الْمَنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَشْتَاقُ وَرَدًا

نَزَّسُفَهَا مِنْ تَحْتِهَا بِبُنْدُقٍ يَغْرَجُ كَالشَّهْبِ إِلَيْهَا وَاصِلًا
فَمَا رَقِيَ تَحْتَ الطُّيُورِ صَاعِدٌ إِلَّا ائْتَدَى بِهَا الْبَلَاءُ نَازِلًا
لِلَّهِ أَيَّامٌ يَهْوُرُ بِأَبِلٍ أَضْحَى بِهَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا بِأَخْلَا
فَكَمْ قَضَيْنَا فِيهِ شَمَلًا جَامِعًا وَكَمْ صَحَبْنَا فِيهِ جَمْعًا شَامِلًا

ولصني الدين الحلي في صفة الشمع

٨١

جَلَّتِ الظُّلُمَاءُ بِاللَّهَبِ إِذْ بَدَتْ فِي اللَّيْلِ كَالشَّهْبِ
فَانْجَلَّتْ فِي تَاجِهَا فَجَلَّتْ ظَلَمَ الْأَحْزَانِ وَالْكَرْبِ
سَفَرَتْ كَالشَّمْسِ ضَاحِكَةً مِنْ تَوَارِي الشَّمْسِ فِي الْحُجْبِ
مَا رَأَيْنَا قَبْلَ مَنْظَرِهَا ضَاحِكًا فِي زِيٍّ مُتَجَبِّ
كَيْفَ لَا تَحْلُو ضَرَائِبُهَا وَبِهَا ضَرْبٌ مِنَ الضَّرْبِ
خَلَّتْهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ وَتُجُومُ الْأَفْقِ لَمْ تَغِبْ
قُضِبًا مِنْ فِضَّةٍ غُرِسَتْ فَوْقَ كُشْبَانٍ مِنَ الذَّهَبِ
أَوْ يَوَاقِيَتَا مُنْضَدَّةً بَيْنَ أَيْدِينَا عَلَى قُضْبِ
أَوْ رِمَاحًا فِي الْعَدَى طَعَنْتْ فَقَدَتْ مُحَمَّرَةً الْعَذْبِ
أَوْ سِهَامًا نَضَلَهَا ذَهَبٌ لِسَوَى الظُّلُمَاءِ لَمْ تُصَبِّ
أَوْ أَعَالِي حُمِرِ الْوَيْةِ نُشِرَتْ فِي حَجَفَلٍ لَجِبِ
أَوْ شَوَاطِئًا لِلْقَرَى رُفِعَتْ تَتَرَاءَى فِي ذُرَى كَشِبِ
أَوْ لَطَى نَارِ الْحَبَابِ قَدْ لَمَعَتْ لِلْعَيْنِ عَنْ لَبِ
أَوْ عُيُونَ الْأَسَدِ مُوَصَّدَةً فِي ذُرَى غَابٍ مِنَ الْقَصَبِ

فَالْيَيْضُ يَهْتَفْنَ وَالْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ مِمَّا تَرَى وَخُدُودُ الْقَوْمِ تَشْعُرُ
تَكْسُوهُمْ مَرْهَفَاتٌ غَيْرُ مُجْدِيَةٍ لِيَشْفِي أَخْتِرَاطُ طُبَاهَا مِنْ بِهِ صَعُرُ
هِنْدِيَّةٌ كَأَشْتِعَالِ النَّارِ تَقْصِمُهُمْ بِهَا مَغَاوِرُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ غَيْرُ

٨٠ لصني الدين الحلي في وصف صيد الكراكي عند قدومها من البطائح

ورحيلها الى الجبال في فصل الربيع

أَهْلًا بِهَا قَوَادِمًا رَوَاحِلًا تَطْوِي أَلْفَا وَتَقْطَعُ أَلْمَرَا حِلَا
تَذَكَّرْتَ أَكَّامَ دَرَبِنَدَاتِهَا وَعَاقَتْ أَلْأَجَامَ وَالسَّوَا حِلَا
أَذْكُرْهَا عَرَفُ الرَّبِيعِ الْفَهَا فَأَقْبَلْتُ لِشَوْقِهَا حَوَامِلَا
تَقْرُقُ فِي الْجَوِّ بِصَوْتٍ مُطْرِبٍ يَشُوقُ مَنْ كَانَ إِلَيْهَا مَا نِلَا
لَمَّا رَأَتْ حَرَّ الْمَصِيفِ مُقْبِلًا وَطِيبَ بَرْدِ الْقَرِّ ظِلًّا زَانِلَا
أَهْمَلْتُ التَّخْيِيطَ فِي مَطَارِهَا وَعَسَّكَرْتُ لِسِيرِهَا قَوَافِلَا
تَنْهَضُ مِنْ صَرَحِ الْجَلِيلِ تَحْتَهَا بِأَرْجُلٍ لِبَرْدِهِ قَوَابِلَا
قَدْ أَنْفَتِ أَيَّامٌ كَانُونَ لَهَا مِنْ أَنْ تَرَى مِنَ الْحُلَى عَوَاطِلَا
فَصَاغَتْ الطَّلَّ لَهَا قَلَابِدًا وَالتَّلَجَّ فِي أَرْجُلِهَا خَلَاحِلَا
لَمَّا دَعَانِي صَاحِبِي لِبَرْزَةِ وَتَبَّهَ الزَّمِيلَ وَالْمَقَاوِلَا
أَجَبْتُهُ مُسْتَبْشِرًا بِقَصْدِهَا نَبَّهْتُمْ لَيْثَ عَرِينٍ بَاسِلَا
نُمُّ بَرَزْنَا نَقْتِي آثَارَهُ وَنَقْصِدُ الْأَمْلَاقِ وَأَلَمْتُ هِلَا
وَالصُّبْحُ قَدْ أَعْمَنَا بِنُورِهِ لَمَّا أُنْتَنَى جَنَحُ الظَّلَامِ رَاحِلَا
وَقَدْ أَقْنَا فِي الْمَقَامَاتِ لَهَا مَعَالِمًا تَحْسِبُهَا مَجَاهِلَا

عَبْرَى هَتَكْنَ فَنَلَعْنَنَّ عَلَى الدُّجَى
وَكَانَ أَفْقَامِنْ تَلَاؤُ نَجْمِهِ
وَالْفَجْرِ فِي صَفْوِ الْمَوَاءِ مُورِدٌ
يَا لَيْلُ مَا لَكَ لَا تَيْبُ كَوَاكِبَا
لَوْ أَنَّ لِي بِضِيَاءَ صُبْحِكَ طَلَقَةً
حَذَرَ أَعْلَيْكَ وَلَوْ قَدَرْتُ بِحِيلَتِي
يَا صُبْحُ هَاكَ شَيْبَتِي فَأَفْتُكَ بِهَا
أَفْقَدْتَنِي أَنْسِي بِأَجْمِهَا أَلَّتِي

للربيع بن زياد العبسي في وصف حرب

٧٩

قِيدَتْ لَهُمْ فَيَلَقُ شَهْبَاءُ كَالِحَةً
صَرِيفُ أَنْيَابِهَا صَوْتُ الْحَدِيدِ إِذَا
وَدَرَهَا الْمَوْتُ يَقْوَى فِي مَخَالِبِهَا
فِي جَوِّهَا الْبَيْضُ وَالْمَآذِي مُخْتَلِطٌ
حَتَّى إِذَا وَجَّهَتْهَا وَهِيَ كَالِحَةٌ
جَاءَتْ بِكُلِّ كَيْمٍ مُعْلَمٍ ذَكَرُ
مُسْتَوْرِدِينَ الْوَعَى لِلْمَوْتِ رَدُّهُمْ
لَهُمْ سَرَائِلُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ وَمِنْ
مُظَاهِرَاتٍ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَأْسِهِمْ
فِي يَوْمٍ حَتَفَ بِهَا النَّاطِرُونَ لَهُ

بِالْمَوْتِ تَسْرِي وَبِالْأَبْطَالِ تَقْتَسِرُ
فَضَّ الْحَدِيدِ بِهَا أَنْبَاؤُهَا الْوَقْرُ
لِلوَارِدِينَ يُوَافِي وَرَدَهَا الصَّدْرُ
وَالْجُرْدُ وَالْمُرْدُ وَالْخَطِيئَةُ السُّرُ
شَوْهَاءُ مِنْهَا حِمَامُ الْمَوْتِ يُنْتَظَرُ
فِي كَفِّهِ ذَكَرٌ يَسْعَى بِهِ ذَكَرُ
يَوْمَ الْخِفَافِ عَلَى رُؤَادِهِمْ عَسِرُ
نَضْحِ الدِّمَاءِ سَرَائِلُ لَهُمْ أُخْرُ
لَوْنَانِ جَوْنُ وَأُخْرَى فَوْقَهُمْ حَمْرُ
مَا إِنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ

وَلَوْ رُمْنَا حَمِينَهَا الْبَوَادِي كَمَا تَحْمِي أَسْوَدُ الْغَابِ غَابَا
إِذَا مَا أَرْسَلَ الْأَمْرَاءَ جَيْشًا إِلَى الْأَعْدَاءِ أَرْسَلْنَا الْكِتَابَا
أَنَا بَيْنَ الضَّارِبِينَ الْأَهَامِ قَدَمًا إِذَا كَرِهَ الْمُحَامُونَ الضَّرَابَا
أَلَمْ تَعْلَمْ وَمِثْلَكَ قَالَ حَقًّا بِأَنِّي كُنْتُ أَثَقَبَهَا شَهَابَا

لابن طباطبا الحسيني في وصف الليل

٧٨

وَتَوَفَّةٌ مَدَّ الضَّمِيرَ قَطَعَتْهَا وَاللَّيْلُ فَوْقَ إِكَامِهَا يَتَرَعُ
لَيْلٌ يَمُدُّ دُجَاهُ دُونَ صَبَاحِهِ آمَالُ ذِي الْحِرْصِ الَّذِي لَا يَفْنَعُ
بَاتَتْ كَوَاكِبُهُ تَحُوطُ بَقَاءَهُ فِي كُلِّ أَفْقٍ مِنْهُ نَجْمٌ يَلْمَعُ
زَهْرٌ يُثِيرُ عَلَى الصَّبَاحِ طَلَانًا حَوْلَ السَّمَاءِ فَهِنَّ حَسْرَى ضَلَعُ
مُتَقَطَّاتٌ فِي الْمَسِيرِ كَأَنَّهَا بَاتَتْ تُنَاجِي بِالَّذِي يُتَوَقَّعُ
وَالصَّبْحُ يَرْقُبُ مِنْ دُجَاهِ غِرَّةً مُتَضَائِلٌ مِنْ سُخْفِهِ يَتَطَّلَعُ
مُتَفَسِّسًا فِيهِ جَنَانًا وَاهِنًا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ سَاعَةٌ يَتَشَجَّعُ
حَتَّى أُرْوَى اللَّيْلُ الْبَهِيمُ لِضَوْئِهِ وَقَدْ اسْتَجَابَ ظَالِمُهُ يَتَشَسَّعُ
وَبَدَتْ كَوَاكِبُهُ حَيَارَى فِيهِ لَا تَدْرِي بِوَشْلِ رِيَالِهَا مَا تَصْنَعُ
مُتَهَادِلَاتِ النُّورِ فِي آفَاقِهَا مُسْتَعْبِرَاتٍ فِي الدُّجَى تَسْتَرْجِعُ
وَكَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ تَبْسُطُ بَاعَهَا لِتُعَاقِبَ الظُّلُمَاءَ وَهِيَ تُودَّعُ
وَكَأَنَّهَا فِي الْجَوِّ نَعَشٌ أَخْرَجَ وَلَا يُبْكِي وَيُوقِفُ تَارَةً وَيُشِيعُ
وَكَأَنَّهَا الشَّعْرَى الْعُبُورُ وَرَاءَهَا تَكَلَّى لَهَا دَمْعٌ غَزِيرٌ يَهْمَعُ
وَبَدَتْ نَعَشٌ قَدْ بَرَزْنَ حَوَاسِرًا قَدَامَهَا أَخَوَاتُهَا الْأَرْبَعُ

وَلَوَاحِقٍ مِثْلُ الْأَهْلَةِ جُنَعٌ
يَذْهَبْنَ فِيهَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةٌ
وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أَسُودُ خِلَافَةٍ
فَكَأَنَّمَا النُّجُورُ أُسْتَعَارَ بِرِيهِمْ

لَحَقَ الْمُطَابِبِ فَأَثَاتِ الْمُهْرَبِ
وَيَحْنُ فِعْلَ الطَّائِرِ الْمُتَغَلِّبِ
تَحْتَالُ فِي عُدَدِ السَّلَاحِ الْمُرْهَبِ
ثَوْبَ الْجَمَالِ مِنَ الرَّبِيعِ الْمُذْهَبِ

٧٧ قال ابو فراس الحمداني يصف قتال سيف الدولة لاهل قنسرين وقبائل العرب

وَلَمَّا سَارَ سَيْفُ الدِّينِ سِرْنَا
أَسِنَّةُ إِذَا لَاقَى طِعْمَانًا
دَعَانَا وَالْأَسِنَّةُ مُشْرَعَاتُ
صَنَائِعٍ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ
وَكُنَّا كَالسَّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ
فَلَمَّا أُشْتَدَّتِ الْهَيْجَاءُ كُنَّا
وَأَمْنَعُ جَانِبًا وَأَعَزُّ جَارًا
سَقَيْنَا بِالرِّمَاحِ بَنِي قُشَيْرٍ
وَسِرْنَا بِالْخَيُْولِ إِلَى بُمَيْرٍ
وَلَمَّا أَيْقَنُوا أَنَّ لَا غِيَاثَ
وَعَادَ إِلَى الْجَمِيلِ لَهُمْ فَعَادُوا
أَمَرَ عَلَيْهِمْ خَوْفًا وَأَمْنًا
أَحْلَهُمُ الْجَزِيرَةَ بَعْدَ يَأْسٍ
دِيَارُهُمْ أَنْتَرَعْنَاهَا اقْتِسَارًا

كَمَا هَيَّجَتْ آسَادًا غَضَابًا
صَوَارِمُهُ إِذَا لَاقَى ضِرَابًا
فَكُنَّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ الْجَوَابَا
وَعَرَسُ طَابِ عَارِسُهُ فُطَابَا
مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابَا
أَشَدَّ مَخَالِبًا وَأَحَدٌ نَابَا
وَأَوْفَى ذِمَّةً وَأَقْلَّ عَابَا
يَطْنُ الْعَنْتَرِ السَّمَّ الْمَذَابَا
تَجَادَبْنَا أَعْنَتَهَا جَذَابَا
دَعَاؤُهُ لِلْمَغْوَةِ فَاسْتَجَابَا
وَقَدْ مَدُّوا لِمَا يَهْوَى الرِّقَابَا
أَذَاقَهُمْ بِهِ أَرْيَا وَصَابَا
أَخُو حِلْمٍ إِذَا مَلَكَ الْعِقَابَا
وَأَرْضَهُمْ أُغْتَصَبْنَاهَا أُغْتَصَابَا

فَهُوَ طَهَا إِنْ كَانَ ضَرْبَةً لَازِبٍ
وَتَكُونُ عَالَمَةً بِكُلِّ حَقِيقَةٍ
وَهِيَ الَّتِي قَطَعَ الزَّمَانُ طَرِيقَهَا
فَكَانَهَا بَرَقٌ تَأْتَى بِالْحَمَى

٧٦ قال علي بن محمد الايادي يصف أسطول القائم فأجاد ما أراد

إِعْجَبَ لِأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
لَبِستَ بِهِ الْأَمْوَاجَ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ
مِنْ كُلِّ مُشْرِقَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ
دَهْمَاءَ قَدْ لَبِستَ ثِيَابَ تَصْنَعُ
مِنْ كُلِّ أَيْضٍ فِي الْهَوَاءِ مُنْشَرٍ
كَمِرَاءَةٍ فِي الْبَرِّ يَقْطَعُ سَيْرَهَا
مَحْفُوفَةٌ بِمَجَادِفٍ مَصْفُوفَةٌ
كَقَوَادِمِ النَّسْرِ الْمُرْفَرِفِ عُرِيَتْ
وَحَثُّهَا أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَتَتْ
خَرْقَاءَ تَذْهَبُ إِنْ يَدٌ لَمْ تَهْدِهَا
جَوْفَاءَ تَحْمِلُ كَوْكَبًا فِي جَوْفِهَا
وَلَهَا جَنَاحٌ يُسْتَعَارُ بِطَيْرِهَا
يَعْلُو بِهَا حَدَبَ الْعُبَابِ مُطَارَةً
تُنْصَاعُ مِنْ كَثَبٍ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا

وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَعْرَبِ
يَبْدُو لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُسْتَعْجِبِ
إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُنْتَصِبِ
تَسِي الْعُقُولَ عَلَى ثِيَابِ تَرْهَبِ
مِنْهَا وَأَسْحَمَ فِي الْخَلِيجِ مُعِيبِ
فِي الْبَحْرِ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ الشَّدْبِ
فِي الْجَانِبَيْنِ دُورَيْنِ صُلْبِ صُلْبِ
مِنْ كَلَسِيَّاتِ رِيَاشِهِ الْمُتَهَدِّبِ
بِمَصْعَدٍ مِنْهُ بَعِيدٍ مُصَوَّبِ
فِي كُلِّ أَوْبٍ لِلرِّيَّاحِ وَمَذْهَبِ
يَوْمَ الرِّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِمَرْكَبِ
طَوْعُ الرِّيَّاحِ وَرَاحَةُ الْمُتَطَرِّبِ
فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُغْلُولِ
طَوْرًا وَتَجْتَمِعُ أَجْتِمَاعُ الرَّبِّ

وَلَكِنْ رَمَتْ أَمْرًا لَمْ يَرْمَهُ سِوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْثُ صَبْرًا
فَلَا تَجْزَعُ فَمَدَّ لَأَقِيتَ حُرًّا يُحَازِرُ أَنْ يُعَابَ فَمَتَّ حُرًّا

صفة النفس لابن سينا الرئيس

٧

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمْنَعِ
مُجْجِبَةٌ عَنْ كُلِّ مُقْلَةٍ عَارِفٍ وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرَّقِعْ
وَصَلَتْ عَلَى كَرِهِهِ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا كَرِهَتْ فِرَاقَكَ فَهِيَ ذَاتُ تَوَجُّعِ
أَنِتُّ وَمَا سَكَنْتَ فَلَمَّا اسْتَأْنَسْتَ أَلَقْتُ مُجَاوِرَةَ الْحُرَابِ الْبُلْقِعِ
وَأَظُنُّهَا نَسِيتَ عَهْدًا بِالْحِمَى حَتَّى إِذَا اتَّصَلْتَ بِهَا هُبُوطَهَا
عَلَقَتْ بِهَا ثَاءُ الثَّقِيلِ فَأَصْبَحَتْ تَبْكِي وَقَدْ ذَكَرْتَ عَهْدًا بِالْحِمَى
وَتَظَلُّ سَاجِدَةً عَلَى الدَّمَنِ الَّتِي إِذْ عَاقَهَا الشَّرُّ الْكَثِيفُ وَصَدَّهَا
حَتَّى إِذَا قَرَّبَ الْمُسِيرُ إِلَى الْحِمَى وَغَدَتْ مُفَارِقَةً لِكُلِّ مُخْلَفٍ
هَجَعَتْ وَقَدْ كُشِفَ الْغَطَاءُ فَأَبْصَرَتْ وَبَدَتْ تُغَرِّدُ فَوْقَ ذُرْوَةِ شَاهِقٍ
فَلَا يَشِيءُ أَهْبَطَتْ مِنْ شَاغِخٍ إِنْ كَانَ أَهْبَطَهَا إِلَهُ الْحِكْمَةِ
وَرَقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمْنَعِ وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرَّقِعْ
كَرِهَتْ فِرَاقَكَ فَهِيَ ذَاتُ تَوَجُّعِ أَلَقْتُ مُجَاوِرَةَ الْحُرَابِ الْبُلْقِعِ
وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنَعِ مِنْ مِيمٍ مَرَّكَهَا بِدَارِ الْأَجَرِ
بَيْنَ الْعَالَمِ وَالطُّلُولِ الْخَضَعِ بِدَمْعٍ تَهْمِي وَلَمَّا تَقْلَعِ
دَرَسْتَ بِتَكَرُّرِ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ قَفَصَرُ عَنْ الْأَوْجِ الْفَسِيحِ الْأَرْبَعِ
وَدَنَا الرَّحِيلُ إِلَى الْقَضَاءِ الْأَوْسَعِ فِيهَا حَلِيفَ التُّرْبِ غَيْرُ مُشَمِّعِ
مَا لَيْسَ يَدْرِكُ بِالْعَيُونِ الْهَجْمِ وَالْعَالَمُ يَرْفَعُ كُلُّ مَنْ لَمْ يَرْفَعِ
سَامٍ إِلَى قَعْرِ الْخَضِيزِ الْأَوْضَعِ طُوِيَتْ عَنْ الْقَدِّ السَّيْبِ الْأَرْوَعِ

فَتَوَرَّخُ بِهَا أَيَّامُ الْمَجْدِ وَتُخَلَّدُ فِي صَحَائِفِ حُسْنِ الذِّكْرِ (اليتيمة للشعالي)

قال بشر بن أبي عوامة يصف قتاله الاسد وقتله آياه

٧٤

أَفَاطِمُ لَوْ شِئْتُ بَبْطُنِ خَبْتٍ وَقَدْ لَاقَى الْهَزْبُ أَخَالَ بِشْرًا
إِذَا لَرَأَيْتِ لَيْشًا أَمْ لَيْشًا هِزْبًا أَغْلَبًا لَاقَى هِزْبًا
تَبَهَّسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي مُحَازَرَةً فَقُلْتُ عُقِرْتَ مُهْرًا
أَنْلِ قَدَمِي ظَهَرَ الْأَرْضِ إِلَيَّ رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرًا
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا مُحَدَّدَةً وَوَجْهًا مُكْفَهْرًا
يُكْفِفُ غِيْلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ وَيَبْسُطُ لِلرُّؤُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى
يُدِلُّ بِمُخْلِيبٍ وَبِمَجْدٍ نَابٍ وَبِالْحُطَّاتِ تَحْسِبُهُنَّ جَمْرًا
وَفِي يُمَيَّا مَاضِي الْحَدِّ أَبْقِي بِمَضْرِبِهِ قِرَاعُ الْمَوْتِ أَثْرًا
نَضْحَتِكَ فَالْتَمَسَ يَا لَيْثُ غَيْرِي طَعَامًا إِنَّ لِحْمِي كَانَ مُرًّا
أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلْتُهُ كَنَمِي بِكَاطِمَةٍ غَدَاةٍ قَتَلْتُ عَمْرًا
فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ النُّصْحَ غِشٌّ وَخَالَ مَقَالَتِي زُورًا وَهَجْرًا
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعَرَا
سَلَّتْ لَهُ الْحُسَامُ فَخِلْتُ أَنِّي شَقَقْتُ بِهِ لَدَى الظُّلُمَاءِ فَجْرًا
وَأَطْلَقْتُ الْمُهَنْدَ مِنْ يَمِينِي فَقَدْ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا
فَحَرَّ مُضْرَجًا بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءَ مُشْفَرًّا
بِضْرِبَةٍ فَيَصِلُ تَرَكَّتُهُ شَفْعَا لَدَيَّ وَقَبْلَهَا قَدْ كَانَ وَتْرًا
وَقُلْتُ لَهُ يَعْزُ عَلَيَّ أَنِّي قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلْدًا وَقَهْرًا

يَا بَاذِلَ النَّفْسِ وَالْأَمْوَالِ مُبْتَسِمًا أَمَا يَهْوَاكَ لَا مَوْتَ وَلَا عَدَمَ
لَقَدْ ظَنَنْتُكَ بَيْنَ الْجَحْلَيْنِ تَرَى أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَاءِ تَصْمُ
كَسَدْتُكَ اللَّهُ لَا تَسْمَحْ بِنَفْسٍ عَلَى حَيَاةٍ صَاحِبِهَا يَحْيَا بِهَا أُمَمٌ
هِيَ الشَّجَاعَةُ إِلَّا أَنَّهَا سَرَفٌ وَكُلُّ فَضْلِكَ لَا قَصْدٌ وَلَا أَمَمٌ
إِذَا لَقِيتَ رِفَاقَ الْبَيْضِ مُنْفَرِدًا تَحْتَ الْعَجَاجِ فَلِمَ تُسْتَكْثِرُ الْحَدَمُ
مَنْ ذَا يُقَاتِلُ مَنْ تَلَقَى الْقِتَالُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْضُلُ عَنْكَ الْخَيْلُ وَالْبَهْمُ
تَضُنُّ بِالطَّعْنِ عَنَّا ضَنْ ذِي بَجَلٍ وَمَنْكَ فِي كُلِّ حَالٍ يُعْرِفُ الْكُرْمُ
لَا تَبْجُنَنَّ عَلَى قَوْمٍ إِذَا قَتَلُوا أَثْنَى عَلَيْكَ بَنُو الْهَيْجَاءِ دُونَهُمْ
أَلْبَسْتَ مَا لَيْسُوا رَكَّبْتَ مَا رَكَبُوا عَرَفْتَ مَا عَرَفُوا عَلِمْتَ مَا عَلِمُوا
هُمْ الْفَوَارِسُ فِي أَيْدِيهِمْ أَسْلٌ فَإِنْ رَأَوْكَ فَاسْدُ وَالْقَنَاءُ أَجْمُ
وَقَوْلُ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّائِي :

خُلِقْتَ كَمَا أَرَادَتْكَ الْمَعَالِي فَأَنْتَ لِمَنْ رَجَاكَ كَمَا يُرِيدُ
عَجِيبٌ أَنْ سَيْفَكَ لَيْسَ يَرَوِي وَسَيْفَكَ فِي الْوَرِيدِ لَهُ وَرُودُ
وَأَعْجَبُ مِنْهُ رُحْمُكَ حِينَ يُسْقَى فَيَصْنَحُو وَهُوَ كَشَوَانُ يَمِيدُ
وَقَوْلُ أَبِي نَضْرٍ بْنِ نُبَاتَةَ وَهُوَ مِنْ شُعْرَاءِ الْعِرَاقِ :

حَاشَاكَ أَنْ يَدَّعِيكَ الْعَرَبُ وَاحِدَهَا يَا مَنْ تَرَى قَدَمِيهِ طِينَةَ الْعَرَبِ
فَإِنْ يَكُنْ لَكَ وَجْهُ مِثْلُ أَوْجِهِهِمْ عِنْدَ الْعِيَانِ فَلَيْسَ الصَّفَرُ كَالذَّهَبِ
وَإِنْ يَكُنْ لَكَ نَطْقٌ مِثْلُ نَطْقِهِمْ فَلَيْسَ مِثْلُ كَلَامِ اللَّهِ فِي الْكُتُبِ
وَكَادَتْ غَمَائِمُ جُودِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ تَفِيضُ وَمَا ثَرُ كَرَمِهِ تَسْتَفِيضُ

وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ السَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
 نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ
 فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبُ
 أُجْبِكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَذَرَهُ
 وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ
 وَكَقَوْلِ السَّرِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْوَصِيلِيِّ :

أَغْرَتْكَ الشَّهَابُ أَمْ النَّهَارُ
 حُلِيتَ مَنِيَّةً وَمُنَى فَأَضْحَتْ
 تُحْلِي الدِّينَ أَوْ تُحْمِي جَمَاهُ
 سَيْفُكَ مِنْ شُكَاةِ الثَّغْرِ بَرٌّ
 وَكَفَاكَ الْغَمَامُ الْجُودُ يَسْرِي
 يَسَارُ مِنْ سَجِيَّتِهَا الْمَنَايَا
 حَضَرْنَا وَالْمُلُوكُ لَهُ قِيَامُ
 وَزَرْنَا مِنْهُ لَيْثُ الْغَابِ طَلَقًا
 فَكَانَ لُجُوهُ الْمُجْدِ أَنْتِظَامُ
 فَعِشْتَ مُخَيَّرًا لَكَ فِي الْأَمَانِي
 فَضِيفُكَ لِلْحَيَا الْمُنْهَلِ ضَيْفُ

وَكَقَوْلِ أَبِي فِرَاسِ الْحَارِثِيِّ بْنِ سَعِيدِ الْحَمْدَانِيِّ :

أَشَدُّ مَا أَرَاهُ فِيكَ أَمْ كَرَمُ
 تَجُودُ بِالنَّفْسِ وَالْأَرْوَاحِ تُضْطَلَمُ

أَلَا تَارَ . وَحَضْرَتُهُ مَقْصِدُ الْوُفُودِ . وَمَطْلَعُ الْجُودِ . وَقِبْلَةُ الْأَمَالِ
وَمَحَطُّ الرِّحَالِ . وَمَوْسِمُ الْأَدْبَاءِ . وَحَلْبَةُ الشُّعْرَاءِ . وَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ
يَجْتَمِعْ بَبَابٍ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ مَا أَجْتَمَعَ بِبَابِهِ مِنْ شُيُوخِ الشُّعْرِ
وَمُجُومِ الدَّهْرِ . وَإِنَّمَا السُّلْطَانُ سُوقٌ يُجْلَبُ إِلَيْهَا مَا يَنْفَقُ لَدَيْهَا . وَكَانَ
أَدِيبًا شَاعِرًا مُحِبًّا لِحَيْدِ الشُّعْرِ شَدِيدًا لِأَهْتِرَازِ مَا يَمْدَحُ بِهِ . فَلَوْ أَدْرَكَ ابْنُ
الرُّومِيِّ زَمَانَهُ لَمَا أَسْتَحْجَجَ إِلَى أَنْ يَقُولَ :

ذَهَبَ الَّذِينَ تَهَزَّهُمْ مَدَاحُهُمْ هَزَّ الْكُمَاةِ عَوَالِي الْمُرَانِ
كَانُوا إِذَا أَمْتَدَحُوا رَأَوْا مَا فِيهِمْ فَأَلْزَمِيحَةً فِيهِمْ بِمَكَانِ
وَكَانَ كُلُّ مَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْقِيَاضِ الْكَاتِبِ
وَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ السُّنَمِيَّاسِطِيِّ قَدْ اخْتَارَ مِنْ مَدَائِحِ الشُّعْرَاءِ
لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ عَشْرَةَ آلَافٍ بَيْتٍ كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَلَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبْ إِنْ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ
لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَصِ وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ
أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِبُّ سِيُوفُهُ رِقَابُهُمْ إِلَّا وَسِيمَانُ جَامِدُ
بِذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
وَمَنْ شَرَفَ الْإِقْدَامِ أُنْكَ فِيهِمْ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ
وَأَنْ دَمًا أَجْرِيتهُ بِكَ فَاخِرُ وَأَنْ فَوَادًا رُعْتُهُ لَكَ حَامِدُ

مِنْهَا الْأَفْوَاجُ بِالْأَفْوَاجِ . وَنَحْنُ قُعُودٌ . كَدُودٌ عَلَى عُودٍ . مَا بَيْنَ فُرَادَى
وَأَزْوَاجٍ . وَقَدْ نَبَتْ بِنَا مِنْ أَلْقَى أَمَكْنَتَنَا . وَخَرَسَتْ مِنْ أَلْفَرَقِ
أَلْسِنَتَنَا . وَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ أَغْوَارٌ وَلَا نُجُودٌ . إِلَّا السَّمَاءُ
وَالْمَاءُ وَذَلِكَ السَّفِينُ . وَمَنْ فِي قَبْرِ جَوْفِهِ دَفِينُ . مَعَ تَرْقُبِ هُجُومِ
الْعُدُوِّ فِي الرِّوَاكِ وَالْعُدُوِّ . فَرَادَنَا ذَلِكَ الْحَذَرُ الَّذِي لَمْ يَبْقَ وَلَمْ
يَذَرَهُ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ هَوْلِ الْبَحْرِ قَلَقًا . وَأَجْرَيْنَا إِذْ ذَاكَ فِي مِيدَانِ
الْإِلْقَاءِ بِالْيَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ طَلَقًا . وَتَشَتَّتْ أَفْكَارُنَا فَرَقًا . وَذُبْنَا
أَسَى وَنَدَمًا وَفَرَقًا . إِلَى أَنْ قَضَى اللَّهُ بِالنَّجَاةِ وَكُلَّ مَا أَرَادَ فَهُوَ الْكَائِنُ .
وَإِنْ نَهَى عَنْهُ وَأَخْطَأَ الْمَائِنُ . فَرَأَيْنَا الْبَرَّ وَكَأَنَّا قَبْلُ لَمْ نَزِهِ . وَشُفِيتْ
بِهِ أَعْيُنُنَا مِنَ الْمَرِهِ . وَحَصَلَ بَعْدَ الشَّدَةِ الْفَرَجُ . وَشَمِعْنَا مِنَ السَّلَامَةِ
أَطِيبَ الْأَرْجِ (نفع الطيب للمقري)

وصف دولة بني حمدان

٧٣ كَانَ بَنُو حَمْدَانَ مُلُوكًا وَأَمْرَاءَ . وَأَوَجَّهُمُ لِلصَّبَاحَةِ . وَأَلْسِنَهُمْ
لِلْفَصَاحَةِ . وَأَيْدِيَهُمْ لِلِسَّمَاحَةِ . وَعُقُولُهُمْ لِلرَّجَاحَةِ . وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ
مَشْهُورٌ بِسَيَادَتِهِمْ . وَوَاسِطَةُ فِلَادَتِهِمْ . كَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَارْضَاهُ .
وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ . غُرَّةَ الزَّمَانِ . وَعِمَادَ الْإِسْلَامِ . وَمَنْ بِهِ سِدَادُ الشُّعُورِ .
وَسِدَادُ الْأُمُورِ . رَكَانَتْ وَقَائِعُهُ فِي عُصَاةِ الْعَرَبِ تَكْفُ بِأَسْبَاهَا وَتَقُلُّ
أَنْبِيَآهَا . وَتُذِلُّ صِعَابُهَا . وَتَكْفِي الرِّعْيَةَ سُوءَ آدَابِهَا . وَغَزَوَاتُهُ تُذَرِّكُ مِنْ
طَاغِيَةِ الرُّومِ الْثَّارَ . وَتَحْسِمُ شَرَّهُمُ الْمُثَارَ . وَتَحْسِنُ فِي الْإِسْلَامِ

٧٢ لَمَّا رَكِبْنَا الْبَحْرَ . وَحَلَلْنَا مِنْهُ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْخَرِ . شَاهَدْنَا مِنْ
 أَهْوَالِهِ . وَتَنَافَى أَحْوَالِهِ . مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ . وَلَا يُبْلَغُ لَهُ كُنْهُهُ
 الْبَحْرُ صَفْبُ الْمَرَامِ جَدًّا لَا جُعِلَتْ حَاجَتِي إِلَيْهِ
 أَلَيْسَ مَاءٌ وَنَحْنُ طِينٌ فَمَا عَسَى صَبَرْنَا عَلَيْهِ
 فَكَمْ اسْتَقْبَلْتَنَا أَمْوَاجُهُ بِوُجُوهِ بَوَاسِرٍ . وَطَارَتْ إِلَيْنَا مِنْ شِرَاعِهِ
 عِشْبَانٌ كَوَاسِرٍ . قَدْ أَرْجَعَتْهَا أَكْفُ الرِّيحِ مِنْ وَكْرِهَا . كَمَا نَبَهَتْ الْحُجَّ
 مِنْ سَكْرِهَا . فَلَمْ تُبْقِ شَيْئًا مِنْ قُوَّتِهَا وَمَكْرِهَا . فَسَمِعْنَا لِلْجِبَالِ صَفِيرًا .
 وَلِلرِّيحِ دَوِيًّا عَظِيمًا وَزَفِيرًا . وَتَقَنَّأْنَا أَنَا لَا نُنْجِدُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا فَضْلَ اللَّهِ
 مُجِيرًا وَخَفِيرًا . وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَآهُ .
 وَأَلْسِنَا مِنْ الْحَيَاةِ لَصَوْتِ تِلْكَ الْعَوَاصِفِ وَالْمِيَاهِ . فَلَا حَيَاةَ لِلَّهِ ذَلِكَ
 أَهْوَالُ الْمَرْجِ وَلَا بَيَّاهُ . وَالْمَوْجُ يُصَفِّقُ لِسَمَاعِ أَصْوَاتِ الرِّيحِ فَيُطْرِبُ
 بَلًّ وَيَضْطْرِبُ . فَكَأَنَّهُ مِنْ كَاسِ الْجُنُونِ يَشْرَبُ أَوْ شَرِبَ . فَيَتَعَدُّ
 وَيَمْتَرِبُ وَفَرَقَهُ تَلْتَطِمٌ وَتَضْطَفِقُ . وَتُخْتَلِفُ وَلَا تَكَادُ تَتَّقُ . فَتُخَالُ
 الْجَوُّ يَأْخُذُ بِنَوَاصِيهَا . وَتُجْذِبُهَا أَيْدِيهِ مِنْ قَوَاصِيهَا . حَتَّى كَادَ سَطَحُ
 الْأَرْضِ يُكْشَفُ مِنْ خِلَالِهَا . وَعَنَانُ السُّحْبِ يُخْطَفُ فِي اسْتِقْلَالِهَا .
 وَقَدْ أَشْرَفَتِ النَّفُوسُ عَلَى التَّلَفِ مِنْ خَوْفِهَا وَاعْتِلَالِهَا . وَآذَنَتْ
 الْأَحْوَالُ بَعْدَ انْتِظَامِهَا بِاخْتِلَالِهَا . وَسَاءَتِ الظُّنُونُ . وَتَرَاءَتْ فِي
 صَوَرِهَا الْمُنُونُ . وَالشِّرَاعُ فِي قِرَاعٍ مَعَ جُوشِ الْأَمْوَاجِ . الَّتِي أُمِدَّتْ

نَهْدٍ . فَعَنِيَتْ عَنْ نَشْوَةِ الْكُمَيْتِ مِنْ ذَاتِ نَهْدٍ . يُسَاقُ الرِّيحَ فَيَغِيرُ
 فِي وَجْهَيْهَا دُونَ شَقِّ غُبَارِهِ . وَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا رَجَعَتْ حَسْرَى فِي
 مِضْمَارِهِ . نُسِبَ إِلَى الْأَعْوَجِ وَهُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي الْكُرِّ وَالْقَرِّ . وَقَدْ
 حَقَّتْ عَلَيْهِ عَيْنُ الشَّمْسِ إِذْ لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَرْسُمَ ظِلَّهُ عَلَى الْأَرْضِ إِذَا
 مَرَّ . لَيْلِي الْإِهَابِ لَطَمَ جَنِينَهُ الصَّبَاحُ بِبَهَائِهِ . فَعَدَا عَلَيْهِ وَخَاضَ
 يَقْتَصُّ مِنْهُ فِي أَحْشَائِهِ . كَمَا قَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ السَّعْدِيُّ :

وَكَاثِمًا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَنِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
 وَقَدْ أَغْتَدِي عَلَيْهِ وَالطَّيْرُ فِي وَكْنَاتِهَا فَلَا يَفُوتُنِي الْأَجْدَلُ . وَإِذَا
 أَطْلَقْتُهُ لِيَصِيدَ الْوَحْشَ رَأَيْتُنِي عَلَى مُجَرَّدِ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
 (وَقُلْتُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ هَجِينٍ) : فَرَسٌ لَهُ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ حَسَبٌ
 وَمِنْ الْكُرْدِيَّةِ نَسَبٌ . فَهُوَ مِنْ بَيْنِهِمَا مُسْتَنَجٌ . لَا يَنْتَسِبُ إِلَى خَيْبٍ
 وَلَا إِلَى أَعْوَجَ . وَمِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ رَحْبُ اللَّبَانِ . عَرِيضُ الْبُطَانِ .
 سَاسُ الْعِنَانِ . يَنْثِي عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ . وَعَلَى قَدْرِ الْكُرَةِ وَالصَّوْلَجَانِ .
 قَدْ اسْتَوَتْ حَالَتُهُ قَادِمًا وَمُتَأَخِّرًا . فَإِذَا أَقْبَلَ خِلَتَهُ مُرْتَفِعًا . وَإِذَا أَدْبَرَ
 خِلَتَهُ مُنْحَدِرًا . كَأَنَّهُ فِي حُسْنِهِ دُمَيَّةٌ مُجْرَابٍ . وَفِي خَلْقِهِ ذُرْوَةٌ هَضَابٍ .
 وَهُوَ فِي سِبَاقِهِ وَلِحَاقِهِ مُخْلَقٌ بِخُلُقِ الْمِضْمَارِ . وَبِدَمِ السَّرَابِ وَالصُّوَارِ
 فَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى ذَوَاتِ الْقَوَادِمِ . وَإِنْ كَانَ مُحْسُوبًا فِي ذَوَاتِ
 الْقَوَانِمِ . كَأَنَّمَا ثَنَى لِحَامَهُ عَلَى سَاقَةِ عُقَابٍ . وَشَدَّ حِزَامَهُ عَلَى بَارِقَةٍ
 سَحَابٍ

(الوشى المرقوم لابن الأثير)

فَعَادَرَ الثَّرَى عَمِداً. وَالْعَزَازَ ثُدَاً. وَالْحُثَّ عَقْدَاً. وَالصَّخَاصِخَ مُتَوَاصِيَةً.
وَالشَّعَابَ مُتَدَاعِيَةً. (قَالَ الْآخَرُ): تَرَأَتْ الْخَيَالُ مِنْ الْأَقْطَارِ. نَحْنُ
حَيْنَ الْعِشَارِ. وَتَتَرَامَى بِشُهْبِ النَّارِ. قَوَاعِدُهَا مُتَلَا حِكَةً. وَبَوَاسِطُهَا
مُتَضَا حِكَةً. وَأَرْجَاؤُهَا مُتَآذِفَةٌ. وَأَرْجَاؤُهَا مُتَرَاصِفَةٌ. فَوَصَلَتْ الْغُرَبَ
بِالشَّرْقِ. وَالْوَبِلَ بِالْوَدْقِ. سَحَّادِرَاكََا. مُتَتَابِعَا لِكَاكََا. فَضَخَّصَتْ الْجَنَافِجَ.
وَأَنْهَرَتْ الصَّفَافِصَ. وَحَوَّضَتِ الْأَصَافِ. ثُمَّ أَقْلَعَتْ مُحْسِبَةً مُحْمُودَةً
الْأَثَارِ. مَوْقُوفَةً الْجُبَارِ. (وَقَالَ الثَّلَاثُ): وَاللَّهِ مَا خَلَّتْهُ بَلَعٌ خَمْسًا: هَلُمَّ
الْدَّرْهَمَ أَصِفْ لَكَ. فَقُلْتُ: لَا أَوْ تَقُولُ كَمَا قَالَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ
لَا بَذْنَهُمَا وَصَفًا. وَلَا فَوْقَهُمَا رَصَفًا. قُلْتُ: هَاتِ لِلَّهِ أَبُوكَ. فَقَالَ: بَيْنَا
الْحَاضِرُ بَيْنَ الْيَاسِ. وَالْأَبْلَسُ. قَدْ غَمَرَهُمُ الْإِشْفَاقُ. رَهْبَةً الْإِمْلَاقِ.
قَدْ حَقَبَتِ الْأَنْوَاءُ. وَرَفَرَفَ الْبَلَاءُ. وَأَسْتَوَى الْفَنُوطُ عَلَى الْقُلُوبِ.
وَكَثُرَ الْإِسْتِغْفَارُ مِنَ الذُّنُوبِ. ارْتَحَ رَبُّكَ لِعِبَادِهِ. فَأَلْشَأَ سَحَابَا
مُسْجِهَرًا كَنُحُورًا. مُغْنُونَا مُحْلُولَا. ثُمَّ أَسْتَقَلَّ وَأَخْزَالَ. فَصَارَ
كَالسَّمَاءِ دُونَ السَّمَاءِ. وَكَالْأَرْضِ الْمَذْخُوعَةِ فِي لَوْحِ الْهَوَاءِ. فَأَحْسَبَ
السُّهُولَ. وَأَتَانِقَ الْعُجُولَ. وَأَحْيَا الرَّجَاءَ. وَأَمَاتَ الضَّرَاءَ. وَذَلِكَ مِنْ
قَضَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (قَالَ): فَمَلَأَ وَاللَّهِ الْيَفْعُ صَدْرِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ دِرْهَمًا وَكَتَبْتُ كَلَامَهُمْ (صفة السحاب والغيث لابن دريد)

لابن الاثير في وصف الخيل

٧١ (قُلْتُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَذْهَمَ): وَطَالَمَا أَمْتَطَيْتُ صَهْوَةً مُطَهَّمَةً

وَأَفْرَطَ الرَّبِّي . سَبْعًا تَبَاعًا . مَا يُرِيدُ أَنْقِشَاعًا . حَتَّى إِذَا أُرْتَوَتْ الْحَزُونُ .
وَتَصَحَّصَتْ الْمُثُونُ . سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ كَمَا جَلَبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ
٦٩ أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ غَنِيٍّ يَذْكُرُ
مَطَرًا أَصَابَهُمْ فِي غَيْبٍ جَذِبَ فَقَالَ : تَدَارَكَ رَبُّكَ خَلْقَهُ وَقَدْ كَلَبَتْ الْأَفْخَالُ .
وَتَقَاصَرَتْ الْأَمَالُ . وَكَعَفَ الْيَاسُ . وَكُظِمَتْ الْأَنْفَاسُ . وَأَصْبَحَ
الْمَاشِي مُضْرِمًا . وَالْمُثْرَبُ مُهْدِمًا . وَجُفِيَتْ الْحَلَائِلُ . وَامْتُهِنَتْ
الْعَقَائِلُ . فَأَنْشَأَ سَحَابًا رُكَامًا . كَنُحُورًا سَجَامًا . بِرُوقِهِ مَتَأَلَّقَةٌ وَرَعُودُهُ
مُتَعَقِّقَةٌ . فَسَخَّ سَاجِيًا رَاكِدًا ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي فُوقٍ . ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ
السَّمَاءَ فَطَحَرَتْ رُكَامُهُ . وَفَرَّقَتْ جَهَامُهُ . فَأَنْقَشَعَ سَحْمُودًا . وَقَدْ أَحْيَا
فَأَغْنَى . وَجَادَ فَأَرَوَى . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُكْتُ نِعْمُهُ . وَلَا تَنْفَدُ
قِسْمُهُ . وَلَا يَخِيبُ سَائِلُهُ . وَلَا يَنْزُرُ نَائِلُهُ

٧٠ وَأَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : مَرَرْتُ بِعِلْمَةٍ مِنْ
الْأَعْرَابِ فَقُلْتُ : أَيُّكُمْ يَصِفُ لِي الْغَيْثَ وَأَعْطِيَهُ دِرْهَمًا . فَقَالُوا :
كُلُّنَا يَصِفُ (وَهُمْ ثَلَاثَةٌ) . فَقُلْتُ : صِفُوا فَأَيُّكُمْ أَرْضَيْتُ صِفَتَهُ
أَعْطَيْتُهُ الدَّرْهَمَ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : عَنْ لَنَا عَارِضٌ قَصْرًا تَسُوقُهُ الصَّبَا
وَتَحْدُوهُ الْجُوبُ . يَجُوبُ حَبْوُ الْمُعْتَشِكِ حَتَّى إِذَا أُرْزَلَمَتْ صُدُورُهُ .
وَأَنْجَلَتْ خُصُورُهُ . وَرَجَعَ هَدِيرُهُ . وَأَصْعَقَ زَيْرُهُ . وَأَسْتَقَلَ لَشَاصُهُ .
وَتَلَاءَمَ خِصَاصُهُ . وَارْتَجَّ ارْتِعَاصُهُ . وَأَوْقَدَتْ سِقَابُهُ . وَامْتَدَّتْ أَطْنَابُهُ .
تَدَارَكَ وَدَقَّهُ . وَتَأَلَّقَ بَرَقُهُ . وَخَفِزَتْ تَوَالِيهِ . وَأَنْسَقَتْ عَزَالِيهِ .

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْوَصْفِ

وصف المطر والسحابة

٦٧ أَخْبَرَ نَاعِدُ الرَّحْمَنِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : سُلِّ أَعْرَابِيٌّ عَنْ مَطَرٍ فَقَالَ : أُسْتَقِلَّ سَدٌّ مَعَ انْتِشَارِ الطِّفْلِ فَشَصَا وَأَحْزَالَ . ثُمَّ انْكَهَرَتْ أَرْجَاؤُهُ . وَأَحْمَوَتْ أَرْحَاؤُهُ . وَأَبْذَعَرَتْ فَوَارِقُهُ . وَتَضَاكَتْ بَوَارِقُهُ . وَأَسْتَطَارَ وَادِقُهُ . وَارْتَقَتْ جُوبُهُ . وَارْتَنَنَ هَيْدُهُ . وَحَشَكَتْ أَخْلَافُهُ . وَأُسْتَقَلَّتْ أَرْدَافُهُ . وَانْتَشَرَتْ أَكْنَفُهُ . فَالْرَّعْدُ مُرْتَجِسٌ . وَالْبَرْقُ مُخْتَلِسٌ . وَالْمَاءُ مُنْجِسٌ . فَاتَّرَعَ الْغُدْرُ . وَانْبَثَ الْوُجْرُ . وَخَلَطَ الْأَرْعَالُ بِالْأَجَالِ . وَقَرْنَ الصَّيْرَانِ بِالرَّيَالِ . فَلِلْأَوْدِيَةِ هَدِيرٌ . وَلِلشَّجَرِ خَرِيرٌ . وَلِلتَّلَاعِ زَفِيرٌ . وَحَطَّ النَّبْعُ وَالنَّعْمُ مِنَ الْقُلُلِ الشَّمُّ . إِلَى الْقِيَعَانِ الصَّخْمُ . فَلَمْ يَبْقَ فِي الْقُلُلِ إِلَّا مَعْصِمٌ مُجَرَّنِيْمٌ . أَوْ دَاخِضٌ مُجَرِّجٌ . وَذَلِكَ مِنْ قِضَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُذْنِبِينَ

٦٨ أَخْبَرَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَفْصَمَةَ عَنْ مَطَرٍ صَابَ بِلَادَهُمْ فَقَالَ : نَشَأَ عَارِضًا . فَطَلَعَ نَاهِضًا . ثُمَّ ابْتَسَمَ وَإِمَضًا . فَأَعْتَنِي فِي الْأَقْطَارِ فَأَشْجَاهَا . وَأَمْتَلَّ فِي الْأَفَاقِ فَفَطَّاهَا . ثُمَّ ارْتَجَزَ فَهَمَّهُ . ثُمَّ دَوَّى فَأَظْلَمَ . فَأَرَكَّ وَدَثَّ وَبَغَشَ . ثُمَّ قَطَّقَطَ فَأَوْرَطَ . ثُمَّ دِيمَ فَأَغْمَطَ . ثُمَّ رَكَدَ فَأَتَجَمَّ . ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ . وَجَادَ فَأَنعَمَ . فَقَمَسَ الرَّبِّي .

قد جمع الشاعر اوصافه عز وجل فان هذه الصفات باعتبار تجلي حقيقتها الغيبية عليه ظاهرة
له باربعة اوصاف الصفاء واللطف والضياء والروح فهي روح مجرد عن كثافات العناصر
الاربعة بعيدة عن كل جسم حتي

تَقْدَمُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلُ هُنَاكَ وَلَا رَسْمُ
يريد ان وجود الله قد سبق وجود الكائنات باجمعها قبلما تُبدع الصور الحسية في عالم الكون
وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا أُخْتِجَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَا لَهُ فَهْمُ
أي بواسطة هذه الحكمة قد خلقت الكائنات وانما قد خفيت عن الخطاة والذين لم
يُدرِكُوا الْإِلَهِيَّاتِ

وَهَامَتْ بِهَا رُوحِي بِحَيْثُ تَمَازَجًا اِتِّسَادًا وَلَا جَرْمُ تَخَلُّهُ جَرْمُ
يقول انه لفرط شغفه بهذه الحكمة الرابثة قد كاد يستحيل اليها

وَلَا قَبْلَهَا قَبْلُ وَلَا بَعْدَ بَعْدَهَا وَقَبْلِيَّةُ الْآبَادِ فِيهَا لَهَا حَتْمُ
وَقَالُوا شَرِبْتَ الْإِثْمَ كَلًّا وَإِنَّمَا شَرِبْتُ الَّتِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِي الْإِثْمُ
ان هذا البيت رد على من اتهمه بشرب الخمر فيقول ان سكره لا بالخمر المعتصرة من
العنب بل بالغرّة الالهية التي هام بها

هَنِئًا لِأَهْلِ الدِّيرِ كَمْ سَكِرُوا بِهَا وَمَا شَرَبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هُمَا
يقول انه يستطوب الرهبان والعباد الذين شربوا من هذه المدامة بل رغبوا الى مشاهدة
الجمال الالهي

وَعِنْدِي مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشَائِي مَعِيَ أَبَدًا تَبْقَى وَإِنْ بَلَى الْعَظْمُ
يقول ان قلبه تشرب بحبة الله فلا يعدمها وان فاجأته المنية

فَمَا سَكَنْتُ وَأَلْهَمْتُ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ النَّعَمِ الْغَمُّ
فَلَا عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِبِيَا وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سُكْرًا بِهَا فَاتَهُ الْحَزْمُ
عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْبِكَ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمُ
هذا القول اغراء بشرب هذه المدامة السماوية التي اضحت مبدأ كل سرور فانها حيثما حلت
تضمحل اكدار العالم وخطوب الدهر

العلوم الالهية شيئاً فثبتاً من صدور الرجال حتى توارت ولم يبق منها إلا الاسم

وَإِنْ خَطَرْتُ يَوْمًا عَلَى خَاطِرِ أَمْرِي أَقَامَتْ بِهِ الْأَفْرَاحُ وَارْتَحَلَ اللَّهُمَّ
يقول ان تجلي العزة الالهية يبذل كل غم ويشمل القلوب بكل فرح

وَلَوْ نَظَرَ النَّدْمَانُ خَتَمَ إِنَائِهَا لَا سَكَرَهُمْ مِنْ ذَوْنِهَا ذَلِكَ الْخَتَمُ
يقول ان أثر التجلي الرباني في قلب السالكين جدير بتبديد سقامهم

وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا ثَرَى قَبْرِ مَيِّتٍ لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَانْتَعَشَ الْجِسْمُ
وَلَوْ طَرَحُوا فِي فِيءٍ حَاطِطٍ كَرَمِهَا عَلِيلاً وَقَدْ أَشْفَى لِفَارَقِهِ السُّقْمُ
وَلَوْ قَرَّبُوا مِنْ حَانِهَا مُقَعَّدًا مَشَى وَتَنَطَّقُ مِنْ ذِكْرِي مَذَاقِهَا الْبُكْمُ
وَلَوْ عَقِيتُ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسُ طِيِبِهَا وَفِي الْغَرْبِ مَرْكُومٌ لَعَادَ لَهُ الشَّمُ
وَلَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَفٌّ لَا مِسِي لَمَّا ضَلَّ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ النَّجْمُ
وَلَوْ جُلِيتْ سِرًّا عَلَى أَكْمِهِ غَدَا بَصِيرًا وَمِنْ رَأَوْقِهَا تَسْمَعُ الصَّمُ
وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْمُوا تَرَبَّ أَرْضِهَا وَفِي الرُّكْبِ مَسُوعٌ لَمَّا ضَرَّهُ السَّمُ
وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوفَ أَسْمِهَا عَلَى جَبِينِ مُصَابِ جَنِّ أَبْرَاهُ الرِّسْمُ
وَفَوْقَ لَوَاءِ الْجَيْشِ لَوْ رَقِمَ أَسْمُهَا لِأَسْكَرَ مِنْ تَحْتِ الْوَاذِلِكَ الرَّقْمُ
تَهْدَبُ أَخْلَاقَ النَّدَامَى فِيهِتْدِي بِهَا لِطَرِيقِ الْعَزَمِ مَنْ لَا لَهُ عَزَمُ
وَيَكْرُمُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجُودَ كَفَّهُ وَيَحْلُمُ عِنْدَ الْغَيْظِ مَنْ لَا لَهُ حِلْمُ
وَلَوْ نَالَ قَدَمُ الْقَوْمِ لَثَمَ فِدَائِهَا لِأَكْسَبَهُ مَعْنَى شَمَائِلِهَا اللَّهُمَّ
اراد الشاعر هذه الايات صفة ما تنتج الحضرة الالهية في البشر وذوي العاقلات من بره

اسقامهم ان شملت قلوبهم الحقائق العرفانية وان أرادوا نفع المسالك الربانية

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَيْرٌ أَجَلَ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عَلَيْهِ
صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَا وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ

خمرة أبي الحفص الفارضي وشرحها الشيخ حسن البوريني

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرَمُ
(شربنا) اي معاشر السالكين في طريق الله تعالى . (على ذكر الحبيب) اي المحبوب وهو الحق تعالى . وقد يراد (بالذكر) بالذكر باللسان او بالقلب والجنان . وأشار الى ان ذكر الله عنده من أقوى أسباب الطرب . (مدامة) أي خمرة . والمعنى هنا شراب المحبة الالهية الناشئة من شهود اثار الاسماء الجالية المحضرة العلية . وقوله (سكرنا) أي غبنا لذّة وطرباً بنشأة تلك الخمرة . وقوله (من قبل ان يخلق الكرم) يشير الى قول القائل : أَلَسْتُ انا ربكم قبل ان يخلق الكرم الى الوجود

لَهَا الْبَدْرُ كَأْسٌ وَهِيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا هَلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمٌ
هذا البيت عيب في بابه فانه مشتمل على ذكر ألفاظ يناسب بعضها بعضاً وهي البدر والشمس والهلال والنجم وكذلك الكاس والادارة والمزج . وقوله : لها البدر كاس اي قلب العالم المحقق العامل (وهي شمس) اي المدامة المراد بها المعرفة الالهية التي تفيض انوارها في جميع الكائنات تشبه الشمس في طلوعها واشراقها . وقوله يدورها اي ينشر اسماء تلك المحضرة الالهية وصفاتها . وقوله هلال هو ذاك البدر الا انه محجب

وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا أَهْتَدَيْتُ لِحَاظِهَا وَلَوْلَا سَنَاها مَا تَصَوَّرَهَا أُلُوهُمْ
يقول : لولا روائع تلك الحضرات لما اهتديت الى الاسماء الحسنی والصفات العاليا لان غيرها عطر الاكوان . وقوله : لولا سناها الخ كنى به عن النور الروحاني الذي بضوءه ادرك الانسان حقيقة الوجود الالهي

وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاةٍ كَانَ خَفَاهَا فِي صُدُورِ النَّهْيِ كَتَمٌ
يقول : ان زخارف الدنيا تشغل القلوب الغافلة عن النهوض الى شهود تجليات الحق . ويشبه خفاء تلك الحقيقة عند العقول البشرية خفاء الأسرار وكنسها في صدور الذين اوتوا العلم الالهي فَإِنْ ذَكَرْتَ فِي الْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ نَشَاوَى وَلَا عَارٌ عَلَيْهِمْ وَلَا إِثْمٌ
يعني ان ذكرت تلك المحضرة عند المتأهلين بالاستعداد لقبول انوار الفيض الرباني فيصيحون سكارى ويفسون عن أوهامهم في التحقق بمعاني الجلال

وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الدِّانِ تَصَاعَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا أَسْمٌ
يقول : انه بتقاصر اللحم الروحانية على نيل هذه المدامة ولاخفاف قلوب البشر اختفت

فَبِأَيِّمَنِ الْعَلَمِينَ (١) مِنْ شَرْقِيهِ
وَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى ثَنِيَّاتِ اللُّوَى (٢)
وَأَقْرَبِ السَّلَامِ أَهْلَهُ (٣) عَنِّي وَقُلْ
يَا سَاكِنِي نَجِدْ أَمَا مِنْ رَحْمَةٍ
هَلَّا بَعَثْتُمْ لِلْمَشُوقِ (٤) تَحِيَّةً
يَحْمًا بِهِمْ مَنْ كَانَ يَحْسَبُ هَجْرَكُمْ
يَا أَهْلَ وَدْيِ هَلْ لِرَاجِي وَعَلَيْكُمْ
مُذْ غَبِثْتُ عَنْ نَاطِرِي لِي أَنَّهُ
وَإِذَا ذَكَرْتُكُمْ أَمِيلُ كَأَنِّي
وَإِذَا دُعِيتُ إِلَى تَنَاسِي عَهْدِكُمْ
سَفِيًّا لِأَيَّامٍ مَضَتْ مَعَ جِيرَةٍ (٥)
حَيْثُ الْحَمَى وَطَنِي وَسَكَانُ الْفَضَا
وَأَهْمِلُهُ أَرِييْ وَظِلُّ نَحِيلِهِ
وَأَهَا عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطِيبِهِ
قَسَمًا بِمَكَّةَ وَالْمَقَامِ وَمَنْ أَتَى أَوْ
مَا رَمَحْتُ رِيحُ الصَّبَا شَيْخَ الرَّبِّي

عَرَجَ وَأَمَّ أَرِينَهُ أَلْفَوَاحًا
فَأَنشُدْ فُوَادًا بِالْأَلْيَطِخِ طَاحًا
غَادَرْتُهُ لِحَنَائِكُمْ مُتَّحَا
لِأَسِيرِ الْإِفِّ لَا يُرِيدُ سَرَاحًا
فِي طَيِّ صَافِيَةِ الرِّيَّاحِ رَوَاحًا
مَزَحًا وَيَعْتَقِدُ الْمَزَاحَ مَزَاحًا
طَمَعُ فَيَنْعَمُ بِاللَّهِ أَسْتَرْوَاحًا
مَلَأَتْ نَوَاحِي أَرْضِ مِصْرَ نَوَاحًا
مِنْ طِيبِ ذِكْرِكُمْ سَقِيتُ الرَّاحَا
أَلْفَيْتُ أَحْشَائِي بِذَاكَ شِخَاخَا
كَانَتْ لِيَالِنَا بِهِمْ أَفْرَاحَا
سَكَنِي وَوَرْدِي الْمَاءُ فِيهِ مُبَاحَا
طَرَبِي وَرَمْلَةٌ وَادِيهِ مَرَاخَا
أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ اللُّغُوبِ مَرَاخَا
بَيْتَ الْحَرَامِ مُلَيًّا سَيَّاحَا
إِلَّا وَاهَدْتُ مِنْكُمْ أَرْوَاحَا

(٢) كني بثنيّات اللوى عن الصفات الربّانية.

(٣) هم الاولياء والطوباويون . وكذلك ساكنو نجد

(٥) يكنى عن زمان زجاء بالبر

(١) أراد بالعلمين النفس والقلب

وبوصوله عن تجلّي الحضرة الالهية

(٤) يريد بالمشوق نفسه الهائنة بحبه تعالى

والصلاح مع الاولياء

تُرْهَا غِرَّةَ السَّرَابِ نُهَى فِي نَاجِرِي النَّهَارِ مُحْتَمِ
 أَوْ عَمَلُ الْكُفْرِ مَنْ يَدِينُ بِهِ فِي الْبَعْثِ إِبَّانَ مَجْمَعِ الْأُمَمِ
 ذَاتُ قَتِيرٍ شَابَتْ بِمَوْلِدِهَا وَلَمْ يَكُنْ شَيْبَهَا مِنَ الْقَدَمِ
 فَمَا عَدَدْنَا بَيَاضَهَا هَرَمًا حِينَ يَعْدُ الْبَيَاضُ فِي الْهَرَمِ
 مَا خَضَبَتْهُ الْمُهَنْدَاتُ لَهَا وَلَا الْعَوَالِي سِوَى رَشَاشِ دَمِ
 مَلْبَسُ قِيلٍ مَا خِيطَ مُشَبِّهُهُ لِدَارِمٍ قَبْلَنَا وَلَا دَرِمِ
 رَأَاهُ كَمَلَانُ مِنْ مَعَاقِلِهِ فِي الْحَرْبِ دُونَ الْعَبِيدِ وَالْحَشَمِ
 عَذَّبَهَا أَهْلُ الْكِبَى صَانِعُهَا فِي جَاحِمٍ مِنْ وَقُودِهِ ضَرِمِ
 يَفْرُغُ عَنْهَا ضَبُّ الْعَذَاةِ كَمَا يَهَابُ نَقْعًا مِنْ بَارِدٍ شِمِ
 يَدُ الْمَنَايَا إِذَا تُصَافَحَهَا أَعْيَى بِهَا مِنْ يَدَيْنِ فِي رَحِمِ
 مَعَايِلُ الرَّمْيِ عِنْدَهَا عِبَلُ مُلْقَى وَسُحْمُ النَّصَالِ كَالسَّحْمِ
 فَهِيَ قَمُ الْعُودِ بَزْهَنٌ بِهِ وَهْنٌ شَوْكُ الْقِتَادِ وَالسَّلَمِ

لاي الحفص الفارضي في التغزل بالكلمات الالهية

أَوْ مِضُ بَرْقٍ بِالْأَبْرِيقِ لَاحًا أَمْ فِي رَبِّي تَجِدُ أَرَى مِضْبَاحًا
 أَمْ تِلْكَ لَيْلِي الْعَامِرِيَّةُ (١) أَسْفَرَتْ لَيْلًا فَصِيرَتْ الْمَسَاءَ صَبَاحًا
 يَا رَاكِبَ الْوُجَاءِ (٢) وَوَقِيتَ الرَّدَى إِنْ جُبْتَ حَزْنَا أَوْ طَوَيْتَ بِطَاحًا
 وَسَلَكْتَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ (٣) فَعُجْجَ إِلَى وَادٍ (٤) هُنَاكَ عَهْدُهُ فَيَاحَا

(١) قال الشيخ حسن البوريني: أراد بليلي العامرية ذات وجود الحق والعهدة الالهية

(٢) المراد براك الوجاء السالك في طريق الخلاص القاهرة نفسه

(٣) اسم مكان وكفى به عن الدخول في التجليات الالهية (٤) أراد به الرياض السماوية

وَهَلْ تَعْشَوُ النَّبَالَ إِلَى ضِيَاءِ
يَهُونُ عَلَيَّ وَالْحَذَّانُ طَاعِ
فَلَوْ طَعِنَ أَلْتَقَى بِأَشَدِّ غَضَنِ
أَخَالْتَنِي ظِمَاءُ الْخَطِّ لُجَا
وَلَيْسَ لِكُرِّ يَوْمِ الشَّرِّ نَافِ
سِوَى كَرٍّ مِنَ الْأَذْرَاعِ سَاجِ

٦٤ وقال أيضاً من قصيدة على لسان رجل يسأل أمه عن درع أبيه

مَا فَعَلْتَ دِرْعُ وَالِدِي أَجَرْتُ
فِي نَهْرٍ أَمْ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ
أَمْ اسْتَعِيرَتْ مِنَ الْأَرَاقِمِ فَأَرْ
تَدَّتْ عَوَارِيهَا بَنُو الرِّقَمِ
أَمْ بَقِيَهَا تَبْتَعِينَ مَضْحَةً
فِي سَنَةٍ وَالسَّمَاءُ لَمْ تَقِمِ
عَاسَةً لَمْ يَجْذِبْهَا الْأَسْدُمُ
الطَّيِّبَةُ إِلَّا ضَعَافَ الرَّهْمِ
أَمْ كُنْتَ صَيَّرْتَهَا لَهُ كَفْنَا
فَتَلَكَّ لَيْسَتْ مِنْ آلِهِ الرَّجَمِ
لَعَلَّهُ أَنْ يَجِيءَ مُدَرَّعًا
يَوْمَ رُجُوعِ النُّفُوسِ فِي الرِّمَمِ
أَمْ كُنْتَ أَوْدَعْتَهَا أَخَاطِقَةً
فَحَانَ وَالْحَوْنُ أَقْبَحُ الشِّيمِ
ضَافِيَةً فِي الْحَجَرِ صَافِيَةً
لَيْسَتْ بِمَطْوِيَّةٍ عَلَى قَتَمِ
كَأَنَّهَا وَالنِّصَالُ تَأْخُذُهَا
أَضَاةُ حَزْنٍ يُجَادُ بِالْدِيمِ
ضَنَّهَا رَيْبًا لِيَضْنَهَا
بِهِ وَكَمْ ضِنَّةٍ مِنَ الْكُرَمِ
تَحْسِبُهَا مِنْ رَضَابِ غَادِيَةٍ
مَجْمُوعَةٍ أَوْ دُمُوعِهَا السُّجُمِ
ضَاحِكَةً بِالسَّهَامِ سَاخِرَةً
بِالرَّمْحِ هَزَاءَةً مِنَ الْخُدُمِ
عَادَتَهَا أَرَاهَا طَبَا وَقَفَا
مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَأُخْتِهَا إِرَمِ

٦٣ قال ابو العلاء المعري من قصيدة على لسان درع يخاطب سيفا

أَلَمْ يَلْفِكَ فَتْكِي بِالْمَوَاضِي وَسُخْرِي بِالْأَسِنَّةِ وَالزُّجَاجِ
وَأَنِّي لَا يُغَيِّرُ لِي قَتِيرًا خِضَابُ كَالْمَدَامِ بِدَلَامِزِاجِ
مَنَعْتُ الشَّيْبَ مِنْ كَتَمِ التَّرَاقِي وَلَمْ أَمْنَعُهُ مِنْ خَطَرِ الْعُجَاجِ
فَهَلْ حَدَّثَ بِالْحَرْبَاءِ يَلْقَى بِرَأْسِ الْعَيْرِ مُوَضَّحَةَ الشَّجَاجِ
تُصَيِّحُ ثَعَالِبُ الْمُرَّانِ كَرَبًا صِيَاحُ الطَّيْرِ تَطْرُبُ لِابْتِهَاجِ
حَرَامٌ أَنْ يُرَاقَ نَجِيعُ قَرْنٍ يَجُوبُ النَّقْعَ وَهُوَ إِلَيَّ لَا حِجِ
يَقْضِبُ عَنْهُ أَمْرَاسُ الْمَنَايَا لِبَاسٌ مِثْلُ أَغْرَاسِ النَّجَاجِ
تَعَوَّذَ بِي حَلِيفُ التَّلَاجِ قَدَمًا وَفَارِسُ لَمْ تَهْمُ بِعَقْدِ تَاجِ
شَهِدْتُ الْحَرْبَ قَبْلَ ابْنِي بَغِيضٍ وَكُنْتُ زَمَانَ صَحْرَاءَ النَّبَاجِ
فَلَا يُطْعِمُكَ فِي الْغَمَرَاتِ وَرَدِي فَإِنِّي رَبَّةُ الْمُرِّ الْأَجَاجِ
فَإِنْ تَرَكْتُ بَعْدَكَ لَا تُخَفِّنِي وَإِنْ تَهَجَّمُ عَلَيَّ فَغَيْرُ نَاجِ
مَتَى تَرُمِ السُّلُوكَ بِي الرِّزَايَا تَجِدُ قَضَاءَ مُبَهْمَةِ الرَّتَاجِ
يَرُدُّ حَدِيدَكَ الْهِنْدِيَّ سَرَدِي رُقَاتًا كَالْحَطِيمِ مِنَ الزُّجَاجِ
تُنَاجِينِي إِذَا اخْتَلَفَ الْعَوَالِي أَتَدْرِي وَيَبْغِيرُكَ مَنْ تُنَاجِي
كَأَنَّ كُؤُوبَهَا مُتَاثِرَاتٍ نَوَى قَسْبَ تَرْصُخٍ لِلنَّوَاجِي
مُؤَهَّهٌ كَأَنَّ بِهَا ارْتِعَاشًا لِقَرَطِ السِّنِّ أَوْ دَاءِ اخْتِلَاجِ
تَضِيفُنِي الذَّوَابِلُ مُكَرَّهَاتٍ فَتَرَحَّلُ مَا أَذِيقْتُ مِنْ لَمَاجِ
إِذَا مَا أُلْسَهُمْ حَاوَلَ فِي نَهْجَا فَإِنِّي عَنْهُ ضَيْقُهُ الْفُجَاجِ

شَدَّ عَلَيْهَا بِقَرْنِ ذِي حَقٍّ مَعَوْدٍ لِلنَّطَاحِ مَشْهُورٍ
 وَلَيْسَ يَقْوَى بِرَوْقِهِ جَبَلٌ صَلْدٌ مِنَ الشُّمُخِ الْمَذَاكِرِ
 فَكَيْفَ تَقْوَى عَلَيْهِ مِسْرَجَةٌ أَرَقٌ مِنْ جَوْهَرِ الْقَوَارِيرِ
 تَكَسَّرَتْ كَسْرَةً لَهَا أَلَمٌ وَمَا صَحِيحُ الْهُوَى كَمَكْسُورٍ
 فَأَذْرَكَتْهُ شُعُوبٌ فَأَنْشَعَتْ بِالرُّوعِ وَالشَّلْوِ غَيْرُ مَقْشُورٍ
 أُدِيلَ مِنْهُ فَأَذْرَكَتْهُ يَدٌ مِنَ الْمُنَايَا بِحَدِّ مَطْرُورٍ
 يَلْتَهَبُ الْمَوْتُ فِي ظَبَاهُ كَمَا تَلْتَهَبُ النَّارُ فِي الْمَسَاعِيرِ
 وَمَزَقَتْهُ الْمُدَى فَأَتْرَكَتْ كَفُّ الْقَرَى مِنْهُ غَيْرَ تَعْسِيرِ
 وَأَغْتَالَهُ بَعْدَ كَسْرِهَا قَدْرٌ صَيَّرَهُ نَهْزَةً السَّنَانِيرِ
 فَمَزَقَتْ لَحْمَهُ بِرَأْسِهَا وَبَذَرَتْهُ أَشَدَّ تَبَذِيرِ
 وَاخْتَلَسَتْهُ الْجِدَاءُ خَلْسًا مَعَ الْغُرْبَانِ لَمْ تَرْدَجِرْ لِإِكْبِيرِ
 وَصَارَ حَظُّ الْكِلَابِ أَعْظَمُهُ يَهْتَمُّ أَلْحَاءُهَا بِتَكْسِيرِ
 كَمْ كَاسِرٍ نَحْوَهُ وَكَاسِرَةٍ سِلَاحُهَا فِي شَفَى الْمُنَاقِيرِ
 وَخَامِعٍ نَحْوَهُ وَخَامِعَةٍ سِلَاحُهَا فِي شَبَا الْأَظْفِيرِ
 قَدْ جَعَلَتْ حَوْلَ شِلْوِهِ عُرْسًا بَلَا أَفْتِقَارٍ إِلَى مَزَامِيرِ
 وَلَا مُغْنٍ سِوَى هَاهُمَا إِذَا تَمَطَّطَ لِوَارِدِ الْغَيْرِ
 يَا كَبْشُ ذُقْ إِذْ كَسَرْتَ مِسْرَجَتِي لِمُدِيَةِ الْمَوْتِ كَأْسَ تَنْحِيرِ
 بَغَيْتَ ظُلْمًا وَالْبَغْيُ مَضْرَعٌ مِنْ بَغَى عَلَى أَهْلِهِ بِتَغْيِيرِ
 أَضْحِيَّةٍ مَا أَظُنُّ صَاحِبَهَا فِي قَتْمِهِ لَحْمَهَا بِمَاجُورِ

وَقَبْلَ ذَا بِدْعَةٍ أُتِيَ لَهَا مِنْ قَبْلِ الدَّهْرِ قَرْنُ يَعْفُورِ
وَصَكَّهَا صَكَّةً فَأَلْبَثَتْ أَنْ وَرَدَتْ عَسْكَرَ الْمُكَاسِيرِ
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَقَدْ لَهَا تَرَكَّتْ ذِكْرًا سَيَبْقَى عَلَى الْأَعَاصِيرِ
مَنْ ذَا رَأَيْتَ الزَّمَانَ يَأْسِرُهُ فَلَمْ يُشَبَّ لُسْرُهُ بِتَعْسِيرِ
وَمَنْ أَبَاحَ الزَّمَانُ صَفْوَتَهُ فَلَمْ يُشَبَّ صَفْوُهُ بِتَكْدِيرِ
مِسْرَجَتِي لَوْ فُدِيتَ مَا بَخَلْتُ عَنْكَ يَدُ الْجُودِ بِالدَّنَانِيرِ
لَيْسَ لَنَا فِيكَ مَا نُقَدِّرُهُ لَكِنَّمَا الْأَمْرُ بِالْمُقَادِيرِ
مِسْرَجَتِي كَمْ كَشَفْتُ مِنْ ظُلْمٍ جَلَّتْ ظُلُمَانُهَا بِتَشْوِيرِ
أَوْحَشَتِ الدَّارُ مِنْ ضِيَائِكَ وَالسَّيْتُ إِلَى مَطْنِجٍ وَتَوْرٍ وَتَوْرٍ
قَلْبِي حَزِينٌ عَلَيْكَ إِذْ سَجَلْتُ عَلَيْكَ بِالْدَّمْعِ عَيْنُ تَمِيرِ
إِنْ كَانَ أَوْدَى بِكَ الزَّمَانُ فَقَدْ أَبْقَيْتَ مِنْكَ الْحَدِيثَ فِي الدُّورِ
دَعِ ذِكْرَهَا وَأَنْجِ قَرْنَ نَاطِحِهَا وَأَسْرُدْ أَحَادِيثَهُ بِتَفْسِيرِ
كَانَ حَدِيثِي أَنِّي أَشْرَيْتُ فَمَا أَشْرَيْتُ كَبْشًا سَلِيلَ خِنْزِيرِ
فَلَمْ أَزَلْ بِالنَّوَى أَسْتَمُهُ وَالتَّبَنِ وَالْقَتِّ وَالْأَنْجَارِ
أَبْرَدُ الْمَاءِ فِي الْقِلَالِ لَهُ وَأَتَّقِي فِيهِ كُلَّ مَخْذُورِ
تَخْدُمُهُ طَوْلَ كُلِّ لَيْلَتِهَا خِدْمَةُ عَبْدٍ بِالذِّلِّ مَأْسُورِ
فَلَمْ يَزَلْ يَتَغَذَّى السُّرُورَ وَمَا أَلَا مَحْزُونٌ فِي عَيْشِهِ كَمَسْرُورِ
حَتَّى عَدَا طَوْرَهُ وَحَقَّ لِمَنْ يَكْفُرُ نَعْمَى تَقْرِيبُ تَقْيِيرِ
فَمَدَّ قَرْنَيْهِ نَحْوَ مِسْرَجَةٍ تَعَدُّ فِي صَوْنِ كُلِّ مَذْخُورِ

أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ هَيَّاتِ أَتَى أَتَمَّهَا مِنْ بَعْدِهِ بِطَعَامٍ
يَا رَفِيقِي مَذْكَ كُنْتُ طِفْلاً إِلَى أَنْ جَلَّ الشَّيْبُ مَفْرَقِي بِالْثَغَامِ
وَصَدِيقِي الَّذِي تَحَوَّلْتُ مِنْ جَدِّ وَاهُ قُوَّتِي وَقُوَّتِي وَقَوَامِي
مَنْ يَرُوضُ الصَّعَابَ بَعْدَكَ مِنَ اللَّبْطَشِ مِنَ الْقِرَاعِ مِنَ الصِّدَامِ
رُبَّ قِشْرٍ تَحْضَهُ عَنْ لُبَابٍ وَلَحْمٍ عَرَقَتْهَا عَنْ عِظَامِ
مَا قَدَرْنَاكَ حَقَّ قَدْرِكَ حَتَّى بَنَتْ فَأَذْهَبَ مُتَمَّاً بِسَلَامِ
وَتَأْسَى فَكَمْ صَرِيعٍ بِهَذَا الشَّغْرِ أَرَدَتْهُ غَارَةُ الْأَيَّامِ
أَبَدَلْتَنِي عَنِ الثَّرْيَا بِنِي نَعَشٍ كُرُورُ السِّنِينَ وَالْأَعْوَامِ
فَجَعَلْتَنِي بِكُلِّ أَيْضٍ طَلَا عِ الثَّنَائَا مُسْتَأْسِدِ بَسَامِ
أَيَّ وَثَرٍ تَنْبَغِي التَّوَارِلُ مِنِّي بَعْدَ ضَعْفِ الْقَوَى وَفَتِ الْعِظَامِ
مَنْ يُرِدُ صُحْبَةَ الزَّمَانِ طَوِيلاً فَلْيُوطِّنْ نَفْساً عَلَى الْآلَامِ
كُلُّ صَغْبٍ يَهُونُ إِنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ بِحُسْنِ الْخِتَامِ

٦٢ حدث أبو هريرة النخعي قال : كان أبو الشبل البرحمي قد اشترى كبشاً للاضئى .
فجعل يعلفه ويُسَيِّنُهُ فَأَمَلَتْ يَوْمًا عَلَى قَنْدِيلٍ لَهُ كَانَ يُسْرِجُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسِرَاجٍ وَقَارُورَةٍ
لِلزَيْتِ . فَنَطَحَهُ فَكَسَرَهُ وَأَنْصَبَ الزَّيْتَ عَلَى ثِيَابِهِ وَكَبْشِهِ وَفَرَّاشِهِ . فَلَمَّا عَينَ ذَلِكَ ذَبَحَ الْكَبْشَ
قَبْلَ الْاضئى وَقَالَ يَرِثُنِي سِرَاجُهُ :

يَا عَيْنِ ابْكِي لِفَقْدِ مِسْرَجَةٍ كَانَتْ عُمُودَ الضِّيَاءِ وَالنُّورِ
كَانَتْ إِذَا مَا الظَّلَامُ أَلْبَسَنِي مِنْ خُنْدُسِ اللَّيْلِ ثَوْبَ دَيْجُورِ
شَقَّتْ سِيرَانَهَا غِيَاظِلَةً شَقًّا رَعَى اللَّيْلَ بِالْدِّيَاجِيرِ
صَيْنِيَّةُ الصَّيْنِ حِينَ أَبْدَعَهَا مَصُورُ الْحُسْنِ بِالتَّصَاوِيرِ

الْأَيْضِ وَرَوْضَتِهَا. فَلَمَّا رَأَى السُّلْطَانُ (خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ) قَدْ دُعْتُ
 قَالَ: أَعْمَلْتَ شَيْئًا. ظَنَّا مِنْهُ أَنَّ الْعَمَلَ فِي تِلْكَ الْأَمْحَةِ مُتَعَذِّرٌ. وَبُلُوغُ
 الْغَرَضِ فِيهَا غَيْرُ مُتَصَوِّرٍ. فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: أَلْنَشِدُنَا فَصَمَتَ النَّاسُ
 وَحَدَقَتِ الْأَبْصَارُ وَأَصَاخَتِ الْأَسْمَاعُ. وَظَنَّ النَّاسُ بِي الظُّنُونُ.
 وَتَرَقَّبُوا مِنِّي مَا يَكُونُ. فَمَا تَوَالَى إِنْشَادِي حَتَّى صَفَقَتْ الْأَيْدِي إِعْجَابًا.
 وَتَغَامَزَتِ الْأَعْيُنُ اسْتِغْرَابًا. وَحِينَ انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ مَوْلَانَا الْكَامِلِ
 بِأَنَّهُ الْمَعْلَى إِذَا ضُرِبَتْ قِدَاحُهُمْ. وَسُرِدَتْ أَمْدَا حُهُمْ. أَغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ
 دَمْعًا لِذِكْرِهِ. وَأَبَانَ صَمْتَهُ مَخْفِي الْحُبَّةِ فَأَعْلَنَ بِسِرِّهِ. وَحِينَ انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا
 فَاضَ دَمْعُهُ. وَلَمْ يُمْكِنْهُ مَنَعُهُ. ثُمَّ قَامَ فَوَضَعَ فَرَجِيَّةً مِنْ خَاصِّ
 مَلَابِسِهِ كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى كَتِفِي

(بدائع البدائه للاردي)

البابي يرثي ضرسه بعد قلعه

٦١

أَيُّ طَوْدٍ مِنَ الرُّوَاسِي الْعِظَامِ فَجَعَنَّا بِهِ يَدُ الْأَيَّامِ
 هَدَمَتْهُ نَوَازِلُ الدَّهْرِ وَالْدَّهْرِ وَلُوعُ بِهِذَمِ عِزِّ الْكِرَامِ
 فَهَوَى شَاطِئًا مِنَ الذُّرُورَةِ الْقَمَسَاءَ قَسْرًا وَأَنْفَهُ فِي الرِّغَامِ
 صَاحِبُ كَانَ لِي وَفِيَّ وَبِي بَرًّا حَفِيًّا يُعُولُنِي بِالْإِتْرَامِ
 وَخَلِيلِي فِي كُلِّ غَمَصَةٍ كَمَا نَعْتِدُ الْإِطْعَامِ وَالْإِنْعَامِ
 أَبْيَضُ الْوَجْهِ فِي اللَّقَائِلِ الْمَلْسِ صَغْبُ الْمِرَاسِ عِنْدَ الصِّدَامِ
 كَأَسِرِّ طَاحِنٍ إِذَا أَصْطَدَمَ الصَّفَّانِ مَاضِي الشَّبَا أَلَدُ الْخِصَامِ
 ضَعُفَتْ رُكْنُهُ الْخُطُوبُ وَثَلَتْ عَرْشَ سُلْطَانِهِ الْمُنِيعِ السَّامِي

جَلَّتِ الْهُمُومُ عَنِ الْقُودِ كَيْلِ مَا تَجْلُو بِفِرَّةٍ وَجْهَكَ الْأَخْلَاكَ
كَقَمِيصِ يُوسُفَ إِذْ شَفَتْ يَغُوبَ رِيَّاهُ شَفْتِي مِثْلَهُ رِيَّاكَ
قَدْ أَعْجَزَتْ شُعْرَاءُ أَهْلِ زَمَانِنَا حُسْنَ فَلَمْ لَا تَعْجُزِ الْأَمْلَاكَ
مَا كَانَ هَذَا أَفْضَلُ يُمْكِنُ مِثْلُهُ أَنْ يَحْتَوِيَهُ مِنَ الْأَنَامِ سِوَاكَ
لَمْ لَا أَعِيبُ عَنِ الشَّامِ وَهَلْ لَهُ مِنْ حَاجَةٍ عِنْدِي وَأَنْتَ هُنَاكَ
أَمْ كَيْفَ أَخْشَى وَالْبِالَدُ جَمِيعُهَا تَحْمِيَةٌ فِي جَاهِ طَعْنٍ فَتَاكَ
يَكْفِي الْأَعَادِي حُرُّ بَأْسِكَ فِيهِمْ أَضْعَافَ مَا يَكْفِي الْوَلِيَّ نَدَاكَ
مَا زَرْتُ مِصْرَ لَغَيْرِ ضَبْطِ ثُغُورِهَا فَلَذَا صَبَرْتُ فِدَيْتَ عَنْ رُؤْيَاكَ
أَمْ أَلْبِلَادِ عَلَا عَلَيْهَا قَدْرُهَا لَاسِيًا مَذْ شُرْقَتْ بِحُطَاكَ
طَابَتْ وَحَقَّ لَهَا وَلَمْ لَا وَهِيَ قَدْ حَوَتْ الْمُعَلَّى فِي الْقِدَاحِ أَخَاكَ
أَنَا كَالسَّحَابِ أَزُورُ أَرْضًا سَافِيًا حِينًا وَأَمْنَحُ غَيْرَهَا سُقْيَاكَ
مُكْنِي جِهَادًا لِلْعَدُوِّ لِأَنِّي أَغْزُوهُ بِالرَّأْيِ السَّيِّدِ دِرَاكَ
لَوْلَا الرِّبَاطُ وَفَضْلُهُ لَتَصَدَّتْ بِالسَّيْرِ الْحَيْثُ إِلَيْكَ نَبْلَ رِضَاكَ
وَلَيْنَ أَتَيْتُ إِلَى الشَّامِ فَإِنَّمَا يَحْتَنِي شَوْقِي إِلَى لُقْيَاكَ
إِنِّي لَا أَمْنَحُكَ الْحُبَّةَ جَاهِدًا وَهَوَايَ فِيمَا تَشْتَهِيهِ هَوَاكَ
فَأَحْزَنَ فَقَدْ أَصْبَحْتَ بِي وَبِأَيْسِكَ الْحَامِ مِي وَكُلُّ مُمْلِكٍ يَخْشَاكَ
لَا زِلْتَ تَتَهَرَّ مِنْ يُعَادِي مُلْكَنَا أَبَدًا وَمَنْ عَادَاكَ كَانَ فِدَاكَ
وَأَعِيشُ أَنْظِرْ ابْنَكَ الْبَاقِي أَبَا وَتَعِيشُ تُخَدِّمُ فِي السُّعُودِ أَبَاكَ
ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَكَانِي وَقَدْ بَيَّضْتُهَا وَحَلَيْتُ بِزَهْرِهَا سَاحَةَ الْفِرَاطِ

وَتَأْسُقُ غَرِيبَ الْتِمَامِهَا. وَالْتِمَاءُ عَلَى الْخَاطِرِ الَّذِي نَظَّمَ مُحْكَمَ أَبْيَاتِهَا،
وَأَطْلَعَ مِنْ مَشْرِقِ فِكْرِهِ آيَاتِهَا. فَقَالَ السُّلْطَانُ (خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ):
زُيْدُ مَنْ يُحِبُّهُ عَنَّا بِأَبْيَاتٍ عَلَى قَافِيَتِهَا. فَالْتَقَتَ مُسْرِعًا إِلَيَّ وَأَنَا عَلَى
يَمِينِهِ وَقَالَ: يَا مَوْلَانَا مَمْلُوكُكَ فُلَانٌ هُوَ فَارِسُ هَذَا الْمِيدَانِ. وَالْمُعْتَادُ
لِلتَّخَلُّصِ فِي مَضَائِقِ هَذَا الشَّانِ. ثُمَّ قَطَعَ وَصَلًا مِنْ دَرَجٍ كَانَ بَيْنَ
يَدَيْهِ وَاقَاهُ إِلَيَّ. وَعَمِدَ إِلَى دَوَاتِهِ فَأَدَارَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ:
أَهَكَذَا عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ. قَالَ: نَعَمْ أَنَا جَرَّبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ
مُتَّقِدَ الْخَاطِرِ حَاضِرَ الذَّهْنِ سَرِيعَ إِجَابَةِ الْفِكْرِ. فَقَالَ السُّلْطَانُ: وَعَلَى
كُلِّ حَالٍ قُمْ إِلَى هَهُنَا لِتَكْفِ عَنْكَ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ. وَتَقْطَعَ جَلْبَةً
الْحَاضِرِينَ. وَأَشَارَ إِلَى مَسْكَانٍ عَنْ يَمِينِ أَلْبَيْتِ الْحُشْبِ الَّذِي هُوَ
مُنْفَرِدٌ بِهِ قُفْتُ وَقَدْ فَقَدَتْ رِجْلِي الْخُرْجَ إِلَّا. وَذَهْنِي اخْتِلَالًا. لَهَيْبَةِ
الْجُلُوسِ فِي صَدْرِي وَكَثْرَةِ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُتَرَقِّينَ لِي الْمُنْتَظَرِينَ
حُلُولَ فَاتِرَةِ الشَّمَاةِ بِي. فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَاسَتْ حَتَّى ثَابَ إِلَيَّ خَاطِرِي.
وَأَنْتَالُ الشَّعْرُ عَلَى ضَمَائِرِي. فَكُنْتُ أَرَى فِكْرِي كَأَنْ لَبَازِي الصَّيُودِ لَا
يَرَى كَلِمَةً إِلَّا أَنْشَبَ فِيهَا مِنْسَرَهُ. وَلَا مَعْنَى إِلَّا شَكَّ فِيهِ ظَفْرَهُ.
فَقُلْتُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ:

وَصَلَتْ مِنَ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ تُحْفَةٌ مَلَأَتْ بِفَاخِرِ دُرِّهَا الْأَسْلَاكَ
أَبْيَاتُ شِعْرِ كَأَنْجُومِ جَلَالَةٍ فَلَذَا حَكَّتْ أَوْرَاقُهَا الْأَفْلَاكَ
عَجَبًا وَقَدْ جَاءَتْ كَمِثْلِ الرُّوضِ إِذَا لَمْ تُذَوِّهَا بِالْحَمْرِ نَارُ ذَكَكَ

وَأَزْكَبَ خُبُولًا كَالسَّعَالِي شَرْبًا
وَأَجْلَبَ مِنَ الْأَبْطَالِ كُلِّ سَمِذَعٍ
وَأَسْتَرْعِفَ السُّمَرَ اللَّدَانَ وَرَوْهَا
وَسِرَ الْغَدَاةَ إِلَى الْغَدَاةِ مُبَادِرًا
وَأَقْرَنَ رِمَاحَكَ بِالثُّغُورِ فَإِنَّهَا
فَالْعِزُّ فِي نَصَبِ الْحِيَامِ عَلَى الْعِدَى
وَالنَّصْرُ مَقْرُونٌ بِهَيْمَتِكَ الَّتِي
فَإِذَا عَزَمْتَ وَجَدْتَ مِنْهُوَ طَائِعٌ
وَالنَّصْرُ فِي الْأَعْدَاءِ يَوْمَ كَرِيهَةٍ
وَالْعَجْزُ أَنْ تُسَمِّيَ بِبَصَرٍ مُخِيَّمًا
فَارْحَ حُشَّاشَتَكَ الْكَرِيمَةَ مِنْ لَظَى
فَلَنَذَّ غَدًا قَلْبِي عَلَيْكَ بِحُرْقَةٍ
وَأَنْهَضُ إِلَى رَاجِي لِقَاكَ مُسَارِعًا
وَأَبْرِدُ فُؤَادَ الْمُسْتَهَامِ بِنَظَرَةٍ
وَأَشْفِ الْغَدَاةَ عَلِيلَ صَبِّ هَامٍ
فَسَعَادَتِي بِالْعَادِلِ الْمَلِكِ الَّذِي
فَبَقِيتَ لِي يَا مَالِكِي فِي غِبْطَةٍ
فَلَمَّا تَلَا الصَّاحِبُ عَلَى الْحَاضِرِينَ مُحْكَمَ آيَاتِهَا
وَجَلَامِهَا الْعُرُوسَ
الَّتِي حَارَتْ مِنَ الْحَاسِنِ أَبْعَدَ غَايَاتِهَا
أَخَذُوا فِي اسْتِحْسَانِ نِظَامِهَا

علي بن ظافر عند الملك العادل

٦٠ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ: وَمِنْ أَعْجَبَ مَا دُهِيتُ بِهِ وَرُمِيتُ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ
بِفَضْلِهِ نَصَرَ وَأَعْطَى الظُّفْرَ وَأَعَانَ خَاطِرِي الْكَلِيلَ. حَتَّى مَضَى مَضَاءُ
السَّيْفِ الصَّقِيلِ. أَنِّي كُنْتُ فِي خِدْمَةِ مَوْلَانَا الْعَادِلِ (خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ)
بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ سَنَةً إِحْدَى وَسِتِّمِائَةٍ مَعَ مَنْ ضَمَّتْهُ حَاشِيَةُ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ
مِنَ الْكُتَّابِ وَدَخَلَتْ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّمِائَةٍ وَتَحْنُ بِالْثَغْرِ مُقِيمُونَ بِالْخِدْمَةِ.
مُرْتَضِعُونَ لِأَفَاوِيقِ النِّعْمَةِ. فَحَضَرْتُ مَعَ مَنْ حَضَرَ لِلْهَنَاءِ. مِنَ الْفُقَهَاءِ
وَالْعُلَمَاءِ. وَالْمَشَاحِجِ وَالْكَبَرَاءِ. وَجَمَاعَةِ الدِّيَوَانِ وَالْأُمَرَاءِ. فِي يَوْمٍ مِنْ
أَيَّامِ الْجُلُوسِ لِامُضَاءِ الْأَحْكَامِ. وَالْعَرْضِ لِطَوَائِفِ الْأَجْنَادِ بِالتَّامِّ. فَلَمْ
يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ وَلَا مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَّا حَضَرَ مُهْنًا. وَمِثْلَ شَاكِرًا
وَدَاعِيًا. فَلَمَّا غَصَّ الْمَجْلِسُ بِأَهْلِهِ. وَشَرِقَ بِجَمْعِ النَّاسِ وَحَفْلِهِ. وَخَرَجَ
مَوْلَانَا السُّلْطَانُ (خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ) إِلَى مَجْلِسِهِ. وَأَسْتَقَرَّ فِي دَسْتِهِ. أَخْرَجَ
كِتَابًا نَاولَهُ إِلَى الصَّاحِبِ الْأَجَلِّ صَفِيِّ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَلِيٍّ وَزِيرِ دَوْلَتِهِ. وَكَبِيرِ جَلَّتِهِ. وَهُوَ مَفْضُوزُ الْحِثَامِ. مَفْكُوكُ الْقِدَامِ فَفْتَحَهُ
فَإِذَا فِيهِ قِطْعَةٌ وَرَدَتْ مِنْ الْمُؤَلَّى الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ أَبَقَاهُ اللَّهُ. كَتَبَهَا إِلَيْهِ
يَتَشَوُّهُ وَيَسْتَعِظُفُهُ لِيُزَارِيَتْهُ وَيُرَقِّقُهُ وَيَسْتَحِثُّ عَوْدَ رِكَابِهِ إِلَى السَّامِ
لِلْمُتَاغِرَةِ بِهَا وَتَمَعَ عِدْوَهَا. وَيَعْرِضُ بِذِكْرِ مِصْرٍ وَشِدَّةِ حَرْبِهَا وَقَدِ جَرَّهَا.
وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَى خِدْمَتِهِ بِالْثَغُورِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا. وَالْآيَاتُ:
أَرْوِي رِمَاحَكَ مِنْ نُحُورِ عِدَاكَ وَأَنْهَبُ بَحْيَاكَ مِنْ أَطَاعِ سِوَاكَ

فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ الْجِيَادُ عَلَيْهَا الْقَوْمُ قَدْ سَجَّوْا كَانُوا لَهْنٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ أَحْلَاسَا
فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا الْقَاطِعَاتُ لِأَرْضِ الْجَوِّ فِي طَلْقِ قَبْلَ الصُّبْحِ وَمَا يَسْرِينَ قِرْطَاسَا
فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ الْأَمَانِي تَتَرَكَّنُ الْقَتَى مَلَكًا دُونَ السَّمَاءِ وَلَمْ تَرْفَعْ بِهِ رَاسَا
فَقَالَ عُبَيْدٌ :

مَا الْحَاكُمُونَ بِلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ وَلَا لِسَانٍ فَصِيحٍ يُعْجِبُ النَّاسَا
فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ الْمَوَازِينُ وَالرَّحْمَانُ أَنْزَلَهَا رَبُّ الْبَرِّيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ مِقْيَاسَا
٥٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : دَخَلْتُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى صَدِيقٍ لَنَا
نَعُوذُهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ بَرْكَةٌ قَدْ رَاقَ مَاؤُهَا. وَصَحَّتْ سَمَؤُهَا. وَقَدْ رُصَّ تَحْتَ
دَسَاتِيرِهَا نَارُ نَجٍّ فَتَنَ قُلُوبَ الْحُضَارِ. وَمَلَأَ بِالْحَاسِنِ عُيُونَ النُّظَّارِ.
فَكَأَنَّمَا رُفِعَتْ صَوَاجُ فِضَّةٍ عَلَى كُرَاتٍ مِنَ النُّضَارِ فَأَشَارَ الْحَاضِرُونَ
إِلَى وَصْفِهَا فَقُلْتُ بَدِيهَا :

أَبَدَعْتَ يَا ابْنَ هِلَالٍ فِي فِسْقِيَّةٍ جَاءَتْ مُحَاسِنُهَا بِمَا لَمْ يُعْهَدِ
عَجَبًا لِأَمْوَاهِ الدَّسَاتِيرِ الَّتِي فَاضَتْ عَلَى نَارِجِهَا الْمُتَوَقَّدِ
فَكَأَنَّهُنَّ صَوَاجٌ مِنْ فِضَّةٍ رُفِعَتْ لِضَرْبِ كُرَاتٍ خَالِصٍ عَسْجَدِ

تِلْكَ الشَّعِيرَةُ تُسْقَى فِي سَنَابِلِهَا فَأَخْرَجَتْ بَعْدَ طُولِ الْمَكْثِ أَكْدَاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا السُّودُ وَالْبَيْضُ وَالْأَسْمَاءُ وَاحِدَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ لَهْنُ النَّاسِ تَمَسَّاسًا
فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:

تِلْكَ السَّحَابُ إِذَا الرَّحْمَانُ أَرْسَلَهَا رَوَى بِهَا مِنْ حَوْلِ الْأَرْضِ أَيْلَسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا مُرْتَجَاتُ عَلَى هَوْلِ مَرَائِكِبِهَا يَهْطُطْنَ طُولَ الْمَدَى سَيْرًا وَإِمْرَاسًا
فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:

تِلْكَ النُّجُومُ إِذَا حَالَتْ مَطَالِعُهَا شَبَّهَتْهَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ أَقْبَاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا الْمُتَقَاطِعَاتُ لِأَرْضٍ لَا أُنَيْسَ بِهَا تَأْتِي سِرَاعًا وَمَا يَرْجِعْنَ أَنْكَاسًا
فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:

تِلْكَ الرِّيَّاحُ إِذَا هَبَّتْ عَوَاصِفُهَا كَفَى بِأَذْيَالِهَا لِلتُّرْبِ كُنَّاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا الْمُتَهَاجِعَاتُ جَهَارًا فِي عِلَاقِيَةِ أَشَدَّ مِنْ قَيْلَى مَمْلُوءَةٍ بَاسًا
فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ:

تِلْكَ الْمُنَايَا فَمَا يُبْقِينَ مِنْ أَحَدٍ يَكْفِنُنَّ حَقِّي وَمَا يُبْقِينَ أَكْيَاسًا
فَقَالَ عُبَيْدٌ:

مَا السَّابِقَاتُ سِرَاعِ الطَّيْرِ فِي مَهْلِ لَا يَشْتَكِيَنَّ وَلَوْ أَلْجَمَتْهَا فَاسًا

مَالٌ لَهُمْ مِمَّا يُضْنُ جَمْعُهُ يَوْمَ الْقَلِيبِ فَحِيزَ عَنْهُمْ أَجْمَعُ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَعَلَّكَ أَخَذْتَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَأَنْفَقْتَهُ فِي
غَيْرِ حَقِّهِ . وَأَرْصَدْتَ بِهِ لِمُسَاقَاةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَعَدَدْتَهُ لِمُعَاوَنَةِ أَعْدَائِهِ .
فَنَزَعَهُ مِنْكَ إِذْ اسْتَظْهَرْتَ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :
أَذْنُو لِرَحْمَنِي وَتَجَبَّرْ فَاقْتِي فَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمُدْفَعُ
فَقَبَسَ عَبْدُ الْمَلِكِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَمِنْتُ وَرَبَّ الْكُعْبَةِ . فَقَالَ عَبْدُ
الْمَلِكِ : كُنْ مَنْ شِئْتَ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحُجَّاجِ . قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ هُوَ قَدْ
وَطَّئْتُ دَارَكَ وَأَكَلْتُ طَعَامَكَ وَأَنْشَدْتُكَ . فَإِنْ قَتَلْتَنِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَنْتَ
وَمَا تَرَاهُ . وَأَنْتَ بِمَا عَلَيَّ فِي هَذَا عَارِفٌ . ثُمَّ عَادَ إِلَى إِنْشَادِهِ فَقَالَ :
ضَاقَتْ ثِيَابُ الْمَلِيسِينَ وَفَضَلُهُمْ عَنِّي فَأَلَيْسَنِي فَتُوبُكَ أَوْسَعُ
فَنَبَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَيْهِ مُطْرَفًا كَانَ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَ . أَلَيْسَهُ لَا لَيْسَتْ .
فَالْتَحَفَ بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَوْلَى لَكَ . وَاللَّهِ لَقَدْ طَاوَلْتُكَ طَوَّمًا فِي
أَنْ يَقُومَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ فَيَقْتُلَكَ . فَأَبَى اللَّهُ ذَلِكَ فَلَا تُجَاوِرُنِي فِي بَلَدِي .
وَأَنْصَرِفْ آمِنًا فَقُمْ حَيْثُ شِئْتَ . ثُمَّ أَمْضَى لَهُ الْأَمَانُ (لِلْأَصْبَهَانِيِّ)

أجازه عبيد الأبرص وامرئ القيس

٥٨ لَقِيَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ أَمْرَةَ الْقَيْسِ فَقَالَ لَهُ عُبَيْدٌ : كَيْفَ
مَعْرِفَتُكَ بِالْأَوَابِدِ . فَقَالَ : أَلَقِيَ مَا أَحْيَيْتَ . فَقَالَ عُبَيْدٌ :
مَا حَبَّةٌ مِثْلَهُ قَامَتْ بِمِثْلِهَا دَرْدَاءٌ مَا أَنْبَتَتْ سِنًا وَأَضْرَاسًا
فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

أَعْطِي نَصِيحَتِي الْخَلِيفَةَ نَاجِعًا وَخَزَامَةَ الْأَنْفِ الْمُقَوِّدَ فَاتَّبِعْ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَذَا لَا نَقْبَلُهُ مِنْكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ
وَبِذَنِّكَ . فَإِذَا عَرَفْتَ الْحَوْبَةَ قَبِلْنَا التَّوْبَةَ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

وَلَقَدْ وَطَّئْتُ بَنِي سَعِيدٍ وَطَاءَةً وَأَبْنُ الزُّبَيْرِ فَعَرَّشَهُ مُتَضَعِعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

مَا زِلْتَ تَضْرِبُ مِنْكَ بَاعَ عَنْكَ مِنْكَ تَقْلُوْ يُسْفَلُ غَيْرُكُمْ مَا يَرْقَعُ
وَوَطَّئْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ حَتَّى أَصْبَحُوا حَدَثًا يُؤْسُ وَغَايِرًا يَتَجَمَّعُ
فَحَوَى خِلَافَتَهُمْ وَلَمْ يَظْلِمْ بِهَا الْقَرْمُ قَرْمُ بَنِي قُصَيٍّ الْأَنْزِعُ
لَا يَسْتَوِي خَاوِي نُجُومٍ أَفْلُ وَالْبَدْرُ مُنْبِجًا إِذَا مَا يَطْلُعُ
وُضِعَتْ أُمِّيَّةٌ وَاسِطِينَ لِقَوْمِهِمْ وَوُضِعَتْ وَسْطُهُمْ فَنَعِمَ الْمَوْضِعُ
بَيْتُ أَبُو الْعَاصِي بَنَاهُ بِرَبْوَةٍ عَلَيَّ الْمَشَارِفِ عِزَّهُ مَا يُدْفَعُ
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنْ تَوَرَّيْتُكَ عَنْ نَفْسِكَ لَتُرِيدُنِي فَأَيُّ
الْفَسَقَةِ أَنْتَ وَمَاذَا تُرِيدُ . فَقَالَ :

جَرَبْتُ أَصْنِيَّتِي يَدُ أَرْسَلْتَهَا وَإِلَيْكَ بَعْدَ مُعَادِيهَا مَا تَرْجِعُ
وَأَرَى الَّذِي يَرْجُو ثَرَاتُ مُحَمَّدٍ أَفَلْتَ نُجُومَهُمْ وَنَجْمُكَ يَسْطَعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُجَّاجِ :
فَأَنْعَشْ أَصْنِيَّتِي الْأُلَاءُ كَانَهُمْ حَجَلٌ تَدْرَجُ بِالشَّرْبَةِ جَوَّعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَا أَنْعَشُهُمْ اللَّهُ وَأَجَاعَ أَكْبَادَهُمْ وَلَا أَبْقَى وَلِيدًا
مِنْ نَسْلِهِمْ فَإِنَّهُمْ نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

الْبَابُ الْخَامِسُ فِي اللَّطَائِفِ

عبد الله بن الحجاج عند عبد الملك بن مروان

٥٧ لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَجَّاجِ مِنْ أَصْحَابِهِ
وَشِيعَتِهِ اُحْتَالَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَهُوَ يُطْعَمُ النَّاسَ .
فَدَخَلَ حُجْرَةً فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ يَا هَذَا لَا تَأْكُلُ . قَالَ : لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ
أَكُلَ حَتَّى تَأْذَنَ لِي . قَالَ : إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا . قَالَ : لَمْ
أَعْلَمْ . فَأَكُلُ بِأَمْرِكَ . قَالَ : كُلْ فَأَكُلَ وَعَبْدُ الْمَلِكِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَجِبُ
مِنْ فِعَالِهِ . فَلَمَّا أَكَلَ النَّاسُ جَلَسَ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي مَجْلِسِهِ وَجَلَسَ
خَوَاصُّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فَبَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَجَّاجِ وَوَقَفَ بَيْنَ
يَدَيْهِ . ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنشَدَهُ :

أَبْلَغَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي مِمَّا لَقِيتُ مِنَ الْخَوَادِثِ مُوجِعُ
مَنْعَ الْقَرَارِ فَجِئْتُ نَحْوَكَ هَارِبًا حَيْشُ يَجْرُ وَمَقْبُ يُتَلَمَعُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَمَا خَوْفُكَ لَا أَمَّ لَكَ لَوْلَا أَنَّكَ مُرِيبٌ . فَقَالَ

عَبْدُ اللَّهِ :

كُنَّا نَحْتَنِي الْبَصَائِرَ مَرَّةً وَإِلَيْكَ إِذْ عَمِيَ الْبَصَائِرُ نَزَجُ
إِنَّ الَّذِي يَعْصِيكَ مِنَّا بَعْدَهَا مِنْ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ مُتَوَدِّعُ
آتِي رِضَاكَ وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا وَأَطِيعُ أَمْرَكَ مَا أَمَرْتَ وَأَسْمَعُ

وَمَا تَنْشَقْ نَشْرَ الشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ إِلَّا وَأَزْرَى بِنَشْرِ الْمَسْكِ مَقْشُورًا
وَالْحَمْدُ وَالْبُخْلُ لَمْ يُقْضَ أَجْمَعُهُمَا حَتَّى لَقَدْ خِيلَ ذَا ضَبًّا وَذَا حُوتًا
وَالسَّمْعُ فِي النَّاسِ مَحْبُوبٌ خِلَافُهُ وَالْجَامِدُ الْكَفِّ مَا يَنْفَكُ مَمْقُورًا
وَالشَّحْجُ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ يُوسِعُهُ أَبَدًا ذِمًّا وَتَبْكِيَتَا
فَجْدٌ بِمَا جَمَعْتَ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ حَتَّى يَرَى مُجْتَدِي جَدَّوَاكُم مَبْهُوتَا
فَقَالَ لَهُ الْوَالِي : تَاللَّهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ . فَأَيُّ وَلَدِ الرَّجُلِ أَنْتَ .

فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَنْ غُرْضٍ . وَأَنْشَدَ وَهُوَ مُغْنِضٌ :
لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ مِنْ أَبِيهِ وَرُزْ خِلَالَهُ ثُمَّ صَلِّهِ أَوْ فَاصِرِمِ
فَمَا يَشِينُ السَّلَافَ حِينَ حَلَا مَذَاقَهَا كَوْنُهَا ابْنَةُ الْحَضَرِمِ
قَالَ : فَقَرَّبَهُ الْوَالِي لِبَيَانِهِ أَلْقَائِهِ . حَتَّى أَحَلَّهُ مَقْعَدَ الْحَاتِنِ . ثُمَّ
فَرَضَ لَهُ مِنْ سُيُوبِ نَيْلِهِ . مَا آذَنَ بِطُولِ ذَيْلِهِ وَقَصَرَ لَيْلِهِ . فَنَهَضَ
عَنْهُ بِرُذْنِ مَلَانٍ . وَقَلْبِ جَذَلَانٍ . وَتَبِعَتْهُ حَازِيَا حَدْوُهُ . وَقَافِيَا خَطْوُهُ .
حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ بَابِهِ . وَفَصَلَ عَنْ غَايِهِ . قُلْتُ لَهُ : هُنْتُ بِمَا أُوتَيْتَ .
وَمُلِّيتَ بِمَا أُوتِيتَ . فَأَسْفَرَ وَجْهَهُ وَتَلَّالَا . وَوَالَى شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى . ثُمَّ
خَطَرَ اخْتِيَالًا . وَأَنْشَدَ ارْتِجَالًا :

مَنْ يَكُنْ نَالَ بِالْحِمَاقَةِ حَظًّا أَوْ سَمَا قَدَرُهُ لِطِيبِ الْأُصُولِ
فَيَفْضُلِي أَنْتَفَعْتُ لَا بِفُضُولِي وَيَقُولِي ارْتَفَعْتُ لَا بِقُيُولِي
ثُمَّ قَالَ : تَعَسَا لِمَنْ جَدَّبَ الْأَدَبَ . وَطُوبَى لِمَنْ جَدَّ فِيهِ وَدَّابَ .
ثُمَّ وَدَّعَنِي وَذَهَبَ . وَأَوْدَعَنِي اللَّهُبَّ

وإِحْسَانُهُ لَدَيْكَ عَمِيًّا . ثُمَّ إِنِّي شَيْخٌ تَرِبَ بَعْدَ الْإِثْرَابِ . وَعَدِمَ
 الْأَعْشَابَ حِينَ شَابَ . وَصَدَّتْكَ مِنْ مَحَلَّةِ نَارِحَةٍ . وَحَالَةٍ رَازِحَةٍ .
 أَمَلُ مِنْ بَحْرِكَ دُفْعَةً . وَمِنْ جَاهِكَ رِفْعَةً . وَالتَّائِمِلُ أَفْضَلُ وَسَائِلِ
 السَّائِلِ . وَنَائِلِ النَّائِلِ . فَلَوْجِبَ لِي مَا يَجِبُ عَلَيْكَ . وَأَحْسِنَ كَمَا
 أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَلُوِيَ عِذَارَكَ . عَمَّنْ أُرْذَارَكَ . وَأَمَّ
 دَارَكَ . أَوْ تَقْبِضَ رَاحَكَ . عَمَّنْ أَمْتَاكَ . وَأَمْتَارَ سَمَاكَ . فَوَاللَّهِ
 مَا مَجَّدَ مَنْ جَمَدَ . وَلَا رَشَدَ مَنْ حَشَدَ . بَلِ الْلَيْبُ مَنْ إِذَا وَجَدَ جَادَ .
 وَإِنْ بَدَأَ بِعَائِدَةٍ عَادَ . وَالْكَرِيمُ مَنْ إِذَا اسْتُوْهِبَ الذَّهَبَ . لَمْ يَهَبْ
 أَنْ يَهَبَ . ثُمَّ أَمْسَكَ يَرْقُبُ أَكْلَ غَرَسِهِ . وَيَرْصُدُ مَطِيبَةَ نَفْسِهِ .
 وَأَحَبُّ الْوَالِي أَنْ يَعْلَمَ هَلْ نُطِفَتْهُ نَمْدٌ . أَمْ لِقَرِيحَتِهِ مَدْدٌ . فَاطْرَقَ
 يُرْوِي فِي اسْتِيرَاءِ زَنْدِهِ . وَاسْتِشْفَافِ فِرْنِدِهِ . وَالتَّبَسَّ عَلَى أَبِي زَيْدٍ
 سِرَّ صَمْتِهِ . وَإِرْجَاءِ صَلَاتِهِ . فَتَوَعَّرَ غَضَبًا . وَأَنشَدَ مُقْتَضِبًا :

لَا تَحْقِرَنَّ أَبَيْتَ اللَّعْنِ ذَا أَدَبٍ لَإِنْ بَدَأَ خَلَقَ السَّرْبَالَ سُبُرَوَاتَا
 وَلَا تُضِعْ لِأَخِي التَّائِمِلِ حُرْمَتَهُ أَكَانَ ذَا لَسَنِ أَمْ كَانَ سِكِينَتَا
 وَأَنْفَخْ بِعُرْفِكَ مَنْ وَأَفَاكَ مُحْتَبِطَا وَأَنْعَشْ بِغَوْثِكَ مَنْ أَلْقَيْتَ مِنْكُوتَا
 فَخَيْرُ مَالٍ أَلْقَى مَالُ أَشَادَ لَهُ ذِكْرًا تَنَاقَلَهُ الرُّكْبَانُ أَوْ صَيْتَا
 وَمَا عَلَى الْمُشْتَرِي حَمْدًا بِمَوْهَبَةٍ غَيْرُ وَلَوْ كَانَ مَا أَعْطَاهُ يَأْقُوتَا
 لَوْلَا الْمُرُوءَةُ ضَاقَ الْعُذْرُ عَنْ فِطْنِ إِذَا اشْتَرَبَ إِلَى مَا جَاوَزَ الْهُوتَا
 لَكِنَّهُ لَا بِنَاءَ الْحُجْدِ جَدٍّ وَمِنْ حَبِ السِّمَاحِ ثَنَى نَحْوِ الْعُلَى لَيْتَا

فَكُنْتُ أَنْقَبُ عَنْ أَخْبَارِهِ . وَخَزَانَةِ أَسْرَارِهِ . فَإِذَا أَلْقَيْتُ مِنْهُمْ بَغِيَةً
الْمُتَمَسِّسِ . وَجَذْوَةَ الْمُتَقَبِّسِ . شَدَدْتُ يَدَيَّ بِغَرَزِهِ . وَأَسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ
زَكَاةَ كَنْزِهِ . عَلَى أَيِّ لَمْ أَلْقَ كَالسُّرُوجِيِّ فِي غَزَاةِ السُّحْبِ . وَوَضَعُ
الْهِنَاءِ مَوَاضِعَ النَّقَبِ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسِيرَ مِنَ الْمَثَلِ . وَأَسْرَعَ مِنَ الْقَمَرِ
فِي النُّقْلِ . وَكُنْتُ لِهَوَى مُلَاقَاتِهِ . وَأَسْتَحْسَنَ مَقَامَاتِهِ . أَرُغِبُ فِي
الْإِغْتِرَابِ . وَأَسْتَعَذِبُ السَّفَرِ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ . فَلَمَّا
تَطَوَّحْتُ إِلَى مَرَوْ . وَلَا غَرَوْ . بَشَّرَنِي بِمَلَقَاهُ زَجْرُ الطَّيْرِ . وَالْقَالُ
الَّذِي هُوَ يَرِيدُ الْخَيْرِ . فَلَمْ أَزَلْ أُنْشِدُهُ فِي الْحَافِلِ . وَعِنْدَ تَلْقَى
الْقَوَافِلِ . فَلَا أَجِدُ عَنْهُ مُخْبِرًا . وَلَا أَرَى لَهُ أَثَرًا وَلَا عِثْرًا . حَتَّى غَلَبَ
الْيَأْسُ الطَّمَعِ . وَأَنْزَوَى التَّأْمِيلُ وَانْتَمَعَ . فَإِنِّي لَذَاتَ يَوْمٍ بِحَضْرَةِ
وَالِي مَرَوْ . وَكَانَ مِمَّنْ جَمَعَ الْفَضْلَ وَالسَّرَّو . إِذْ طَلَعَ أَبُو زَيْدٍ فِي خَلْقٍ
مِمْلَاقٍ . وَخُلِقَ مَلَاقٍ . فَحِمَا الْوَالِي تَحِيَّةَ الْمُحْتَاجِ . إِذَا لَقِيَ رَبَّ التَّاجِ .
ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَعْلَمَ وَفِيَتِ الدَّمُ . وَكُفِيَتِ الْهَمُّ . أَنَّ مِنْ عُدْقَتِ بِهِ
الْأَعْمَالُ . أَعْلَقْتُ بِهِ أَلَا مَالُ . وَمَنْ رُفِعَتْ لَهُ الدَّرَجَاتُ . رُفِعَتْ إِلَيْهِ
الْحَاجَاتُ . وَأَنْ السَّعِيدَ مَنْ إِذَا قَدَرَ . وَوَاتَاهُ الْقَدَرُ . أَدَّى زَكَاةَ النِّعَمِ . كَمَا
يُؤَدِّي زَكَاةَ النِّعَمِ . وَالتَّرَمَ لِأَهْلِ الْحَرَمِ . مَا يَلْتَرَمُ لِأَهْلِ الْحَرَمِ . وَقَدْ
أَصْبَحْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَمِيدَ مِصْرِكَ . وَعِمَادَ عَصْرِكَ . تُرْجَى الرُّكَّابُ إِلَى
حَرَمِكَ . وَتُرْجَى الرِّغَابُ مِنْ كَرَمِكَ . وَتُنْزَلُ الْمَطَالِبُ بِسَاحَتِكَ .
وَتُسْتَنْزَلُ الرَّاحَةُ مِنْ رَاحَتِكَ . وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا .

أَنْهَجُ مِنْهَا جُهُ . وَأَقْفُو أَدْرَا جُهُ . وَهُوَ يَلْحَظُنِي شَزْرًا . وَيُوسِعُنِي هُجْرًا .
 حَتَّى إِذَا خَلَا الطَّرِيقُ . وَامْكَنَ التَّحْقِيقُ . نَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَ مَنْ هَشَّ وَبَشَّ .
 وَمَا حَضَ بَعْدَ مَا غَشَّ . وَقَالَ : إِنِّي لَا إِخَالُكَ أَخَا غُرْبَةٍ . وَرَأَيْدَ صُحْبَةٍ .
 فَهَلْ لَكَ فِي رَفِيقٍ يَرْفُقُ بِكَ وَيَرْفُقُ . وَيَنْفُقُ عَلَيْكَ وَيَنْفُقُ . قُلْتُ
 لَهُ : لَوْ أَتَانِي هَذَا الرَّفِيقُ . لَوَاتَانِي التَّوْفِيقُ . فَقَالَ لِي : قَدْ وَجَدْتُ
 فَأَغْتَبِطُ . وَأَسْتَكْرِمْتُ فَأَرْتَبِطُ . ثُمَّ ضَحِكَ مَلِيًّا . وَتَمَثَّلَ لِي بِشَرًّا
 سَوِيًّا . فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوحِيُّ لَا قَلْبَةَ بِجَسَمِهِ . وَلَا شُبْهَةَ فِي وَجْهِهِ .
 فَفَرَحْتُ بِلِقَائِهِ . وَكَذِبَ لِقَائِهِ . وَهَمَمْتُ بِمَلَامَتِهِ . عَلَى سُوءِ مَقَامَتِهِ .
 فَشَحَّاهُ . وَأَنْشَدَ قَبْلَ أَنْ أَلْحَاهُ :

ظَهَرْتُ بِرِثٍ لِكَيْمَا يُقَالَ فَقِيرٌ يُزْجِي الزَّمانَ الزُّجْجِي
 وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنْ قَدْ فُجْتُ فَكَمْ نَالَ قَلْبِي بِهِ مَا تَرَجَّى
 وَلَوْلَا الرِّثَاءَةُ لَمْ يُرِثْ لِي وَلَوْلَا التَّفَالُحُ لَمْ أَلْقَ فُلْجَا
 ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي فِي هَذِهِ الْأَرْضِ مَرْتَعٌ . وَلَا فِي أَهْلِهَا مَطْمَعٌ .
 فَإِنْ كُنْتُ الرَّفِيقَ . فَأَلْطَرِيقَ الطَّرِيقِ . فَيَسِّرْنَا مِنْهَا مُتَجَرِّدِينَ .
 وَرَافِقْتُهُ عَامِينَ أَجْرَدِينَ . وَكُنْتُ عَلَى أَنْ أَصْحَبَهُ مَا عِشْتُ . فَأَبَى
 الدَّهْرُ الْمُسْتُ

المقامة المروية

٥٦ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : حُبَّ إِلَيَّ مُذْ سَعَتْ قَدَمِي .
 وَنَفَتْ قَلَمِي . أَنْ أَتَّخِذَ الْأَدَبَ شِرْعَةً . وَالْإِقْتِبَاسَ مِنْهُ نُجْمَةً .

وَأَزُورَ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا وَعَافَ عَافِيَ الْعُرْفِ عِرْفَانَهُ
فَهَلْ فَتَى يَمْزُنُهُ مَا يَرَى مِنْ ضَرِّ شَيْخٍ دَهْرُهُ خَانَهُ
فَيَفْرِجَ أَلْهَمَ الَّذِي هَمَّهُ وَيُصْلِحَ أَلْشَانَ الَّذِي شَانَهُ
قَالَ الرَّأْيِي: فَصَبَتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى أَنْ تَسْتَشِيتَهُ. لِنَسْتَجِشَ خُبَانَهُ.
وَتَسْتَنْفِضَ حَقِيبَتَهُ. فَقَالَتْ لَهُ: قَدْ عَرَفْنَا قَدْرَ رُبَّتِكَ. وَرَأَيْنَا دَرَّ
مُرَّتِكَ. فَعَرَفْنَا دَوْحَةَ شُعْبَتِكَ. وَأَحْسِرِ أَلْثَامَ عَنْ نِسْبَتِكَ. فَأَعْرِضْ
إِعْرَاضَ مَنْ مُنِيَ بِالْإِعْنَاتِ. وَجَعَلَ يَلْعَنُ الضَّرُورَاتِ. وَيَتَأَقَفُ
مِنْ تَغْيِضِ الْمُرُوءَاتِ. ثُمَّ أُنْشِدَ بَلَقْطِ صَادِعٍ. وَجَرَسِ خَادِعٍ:
لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ فَرَعٍ يَدُلُّ جَنَاهُ أَلَلْدِيدُ عَلَى أَصْلِهِ
فَكُلُّ مَا حَلَا حِينَ تَوَقَّى بِهِ وَلَا تَسْأَلِ الشَّهْدَ عَنْ نَحْلِهِ
وَمِيزِ إِذَا مَا ائْتَصَرَتِ الْكُرُومُ سُلَافَةَ عَصْرِكَ مِنْ خَلِهِ
لِتُغْلِي وَتُرْخِصَ عَنْ خَبْرَةٍ وَتَشْرِيَ كُلًّا شَرَى مِثْلِهِ
فَعَارٌ عَلَى الْقَطَنِ أَلَلْوَذْعِي دُخُولُ الْغَمِيزَةِ فِي عَقْلِهِ
قَالَ: فَازْدَهَى الْقَوْمُ بِذَكَائِهِ وَدَهَايِهِ. وَاخْتَلَبَهُمْ بِحُسْنِ أَدَائِهِ مَعَ
دَائِهِ. حَتَّى جَمَعُوا لَهُ خَبَايَا الْخُبْنِ. وَخَفَايَا الثُّبْنِ. وَقَالُوا لَهُ: يَا هَذَا
إِنَّكَ حَمْتَ عَلَى رَكِيَّةٍ بَكِيَّةٍ. وَتَعَرَّضْتَ لِحَلِيَّةٍ خَلِيَّةٍ. فَخُذْ هَذِهِ الصَّبَابَةَ.
وَهَبْهَا لَا خَطَأَ وَلَا إِصَابَةَ. فَتَزَلْ قُلُوبُهُمْ مَنْزِلَةَ الْكُثْرِ. وَوَصِّلْ قُبُولَهُ
بِالشُّكْرِ. ثُمَّ تَوَلَّى يَجْرُشَقُهُ. وَيَنْهَبُ بِالْخَبْطِ طَرَقَهُ. قَالَ الْخُبَيْرُ بِهِذِهِ
الْحِكَايَةِ: فَصَوَّرَ لِي أَنَّهُ حَمِلُ حَلِيَّتِهِ. مُتَصَنِّعٌ فِي مِشْيَتِهِ. فَهَضَمَتْ

مِنِّي نَفْثَةٌ . ثُمَّ لَهُ الْخِيَارُ مِنْ بَعْدُ . وَيَدِهِ الْبَذْلُ وَالرَّدُّ . فَعَقَدَ لَهُ الْقَوْمُ
الْحَبِي . وَرَسُوا أَمْثَالَ الرَّبِّي . فَلَمَّا آنَسَ حُسْنَ إِنْصَاتِهِمْ . وَرَزَانَةَ
حَصَاتِهِمْ . قَالَ : يَا أُوَيُّ الْأَبْصَارِ الرَّامِقَةِ . وَالْبَصَائِرِ الرَّائِقَةِ . أَمَا
يُغْنِي عَنْ الْخَبَرِ الْعِيَانُ . وَيُنْبِي عَنْ النَّارِ الدُّخَانُ . شَيْبُ لَاخِج .
وَوَهْنُ فَادِح . وَدَاءُ وَاضِح . وَالْبَاطِنُ فَفَاضِح . وَلَقَدْ كُنْتُ وَاللَّهِ
بِمَنْ مَلِكٍ وَمَالٍ . وَوَلِيٍّ وَآلٍ . وَرَفُضٍ وَأَنَالٍ . وَوَصَلٍ وَصَالٍ . فَلَمْ
تَرَلِ الْجَوَائِحُ تَسْحَتُ . وَالنَّوَابِ تُنْحَتُ . حَتَّى الْوَكْرُ قَفْرُ . وَالْكَفُ
صَفْرُ . وَالشَّعَارُ ضَرْ . وَالْعَيْشُ مَرْ . وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ مِنَ الطَّوَى .
وَيَتَمَنَّوْنَ مُصَاصَةَ النَّوَى . وَلَمْ أَقُمْ هَذَا الْمَقَامَ الشَّائِنَ . وَانْكَشَفَ لَكُمْ
الدَّفَائِنُ . إِلَّا بَعْدَ مَا شَقِيتُ وَلَقِيتُ . وَشَبْتُ مِمَّا لَقِيتُ . فَلَيْتَنِي لَمْ
أَكُنْ بَقِيتُ . ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوَّهَ الْأَسِيفِ . وَأَنشَدَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ :

أَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ سُجْنَانَهُ تَقَلَّبَ الدَّهْرُ وَعُدْوَانَهُ
وَحَادِثَاتٍ قَرَعَتْ مَرَوِيَّ وَقَوَّضَتْ تَجْدِي وَبُنْيَانَهُ
وَاهْتَصَرَتْ عُودِي وَيَا وَبِيلَ مَنْ تَهْتَصِرُ الْأَحْدَاثُ أَغْصَانَهُ
وَأَفْحَلَتْ رَبْعِي حَتَّى جَلَّتْ مِنْ رَبْعِي الْمُجَلَّ جُرْدَانَهُ
وَعَادَرْتَنِي حَارًّا بَارًّا أَكَابِدُ الْفَقْرِ وَأَشْجَانَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتُ أَخَا ثَرْوَةٍ يَسْتَحِبُّ فِي النِّعْمَةِ أَرْدَانَهُ
يَحْطِطُ الْمَافُونَ أَوْرَاقَهُ وَيَحْمَدُ السَّارُونَ نِيرَانَهُ
فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ أَعَانَهُ الدَّهْرُ الَّذِي عَانَهُ

تَسْمَعُ لِي بِرِدِّ الْقُرْوَةِ . أَوْ تُعَرِّفَنِي كَافَاتِ الشُّتْوَةِ . فَظَنَرْتُ إِلَيَّ نَظَرَ
الْمُعْجَبِ . وَأَزْمَهَرَّ أَزْمَهَرَارُ الْمُتَغَضِّبِ . ثُمَّ قَالَ : أَمَّا رَدُّ الْقُرْوَةِ فَأَبَدُ
مِنْ رَدِّ أَمْسِ الدَّائِرِ . وَأَلْمَيْتِ الْغَايِرِ . وَأَمَّا كَافَاتِ الشُّتْوَةِ فَسُجَّانَ مَنْ
طَبَعَ عَلَى ذَهْنِكَ . وَأَوْهَى وَعَاءَ خَزْنِكَ . حَتَّى أَنْسَيْتَ مَا أَنْشَدْتُكَ
بِالدُّسْكَرَةِ . لِأَبْنِ سَكَّرَةِ :

جَاءَ الشِّتَاءُ وَعِنْدِي مِنْ حَوَائِجِهِ سَبْعُ إِذَا الْقَطْرُ عَنْ حَاجَاتِنَا حَبَسَا
كِنْ وَكِيسٌ وَكَانُونُ وَكَاسُ طِلَا بَعْدَ الْكِبَابِ وَكَفُّ نَاعِمٍ وَكِسَا
ثُمَّ قَالَ : لَجَوَابُ يَشْفِي . خَيْرٌ مِنْ جِلْبَابٍ يُدْفِي . فَأَكْتَفَيْتُ بِمَا
وَعَيْتُ وَأَنْكَفَيْتُ . فَقَارَقْتُهُ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَرَوْتِي لِشَهْوَتِي . وَحَصَلْتُ عَلَى
الرَّعْدَةِ طُولَ شَتَوَتِي

المقامة التفليسية

٥٥ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : عَاهَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى مُذْ يَفَعْتُ .
أَنْ لَا أُؤَخِّرَ الصَّلَاةَ مَا اسْتَطَعْتُ . فَكُنْتُ مَعَ جَوْبِ الْقَلَوَاتِ . وَهُوَ
الْحَلَوَاتِ . أُرَاعِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ . وَأَحَازِرُ مِنْ مَأْثِمِ الْقَوَاتِ . وَإِذَا
رَاقَشْتُ فِي رِحْلَةٍ . أَوْ حَلَلْتُ بِحِلَّةٍ . مَرَجَبْتُ بِصَوْتِ الدَّاعِي إِلَيْهَا .
وَأَقْتَدَيْتُ بِمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهَا . فَأَتَفَقَّ حِينَ دَخَلْتُ تَفْلَيْسَ . أَنْ صَلَّيْتُ
مَعَ زُمْرَةِ مَفَالَيْسَ . فَلَمَّا قَضَيْتُ الصَّلَاةَ . فَأَزْمَعْنَا إِلَى نِفَلَاتِ . بَرَزَ شَيْخٌ
بَادِي الْقُوَّةِ . بِأَلْيِ الْكُسُوفَةِ وَالْقُوَّةِ . فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَى مَنْ خُلِقَ مِنْ
طِينَةِ الْحُرِّيَّةِ . وَتَفَوَّقَ دَرَّ الْعَصِيَّةِ . إِلَّا مَا تَكَلَّفَ لِي لُبْنَةُ . وَأَسْتَمِعُ

لَقَرَوَةٌ هِيَ بِالنَّهَارِ رِيَاسِي . وَفِي اللَّيْلِ فِرَاشِي . فَضَوَّتْهَا عَنِّي . وَقُلْتُ
لَهُ : أَقْبَلْهَا مِنِّي . فَمَا كَذَّبَ أَنْ أَقْتَرَاهَا . وَعَيْنِي تَرَاهَا . ثُمَّ أَلْشَدَّ :
لِلَّهِ مِنَ الْبَسَنِ فَرَوَةٌ أَضْحَتْ مِنَ الرِّعْدَةِ لِي جَنَّةُ
الْبَسَنِهَا وَاقِيًا مُهْجَتِي وَفِي شَرِّ الْإِنْسِ وَالْجَنَّةِ
سَيَكُنِّي الْيَوْمَ ثَنَائِي وَفِي غَدٍ سَيَكُنِّي سُندُسُ الْجَنَّةِ
قَالَ : فَلَمَّا فَتَنَ قُلُوبَ الْجَمَاعَةِ . بِأَفْتَانِهِ فِي الْبَرَاءَةِ . أَلْقَوْا عَلَيْهِ
مِنَ الْفِرَاءِ الْمَغْشَاةِ . وَالْجِلْبَابِ الْمَوْشَاةِ . مَا آدَهُ ثِقَلُهُ . وَلَمْ يَكْذِبْ قَلُّهُ .
فَانْطَلَقَ مُسْتَبْشِرًا بِالْفَرَجِ . مُسْتَسْقِيًا لِلْكَرَجِ . وَتَبِعْتُهُ إِلَى حَيْثُ
أَرْتَفَعَتِ النُّفْيَةُ . وَبَدَتْ السَّمَاءُ نَقِيَّةً . فَقُلْتُ لَهُ : لَشَدَّ مَا قَرَسَكَ
الْبَرْدُ . فَلَا تَتَعَرَّ مِنْ بَعْدُ . فَقَالَ : وَيَكْ لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ . سُرْعَةُ
الْعَدْلِ . فَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمٍ هُوَ ظُلْمٌ . وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ .
قَوِّلْ لِدِي نَوْرَ الشَّيْبَةِ . وَطِيبْ ثُرْبَةَ طَيْبَةٍ . لَوْ لَمْ أَتَعَرَّ لِرُحْتِ بِالْحِنْيَةِ .
وَصَفَرِ الْعَيْنَةِ . ثُمَّ نَزَعَ إِلَى الْفِرَارِ . وَتَبَرَّقَعَ بِالْأَكْفَهَرَارِ . وَقَالَ : أَمَا
تَعْلَمُ أَنَّ شِنْشِنِي الْأَنْتَقَالَ مِنْ صَيْدٍ إِلَى صَيْدٍ . وَالْأَنْطَافُ مِنْ عَمْرِو
إِلَى زَيْدٍ . وَأَرَاكَ قَدْ عَقَمْتَنِي وَعَقَمْتَنِي . وَأَفْتَنِي أَضْعَافَ مَا أَفَدْتَنِي .
فَأَعْنِي عَافَاكَ اللَّهُ مِنْ لَعْنِكَ . وَأَسَدُّ دُونِي بَابَ جِدِّكَ وَلَهْوِكَ .
فَجَبَذَتْهُ جَبَذَ التَّلَاعِبَةِ . وَجَفَّجَتْهُ بِهِ لِلدُّعَابَةِ . وَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ
أُوَارِكَ . وَأَعْطَيْ عَلَى عَوَارِكَ . لَمَا وَصَلْتُ إِلَى صَلَاةٍ . وَلَا أَنْقَلَبْتَ أَكْسَى
مِنْ بَصَلَةٍ . فَجَازَنِي عَنْ إِحْسَانِي إِلَيْكَ . وَسَتَرِي لَكَ وَعَلَيْكَ . بِأَنْ

فَلْيُنْفِقْ . وَمَنْ أَسْتَطَاعَ أَنْ يُزْفِقَ فَلْيُزْفِقْ . فَإِنَّ الدُّنْيَا غُرُورٌ . وَالْأَذَى
عَثُورٌ . وَالْمَكْنَةُ زُورَةٌ طَيْفٌ . وَالْفُرْصَةُ زُرَّةٌ صَيْفٌ . وَإِنِّي وَاللَّهِ
لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ الشِّتَاءَ بِكَافَاتِهِ . وَأَعَدَدْتُ الْأَهْبَ لَهُ قَبْلَ مُوَاَفَاتِهِ . وَهَذَا
أَنَا الْيَوْمَ يَا سَادَتِي . سَاعِدِي وَسَادَتِي . وَجِلْدَتِي . بُرْدَتِي . وَحَفَنَتِي .
جَفَنَتِي . فَلْيَعْتَبِرِ الْعَاقِلُ بِحَالِي . وَلْيُبَادِرْ صَرْفَ اللَّيَالِي . فَإِنَّ السَّعِيدَ
مَنْ أُنْعِظَ بِسِوَاهُ . وَأَسْتَعِدَّ لِمَسْرَاهُ . فَقِيلَ لَهُ قَدْ جَلَوْتَ عَلَيْنَا أَدَبَكَ .
فَاجْلُ لَنَا نَسَبَكَ . فَقَالَ : تَبًّا لِلْمُفْتَخِرِ . بِعَظَمِ نَحْرٍ . إِنَّمَا الْفَخْرُ بِالِاتِّقَى .
وَالْأَدَبُ الْمُتَّقَى . ثُمَّ أَنْشَدَ :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنَ أُمِّهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخْرُ بِنَفْسِهِ
ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ مُحْقُوقًا . وَاجْرَثَمَ مُتَقَفًا . وَقَالَ : اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَرَ
بَنَوَالِهِ . وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ . أَعِنِّي عَلَى الْبُرْدِ وَأَهْوَالِهِ . وَأَتَّحِ لِي حُرًّا يُؤَثِّرُ
مِنْ خَصَاصَةٍ . وَيُؤَاسِي وَلَوْ بِقِصَاصَةٍ . قَالَ الرَّائِي : فَلَمَّا جَلَّى عَنْ
النَّفْسِ الْعِصَامِيَّةِ . وَأَتْلَحَ الْأَضْمَعِيَّةِ . جَعَلَتْ مَلَامِحُ عَيْنِي تَعْجُمُهُ .
وَمَرَامِي لِحْظِي تَرْجُمُهُ . حَتَّى اسْتَبْتَنْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ . وَأَنَّ تَعْرِيَهُ أَجْوَلَةٌ
صَيْدٍ . وَلَمَحَ هُوَ أَنَّ عِرْقَانِي قَدْ أَذْرَكَهُ . وَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَهْتَكَهُ . فَقَالَ :
أَقْسِمُ بِاللَّسَمِ وَالْقَمَرِ . وَالزُّهْرِ وَالزَّهْرِ . إِنَّهُ أَنْ يَسْتَرِنِي إِلَّا مَنْ
طَابَ خِيَمُهُ . وَأَشْرَبَ مَاءَ الْمَرْوَةِ أَدِيمُهُ . فَعَقَلْتُ مَا عَنَاهُ . وَإِنْ لَمْ يَذِرْ
الْقَوْمَ مَعْنَاهُ . وَسَاءَ لِي مَا يُعَانِيهِ مِنَ الرِّعْدَةِ . وَأَفْشَرَ ارِ الْجِلْدَةِ . فَعَمَدْتُ

وَأَرَبَ أَقْضِيهِ . فَبَلَوْتُ مِنْ شِتَائِهَا الْكَأَلِ . وَصِرَّهَا النَّافِحَ . مَا عَرَفَنِي
 جَهْدَ الْبَلَاءِ . وَعَكَّفَ بِي عَلَى الْأَصْطِلَاءِ . فَلَمْ أَكُنْ أَزَايِلُ وَجَارِي . وَلَا
 مُسْتَوْقِدَ نَارِي . إِلَّا لِضَرُورَةٍ أَدْفَعُ إِلَيْهَا . أَوْ إِقَامَةَ جَمَاعَةٍ أَحَافِظُ عَلَيْهَا .
 فَأَضْطَرَرْتُ فِي يَوْمٍ جَوْهَ مَرْمَرٍ . وَدَجْنَهُ مَكْفُورٍ . إِلَى أَنْ بَرَزْتُ مِنْ
 كِنَانِي . لَهُمْ عَنَانِي . فَإِذَا شَيْخٌ عَارِي الْجِلْدَةِ . بَادِي الْجُرْدَةِ . وَقَدْ
 أَعْتَمَ بَرِيظَةً . وَاسْتَشْفَرَ بِفَوْيظَةٍ . وَحَوَالِيهِ جَمْعُ كَيْفِ الْحَوَاشِي . وَهُوَ
 يُنْشِدُ وَلَا يُحَاشِي :

يَا قَوْمَ لَا يُنَبِّئُكُمْ عَنْ فَقْرِي أَصَدَقُ مِنْ عُرِّي أَوَانَ الْقُرِّ
 فَأَعْتَبُوا بِمَا بَدَأَ مِنْ ضُرِّي بَاطِنَ حَالِي وَخَفِيَّ أَمْرِي
 وَحَازِرُوا أَنْتِقَابَ سِلْمِ الدَّهْرِ فَإِنِّي كُنْتُ نَبِيَهُ الْقَدْرِ
 آوِي إِلَى وَفَرٍ وَحَدٍّ يَفْرِي تَفِيدُ صُفْرِي وَتَفِيدُ شَمْرِي
 وَلَتَشْتَكِي كَوْمِي غَدَاةَ أَقْرِي فَجَرَدَ الدَّهْرُ سَيْفَ الْقَدْرِ
 وَشَنَّ غَارَاتِ الرِّزَايَا النُّعْبَرِ وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَحْتَنِي وَيَبْرِي
 حَتَّى عَفَتْ دَارِي وَغَاضَ دَرِّي وَبَارَسَ عُرِّي فِي الْوَرَى وَشَعْرِي
 وَصِرْتُ نِضْوَ فَاكَّةٍ وَعُسْرِ عَارِي الْمَطَا جُرْدًا مِنْ قَشْرِي
 كَأَنِّي الْمَغْزَلُ فِي التَّعْرِي لَا دِفْءَ لِي فِي الصِّنِّ وَالصَّبْرِ
 غَيْرُ التَّضْمِي وَأَصْطِلَاءِ الْجَمْرِ فَهَلْ خِضَمٌ ذُو رِدَاءٍ غَمْرِي
 يَسْتُرُنِي بِمُطَرَفٍ أَوْ طَمْرِ طَلَابَ وَجْهِ اللَّهِ لَا لِسُكْرِي
 ثُمَّ قَالَ : يَا أَرْبَابَ الثَّرَاءِ . الرَّاغِبِينَ فِي الْقِرَاءِ . مَنْ أَوْتِيَ خَيْرًا

سَبْدِي مِنَ الْحَبَابِ . فَلَمَّا انْسَرَتْ أَهْبَةُ الْحَقْرِ . رَأَيْتُ مُحْيَا أَبِي زَيْدٍ
 قَدْ سَفَرَ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَهْجُمَ عَلَيْهِ . لِأَعْنِفُهُ عَلَى مَا أَجْرَى إِلَيْهِ . فَاسْلَنْقِي
 أَسْلِقَاءَ الْمُتَمَرِّدِينَ . ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَةَ الْمُغَرَّدِينَ . وَانْدَفَعَ يُشِيدُ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَذْهَرِي أَحَاطَ عِلْمًا بِقَدْرِي
 وَهَلْ دَرَى كُنْهَ غَوْرِي فِي الْحَدْعِ أَمْ لَيْسَ يَدْرِي
 كَمْ قَدْ قَمَرْتُ بَيْنَهُ بِحِيلَتِي وَبِمَكْرِي
 وَكَمْ بَرَزْتُ بِعُرْفِ عَلَيْهِمُ وَبِبُكْرِي
 أَصْطَادُ قَوْمًا بَوْعَظٍ وَآخِرِينَ بِشِعْرِي
 وَأَسْتَفِزُّ بِخَلِّ عَقْلًا وَعَقْلًا بِخَمْرِي
 وَتَارَةً أَنَا صَخْرٌ وَتَارَةً أُخْتُ صَخْرٍ
 وَلَوْ سَلَكَتُ سَبِيلًا مَأْلُوفَةً طُولَ غَمْرِي
 لَحَابَ قَدْحِي وَقَدْحِي وَدَامَ عُسْرِي وَخُسْرِي
 فَكُلْ لِمَنْ لَامَ هَذَا عُذْرِي فَدُونَكَ عُذْرِي

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا ظَهَرَتْ عَلَى جَلِيلَةِ أَمْرِهِ . وَبَدِيعَةِ أَمْرِهِ .
 وَمَا زَخَرَفَ فِي شِعْرِهِ مِنْ عُذْرِهِ . عَلِمْتُ أَنَّ شَيْطَانَهُ الْرِيدَ . لَا يَسْمَعُ
 التَّنْفِيدَ . وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ . فَكُنْتُ إِلَى أَصْحَابِي عِنَانِي . وَأَبْثَمُهُمْ
 مَا أَثَبْتُهُ عِيَانِي . فَوَجَّهُوا لِضِعَةِ الْجَوَائِزِ . وَتَعَاهَدُوا عَلَى مَحْرَمَةِ الْعَجَائِزِ

المقامة الكرجية

٥٤ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : شَتَوْتُ بِالْكَرَجِ لِدَيْنٍ أَقْضَيْهِ .

مَا بَاتَ جَارٌ لَهُمْ سَاعِبًا وَلَا لِرَوْعٍ قَالَ حَالُ الْجَرِيضِ
 فَفَيَضَتْ مِنْهُمْ صُرُوفُ الرَّدَى بِحَارَ جُودٍ لَمْ تَنْخَلْهَا تَقِيضُ
 وَأَوْدَعَتْ مِنْهُمْ بُطُونُ الثَّرَى أَسَدَ التَّحَامِي وَأَسَادَةَ الْمَرِيضِ
 فَحَمَلِي بَعْدَ الْمَطَايَا الْمَطَا وَمَوْطِنِي بَعْدَ الْفَقَاعِ الْحَضِيضِ
 وَأَفْرُخِي مَا تَأْتِي تَشْتَكِي بُوْسَالَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمِيضُ
 إِذَا دَعَا الْقَائِتُ فِي لَيْلِهِ مَوْلَاهُ نَادَوْهُ بِدَمْعٍ يَفِيضُ
 يَارَازِقَ النَّعَابِ فِي عُشِّهِ وَجَارَ الْعَظَمِ الْكَسِيرِ الْهَيْضُ
 أَتَحِ لَنَا اللَّهُمَّ مِنْ عِرْضِهِ مِنْ دَلَسِ الدَّمِ نَبِيٌّ رَحِيضُ
 يُطْفِئُ نَارَ الْجُوعِ عَنَّا وَلَوْ بِمَذَقَةٍ مِنْ حَارِرٍ أَوْ نَحِيضُ
 فَهَلْ فَتَى يَكْشِفُ مَا نَلَبَهُمْ وَيَنْغَمُ الشُّكْرَ الطَّوِيلَ الْعَرِيضُ
 قَالَ الرَّأَوِي : فَوَاللَّهِ لَقَدْ صَدَعَتْ بِأَبْيَاتِهَا أَعْشَارَ الْقُلُوبِ .
 وَأُسْتَحْرَجَتْ خَبَايَا الْجُيُوبِ . حَتَّى مَا حَمَاهَا مِنْ دِينِهِ الْإِمْتِيَا حُ . وَارْتَا حُ
 لِرَفِيدِهَا مَنْ لَمْ تَنْخَلْهُ يَرْتَا حُ . فَلَمَّا أَفْعَوْعَمَ جَيْبَهَا يَبْرَا . وَأَوَّلَاهَا كُلُّ مَنْ
 بَرَا . تَوَلَّتْ يَتْلُوهَا الْأَصَاغِرُ . وَفُوَهَا بِالشُّكْرِ فَاعْرِ . فَأَشْرَأَتْ الْجَمَاعَةُ
 بَعْدَ مَرِّهَا . إِلَى سَبْرِهَا . لَتَبَ أَوْ مَوَاقِعَ بَرِّهَا . فَكَفَلَتْ لَهُمْ بِاسْتِنْبَاطِ
 السَّرِّ الْمُرْمُوزِ . وَنَهَضَتْ أَقْفُوَاثُ الْعُجُوزِ . حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى سَوْقِ
 مُغْتَصَةٍ بِالْأَنَامِ . مُحْتَصَّةٍ بِالزَّحَامِ . فَأَتَعَمَسَتْ فِي الْغَمَارِ . وَأَمْلَسَتْ
 مِنَ الصَّبِيَةِ الْأَنْغَمَارِ . ثُمَّ عَاجَتْ بِخُلُوبِهَا إِلَى مَسْجِدِ خَالٍ . فَأَمَاطَتْ
 الْجِلْبَابَ . وَنَضَّتِ النَّقَابَ . وَأَنَا أَلْحَمُّهَا مِنْ خِصَاصِ الْبَابِ . وَأَرْقُبُ مَا

وَذَهَبَتِ الْمَيِّنُ . وَفَقِدَتِ الرَّاحَةَ . وَصَلَدَ الزَّيْنُ . وَوَهَنَتِ الْيَمِينُ .
 وَضَاعَ الْيَسَارُ . وَبَانَ الْمُرَاقِقُ . وَلَمْ يَبْقَ لَنَا ثَنِيَّةٌ وَلَا نَابٌ . فَمُذْ أَغْبَرَ
 الْعَيْشُ الْأَخْضَرَ . وَأَزْوَرَ الْحُجُوبُ الْأَصْفَرَ . أَسْوَدَ يَوْمِي الْأَبْيَضُ .
 وَأَبْيَضَ قُودِي الْأَسْوَدُ . حَتَّى رَمَى لِي الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ . فَحَبَّذَا الْمَوْتَ
 الْأَحْمَرُ . وَتَلَوِي مِنْ تَرَوْنِ عَيْنَهُ فِرَارَهُ . وَتَرَجْمَانَهُ أَصْفَرَارَهُ . قُصُوى
 بَغْيَةٍ أَحَدِهِمْ ثُرْدَةٌ . وَقُصَارَى أُمْنِيَّتِهِ بُرْدَةٌ . وَكُنْتُ آلَيْتُ أَنْ لَا
 أَبْذُلَ الْحَرْمَ إِلَّا لِلْحَرْمِ . وَلَوْ أَنِّي مُتُّ مِنَ الضَّرِّ . وَقَدْ نَاجَيْتَنِي الْقُرُونَةُ .
 بِأَنْ تُوجَدَ عِنْدَكُمْ الْأُمُوءَةُ . وَأَذَنْتَنِي فِرَاسَةُ الْحُوبَاءِ . بِأَنَّكُمْ يَتَابِعُ
 الْحُبَاءُ . فَخَضَّرَ اللَّهُ أَمْرًا أَبْرَقَسِي . وَصَدَّقَ تَوْشِي . وَنَظَرَ إِلَيَّ بِعَيْنِ
 يُقْذِيهَا الْجُمُودُ . وَيُقْذِيهَا الْجُودُ . قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَهَمْنَا لِبِرَاعَةِ
 عِبَارَتِهَا . وَمُلِحَ اسْتِعَارَتِهَا . وَقُلْنَا لَهَا : قَدْ فَتَنَ كَلَامُكَ . فَكَيْفَ الْحَامُكِ .
 فَقَالَتْ : يُفَجِّرُ الصَّخْرَ . وَلَا فُخْرَ . فَقُلْنَا : إِنْ جَعَلْتَنَا مِنْ رُؤَاتِكَ . لَمْ نَبْجُلْ
 بِمَوَاسَاتِكَ . فَقَالَتْ : لَا رَيْنَكُمْ أَوْلَا شِعَارِي . ثُمَّ لَا رَوَيْنَكُمْ أَشْعَارِي .
 فَأَبْرَزَتْ رُذْنَ دِرْعِ دَرِيْسٍ . وَبَرَزَتْ بَرَزَةَ عَجُوزٍ دَرْدَيْسٍ . وَأَنْشَدَتْ :
 أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَشْتِكَاءَ الْمَرِيضِ رَيْبَ الزَّمَانِ الْمُتَعَدِّيِ الْغَيْضِ
 يَا قَوْمُ إِنِّي مِنْ أَنْاسٍ غَنُوا دَهْرًا وَجَفَنُ الدَّهْرِ عَنْهُمْ غَضِيضُ
 فَيَخَارُهُمْ لَيْسَ لَهُ دَافِعُ وَصِيَّتُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى مُسْتَقِيضُ
 كَانُوا إِذَا مَا نَجْمَةٌ أَغَوَزَتْ فِي السَّنَةِ الشَّهْبَاءُ رَوْضًا أَرِيضُ
 تُشَبُّ لِلسَّارِينَ نِيرَانُهُمْ وَيُطْعَمُونَ الضَّيْفَ لِحْمًا غَرِيضُ

إِلَى الْوَقَارِ . وَعَقَّبَ الْإِسْتِغْرَابَ بِالْإِسْتِغْفَارِ . قَالَ : اللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ
عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ . حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى الْمُتَادِّينَ . ثُمَّ قَالَ لِذَلِكَ الْأَمِينِ :
عَلَيَّ بِهِ . فَأَنْطَلَقَ مُجِدًّا بِطَلْبِهِ . ثُمَّ عَادَ بَعْدَ لَا يَه . مُخْبِرًا بِنَائِهِ . فَقَالَ لَهُ
الْقَاضِي : أَمَا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ . لَكُنِّي الْحَذَرُ . ثُمَّ لَا وَلِيَّتُهُ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى .
وَلَا رَيْتُهُ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ الْأُولَى . قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ : فَلَمَّا
رَأَيْتُ صَغُورَ الْقَاضِي إِلَيْهِ . وَفَوْتَ ثَمَرَةَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ . غَشِيَتْنِي نَدَامَةٌ
الْقَرَزْدَقِ حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ . وَالْكَسْعِيِّ لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ

المقامة البغدادية

٥٣ رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ . قَالَ : نَدَوْتُ بِضَوَّاحِي الزُّورَاءِ مَعَ
مَشِيخَةٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ . لَا يَلْقُ لَهُمْ مَبَارٍ بِغُبَارٍ . وَلَا يَجْرِي مَعَهُمْ ثَمَارٍ فِي
مِضْمَارٍ . فَأَفْضَنَّا فِي حَدِيثٍ يَفْضَحُ الْأَزْهَارَ . إِلَى أَنْ نَصَفْنَا النَّهَارَ . فَلَمَّا
غَاضَ دَرُّ الْأَفْكَارِ . وَصَبَتْ النُّفُوسُ إِلَى الْأَوْكَارِ . لَعْنًا عَجُوزًا تُقِيلُ
مِنَ الْبَعْدِ . وَتُحْضِرُ إِحْضَارَ الْجُرْدِ . وَقَدْ اسْتَتَاتِ صَبِيَّةٌ أَنْخَفَ مِنْ
الْمَغَارِلِ . وَأَضْعَفَ مِنَ الْجَوَازِلِ . فَمَا كَذَّبَتْ إِذْ رَأَتْهَا . أَنْ عَرَّتْنَا . حَتَّى
إِذَا مَا حَضَرْتَنَا . قَالَتْ : حَيَّا اللَّهُ الْمَعَارِفَ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَارِفَ .
أَعْلَمُوا يَا مَالِ الْأَمِلِ . وَثِمَالِ الْأَرَامِلِ . أَنِّي مِنْ سَرَوَاتِ الْقَبَائِلِ .
وَسَرِيَّاتِ الْعَقَائِلِ . لَمْ يَزَلْ أَهْلِي وَبَعْلِي يَحْلُونَ الصَّدْرَ وَيَسِيرُونَ الْقَبَابِ .
وَيَمْطُونَ الظَّهْرَ . وَيُولُونَ الْيَدَ . فَلَمَّا أَرْدَى الدَّهْرُ الْأَعْضَادَ . وَفَجَعَ
بِالْجَوَارِحِ الْأَكْبَادَ . وَأَنْقَابَ ظَهْرٍ لِبَطْنٍ . نَبَا النَّاطِرُ . وَجَفَا الْحَاجِبُ .

فَارْجِعِي إِلَى خَدْرِكَ . وَاعْذِرِي أَبَا عَذْرِكَ . وَنَهِي عَن غَرْبِكَ . وَسَلِّمِي
لِقَضَاءِ رَبِّكَ . ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ لَهَا فِي الصَّدَقَاتِ حِصَّةً . وَنَاوَلَهُمَا مِنْ
دَرَاهِمِهِمَا قَبْصَةً . وَقَالَ لَهَا : تَعْلَا لِهَذِهِ الْعُلَّةِ . وَتَنْدِيَا بِهَذِهِ الْبُلَالَةِ .
وَأَصْبِرَا عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكَدِّهِ . فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ
عِنْدِهِ . فَهَذَا وَالشَّيْخُ فَرَحَةُ الْمُطْلَقِ مِنَ الْإِسَارِ . وَهَزَةُ الْمُوَسِّرِ بَعْدَ
الْإِعْسَارِ . قَالَ الرَّأْوِي : وَكُنْتُ عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ سَاعَةً بَرَّغَتْ شَمْسُهُ .
وَبَرَّغَتْ عِرْسُهُ . وَكِدْتُ أَفْصَحُ عَنْ أَفْتِنَانِهِ . وَأَثَارِ أَفْنَانِهِ . ثُمَّ أَشْفَقْتُ
مِنْ عُثُورِ الْقَاضِي عَلَى بُهْتَانِهِ . وَتَرْوِيقِ لِسَانِهِ . فَلَا يَرَى عِنْدَ عِرْفَانِهِ أَنْ
يُرْسِخَهُ لِإِحْسَانِهِ . فَأَحْجَمْتُ عَنِ الْقَوْلِ إِحْجَامَ الْمُرْتَابِ . وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ
كَطَيِّ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ . إِلَّا أَنِّي قُلْتُ بَعْدَ مَا فَصَّلَ . وَوَصَلَ إِلَى مَا
وَصَلَ : لَوْ أَنَّ لَنَا مَنْ يَنْطَلِقُ فِي أَثَرِهِ . لَأَتَانَا بِفَصِّ خَبْرِهِ . وَبِمَا يُنْشَرُ
مِنْ حَبْرِهِ . فَأَتْبَعَهُ الْقَاضِي أَحَدُ أَمْنَانِيهِ . وَأَمَرَهُ بِالْتَّجُّسِ عَنْ أَنْبَاءِهِ .
فَمَا لَبِثَ أَنْ رَجَعَ مُتَدَهِّدًا . وَفَقْهَرُ مُتَقَهِّمًا . فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : مَهْمٌ .
يَا أَبَا مَرْيَمَ . فَقَالَ : لَقَدْ عَايَنْتُ عَجَبًا . وَسَمِعْتُ مَا أُنْشَأُ لِي طَرَبًا . فَقَالَ
لَهُ : مَا ذَا رَأَيْتَ . وَمَا الَّذِي وَعَيْتَ . قَالَ : لَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ مُذْ خَرَجَ
يُصَفِّقُ يَدَيْهِ . وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ . وَيَغْرِدُ بِمِلْءِ شِدْقَيْهِ . وَيَقُولُ :
كَدْتُ أَصْلِي بِبَلِيَّةٍ مِنْ وَقَاحِ شَمَرِيَّةٍ
وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الْأَسْكَندَرِيَّةِ
فَصَحَّحَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ دَنِيَّتُهُ . وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ . فَلَمَّا فَاءَ

ثُمَّ طَوَيْتُ الْحُشَا عَلَى سَبَبٍ خَمْسًا فَلَمَّا أَمْضَيْتُ السَّعْبُ
 لَمْ أَرَ إِلَّا جَهَازَهَا عَرَضًا أَجُولُ فِي بَيْعِهِ وَأَضْطَرُّ
 فَجَلَّتْ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةً وَالْعَيْنُ عَبْرَى وَالْقَلْبُ مُكْتَبُ
 وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبْتُ بِهِ حَدَّ التَّرَاضِي فَيَحْدُثُ الْقَضْبُ
 فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا تَوَهُمَهَا أَنْ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
 أَوْ أَنِّي إِذْ عَزَمْتُ خُطْبَهَا زَخَرْتُ قَوْلِي لِيُنْجَحَ الْأَرَبُ
 فَوَالَّذِي سَارَتْ الرِّفَاقُ إِلَى كَعْبَتِهِ لَتَسْتَحْمِلُنَا النُّجُبُ
 مَا الْمَكْرُ بِالْمُحْصَنَاتِ مِنْ خُلُقِي وَلَا شِعَارِي التَّوْبَةِ وَالْكَذِبُ
 وَلَا يَدِي مُذْ نَشَأْتُ نَيْطَ بَهَا إِلَّا مَوَاضِي الْبِرَاعِ وَالْكَتُبُ
 بَلْ فِكْرَتِي تَنْظُمُ الْقَلَائِدَ لَا كَفِّي وَشِعْرِي الْمُنْظُومُ لَا السُّخْبُ
 فَهَذِهِ الْحِرْفَةُ الْمُشَارُ إِلَى مَا كُنْتُ أَحْوِي بِهَا وَأَجْتَابُ
 فَأَذِنَ إِشْرَاجِي كَمَا أَذِنَتْ لَهَا وَلَا تُرَاقِبْ وَأَحْكُمْ بِمَا يَجِبُ
 قَالَ : فَلَمَّا أَحْكَمَ مَا شَادَهُ . وَاكْمَلَ إِشَادَهُ . عَطَفَ الْقَاضِي إِلَى

الْفَتَاةِ . بَعْدَ أَنْ شُغِفَ بِالْأَبْيَاتِ وَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ جَمِيعِ
 الْحُكَّامِ . وَوَلَاةِ الْأَحْكَامِ . اتِّقِرَاضُ جِيلِ الْكِرَامِ . وَمِثْلُ الْأَيَّامِ
 إِلَى الْأَيَّامِ . وَإِنِّي لِأَخَالُ بَعْلَكَ صَدُوقًا فِي الْكَلَامِ . بَرِيًّا مِنَ الْمَلَامِ .
 وَهَاهُوَ قَدْ اعْتَرَفَ لَكَ بِالْقَرْضِ . وَصَرَّحَ عَنِ الْمُخْضِ . وَبَيَّنَّ مُصْدَقَ
 النَّظْمِ . وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مَعْرُوقُ الْعَظْمِ . وَإِعْنَاتُ الْمُعْذِرِ مَلَامَةٌ . وَحَبْسُ
 الْمُعْسِرِ مَأْمَةٌ . وَكَيْتَانُ الْفَقْرِ زَهَادَةٌ . وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ .

اِسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبُ يُضْحَكُ مِنْ شَرْحِهِ وَيُنْتَجِبُ
 أَنَا أَمْرُوهُ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَائِرِهِ رَيْبٌ
 سَرُوحُ دَارِي الَّتِي وُلِدْتُ بِهَا وَالْأَصْلُ غَسَّانُ حِينَ أَنْتَسِبُ
 وَشَغْلِي الدَّرْسُ وَالتَّجَرُّ فِي آلِ عِلْمٍ طِلَاسِي وَحَبْدًا أَلْطَبُ
 وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ الْكَلَامِ الَّذِي مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيضُ وَالْخُطْبُ
 أَغْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأَخْتَارُ الْأَلَايَ مِنْهَا وَأَتَنَجِبُ
 وَأَجْتَنِي أَلْيَانِ الْجَنِيِّ مِنْ آلِ قَوْلٍ وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَحْتَبُ
 وَأَخْذُ اللَّفْظِ فِضَّةٌ فَإِذَا مَا صُنْعُهُ قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
 وَكُنْتُ مِنْ قَبْلِ أَمْتَرِي نَشْبًا بِالْأَدَبِ الْمُقْتَنَى وَأَحْتَلِبُ
 وَمَيِّطِي أَخْصِي حُرْمَتِهِ مَرَاتِبًا لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبُ
 وَطَالَمَا زُفْتُ الصَّلَاتِ إِلَى رَبِّي فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ
 فَالْيَوْمَ مَنْ يَمْلِكُ الرَّجَاءَ بِهِ أَكْسَدُ شَيْءٍ فِي سُوقِهِ الْأَدَبُ
 لَا عِرْضُ أَبْنَاءِهِ يُصَانُ وَلَا يَرْقُبُ فِيهِمْ إِلَّا وَلَا تَسَبُ
 كَانَهُمْ فِي عِرَاصِهِمْ جَيْفُ يُعَدُّ مِنْ نَتْنِهَا وَيُجْتَنَبُ
 فَخَارَ لِي لِمَا مُنِيتُ بِهِ مِنْ اللَّيَالِي وَصَرَفُهَا عَجَبُ
 وَضَاقَ ذَرْعِي لِضِيقِ ذَاتِ يَدَيِ وَسَاوَرْتَنِي الْهُمُومُ وَالْكَرْبُ
 وَقَادَنِي دَهْرِي الْمَلِيمُ إِلَى سُلُوكٍ مَا يَسْتَشِينُهُ الْحَسَبُ
 قَبِعْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبْدٌ وَلَا بَتَاتٌ إِلَيْهِ أَنْقَلِبُ
 وَأَدْنْتُ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِفَتِي بِحَمْلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطَبُ

وَأَرْبَابُ الْجَدِّ . سَكَّتَهُمْ وَبَكَّتَهُمْ . وَعَافَ وَصَلَّتَهُمْ وَصَلَّتَهُمْ . وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ
عَاهَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِحَقِّهِ . أَنْ لَا يُصَاهِرَ غَيْرَ ذِي حِرْفَةٍ . فَقَبِضَ الْقَدْرُ
لِنَصِي . وَوَصِي . أَنْ حَضَرَ هَذَا الْخُدَعَةَ نَادِي أَبِي . فَأَقْسَمَ بَيْنَ
رَهْطِهِ . أَنَّهُ وَفَّقَ شَرْطِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ طَالَمَا نَظَّمَ دُرَّةً إِلَى دُرَّةٍ .
فَبَاعَهُمَا بِدُرَّةٍ . فَأَعْتَرَى أَبِي بِزُخْرَفَةٍ مُحَالِهِ . وَزَوْجَنِيهِ قَبْلَ اخْتِبَارِ حَالِهِ .
فَلَمَّا اسْتَحْرَجَنِي مِنْ كِنَاسِي . وَرَحَّلَنِي عَنْ أَنَاسِي . وَنَقَّلَنِي إِلَى
كَسْرِهِ . وَحَصَّلَنِي تَحْتَ أَسْرِهِ . وَجَدْتُهُ قَعْدَةً جُثَّةً . وَالْقَيْتَهُ ضَبْعَةً
نُومَةً . وَكُنْتُ صَحْبَتُهُ بِرِيَاشٍ وَزِيٍّ . وَأَنَاثٍ وَرِيٍّ . فَأَبْرَحَ يَدَيْهِ فِي
سُوقِ الْهَضْمِ . وَتِلَفْتُ مِنْهُ فِي الْحُضْمِ . وَالْقَضْمِ . إِلَى أَنْ مَزَّقَ مَالِي
بِأَسْرِهِ . وَأَنْفَقَ مَالِي فِي عُسْرِهِ . فَلَمَّا أَنَسَانِي طَعْمُ الرَّاحَةِ . وَغَادَرَ بَيْتِي
أَتَقَى مِنَ الرَّاحَةِ . قُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ لَا مَحْبَأَ بَعْدَ بُوسٍ . وَلَا عِطْرَ بَعْدَ
عُرُوسٍ . فَأَنْهَضَ لِلْاِكْتِسَابِ بِصِنَاعَتِكَ . وَأَجْنَبِي ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ .
فَزَعَمَ أَنَّ صِنَاعَتَهُ قَدْ رُمِيَتْ بِالْكَسَادِ . لِمَا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْقَسَادِ .
وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ . كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ . وَكَلَانَا مَا يَنَالُ مَعَهُ شُبْعَةٌ . وَلَا تَرَ قَالَهُ
مِنَ الطَّوَى دَمْعَةٌ . وَقَدْ قُدْتُهِ إِلَيْكَ . وَأَخْضَرْتُهُ لَدَيْكَ . لِتَعْجُمَ عُودَ
دَعْوَاهُ . وَتَحْكُمَ بَيْنَنَا بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ . فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : قَدْ
وَعَيْتُ قُصَصَ عِرْسِكَ . فَبَرَهَنَ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ . وَإِلَّا كَشَفْتُ
عَنْ لَبْسِكَ . وَأَمَرْتُ بِجَبْسِكَ . فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْأَفْعَوَانِ . ثُمَّ شَمَرَ
لِلْحَرْبِ الْعَوَانِ . وَقَالَ :

الرَّسُولِ . فِي أَسْتَدْعَاءِ الْحِلَالَةِ وَالْغُسُولِ . فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمَلْتَمَسِ . فِي
أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ . وَجَدْتُ الْجَوْ قَدْ خَلَا . وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ
أَجْفَلَا . فَاسْتَشْطْتُ مِنْ مَكْرِهِ غَضَبًا . وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ طَلَبًا . فَكَانَ
كَمَنْ قَسَّ فِي الْمَاءِ . أَوْ عَرَجَ بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ

المقامة الاسكندرية

٥٢ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ جَلَّابِي مَرَحُ الشَّبَابِ . وَهَوَى الْإِكْتِسَابِ .
إِلَى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فِرْعَانَةَ . وَعَانَةَ . أَخُو ضُ الْعِمَارِ . لِأَجْنِي الثَّمَارِ .
وَأَفْتَحِمُ الْأَخْطَارَ . لِكَيْ أُدْرِكَ الْأَوْطَارَ . وَكُنْتُ لَقِفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ
الْعُلَمَاءِ . وَتَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ . أَنَّهُ يُلْزَمُ الْأَدِيبُ الْأَرِيبُ . إِذَا
دَخَلَ الْبَلَدَ الْغَرِيبَ . أَنْ يَسْتَمِيلَ قَاضِيَهُ . وَيَسْتَخْلَصَ مَرَاضِيَهُ . لِيَشْتَدَّ
ظَهْرُهُ عِنْدَ الْحِصَامِ . وَيَأْمَنَ فِي الْعُرْبَةِ جُورَ الْحُكَّامِ . فَأَتَّخَذْتُ هَذَا
الْأَدَبَ إِمَامًا . وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا . فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً . وَلَا وَلَجْتُ
عَرِينَةً . إِلَّا وَأُمْتَرَجْتُ بِحَاكِمِهَا أُمْتِرَاجُ الْمَاءِ بِالرَّاحِ . وَتَقَوَّيْتُ بِعِنَايَتِهِ
تَقَوَّيَ الْأَجْسَادُ بِالْأَرْوَاحِ . فَيَدِينَانَا عِنْدَ حَاكِمِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ . فِي
عَشِيَّةِ عَرِيَّةٍ . وَقَدْ أَحْضَرَ مَالَ الصَّدَقَاتِ . لِيَفْضَهُ عَلَى ذَوِي الْأَقَاتِ .
إِذَا دَخَلَ شَيْخُ عِفْرِيَّةٍ . تَعْتَلُهُ أَمْرَأَةٌ مُصْبِيَّةٌ . فَقَالَتْ : أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِيَّ .
وَأَدَامَ بِهِ التَّرَاضِيَّ . إِنِّي أَمْرَأَةٌ مِنْ الْكُرَمِ جُرْثُومَةٍ . وَأَطْهَرُ أَرْوَمَةٍ .
وَأَشْرَفُ خُوُولَةٍ وَعُمُومَةٍ . مِيسَمِي الصُّونُ . وَشِمِيتِي الْمُونُ . وَخَلْقِي نَعَمَ
الْعَوْنُ . وَبَيْنِي وَبَيْنَ جَارَاتِي بُونُ . وَكَانَ أَبِي إِذَا خَطَبَنِي بُنَاةُ الْحُجْدِ .

رُغْفَانِي . وَأَنْطَلَقَ وَيَدِي زِمَامُهُ . وَظِلِّي إِمَامُهُ . وَالْعَجُوزُ ثَالِثَةُ الْأَثَانِي .
وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَخْتَمِي عَلَيْهِ خَافِي . فَلَمَّا اسْتَحْلَسَ وَكُنْتِي وَأَخْضَرْتُهُ
عُجَالَةً مُكْنِي . قَالَ لِي : يَا حَارِثُ أَمَعْنَا ثَالِثُ . قُلْتُ : لَيْسَ إِلَّا
الْعَجُوزُ . قَالَ : مَا دُونَهَا سِرٌّ تُحْجُوزُ . ثُمَّ فَتَحَ كَرِيمَتِيهِ . وَرَأَى بِتَوَامَتِيهِ .
فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهِهِ يَفْدَانِ . كَأَنَّهُمَا الْفَرْقَدَانِ . فَأَبْتَهَجْتُ بِسَلَامَةِ
بَصَرِهِ . وَعَجِبْتُ مِنْ غَرَائِبِ سِيرِهِ . وَلَمْ يُلْقِنِي قَرَارُ . وَلَا طَاوَعَنِي
أَصْطَبَارُ . حَتَّى سَأَلْتُهُ مَا دَعَاكَ إِلَى التَّمَامِي . مَعَ سَيْرِكَ فِي الْمَعَامِي .
وَجَوْبِكَ الْمَوَامِي . وَإِنْيَالِكَ فِي الْمَرَامِي . فَتَظَاهَرَ بِاللُّكْنَةِ . وَتَشَاغَلَ
بِاللُّهْنَةِ . حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ . أَتَارَ إِلَى نَظَرِهِ . وَأَنْشَدَ :

وَلَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى عَنْ الرُّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ وَمَقَاصِدِهِ
تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمِّي وَلَا غُرُوَانُ يَحْذُوا لِقَى حَذَوِ وَالِدِهِ
ثُمَّ قَالَ لِي : انْهَضْ إِلَى الْخُذَعِ فَأَتِنِي بِغَسُولٍ يَرُوقُ الطَّرْفَ .
وَيُنِيقِي الْكَفَّ . وَيُنِيعُ الْبَشْرَةَ . وَيُعْطِرُ النَّكْهَةَ . وَيَشُدُّ اللَّثَّةَ . وَيَقْوِي
الْمَعْدَةَ . وَلِيَكُنْ نَظِيفَ الطَّرْفِ . أَرِيحَ الْعَرْفَ . فَنِيَّ الدَّقَّ . نَاعِمَ
السَّحْقِ . يَحْسِبُهُ اللَّامِسُ ذُرُورًا . وَيَخَالُهُ النَّاشِقُ كَافُورًا . وَأَقْرَنَ بِهِ
خِلَالَةَ نَفْيَةِ الْأَصْلِ . مَجْبُوبَةَ الْوَصْلِ . أُنِيَّةَ الشَّكْلِ . مَدْعَاةً إِلَى
الْأَكْلِ . لَهَا نَحَافَةُ الصَّبِّ . وَصِقَالُ الْعُضْبِ . وَآلَةُ الْحَرْبِ . وَلَدُونَةُ
الْفُضْنِ الرُّطْبِ . قَالَ : فَهَضْتُ فِيمَا أَمَرَ . لِأَذْرَأَ عَنْهُ الْعَمَرَ . وَلَمْ أَهْمُ
إِلَى أَنَّهُ قَصْدًا أَنْ يَخْذَعُ . بِإِدْخَالِي الْخُذَعِ . وَلَا تَظَنِّتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنْ

ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَنِ النَّفْسَ وَعِدِيهَا. وَاجْمَعِي الرِّقَاعَ وَعُدِيهَا. فَقَالَتْ:
 لَقَدْ عَدَدْتُهَا. لَمَّا اسْتَعْدْتُهَا. فَوَجَدْتُ يَدَ الضَّيَاعِ. قَدْ غَالَتْ إِحْدَى
 الرِّقَاعِ. فَقَالَ: تَعَسَا لَكَ يَا لَكَاع. أَنْحَرُمُ وَيَحْكُ الْقَنْصَرُ وَالْحِبَالَةُ.
 وَالْقَبَسُ وَالذُّبَالَةُ. إِنَّهَا أَضْفَتْ عَلَى إِبَالَةٍ. فَأَنْصَاعَتْ تَقْتَصُّ مَدْرَجَهَا.
 وَتَتَشَدُّ مَدْرَجَهَا. فَلَمَّا دَانَتْ بِي قَرَنْتُ بِالرُّقْعَةِ دِرْهَمًا وَقِطْعَةً. وَقُلْتُ لَهَا:
 إِنْ رَغِبْتَ فِي الْمَشُوفِ الْمَعْلَمِ. وَأَشَرْتُ إِلَى الدَّرْهَمِ. فَبُوحِي بِالسِّرِّ
 الْمُبْهِمِ. وَإِنْ أَبَيْتِ أَنْ تَشْرِي. فَخُذِي الْقِطْعَةَ وَأَسْرَحِي. فَقَالَتْ إِلَى
 اسْتِخْلَاصِ الْبَذْرِ التَّمِّ. وَالْأَبْلَجِ الْهَمِّ. وَقَالَتْ: دَعِ جَدَّكَ. وَسَلِّ عَمَّا
 بَدَا لَكَ. فَاسْتَطْلَعْتُهَا. طَلَعَ الشَّيْخُ وَبَلَدَتْهُ. وَالشَّعْرُ وَنَاسِجَ بُرْدَتِهِ.
 فَقَالَتْ: إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سُرُوجٍ. وَهُوَ الَّذِي وَشَّى الشَّعْرَ الْمُنْسُوجَ.
 ثُمَّ خَطَفَتْ الدَّرْهَمَ خِطْفَةً الْبَاشِقِ. وَمَرَقَتْ مُرُوقَ السَّهْمِ.
 الرَّاشِقِ. فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمُسَارُ إِلَيْهِ. وَتَأَجَّجَ كَرْبِي
 لِمَصَابِهِ بِنَظَرِيهِ. وَآثَرْتُ أَنْ أَفَاجِيَهُ وَأُنَاجِيَهُ. لِأَتَجَمُّ عُودَ فِرَاسَتِي فِيهِ.
 وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطِّي رِقَابِ الْجَمْعِ. الْمُنْهِي عَنْهُ فِي الشَّرْعِ.
 وَعَفْتُ أَنْ يَتَأَذَى بِي قَوْمٌ. أَوْ يَسْرِي إِلَيَّ لَوْمٌ. فَسَدِكتُ بِمَكَانِي.
 وَجَعَلْتُ شَخْصَهُ قَدِّ عَيَانِي. إِلَى أَنْ أَنْقَضَتْ الْخُطْبَةُ. وَحَقَّتِ الْوُثْبَةُ.
 فَحَقَّقْتُ إِلَيْهِ. وَتَوَسَّمْتُ عَلَى التَّحَامِ جَفْنِيهِ. فَإِذَا الْمِعْيَتِي الْمَعْيَةُ ابْنُ
 عَبَّاسٍ. وَفِرَاسَتِي فِرَاسَةُ إِيَّاسٍ. فَعَرَفْتُهُ حِينَئِذٍ شَخْصِي. وَآثَرْتُهُ بِأَحَدِ
 قُصِي. وَأَهْبْتُ بِهِ إِلَى قُرْصِي. فَهَشَّ لِعَارِفَتِي وَعِرْفَانِي. وَلَبَّى دَعْوَةَ

فَكَمْ أَصْلَى بِأَذْحَالٍ وَإِفْحَالٍ وَتَرَحَالٍ
 وَكَمْ أَخْطَرُ فِي بَالٍ وَلَا أَخْطَرُ فِي بَالٍ
 فَلَيْتَ الدَّهْرَ لَمَّا جَاءَ رَاطِفًا لِي أَطْفَالِي
 فَلَوْلَا أَنَّ أَشْبَالِي أَغْلَالِي وَأَغْلَالِي
 لَمَّا جَهَّزْتُ أَمَالِي إِلَى آلٍ وَلَا وَالٍ
 وَلَا جَرَّزْتُ أَذْيَالِي عَلَى مَسْحَبٍ إِذْ لَالِي
 فَفَحْرَابِي أُخْرَى بِي وَأَسْمَالِي أُسْمَى لِي
 فَهَلْ حُرٌّ يَرَى تَخْفِيفَ أَثْقَالِي بِمِثْقَالٍ
 وَيُطْفِئُ حَرَّ بَلْبَالِي بِسِرْبَالٍ وَسِرْوَالٍ

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا اسْتَعْرَضْتُ حَلَّةَ الْأَنْبِيَاءِ تَفَتُّ إِلَى
 مَعْرِفَةِ مُحَمَّمَا . وَرَاقِمِ عِلْمَهَا . فَنَاجَانِي الْفِكْرُ بِأَنَّ الْوَصْلَةَ إِلَيْهِ الْعُجُوزُ .
 وَأَفْتَانِي بِأَنَّ حُلُوفَ الْمَعْرِفِ يَجُوزُ . فَرَصَدْتُهَا وَهِيَ تَسْتَقْرِى الصُّفُوفَ ،
 صَفَاءً صَفَاءً . وَتَسْتَوَكِفُ الْأَكْفَافَ كَفًّا كَفًّا . وَمَا إِن يَنْجُ لَهَا عَنَاءُ . وَلَا
 يَرْشَحُ عَلَى يَدَيْهَا إِنَاءُ . فَلَمَّا اكْتَدَى اسْتِعْطَافُهَا . وَكَدَّهَا مَطَافُهَا . عَادَتْ
 بِالْإِسْتِرْجَاعِ . وَمَاتَتْ إِلَى إِزْجَاعِ الرِّقَاعِ . وَأَنْسَاهَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ
 رُقْعَتِي . فَلَمْ تَجْعَلْ إِلَى بُقْعَتِي . وَآبَتْ إِلَى الشَّيْخِ بَاكِيَةً لِلْحَرَمَانِ . شَاكِيَةً
 تَحَامِلُ الزَّمَانِ . فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ . وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

لَمْ يَنْقِ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ
 وَفِي السَّوَادِ بَدَا السَّوَادِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينٌ

وَأَقَامَ النَّاجِمُ أَيَّامًا مُقْتَصِرًا مِنْ لِسَانِهِ . عَلَى شُكْرِ إِحْسَانِهِ . وَلَا
يَنْصَرِفُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا فِي مَدْحِ أَيَّامِهِ . وَالتَّحْدِثِ بِإِنْعَامِهِ

نخبة من مقامات الحريري

المقامة البرقعيدة

٥١ حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ . قَالَ : أَرَمْتُ الشُّخُوصَ مِنْ بَرَقِيدَ .
وَقَدْ شِمْتُ بَرَقَ عِيدٍ . فَكِرْهَتْ الرِّحْلَةَ عَنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . أَوْ أَشْهَدَ بِهَا
يَوْمَ الزَّيْنَةِ . فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرْضِهِ وَنَفْلِهِ . وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ . أَتَبْتُ
السَّنَةَ فِي لُبْسِ الْجَدِيدِ . وَبَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ لِلتَّعْيِيدِ . وَحِينَ التَّمَجُّعِ
الْمُصَلَّى وَانْتِظَمَ . وَأَخَذَ الرَّحَامُ بِالْكَظَمِ . طَلَعَ شَيْخٌ فِي سَمَلَتَيْنِ . مُحْجُوبِ
الْمُقَلَّتَيْنِ . وَقَدْ اعْتَصَدَ شَبَهَ الْخَلَاةِ . وَاسْتَفَادَ لِعُجُوزٍ كَالسَّعْلَةِ .
فَوَقَفَ وَقْفَةً مُتَهَافِتٍ . وَحَيَّاتِحِيَّةٍ خَافِتٍ . وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ . أَجَالَ
خَمْسَهُ فِي وَعَائِهِ . فَأَبْرَزَ مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كُتِبَ بِالْوَانِ الْأَصْبَغِ . فِي أَوَانِ
الْفَرَاغِ . فَنَاولَهُنَّ عُجُوزَهُ الْحَزْبُونَ . وَأَمَرَهَا بَأَنْ تَتَوَسَّمَ الزُّبُونَ . فَمَنْ
أَسْتَدَى يَدَيْهِ . أَلْقَتْ وَرَقَةً مِنْهُنَّ لَدَيْهِ . فَأَتَاكَ لِي الْقَدَرُ
الْمُعْتُوبُ . رُقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُودًا بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالِ
وَمُنُونًا بِمُخْتَالِ وَمُخْتَالِ وَمُغْتَالِ
وَخَوَانٍ مِنَ الْإِخْوَانِ نِ قَالَ لِي لِإِقْلَالِي
وَإِعْمَالٍ مِنَ الْعُمَا لِي فِي تَضْلِيلِ أَعْمَالِي

الرُّ. قُلْنَا: فَلَوَاقَتَ بِهَذَا الْمَكَانِ لَقَا سَنَّاكَ الْعُمْرَ فَأَدُونَهُ وَلَصَادَفَتْ
مِنْ الْأَمْطَارِ مَا يُزْرَعُ. وَمَنْ الْأَنْوَاءُ مَا يُكْرَعُ. قَالَ: مَا اخْتَارُ عَلَيْكُمْ
صَحْبًا. وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِتَاءَكُمْ رَحَبًا. وَلَكِنْ أَمْطَارُكُمْ مَاءٌ وَالْمَاءُ لَا يُزِي
الْعِطَاشَ. قُلْنَا: فَأَيُّ الْأَمْطَارِ يُزِيكَ. قَالَ: مَطَرٌ خَلْفِي وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

سَجِسْتَانِ أَتَيْتَهَا الرِّاحِلَهُ وَبَحْرًا يَوْمُ الْمُنَى سَاحِلَهُ
سَقَّصِدُ أَرْجَانِ إِنْ زُرْتَهَا بِوَاحِدَةٍ مِائَةٍ كَامِلَهُ
وَفَضْلُ الْأَمِيرِ عَلَى ابْنِ الْعَمِيدِ كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَى بَاهِلِهِ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَخَرَجَ وَوَدَّعْنَاهُ. وَأَقَمْنَا بَعْدَهُ بَرْهَةً نَشْتَاقُهُ.
وَيُؤَلِّمُنَا فِرَاقَهُ. فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمَ غَيْمٍ فِي سَمَطِ الثَّرَيَّا جُلُوسٌ إِذِ الْمَرَاكِبُ
تَسَاقُ وَالْجَنَابُ تُقَادُ وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا: مَنْ الْهَاجِمُ.
فَإِذَا شَيْخُنَا النَّاجِمُ. يَرْفُلُ فِي نَيْلِ الْمُنَى. وَذَيْلِ الْغَنَى. فَقَمْنَا إِلَيْهِ
مُعَانِقِينَ وَقُلْنَا: مَا وَرَاءَكَ يَا عَصَامُ. فَقَالَ: جَمَالٌ مُوقَرَةٌ وَبِقَالٍ
مُثْقَلَةٌ. وَحَقَائِبُ مُثْقَلَةٌ. وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

مَوْلَايَ أَيُّ رَذِيلَةٍ لَمْ يَأْبَهَا خَلْفٌ وَأَيُّ فَضِيلَةٍ لَمْ يَأْتَهَا
مَا يُسْمَعُ الْعَافِينَ إِلَّا هَاكُمَا لَفْظًا وَلَيْسَ يُجَابُ إِلَّا هَاتِيهَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَسْفَرَتْ عَنْ أَوْجِهٍ بِيضٌ وَكَانَ الْخَالُ فِي وَجْنَاتِهَا
بِأَبِي شَمَائِلِهِ الَّتِي تَجْلُو الْعُلَا وَيدًا تَرَى الْبَرَكَاتِ فِي حَرَكَتِهَا
مَنْ عَدَّهَا حَسَنَاتٍ دَهْرٍ إِنِّي مِمَّنْ يَعُدُّ الدَّهْرَ مِنْ حَسَنَاتِهَا
قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَسَأَلْنَا اللَّهَ بَقَاءَهُ. وَأَنْ يَرْزُقَنَا لِقَاءَهُ.

وَطَرِيدُهُ . وَغَرِيبُ نَضْوِهِ طَلِيحٌ . وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ . وَمِنْ دُونِ فَرَحِهِ
 مَهَامُهُ فَيْحٌ . وَضَيْفُ ظِلِّهِ خَفِيفٌ . وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ . فَهَلْ مِنْكُمْ مُضِيفٌ .
 فَتَبَادَرْنَا إِلَى فَتْحِ الْبَابِ وَأَتَخْنَا رَاحِلَتَهُ . وَجَمَعْنَا رَحْلَتَهُ . وَقُلْنَا : دَارَكَ
 أَتَيْتَ . وَأَهْلَكَ وَافَيْتَ . وَهَلُمَّ الْبَيْتَ . وَصَحَّكْنَا إِلَيْهِ وَرَحَّبْنَا بِهِ وَأَرَيْنَاهُ
 ضَالَّتَهُ وَسَاعَدْنَاهُ حَتَّى شَبِعَ . وَحَادَثْنَاهُ حَتَّى أُنِسَ . وَقُلْنَا : مَنْ الطَّالِعُ
 بِمَشْرِقِهِ . الْفَاتِنُ بِمَنْطِقِهِ . فَقَالَ : لَا يَعْرِفُ الْعُودَ كَالْعَاجِمِ . وَأَنَا
 الْمَعْرُوفُ بِالنَّاجِمِ . عَاشَرْتُ الدَّهْرَ لِأَخْبَرِهِ . فَعَصَرْتُ أَنْعَصَرَهُ .
 وَحَلَبْتُ أَشْطَرَهُ . وَجَرَّبْتُ النَّاسَ لِأَعْرِفَهُمْ فَعَرَفْتُ مِنْهُمْ غَثَّهُمْ وَنَسِيفَهُمْ .
 وَالْغُرْبَةَ لِأَذَوْقَهَا فَمَا لَحْتَنِي أَرْضٌ إِلَّا فَمَاتَ عَيْنَهَا . وَلَا انْتَضَمَتْ رُقْعَةٌ
 إِلَّا وَلَجْتُ بَيْنَهَا . فَأَنَا فِي الشَّرْقِ أَذْكَرُ . وَفِي الْغَرْبِ لَا أَنْكَرُ . فَمَا مَلَكَ
 إِلَّا وَطَّئْتُ بِسَاطِهِ . وَلَا خَطْبُ إِلَّا خَرَقَتْ سِمَاطُهُ . وَمَا سَكَنْتُ حَرْبٌ
 إِلَّا وَكُنْتُ فِيهَا سَفِيرًا . قَدْ جَرَّبَنِي الدَّهْرُ فِي زَمَنِي رِضَايَهُ وَبُؤْسِهِ .
 وَلَقِينَنِي بِوَجْهِ بَشَرِهِ وَعَبُوسِهِ . فَمَا بُحْتُ لِبُؤْسِهِ إِلَّا لِبُؤْسِهِ :

وَإِنْ كَانَ صَرَفُ الدَّهْرِ قَدْ مَاضَى رَبِّي وَحَمَلَنِي مِنْ رَبِّيهِ مَا يُحْمَلُ
 فَمَدَّ جَاءَ بِالْإِحْسَانِ حَيْثُ أَحْلَانِي مَحَلَّةٌ صَدَقَ لَيْسَ عَنْهَا حَوْلُ
 قُلْنَا : لَا فَضَّ فُوكَ . وَلِلَّهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ . مَا يَحْرُمُ السُّكُوتُ إِلَّا
 عَلَيْكَ وَلَا يَحِلُّ النُّطْقُ إِلَّا لَكَ . فَمِنْ أَيْنَ طَلَعْتَ وَأَيْنَ تَعَرَّبْتَ . وَمَا
 الَّذِي يُحْدُو أَمْلَكَ أَمَامَكَ . وَيَسُوقُ غَرَضَكَ قُدَّامَكَ . قَالَ : أَمَّا
 الْوَطَنُ . فَأَلَيْنُ . وَأَمَّا الْوَطَرُ . فَالْمَطَرُ . وَأَمَّا السَّائِقُ فَالضَّرُّ . وَالْعَيْشُ

وَمَرَّ اكْبَ وَعَيْدًا . وَخَرَجَتْ خُرُوجَ الْحَيَّةِ مِنْ نُحْجَرِهِ . وَبَرَزَتْ بُرُوزَ
 الطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ . مُؤَثِّرًا دِينِي عَلَى دُنْيَايَ . جَامِعًا يُمْنَايَ إِلَى يُسْرَايَ .
 وَاعِيلاً سَيْرِي بِسُرَايَ . فَلَوْ دَفَعْتُ النَّارَ بِشَرَارِهَا . وَرَمَيْتُمُ الرُّومَ
 بِمُجَارِهَا . وَأَعْتَمُونِي عَلَى غَزْوِهَا مُسَاعِدَةً وَإِسْعَادًا . وَمُرَافِدَةً وَإِرْفَادًا .
 وَلَا شَطَطَ فَكُلُّ عَلَى قَدَرٍ قَدَرْتِهِ . وَحَسَبَ ثَرَوَتِهِ . وَلَا اسْتَكْبَرُ
 الْبُدْرَةَ . وَأَقِلُّ الذَّرَّةَ . وَلَا أَرْدُ الثَّمَرَةَ . وَلِكُلِّ مِنِّي سَهْمَانِ سَهْمُ أَذَلِّهِ
 لِلْقَاءِ . وَآخِرُ أَفْوَفِهِ بِالْدُّعَاءِ . وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ . عَنْ قَوْسِ
 الظُّلَمَاءِ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَاسْتَفَزَنِي رَائِعُ الْفَاطِيهِ وَسَرُوتُ
 جَلْبَابِ النَّوْمِ . وَعَدَوْتُ إِلَى الْقَوْمِ . فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ
 الْإِسْكَندَرِيُّ بِسَيْفٍ قَدْ شَهَرَهُ . وَزِيٍّ قَدْ نَكَّرَهُ . فَلَمَّا رَأَى عَمَرَ عَلِيَّ
 بَعَيْنِهِ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَانَنَا بِفَاضِلِ ذِيْلِهِ . وَقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِهِ .
 ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ وَخَلُوتُ بِهِ فَقُلْتُ أَأَنْتَ مِنْ أَوْلَادِ النَّبِيطِ فَقَالَ :

أَنَا حَالِي مَعَ الزَّمَانِ كَحَالِي مَعَ النَّسَبِ
 نَسِي فِي يَدِ الزَّمَانِ إِذَا سَامَهُ انْقَلَبَ
 أَنَا أُمْسِي مِنَ النَّبِيطِ طِوَأُضْحِي مِنَ الْعَرَبِ

المقامة الناجية

٥٠ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَتُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي كَيْبَةِ فَضْلِ
 مِنْ رُقَقَائِي فَتَذَاكَرْنَا الْفَصَاحَةَ . وَمَا وَدَعْنَا الْحَدِيثَ حَتَّى قَرِعَ عَلَيْنَا
 الْبَابُ . فَقُلْتُ : مَنْ الْمُنْتَابُ . فَقَالَ : وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ . وَقُلُّ الْجُوعِ

رَأَيْدَ النَّوْمِ . وَفَتَحْتُ التَّوَامَتَيْنِ إِلَيْهِ وَقَدْ حَالَتْ الْأَشْجَارُ دُونَهُ .
وَأَصْغَيْتُ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ . عَلَى إِيْقَاعِ الطُّبُولِ :

أَدْعُو إِلَى اللَّهِ فَهَلْ مِنْ حُجْبٍ إِلَى ذَرَى رَحْبٍ وَمَرَعَى خَصِيبٍ
وَجَنَّةٍ عَالِيَةٍ مَا تَنِي قُطُوفُهَا دَانِيَةً مَا تَغِيبُ
يَا قَوْمُ إِنِّي رَجُلٌ تَائِبٌ مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ وَأَمْرِي عَجِيبٌ
إِنْ أَلْ أَمَنْتُمْ فَكَمْ لَيْلَةٍ حَجَدْتُ رَبِّي وَأَتَيْتُ الْمُرِيبَ
يَا رَبِّ خِزِيرٍ تَشَشَّتْهُ وَمُسْكِرٍ أَحْرَزْتُ مِنْهُ النَّصِيبَ
ثُمَّ هَدَانِي اللَّهُ وَأَنْتَ أَشْنِي مِنْ ذَلَّةِ الْكُفْرِ أَجْتِهَادُ الْمُصِيبِ
فَظَلْتُ أَخْفِي الدِّينَ فِي أُسْرَتِي وَأَعْبُدُ اللَّهَ بِقَلْبٍ مُنِيبِ
أَسْجُدُ لِلَّاتِ حِذَارَ الْعَدَى وَلَا أَرَى الْكُعْبَةَ خَوْفَ الرَّقِيبِ
وَأَسْأَلُ اللَّهَ إِذَا جَنَنِي لَيْلٌ وَأَضْنَانِي يَوْمٌ عَصِيبُ
رَبِّ كَمَا أَنَّكَ أَنْقَذْتَنِي فَتَجَنَّنِي إِنِّي فِيهِمْ غَرِيبُ
ثُمَّ اتَّخَذْتُ اللَّيْلَ لِي مَرْكَبًا وَمَا سِوَى الْعِزْمِ أَمَامِي جَنِيبُ
فَقَدْكَ مِنْ سِيرِي فِي لَيْلَةٍ يَكَادُ رَأْسُ الطِّفْلِ فِيهَا يَشِيبُ
حَتَّى إِذَا جُرْتُ بِلَادَ الْعَدَى إِلَى حِمَى الدِّينِ نَفَضْتُ الْوَجِيبُ
فَقُلْتُ إِذْ لَاحَ شِعَارُ الْهُدَى نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفُتِحَ قَرِيبُ
فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا أَلَيْتَ قَالَ : يَا قَوْمُ وَطِئْتُ دَارَكُمْ بِعِزِّ لَا الْعِشْقُ
شَاقَّةٌ . وَلَا الْفَقْرُ سَاقَةٌ . وَقَدْ تَرَكْتُ وَرَاءَ ظَهْرِي حَذَائِقَ وَأَعْنَابًا .
وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا . وَخِيَلًا مُسَوِّمَةً . وَقَنَاطِيرَ مُقَنْطَرَةً . وَعُدَّةً وَعَدِيدًا .

مَا كُنَّا عَمَدَنَاهُ. وَأَبْطَلَ مَا كُنَّا أَرَدْنَاهُ. فَمَلْنَا إِلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ: مَا أَحْوَجُنَا
إِلَى وَعْظِكَ. وَأَعَشَقْنَا لِلْفُظْكَ. وَلَوْ شِئْتَ لَزِدْتَ قَالَ: إِنَّ وَرَاءَكُمْ
مَوَارِدَ أَنْتُمْ وَارِدُوهَا وَقَدْ سِرْتُمْ إِلَيْهَا عِشْرِينَ حِجَّةً:

وَإِنْ أَمْرًا قَدْ سَارَ عِشْرِينَ حِجَّةً إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبُ
وَمِنْ فَوْقِكُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ. وَلَوْ شَاءَ لَهَتَكَ أَسْتَارَكُمْ.
يَعَالِمُكُمْ فِي الدُّنْيَا بِحِلْمٍ وَيَقْضِي عَلَيْكُمْ فِي الْآخِرَةِ بِعِلْمٍ. فَلْيَكُنِ
الْمَوْتُ مِنْكُمْ عَلَى ذِكْرٍ. لِيَلَّا تَأْتُوا بِنُكْرٍ. فَإِنَّكُمْ إِذَا اسْتَشَعَرْتُمُوهُ لَمْ
تَجْهَوْا. وَمَتَى ذَكَّرْتُمُوهُ لَمْ تَمْرُحُوا. وَإِنْ لَيْسَ تَمُوهُ. فَهُوَ ذَاكِرُكُمْ.
وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ. فَهُوَ زَائِرُكُمْ. قُلْنَا: فَمَا حَاجَتُكَ. قَالَ: أَطُولُ مِنْ أَنْ
تُحَدَّ. وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُعَدَّ. قُلْنَا: فَسَاحِجُ الْوَقْتِ. قَالَ: رَدُّ قَائِلِ
الْعُمْرِ. وَدَفْعُ نَازِلِ الْأَعْمُرِ. قُلْنَا: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْنَا وَلَكِنْ مَا شِئْتَ مِنْ
مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرِهَا. قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا

المقامة القزوينية

٤٩ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: غَزَوْتُ الشُّعْرَ بِقَزْوِينَ. سَنَةَ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ. فِيمَنْ غَزَاهُ. فَمَا أَجَزْنَا حَزَنًا. إِلَّا هَبْطْنَا بَطْنًا. حَتَّى وَقَفَ
الْمُسِيرُ بِنَا عَلَى بَعْضِ قَرَاهَا. فَالَتِ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَى ظِلِّ أَثَلَاتٍ. فِي
حُجْرَتِهَا عَيْنٌ كِلْسَانِ الشَّمْعَةِ. أَصْفَى مِنَ الدَّمْعَةِ. تَسِجُ فِي الرِّضْرَاضِ.
سِجَ النَّضَاضِ. فَلَمَّا مِنَ الطَّامِ مَا نَلْنَا. ثُمَّ مَلْنَا إِلَى الظِّلِّ فَقُلْنَا. فَمَا
مَلَكْنَا النَّوْمَ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتًا نَكُرَ مِنْ صَوْتِ حِمَارٍ فَذَادَ عَنِ الْقَوْمِ.

مَا بَيْنَ عَصْرِ سَابِقٍ مُتَلَفٍ شَوْقًا إِلَيْكَ وَلَا حِقٍّ يَتَطَلَعُ

نخبة من مقامات بدیع الزمان الحمذاني

المقامة الاهوازية

٤٨ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِالْأَهْوَازِ فِي رَفَقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسَهَّلَ . لَيْسَ فِينَا إِلَّا أَمْرٌ دُبُرُ الْأَمَالِ . أَوْ حُتِّطُ حَسَنُ الْإِقْبَالِ . مَرَجُوا الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِ . فَأَفْضْنَا فِي الْعِشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا . وَالْأُخُوَّةَ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا . وَالشَّرْبَ فِي أَيِّ وَقْتٍ تَعَاطَاهُ . وَالْأُنْسَ كَيْفَ نَتَمَادَاهُ . وَقَائِدَ الْحُطِّ كَيْفَ نَتَلَفَاهُ . وَالشَّرَابَ مِنْ أَيْنَ نُحْصِلُهُ . وَالْجُلُوسَ كَيْفَ نُرْتَبُهُ . فَقَالَ : أَحَدُنَا عَلَى أَلَيْتٍ وَالْأَنْزَلُ . وَقَالَ آخَرُ : عَلَى الشَّرَابِ وَالْثَقُلُ . وَلَمَّا أَجْمَعْنَا عَلَى الْمَسِيرِ اسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ فِي طَرَيْنِ فِي يَمَانِهِ عُكَّازَةٌ . وَعَلَى كَتِفِهِ جِنَارَةٌ . فَطَظِيرُنَا لَمَّا رَأَيْنَا الْجِنَارَةَ وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحًا . وَطَوَيْنَا دُونَهَا كَشْحًا . فَصَاحَ بِنَا صِيحَةً كَادَتْ لَهَا الْأَرْضُ تَنْفَطِرُ . وَالسَّمَاءُ تَنْكَدِرُ . وَقَالَ : لَتَرْنَهَا صَغْرًا . وَلَتَرَكِبْنَهَا كَرْهًا وَقَسْرًا . مَا لَكُمْ تَطْطِيرُونَ مِنْ مَطِيَّةٍ رَكِبَهَا أَسْلَافُكُمْ وَسَيَرَكِبَهَا أَخْلَافُكُمْ . وَتَتَقَدَّرُونَ سَرِيًّا وَطِيَّةً أَبَاؤُكُمْ . وَسَيَاطُهُ أَبْنَاؤُكُمْ . أَمَا وَاللَّهِ لَنُحْمَأَنَّ عَلَى هَذِهِ الْعِيدَانِ . إِلَى تِلْكَ الْأَيْدِي . وَلَنَنْقَلَنَّ بِهَذِهِ الْجِيَادِ . إِلَى تِلْكَ الْوَهَادِ . وَقَدْ حَانَ جِينُهُ وَيُحْكِمُ تَطْطِيرُونَ . كَأَنَّكُمْ تُخَيِّرُونَ . وَتَتَكَرَّهُونَ . كَأَنَّكُمْ مُنْزَهُونَ . هَلْ تَنْفَعُ هَذِهِ الطَّيْرَةُ . يَا فَجْرَةَ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَلَقَدْ نَعَّصَ

كَانَتْ سُلَّمًا لِكِرَامَةِ أَعْدَافِهَا . وَحَوْلَهُ مِنْ حَوَاشِيهِ قِيَامٌ . وَأَغْصَانُ
 غُلْمَانٍ بِنَادِيهِ قِيَامٌ . كَانَ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ . يَتَهَلَّلُ بِشَرُّهُمْ بِكُلِّ
 خَيْرٍ وَمَيْرٍ . فِي رَوْضٍ نَادٍ مُثْمِرٍ مُورِقٍ . عَلَيْهِ مَخَاطِلُ جُودٍ مُغْدِقٍ .
 فَتَجَاذَبْنَا أَهْدَابَ الْحَدِيثِ . وَآتَى بِنَوَادِرَ حَارَةٍ مِنْ كُلِّ تَلِيدٍ وَحَدِيثٍ .
 فَلَمَّا خُضْنَا لُجَّةَ الْكَلَامِ وَوَقَفْتَ الْأَقْلَامُ عَلَى سَاحِلِ التَّمَامِ . قَالَ لِي :
 هَاتِ مِنْ هَنَاتِكَ . وَأَنْشِدْنِي مَا قُلْتَهُ مِنْ آيَاتِكَ . فَأَنْشَدْتُهُ مِنْهَا :

سَلَّ الزَّمَانُ عَلَى عَضْبَةٍ لِيُرْوِعَنِي وَاحِدَ غَرْبَةٍ ^{حده}
 وَأَسَالَ مِنْ جَفْنِي كَرَاهٍ مُرَاعِمًا وَأَسَالَ غَرْبَهُ بِجَرَى الدَّمْعِ
 وَأَجَالِنِي فِي الْأَفْقِ أَطَا ^{مغربه} وَيَ شَرْقَهُ وَأَجُوبُ غَرْبَهُ
 فَيَكُلُّ جَوْ طَاعَةَ ^{غروب} فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبَهُ
 وَكَذَا الْمَغْرَبُ شَخْصُهُ مُتَغَرِّبٌ وَنَوَاهُ غَرْبَهُ ^{بعيده}

فَلَمَّا ارْتَوَى الْحَدِيثُ مِنْ أَغْذَابِ الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ . وَرَجَعَ الْحَوَارُ
 حَارَّ النَّوَادِرِ . بَارِدَ الْبَوَادِرِ . قَالَ : لَا قُضِيَ اللَّهُ قَاكَ . وَلَا أَقْضَى فِي
 مَهْدِ أَلْهِنَا مَثْوَاكَ . فَقَدْ تَرَكْتَ بَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ . وَجَلَوْتَ خَرَابِدَ فِكْرِكَ
 فِي مَعْرِضِ أَنْيَقٍ . وَلَمْ تُنْثِرْ دُرُرَ الْمَدَامِعِ . إِلَّا مِنْ دُرِّ مُودَعٍ فِي
 صَدَنِ السَّمَامِ . وَمَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عَلَى الرَّاقِدِ . وَأَهْوَنَ السَّقَمِ عَلَى
 الْعَائِدِ . وَقَدْ أَصَبْتَ دَارَ الْمَقَامَةِ . فَأَنْتَ جَارُ أَبِي دُوَادَ بَدَارِ الْكَرَامَةِ .
 فَالْزِمَهُ لَزُومَ الطُّوقِ جِيدَ الْحَمَامَةِ . فَأَمَّا لَكَ لَا تَطْمَأَنَّ بِهَذَا الْمَقَامِ .
 وَكَيْفَ يَطْمَأَنَّ مَنْ كَانَ جَارَ الْغَمَامِ :

فَقَالُوا : هُوَ النَّضْرُ بْنُ كِنَانَةَ . الْمُقَرَّطُسُ سِهَامُ أَرَاهُ مِنْ أَعَزِّ كِنَانَةٍ .
 شَيْخٌ لَيْسَ عَمَائِمُ دَهْرِهِ الثَّلَاثَ . فَهِيَ عَلَى هَامَةِ هَمَّتِهِ ثَلَاثٌ . مِنْ
 شَجَرَةٍ مُورِقَةٍ النَّسَبِ . مُثْمَرَةٍ بِيَانَعِ ثَمَارِ الْحَسَبِ . جَاهُهُ عَرِيضٌ
 طَوِيلٌ . فَائِضٌ عَلَى الْعَدُوِّ وَالْحَلِيلِ . وَطِيبُ شَمَائِلِهِ فِي كُلِّ نَادٍ اُنْتَشَرَ .
 قَعْمَةُ رَوْضَاتٍ تَرْدِي الزَّهَرَ . هَيْجَمَا نَضَحَ مِنْ نَضْحِ السَّحَرِ . فَقُلْتُ :
 بَنِي بَنِي الْجَاهِ زَكَاةُ الشَّرَفِ . وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ فَقَدْ
 اُنْتَصَفَ . وَمَنْ تَرْدَى بِسَاطِعِ الْأَنْوَارِ . وَاحْتَبَى بِجَبَاءِ الْوَقَارِ . وَلَمْ
 يَبْقَ لَهُ لَيْلٌ يَصْبِحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ . فَالْسَّعَادَةُ لَهُ شِعَارٌ وَدِثَارٌ . فَقُلْتُ :
 سَافِيزُ لَهُ وَعَلَى أَجَلٍ رِدَا . وَأَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي رَفْقَتِي دَدَا . فَلَمَّا
 عَطَسَ الصَّبَاحُ . وَشَمَّتَهُ كُلُّ ذَاتِ جَنَاحٍ . وَرَفَعَتْ ذُكَاةُ رَأْسِهَا
 مِنْ مَشْرِقِ الْأَنْوَارِ . فَاشْرَقَتْ عَلَى عَالَمِ الْكُونِ وَالْأَسَادِ لِشَاهِدِمَا
 فِيهِ مِنَ الْأَسْرَارِ . أَتَيْتُ دَارَهُ . فَرَأَيْتُ بُدُورَالهَا الْمَنَازِلَ دَارَةً . دَارُ
 يُسَافِرُ بِهَا النَّظَرُ . وَيَتَسَابَقُ فِي مَحَاسِنِهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ . دَاخِلُهَا بَهْوٌ
 وَقُصُورٌ . وَسُرَادِقٌ لَا يَعْرِفُ كَمَالَهُ الْكُصُورُ . فِي صَدْرِهَا هُمَامٌ خَلْفَهُ
 وَسَادَةٌ . أَحَدُ قَ بِهِ وَجُوهُ أَعْيَانٍ وَسَيَادَةٌ . يَتَنَفَّسُونَ بِأَنْفَاسِ النُّعَامِ .
 بَيْنَ أَوْرَاقِ رِيحَانٍ وَخُرَامِي :

لَوْ أَنْصَفُوهُ لَقَامُوا فِي مَجَالِسِهِ عَلَى الرُّؤُوسِ قِيَامَ الظِّلِّ فِي الْمَاءِ
 فَقُلْتُ لَهُ : حَيَّاكَ اللَّهُ وَيَاكَ . وَلَا زَالَتْ مِسْكَاةُ أَنْسِكَ مُشْرِقَةً
 يُحْيَاكَ . فَرَدَّ التَّحِيَّةَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَمَارَدَهَا . وَأَمَدَّهَا بِطَلَاقَةِ بَشْرِ

أَعْلَامِهِ الْجَحَافِلُ . وَتَبَدَّلَتْ بِأَنْسَهَا وَخَشًا . فَلَا تَرَى غَيْرَ جَائِعٍ يَتَجَشَّأُ .
 أَقْسَمْتُ بِبَيْتٍ سَأَلَتْ يَطْحَاهُ أَغْنَاكَ الْمَطَايَا . وَتَمِيلُ رُكْنَانَهُ بِكَاسِ
 السُّرَى فِي الْغَدَايَا وَالْعَشَايَا . لَا غَرْبَ غَرْبَةً قَارِظِيَّةً يَخْفِقُ مِنْهَا قَلْبُ
 الْخَافِئِينَ . وَتَذْبُغُ أَدِيمَ الْجَسَدِ عَلَى مَمَرِ الْجَدِيدِينَ . وَتُنْشِي صَخْرَةَ
 السُّوَالِ عَنْ حُصَيْنٍ . وَتُنْشِي غُطْفَانَ . غُرْبَةً سِنَانٍ . فَقَالَ لِي خَيْرُ
 الْأَيَّامِ : الْهَجْرَةُ مِنْ سُنَنِ الْكَرَامِ . كَمَا قَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَيْطُ .
 وَقَدْ كُنْتُ قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ . إِذَا أَرَادَ اللَّهُ سَعَةَ رِزْقِ عَبْدٍ
 حَبَّ لَهُ الْأَسْفَارُ . فَزَجَرَتْ السَّائِحَ وَالْبَارِحَ . وَالطَّائِرَ الْغَادِيَّ
 وَالرَّائِحَ . حَتَّى رَأَيْتُ الصُّبْحَ أَنْبَجَ . وَمَرَّ بِي طَائِرٌ أَعْرُشَ مِنَ الْبَلَجِ .
 فَمَسَكَتُ بِذَيْلِ الْحَزْمِ . وَصَمَّمْتُ عَلَى الْعَزْمِ . وَقُلْتُ :

بِقَوْلِكَ طَهَّ سَافِرُوا تَغْنَمُوا لَقَدْ بَدَّالِي قَالَ فِي الْمَطَالِبِ رَاحُ
 فَمَا خَطُّ فِي رَمْلٍ وَلَا طَرَقَ الْحَصَى كَأَيْدِي جِيَادٍ فِي السَّرَابِ سَوَاحِجُ
 وَجَنِبْتُ الْجِيَادَ إِلَى الْمَهَارِيِّ . وَلَيْسَتْ حَلَّةٌ دُجْنُ مُزَرَّةً بِالْدَّرَارِيِّ .
 مَعَ صُقُورٍ عَلَى مُتُونِ أَعْوَجِيَّاتٍ وَرِكَابٍ . بِأَقْدَامِ أَقْدَامٍ تَرَفُّ بَيْنَ غَرَزِ
 وَرِكَابٍ . عَلَى سُفْنِ ذُوْدٍ وَزَوَارِقٍ . وَسُرُوحِ سَوَاحِجٍ فِي بَحَارِ السَّرَابِ
 غَوَارِقٍ . فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنَا أَلَالُ . بَيْنَ رِفَاقِ صُحْبٍ وَآلٍ . عَلَى عَيْسٍ
 مَا لَهَا غَيْرُ النَّصَبِ عِقَالُ . وَظُهُورِ سَوَاحِجٍ مَا لَهَا غَيْرُ الْكَلَالِ شِكَالُ .
 حَتَّى زَلْنَا عَلَى الْحَوَرَتِ وَالسَّيْدِ . وَأَخْنَأَ مَطَايَا الْعَزْمِ بَيْنَ رَوْضَةٍ
 وَغَدِيرٍ . فَسَأَلْنَا عَنْ بَيْضَةِ الْبَلَدِ . وَطَوْدِهَا الَّذِي لَهُ بِسْفَحِهَا أَرْفَعُ سَنَدٍ .

لَوْ كَانَ فِيهَا رَاحَةٌ مَا فَارَقْتَهَا أَهْلَهَا
 فَلَمَّا تَمَّ الْوَالِي نِظَامَهُ . ابْتَدَرَتْ مَلَامَهُ . وَقُلْتُ : إِذَا رَغِبْتَ عَنْ
 أَنْطَاكِيَّةَ وَأَهْلِهَا . فَمَا وَجْهُ مُقَامِكَ فِيهَا . فَقَالَ : أَلْزَمَنِي أَنْ أَقِيمَ .
 مَرْسُومَ كَرِيمٍ . مِمَّنْ عَمَّرَنِي بِالْعَطَا . وَإِذَا خُولِفَ سَطَا . فَكَيْفَ الْخُلَاصُ .
 وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ . مِنْ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمَاءِ أَرْفَعُ مِنْهَا بِكَثِيرٍ . وَلِعَظُمَ
 السَّكَّةُ فِيهَا قَدْرُ كَثِيرٍ :

فَقُلْتُ وَقَدْ أَنْكَرْتُ مِنْهُ مَقَالَهُ وَغَرْتُ لَهَا وَيْلَاهُ مِنْ سُوءِ حَالِهَا
 أَلَا طَالَمَا كَانَتْ أَسِيرَةً مُلْكِيهَا مُكَلَّلَةً بِالْذُّرِّ قَبْلَ زَوَالِهَا
 وَكَمْ خَفَقَتْ فِيهَا الْبُودُ وَكَمْ حَوَتْ مُلُوكًا تَرَى الْجُوزَاءَ تَحْتَ نِعَالِهَا
 مُعْظَمَةٌ فِي الْمِلَّتَيْنِ بِحُسْنِهَا مُكْرَمَةٌ فِي الدَّوْلَتَيْنِ بِمَالِهَا
 أَلَمْ تَحْتَرَمْ فِيهَا حَيْبًا زَيْلَهَا وَمَا أَنْتَ لَوْ أَنْصَفْتَنِي مِنْ رِجَالِهَا
 وَسَافَرْتُ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَقْتُ مُنْشَدًا وَعَيْنَايَ كُلُّ أَسْعَدَتْ بِسَجَالِهَا
 قِفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ لَقَدْ هُزِلْتُ حَتَّى بَدَأَ مِنْ هُزَالِهَا

نخبة من مقامات شهاب الدين الحفاجي

من مقامتي الغربة والمغربة

٤٧ حَدَّثَ الرَّبِيعُ بْنُ رِيَّانَ . عَنْ شَقِيقِ بْنِ النُّعْمَانِ . قَالَ : لَمَّا هَزَّتْنِي
 أَرْيُمِيَّةُ الشَّبَابِ . إِلَى اقْتِعَادِ سَنَامِ الْأَرْضِ عَلَى غَارِبِ الْأَغْتِرَابِ .
 وَقَدْ أَجْدَبَتِ الْأَرْضُ مِنْ كُلِّ مَا جِدَ . يَحْتَنِي جَنَى الْحُجْدِ وَتُجْنِي لَهُ ثَمَارُ
 الْحَمِيدِ . وَتَعَطَّلَتْ مِنْ كَرِيمٍ تَلْتَفُّ عَلَيْهِ الْحَافِلُ . وَتَسِيرُ فِي ظِلَالِ

فَأَعْجَبَ لِأَرْضِ كَالسَّمَاءِ مُنِيرَةٍ أَضْحَتْ نُضْيُهَا بُدُورُهَا
 قَبَسَتْ وَتَسَمَّتْ أَرْجَاؤُهَا أَرْجَاءُ الْغُصْنِ النُّضِيرِ نَظِيرُهَا
 فَلَمَّا أَتَمَّتْ جَلَاءَ هَذِهِ الْعُرُوسِ وَرَقَمَهَا سَامِعُوهَا عَلَى وَجَنَاتِ
 الطُّرُوسِ. قَالَ الْوَالِي: لَقَدْ زِدَتْ وَصْفَهَا. وَشَخَّتَ عَلَى الْبِلَادِ أَنْفَهَا.
 وَمَا أَنْطَاكِيَّةُ لَوْ كَانَ عِنْدَكَ إِنْصَافٌ. إِلَّا طَرَفُ سَكَنَتِهِ الْأَطْرَافُ. فَلَوْ
 أَنَّكَ جَمَعْتَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ. وَأَرْهَقْتَ الْعِدَّةَ لِنَقْصِ الْبَيْعَتَيْنِ. وَأَغْلَقْتَ
 بَابَ الْبَحْرِ. وَجَسَرْتَ عَلَى قَطْعِ الْجَمْرِ. وَسَوَّدْتَ الْبَيْضَاءَ. وَأَيَّسْتَ
 الْخُضْرَاءَ. لَكَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ هَذَا النَّظْمِ الْأَنِيقِ. فِي اسْتِرْقَاقِ هَذَا
 الْبَلَدِ الْعَتِيقِ. وَمَا ذَاتُ رَكْتٍ لِدِمَشْقَ مِنَ الْمِنَّةِ وَالصِّفَةِ. وَقِيلَ إِنَّهَا فِي
 الْأَرْضِ هِيَ الْجَنَّةُ لَقَدْ عَرَفْتَ النِّكَرَةَ وَنَكَّرْتَ الْمَعْرِفَةَ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى
 خُجَلَاءَ. وَأَنشَدَ مَرْثَجَلًا:

مَدَحْتَ أَنْطَاكِيَّةَ	حَتَّى تَوَارَى عَقْلُهَا
وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي كَمَا	ذَكَرْتَهُ مَحَلُّهَا
لِأَنَّهَا دَائِرَةٌ	عَلَا عَلَيْهَا ذُلُّهَا
فَكَيْفَ لَا أَنْفُضُهَا	وَكَيْفَ لَا أَمْلُهَا
وَعُجْمُهَا أَكْثَرُهَا	وَعُزْبُهَا أَقْلُهَا
لَوْلَا حَيْبُ سَاكِنِ	فِيهَا وَلَوْلَا ظِلُّهَا
لَقُلْتُ مِنْ مُدُنٍ لَطَى	أَكِنِّي أَجْلُهَا
لَكِنْ أَقُولُ قَوْلَةً	لَيْسَ يَرُدُّ عَنْهَا

عَلَى بُغْضِ الْعَرَبِ . كَمْ أَجِدُّ وَيَلْعَبُونَ . وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ :
 مِنْ كُلِّ قُضْ أَعْجَبِي غَثَّ الْكَلَامِ مُذَمَّمِ
 إِنْ نَبَتْهُ مَرْوَةٌ فَتَقُولُ عُجْمَتُهُ نَمِ

قُلْتُ : قَصِّرْ عَنْ خَطَاكَ خُطَاكَ . وَاشْكُرْ مَنْ أَنْطَاكَ أَنْطَاكَ .
 فَسُورُهَا مَنِيعٌ . وَعَاصِيهَا مُطِيعٌ . وَأَطْيَارُهَا تَحْنُ إِلَى نَعْمَاتِهَا أَجْوَارُ .
 وَأَنْهَارُهَا مُطَرَّدَةٌ وَعَيْنُهَا سَوَارُ . وَاسِيهَا يُبْطِلُ رَائِحَةَ الْمِسْكِ
 السَّحْقِ . وَسَاكِئُهَا يُزْهِى عَلَى الْغَضَنِ الْوَرِيقِ . يَصْدَأُ بِهَوَائِهَا السِّلَاحُ .
 وَتُجَلَّى بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَرْوَاحُ . بِرِيَّةٍ بَحْرِيَّةٍ . سَهْلِيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ :

مُتَكَامِلٌ فِيهَا السُّرُورُ لِمَنْ بِهَا يَوْمًا أَقَامَ كَمَا تَكَامَلُ سُورُهَا
 وَخَلَّتْ قُلُوبُ قُصُورِهَا فَاسْتَضْحَكَتْ إِذْ عَاشَ شَاكِرُهَا وَمَاتَ كَفُورُهَا
 مَنْ حَلَّ فِيهَا نَالَ وَضَلَّ حَبِيبُهَا وَشَفَى كَلِيمُ الرُّوحِ مِنْهُ طُورُهَا
 مَا تِلْكَ إِلَّا جَنَّةُ الدُّنْيَا وَهَا وَلَدَانِهَا جُلِيَتْ عَلَيْكَ وَخُورُهَا
 فُضِيَّةٌ وَسَنِّيَّةٌ وَنَدِيَّةٌ أَرْجَاؤُهَا وَرِيَاضُهَا وَقُصُورُهَا
 لَمَّا بَكَى فَقَدْ أَلْهُمُومَ سَحَابِهَا ضَحَكَتْ وَقَدْ عَاشَ السُّرُورُ زُهْرُهَا
 فَالْأَرْضُ مِنْهَا سُنْدُسٌ وَخِلَالُهُ سُلَّتْ سَيُوفٌ وَالسَّيُوفُ نُهُورُهَا
 هِيَ دَارُ مَمْلَكَةِ الرِّضَا فَلِأَجْلِ ذَا قَدْ أُسْبِتَ دُونَ أَلْهُمُومِ سُورُهَا
 جَمَعَتْ فُنُونُ الطَّيْبِ فِي أَفْنَانِهَا وَعَلَا عَلَى الْمِسْكِ الذِّكِّي عَبِيرُهَا
 تَصْفِيقُ عَاصِيهَا الْمُطِيعُ مَرْقِصُ أَغْصَانِهَا لَمَّا شَدَّتْهُ طُيُورُهَا
 قَرُبُوعُهَا مُحْرُوسَةٌ وَسُفُوحُهَا مَأْنُوسَةٌ لَا يَنْطَوِي مَأْشُورُهَا

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْمَقَامَاتِ

نخبة من مقامات ابن الوردي
اللزامة الانطاكية

٤٦ حَدَّثَ إِنْسَانٌ . مِنْ مَعْرِةِ النُّعْمَانِ . قَالَ : كَثِيرًا مَا كُنْتُ
أَسْمَعُ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ . الشَّاءَ عَلَى نَزِهِ أَنْطَاكِيَّةَ . وَأَنَّهَا قَطَعُ لِمَنْ لَمْ يَصِلْهَا .
وَخُرُوجُ لِمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا . وَلَقَرَطِ ثَنَائِهِ عَلَيْهَا . تَجَهَّزْتُ لِلْمَسِيرِ إِلَيْهَا .
فَلَمَّا دَخَلْتُهَا . وَشَاهَدْتُهَا وَتَأَمَّلْتُهَا . أَكْبَرْتُ طَوْلَهَا وَطَوْلَهَا . وَعَجِبْتُ
لِحَصَاتِيهَا وَالْعَاصِي دَائِرَ حَوْلَهَا . فَأَتَيْتُ مِنْ بَدَايَتِهَا . إِلَى دَارِ
وَلَايَتِهَا . فَوَجَدْتُ وَالِي الْمَدِينَةِ . شَابًا ذَا سَكِينَةٍ . فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ .
وَأَجْلَسَنِي إِلَيْهِ . أَخَذَ فِي مُوَالَسَتِي . وَأَظْهَرَ الْإِبْتِهَاجَ مُجَالَسَتِي .
فَغَبَطْتُهُ بِحَسَنِ زِينَتِهِ . وَطِيبِ مَدِينَتِهِ . فَتَفَقَّسَ الصُّعْدَاءُ . وَتَرَنَّمَ مُنْشَدًا :
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ صَدُوقٍ أَلُوْدٍ تَحْسَبُهُ فِي رَاحَةٍ وَلَدَيْهِ أَلْهَمُ وَالْكَدُ
لَا تَقْبِطَنَّ بَنِي الدُّنْيَا بِتَعَمُّمِهِمْ فَرَاخَةَ الْقَلْبِ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا أَحَدُ
فَلْتُ : لِلَّهِ دَرُفَصَاتُكَ . مَا السَّبَبُ فِي عَدَمِ رَاحَتِكَ . قَالَ :
لَقَدْ جَمَعْتُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بَيْنَ عَرَبٍ وَرُومٍ . وَأَنَا مَعَهُمْ فِي الْحَيِّ
الْقِيَوْمِ . لَا أُطِيقُ فِيهِمْ قَرَارًا . لَوْ أَطْلَعْتُ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا .
وَمَنْ يُطِيقُ الْجَمْعَ بَيْنَ الصِّدِّيقِ . أَمْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى مُوَالَاةِ نَدِّينِ .
وَكَيْفَ يَظْفَرُ سَاكِنُ أَنْطَاكِيَّةَ بِنِيلِ أَرَبٍ . وَقَدْ حَنَيْتُ أَضْلَعُ الْعَجَمِ

طَاعَتِهِمْ وَوَسِيلَةَ دَائِلِهِمْ وَمَا تَتَّ سَابِقَتِهِمْ وَحُرْمَةَ مُنَاصَحَتِهِمْ بِالْإِحْسَانِ
 إِلَيْهِمْ وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ وَالْإِثَابَةِ لِحُسْنِهِمْ وَالْإِقَالَةَ لِمُسِيئِهِمْ . أَيُّ بَنِي
 ثُمَّ عَلَيْكَ أَلْعَامَةُ فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا وَاسْتَجِبْ مَوَدَّتَهَا
 بِالْإِنْصَافِ لَهَا . وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ وَذَلِكَ أَنْ تَأْمُرَ قَاضِي كُلِّ بَلَدٍ
 وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رَجُلًا تَوَلَّيَهُ أَمْرَهُمْ وَتَجْعَلَ
 الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ . فَإِنْ أَحْسَنَ حُدُثَ وَإِنْ أَسَاءَ عُذِرَتْ .
 وَلَا يَنْفَكَنَّ فِي ظِلِّ كَرَامَتِكَ نَازِلًا وَبِعَرَى حَبْلِكَ مُتَعَلِّقًا رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا
 كَرِيمَةٌ مِنْ كَرَامَتِكَ رِجَالَاتِ الْعَرَبِ وَأَعْلَامُ يُبَوِّتَاتِ الشَّرَفِ لَهُ أَدَبٌ
 فَاضِلٌ وَحِلْمٌ رَاجِحٌ وَدِينٌ صَحِيحٌ . وَالْآخِرُ لَهُ دِينٌ غَيْرُ مَغْمُورٍ وَمَوْضِعٌ
 غَيْرُ مَدْخُولٍ بِصِيرُ بِتَقْلِيلِ الْكَلَامِ وَتَصْرِيفِ الرَّأْيِ وَأَنْمَاءُ الْعَرَبِ
 وَوَضْعُ الْكُتُبِ عَالِمُ بِحَالَاتِ الْحُرُوبِ وَتَصَارِيفِ الْخُطُوبِ . يَضَعُ آدَابًا
 نَافِعَةً وَأَثَارًا بَاقِيَةً مِنْ مُحَاسِنِكَ وَتَحْصِينَ أَمْرِكَ وَتَحْيَاةَ ذِكْرِكَ .
 فَتَسْتَشِيرُهُ فِي حَرْبِكَ وَتُدْخِلُهُ فِي أَمْرِكَ . فَرَجُلٌ أَصَابَهُ كَذَلِكَ فَهُوَ
 يَأْوِي إِلَى مَحَلَّتِي وَيَدْعَى فِي خُضْرَةِ جَنَانِي . وَلَا تَدْعُ أَنْ تَخْتَارَ لَكَ مِنْ
 فُتَهَاءِ الْبُلْدَانِ وَخِيَارِ الْأَمْصَارِ أَقْوَامًا يَكُونُونَ حِيرَانَكَ وَسَمَارَكَ
 وَأَهْلَ مُشَاوَرَتِكَ فِيمَا تُورِدُ وَأَصْحَابَ مُنَاطَرَتِكَ فِيمَا تُصْدِرُ . فَسِرْ عَلَى
 بَرَكَاتِهِ اللَّهُ أَصْحَابَكَ اللَّهُ مِنْ عَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ دَلِيلًا يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ
 قَلْبَكَ وَهَادِيًا يُنْطِقُ بِالْخَيْرِ لِسَانَكَ (لَا بَنَ عَبْدَ رَبِّهِ)

ظَاهِرٌ . فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ فَاحْتَمِلْ سُخْطَ النَّاسِ فِيهِمَا وَلَا
تَطْبُ رِضَاهُمْ بِخِلَافِهِمَا . فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَافِكَ مَنْ أَسْخَطَهُ
عَلَيْكَ إِثَارَكَ رِضَاهُ . وَلَيْسَ بِكَافِكَ مَنْ يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ إِثَارَكَ رِضَا
مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ فِتْرَةً مِنْ رُسُلِهِ وَبَقَايَا
مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِهِ وَخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ يُجِدُّ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ
وَيُشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ . وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَائِهِ دِينَهِ أَنْصَارًا وَعَلَى
إِقَامَةِ عَدْلِهِ أَعْوَانًا يَسُدُّونَ الْحُلَالَ وَيُقِيمُونَ الْمِيزَانَ وَيَدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ
الْفَسَادَ . وَإِنَّ أَهْلَ خُرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوَاتِنَا وَسُيُوفَ دَعْوَتِنَا
الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارَةَ بِطَاعَتِهِمْ وَنَسْتَصْرِفُ زُلُومَ الْعِظَائِمِ
بِمُنَاصَحَتِهِمْ . وَنُدَافِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعَزَائِمِهِمْ وَزَوَاجِمَ زُكْنِ الدَّهْرِ
بِبَصَائِرِهِمْ . فَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أُرْجِفَتْ كُنُفُهَا وَخَوْفُ الْأَعْدَاءِ إِذَا
أَبْرَزَتْ صَفْحَتَهَا وَحُصُونُ الرِّعْيَةِ إِذَا تَضَايَقَتْ الْحُلَالُ بِهَا . قَدْ مَضَتْ
لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ أَخَذَتْ نِيرَانُ الْفِتَنِ وَقَصَمَتْ
دَوَاعِيَ الْبِدْعِ وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ . وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَوْا
مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا وَأَعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا الَّتِي
أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذُلَّتَهُمْ وَرَفَعَ بِهَا ضَعْفَهُمْ . وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ
الْأَرْضِ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ بَعْدَ لِبَاسِ الذِّلِّ وَقِتَاعِ الْخَوْفِ
وَإِطْبَاقِ الْبَلَاءِ وَمُخَالَفَةِ الْأَسَى وَجُهْدِ الْبَاسِ وَالضَّرِّ . فَظَاهَرَ عَلَيْهِمْ
لِبَاسُ كَرَامَتِكَ وَأَنْزَلَهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ . ثُمَّ أَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ

وَقَدْ كَانَ لِقُرْبِ دَارِهِ مِنْكَ وَمَحَلِّ جَوَارِهِ لَكَ عَطِلَ الْحَالِ غُفْلَ الْأَمْرِ
وَأَسْعَ الْعُذْرِ . فَأَمَّا إِذَا انْفَرَدَ بِنَفْسِهِ وَخَلَا بِنَظَرِهِ وَصَارَ إِلَى تَذْيِيرِهِ
فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَامَّةِ أَنْ تَتَفَقَّدَ مَخَارِجَ رَأْيِهِ وَتَسْتَنْصِتَ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ .
وَتَسْأَلَ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ فِي بَرِّهِ وَبَرَحَتِهِ وَإِقْسَاطِهِ وَمَعْدَلَتِهِ
وَتَذْيِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَوُزْرَائِهِ وَأَصْحَابِهِ . ثُمَّ يَكُونُ مَا سَيَقُ إِلَيْهِمْ أَغْلَبَ
الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ وَأَمْلَكَ الْأُمُورِ بِهِمْ وَأَلْزَمَهَا لِقُلُوبِهِمْ وَأَشَدَّهَا اسْتِمَالَةً
لِرَأْيِهِمْ وَعَظْمًا لِأَهْوَائِهِمْ . فَلَا يَعْلَمُ الْمُهْدِيُّ وَفَقَّهُ اللَّهِ نَاطِرًا لَهُ فِيمَا
يُقَوِّي عُقْدَ مَمْلَكَتِهِ وَيُسَدِّدُ أَرْكَانَ وَلَايَتِهِ وَيَسْتَجْمَعُ رِضَا أُمَّتِهِ بِأَمْرٍ
هُوَ أَزِينُ لِحَالِهِ وَأَظْهَرُ لِحَالِهِ . وَأَفْضَلُ مَغْبَةِ لِأَمْرِهِ وَأَجَلُ مَوْقِعًا فِي
قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ وَأَحْمَدُ حَالًا فِي نُفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ . وَلَا أَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ
بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ وَأَبْلَغُ فِي اسْتِطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ مِنْ رَحْمَةٍ
تُظْهِرُ مِنْ فِعْلِهِ وَمَعْدَلَةٍ تُنْشِرُ عَنْ أَثَرِهِ وَحُبَّةٍ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ . وَأَنْ يَخْتَارَ
الْمُهْدِيُّ وَفَقَّهُ اللَّهُ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلَدَةٍ وَفُقَهَاءِ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ
أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَتَأْنَسُ الرِّعْيَةُ بِهِمْ إِذَا وُصِفُوا .
ثُمَّ تَسْهَلُ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ وَتَفْتَحُ بَابُ الْمَعْرُوفِ كَمَا قَدْ كَانَ
فَتْحَ لَهُ وَسَهْلَ عَلَيْهِ

(قَالَ الْمُهْدِيُّ) : صَدَقْتَ وَنَصَحْتَ ثُمَّ بَعَثَ فِي ابْنِهِ مُوسَى
فَقَالَ : أَيُّ بَنِي إِنْكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لِسِنْتِ وَجْهِهِ الْعَامَّةِ نَصَبًا وَلِمَنِّي
أَعْطَافِ الرِّعْيَةِ غَايَةً . فَحَسَنَتْكَ شَامِلَةٌ وَإِسَاءَتْكَ نَائِيَةٌ وَأَمْرُكَ

فَأَغْنَىٰ فَقِيرَهَا . وَجَبَرَ كَسِيرَهَا . وَرَفَعَ وَضِعَهَا . وَزَادَ رَفِيعَهَا مَا خَلَا نَاحِيَتَيْنِ
نَاحِيَةً يَغْلِبُ عَلَيْهَا الشَّقَاءُ وَتَسْتَمِيلُهُمُ الْأَهْوَاءُ فَتَسْتَخْفُ بِدَعْوَتِهِ وَتُبْطِئُ
عَنِ إِبَاجَتِهِ وَتَتَأَقَّلُ عَنْ حَقِّهِ فَتَكُونُ آخِرَ مَنْ يَبْعَثُ وَأَبْطَأَ مَنْ يُوْجِهُ .
فَيَضْطَلِّي عَلَيْهَا مَوْجِدَةٌ وَيَبْتَغِي لَهَا عِلَّةً . لَا يَلْبَثُ أَنْ يَجِدَ بِحَقِّ يَلْزَمُهُمْ
وَأَمْرٌ يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَتَسْتَحْمِلُهُمُ الْجُيُوشُ وَتَأْكُلُهُمُ السُّيُوفُ وَيَسْتَحْرِيقُهُمُ
الْقَتْلُ وَيُحِيطُ بِهِمُ الْأَسْرُ وَيُفْنِيهِمُ التَّبْعُ . حَتَّى يُخْرِبَ الْبِلَادَ وَيُوتِمَ
الْأَوْلَادَ وَنَاحِيَةً لَا يَنْسُطُ لَهُمْ أَمَانًا وَلَا يَقْبَلُ لَهُمْ عَهْدًا وَلَا يَجْعَلُ لَهُمْ ذِمَّةً .
لَا نَهْمُ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ بَابَ الْفُرْقَةِ وَتَدْرَعُ جَلَابَابَ الْفِتْنَةِ وَرَبْضَ فِي شِقْوَةِ
الْعَصَا . وَلَكِنَّهُ يُقْتَلُ أَعْلَامُهُمْ وَيَأْسِرُ قَوَادِمُهُمْ . وَيَطْلُبُ هَرَابَهُمْ فِي
لُحْجِ الْجِبَالِ وَقُلَلِ الْجِبَالِ وَخَمَلِ الْأَوْدِيَةِ وَبُطُونِ الْأَرْضِ تَقْشِيرًا
وَتَقْلِيلًا وَتَنْكِيلًا حَتَّى يَدْعَ الدِّيَارَ خَرَابًا وَالنِّسَاءَ أَيَايَ . وَهَذَا أَمْرٌ لَا
نُعرفُ لَهُ فِي كُنْهِنَا وَقَتْنَا وَلَا نَصَحُ مِنْهُ غَيْرَ مَا قُلْنَا تَفْسِيرًا . وَأَمَّا مُوسَى
وَلِيَّ عَهْدِي فَهَذَا أَوَانُ تَوَجُّهِهِ إِلَى خُرَاسَانَ وَحُلُولِهِ بِجُرْجَانَ . وَمَا
قَضَى اللَّهُ مِنَ الشُّخُوصِ إِلَيْهَا وَالْمَقَامِ فِيهَا خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ نَفْعَةً وَلَهُ
بِإِذْنِ اللَّهِ عَاقِبَةٌ مِنَ الْمَقَامِ . بِحَيْثُ يُغْمَرُ فِي لُحْجِ بُحُورِنَا وَمَدَافِعِ
سُيُوفِنَا وَمَجَامِعِ أَمْوَاجِنَا . فَيَتَصَاغَرُ عَظِيمُ فَضْلِهِ وَيَتَذَابُ مَشْرِقُ نُورِهِ
وَيَتَقَلَّلُ كَثِيرُ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْهُ . فَمَنْ يَصْحَبُهُ مِنَ الزُّرَرَاءِ وَيُخْتَارُهُ مِنَ
النَّاسِ . (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ اللَّيْثِ) : أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنَّ وَلِيَّ عَهْدِكَ أَضَحَّ
لِأَمَّتِكَ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِكَ عَامًا قَدْ ثَبَّتَتْ نَحْوَهُ أَعْنَاقَهَا وَمَدَّتْ نَمَّتَهُ أَبْصَارُهَا .

نَذِيرٌ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ . إِنَّهُ لَا بُدَّ لِيَّ عَهْدِي (وَوَيْلٌ عَهْدِي عَقِي
بَعْدِي) أَنْ يَقُودَ إِلَى خُرَاسَانَ الْبُعُوثُ وَتَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْجُنُودِ . أَمَّا
الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حِيلُهُ . ثُمَّ يُخْرِجُ نَشِيطًا إِلَيْهِمْ
حَقًّا عَلَيْهِمْ يُرِيدُ أَنْ لَا يَدَعَ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ الْفِتَنِ وَدَوَاعِي الْبِدْعِ
وَفُرْسَانَ الضَّلَالِ إِلَّا تَوَطَّاهُ بِحَرِّ الْقَتْلِ وَالْبَسَةِ قِنَاعِ الْقَهْرِ وَقَلْدُهُ
مَلُوقَ الذَّلِّ . وَلَا أَحَدًا مِنَ الَّذِينَ عَمَلُوا فِي قَبْصِ جَنَاحِ الْفِتْنَةِ وَإِخْمَادِ
نَارِ الْبِدْعَةِ وَنُصْرَةِ وَلَاةِ الْحَقِّ إِلَّا أَجْرَى عَلَيْهِمْ دِيمَ فَضْلِهِ وَجَدَّأَوَّلِ
نُصْلِهِ . فَإِذَا خَرَجَ مُزْمَعًا بِهِ مُجْمَعًا عَلَيْهِ لَمْ يَسِرْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَنْ
قَدْ عَمِلَتْ حِيلُهُ وَكَدَحَتْ كُتُبُهُ وَنَفَذَتْ مَكَايِدُهُ . فَهَذَاتُ نَافِرَةٌ
الْقُلُوبِ وَوَقَعَتْ طَائِرَةُ الْأَهْوَاءِ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْمُخْتَلِفُونَ بِالرِّضَا .
فَيَمِيلُ نَظْرًا لَهُمْ وَيَرَاهِمُ وَتَعَطَّفًا عَلَيْهِمْ إِلَى عَدُوٍّ قَدْ أَخَافَ سَيْلَهُمْ
وَقَطَعَ طَرِيقَهُمْ وَمَنَعَ حُجَّاجَهُمْ بَيْنَ اللَّهِ الْحَرَامِ وَسَلَبَ تِجَارَهُمْ رِزْقَ اللَّهِ
الْحَلَالِ . وَأَمَّا الْآخَرُ فَإِنَّهُ يُوجِّهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تُعْتَقَدُ لَهُ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِإِعْطَاءِ
مَا يَطْلُبُونَ وَبَذْلِ مَا يَسْأَلُونَ . فَإِذَا سَمَحَتِ الْفِرْقُ بِقَرَابَاتِهَا لَهُ وَجَنَحَ
أَهْلُ النَّوَاحِي بِأَعْنَاقِهِمْ نَحْوَهُ فَأَصْغَتْ إِلَيْهِ الْأَفْقِدَةُ وَاجْتَمَعَتْ لَهُ
الْكَلِمَةُ وَقَدِمَتْ عَلَيْهِ الْوُفُودُ قَصْدَ لِأَوَّلِ نَاحِيَةٍ بَجَعَتْ بِطَاعَتِهَا وَأَلْقَتْ
بِأَرْمَتِهَا فَأَلْبَسَهَا جَنَاحَ نِعْمَتِهِ وَأَنْزَلَهَا ظِلَّ كَرَامَتِهِ وَخَصَّهَا بِعَظِيمِ جَبَابَتِهِ .
ثُمَّ عَمَّ الْجَمَاعَةَ بِالْمَعْدَلَةِ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ فَلَا يَبْقَى فِيهِمْ نَاحِيَةٌ
دَانِيَةٌ وَلَا فِرْقَةٌ قَاصِيَةٌ إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَرَكَتُهُ . وَوَصَلَتْ إِلَيْهَا مَنَفَعَتُهُ .

رَأَى الْحَدِيثَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا كَرَأَى عَشْرَةَ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا. وَلَكِنْ أَيْنَ
تَرَكْتُمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ. (قَالُوا): لَمْ يَنْعُنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَيْبَةً جَدِيدَةً.
وَأَسِيحَ وَحْدِهِ. وَمِنْ الدِّينِ وَأَهْلِهِ. بِحَيْثُ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَذْنَى فَضْلِهِ.
وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَجَبَ عَنْ خَلْقِهِ وَسَتَرَ مِنْ دُونِ عِبَادِهِ عِلْمَ
مَا تَخْتَلِفُ بِهِ الْأَيَّامُ وَمَعْرِفَةَ مَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْمَقَادِيرُ مِنْ حَوَادِثِ الْأُمُورِ
وَرَيْبِ الْمُنُونِ الْمُخْتَرَمَةِ لِحَوَالِي الْقُرُونِ وَمَوَاضِي الْمُلُوكِ. فَكَرِهْنَا
شُسُوعَهُ عَنْ مَحَلَّةِ الْمُلْكِ وَدَارِ السُّلْطَانِ وَمَقَرِّ الْإِمَامَةِ وَالْوِلَايَةِ.
وَمَوْضِعِ الْمَدَانِ وَالْخَزَائِنِ وَمُسْتَقَرِّ الْجُنُودِ وَمَعْدِنِ الْجُودِ. وَجَمَعَ الْأَمْوَالَ
الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ قُطْبًا لِدَارِ الْمُلْكِ وَمَصِيدَةً لِمُلُوبِ النَّاسِ. وَمَثَابَةً لِإِخْوَانِ
الطَّمَعِ وَثَوَارِ الْفِتَنِ وَدَوَاعِي الْبِدْعِ وَفُرْسَانِ الضَّلَالِ وَأَبْنَاءِ الْمَوْتِ.
وَقُلْنَا: إِنْ وَجَّهَ الْمُهْدِيُّ وَلِيَّ عَهْدِهِ فَحَدَّثَ فِي جُيُوشِهِ وَجُنُودِهِ مَا قَدْ
حَدَّثَ بِجُنُودِ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يَسْتَطِعِ الْمُهْدِيُّ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بَغِيرِهِ إِلَّا
أَنْ يَنْهَدَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ. وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ وَهَوْلٌ شَدِيدٌ إِنْ تَنَفَّسَتْ
الْأَيَّامُ بِمَقَامِهِ. وَاسْتَدَارَتْ أَحَالَ بِإِمَامِهِ. حَتَّى يَقَعَ عِوَضٌ لَا يُسْتَفْنَى
عَنْهُ أَوْ يُحْدِثَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ. صَارَ مَا بَعْدَهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ هَوْلًا وَأَجَلُ
خَطَرًا لَهُ تَبَاعُوبُهُ مُتَّصِلًا. (قَالَ الْمُهْدِيُّ): الْخُطْبُ أَيْسَرُ مِمَّا تَذْهَبُونَ
إِلَيْهِ. وَعَلَى غَيْرِ مَا تَصِفُونَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ. نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ نَجْرِي مِنْ
أَسْبَابِ الْقَضَايَا وَمَوَاقِعِ الْأُمُورِ عَلَى سَابِقٍ مِنَ الْعِلْمِ وَنَحْشُومُ مِنَ
الْأَمْرِ. وَقَدْ تَنَاهَى ذَلِكَ بِاجْتِمَاعِهِ إِلَيْنَا وَتَكَامُلِ بِحَدَاثِهِ عِنْدَنَا. فِيهِ

الْحِكْمَةَ لِأَخْذِ الصِّدِّ بِالتَّزْيِيبِ . وَالْعَارِفَةَ لَوُجُوهِ النَّعْ . بِالتَّأْدِيبِ .
 فَالْحِلْمَ وَالْعِلْمَ وَالْعَزْمَ وَالْحَزْمَ وَالْجُودَ وَالْثَّوْدَةَ وَالرِّفْقَ ثَابِتٌ فِي
 صُدُورِكُمْ مَزْرُوعٌ فِي قُلُوبِكُمْ مُسْتَحْكَمٌ لَكُمْ مُتَكَامِلٌ عِنْدَكُمْ بِطَبَائِعِ
 لَا زِمَةٍ وَغَيْرِ نَابِتَةٍ . (قَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) : إِفْتَاءُ أَهْلِ بَيْتِكَ
 أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذَكَرَ . وَأَهْلُ خُرَّاسَانَ فِي حَالِ عِزٍّ عَلَى مَا
 وَصَفَ . وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى الْمُهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمِ الذِّكْرِ فِي
 الْجُنُودِ وَلَا بَنِيهِ الصَّوْتِ فِي الْحُرُوبِ . وَلَا بِطَوِيلِ التَّجَرِبَةِ لِلْأُمُورِ وَلَا
 بِمَعْرِفِ السِّيَاسَةِ لِلْجُيُوشِ وَالْهَيْبَةِ فِي الْأَعْدَاءِ . دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ
 عَظِيمَانِ وَخَطَرَانِ مُهْلَانِ . أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَغْتَمِرُونَ مِنْهُ
 وَيَحْتَرِقُونَ فِيهِ . وَيَحْتَرِثُونَ بِهَا عَلَيْهِ فِي التَّهْوِضِ بِهِ وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ وَالْخِلَافِ
 عَلَيْهِ . قَبْلَ مَا حِينَ الْأَخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ . وَالتَّكْشِفِ لِحَالِهِ وَالْعِلْمِ بِطَبَائِعِهِ .
 وَالْأَمْرِ الْآخِرُ أَنَّ الْجُنُودَ الَّتِي يَقُودُ وَالْجُنُودَ الَّتِي يَسُوسُ إِذَا لَمْ
 يَخْتَبِرُوا مِنْهُ الْبَأْسَ وَالنَّجْدَةَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصَّوْتِ وَالْهَيْبَةِ انْكَسَرَتْ
 شَجَاعَتُهُمْ وَمَاتَتْ نَجْدَتُهُمْ وَأَسْتَخَرَتْ طَاعَتُهُمْ إِلَى حِينِ اخْتِبَارِهِمْ
 وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ . وَرُبَّمَا وَقَعَ الْبَوَارُ . قَبْلَ الْأَخْتِبَارِ . وَبِبَابِ الْمُهْدِيِّ
 وَفَقَهُ اللَّهُ رَجُلٌ مَهِيبٌ نَبِيٌّ حَنِيفٌ صَبَّ لَهُ نَسَبٌ زَالٍ وَصَوْتُ عَالٍ .
 قَدْ قَادَ الْجُيُوشَ وَسَاسَ الْحُرُوبَ . وَتَأَلَّفَ أَهْلُ خُرَّاسَانَ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ
 بِالْمَقَةِ . وَوَثِقُوا بِهِ كُلَّ الثَّقَةِ . فَلَوْ وَلَّاهُ الْمُهْدِيُّ أَمْرَهُمْ لَكَفَّاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ
 (قَالَ الْمُهْدِيُّ) : جَانِبَتِ قَصْدَ الرِّمِيَّةِ وَابْنَتِ إِلَّا عَصِيَّةً . إِذْ

قَدْرِهِ وَسَمَاتُحُوا الْآخِرَةَ بِهَيْمَتِهِ . فَجَعَلَ الْفَرَضَ الْأَقْصَى لِعَيْنِهِ نَصَبًا
 وَالْفَرَضَ الْأَدْنَى لِقَدَمِهِ مَوْطِنًا . فَلَيْسَ يَقْبَلُ عَمَلًا . وَلَا يَتَعَدَّى أَمَلًا .
 وَهُوَ رَأْسُ مَوَالِيكَ . وَأَنْصَحُ بَنِي أَيْيِكَ . رَجُلٌ قَدْ غُذِيَ بِأَطِيفِ
 كَرَامَتِكَ . وَنَبَتَ فِي ظِلِّ دَوْلَتِكَ . وَنَشَأَ عَلَى قَوَائِمِ أَدَبِكَ . فَإِنْ
 قَلَدْتَهُ أَمْرُهُمْ وَحَمَلْتَهُ ثِقَلُهُمْ وَأَسْنَدْتَ إِلَيْهِ ثَغْرَهُمْ كَانَ فَقْلًا فَتَحَهُ أَمْرُكَ
 وَبَابًا أَغْلَقَهُ نَهْيُكَ . فَجَعَلَ الْعَدْلَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَمِيرًا وَالْإِنْصَافَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَهُمْ حَاكِمًا . وَإِذَا أَحْكَمَ الْمُنْصَفَةَ وَسَلَكَ الْمُعْدِلَةَ فَأَعْطَاهُمْ مَا لَهُمْ
 وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَا عَلَيْهِمْ غَرَسَ فِي الَّذِي لَكَ بَيْنَ صُدُورِهِمْ وَأَسْكَنَ
 لَكَ فِي السُّوَيْدَاءِ دَاخِلَ قُلُوبِهِمْ طَاعَةً رَاسِخَةً الْعُرُوقَ بَاسِغَةً الْفُرُوعَ
 مُتَمَاتِلَةً فِي حَوَاشِي عَوَامِهِمْ مُتَمَكِّنَةً فِي قُلُوبِ خَوَاصِهِمْ . فَلَا يَبْقَى
 فِيهِمْ رَيْبٌ إِلَّا قُوَّةٌ . وَلَا يَلْزِمُهُمْ حَقٌّ إِلَّا آدَوُهُ . وَهَذَا أَحَدُهُمَا .
 وَالْآخَرُ عَوْدٌ مِنْ غَيْضَتِكَ وَنَبْعَةٌ مِنْ أَرْوَمَتِكَ فَتِي السِّنِّ كَهْلُ الْحِلْمِ
 رَاجِعُ الْعَقْلِ مُحَمَّدُ الصَّرَامَةِ مَأْمُونُ الْخِلَافِ يُجْرِدُ فِيهِمْ سَيْفَهُ وَيَبْسُطُ
 عَلَيْهِمْ خَيْرَهُ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحْتُونَ وَعَلَى حَسَبِ مَا يَسْتَوْجِبُونَ . وَهُوَ فَلَانُ
 أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ فَسَلِّطْهُ أَعَزَّكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَجِّهْهُ بِالْجُيُوشِ إِلَيْهِمْ . وَلَا
 تَنْمُكْ ضَرَاعَهُ سِنِّهِ وَحَدَاثَةَ مَوْلِدِهِ فَإِنَّ الْحِلْمَ وَالثَنَةَ مَعَ الْحَدَاثَةِ خَيْرُ
 مِنَ الشَّكِّ وَالْجَهْلِ مَعَ الْكُھُولَةِ . وَإِنَّمَا أَحَدَانُكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ فِيمَا طَبَعَكُمْ
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَاخْتَصَّكُمْ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الْأَعْمَالِ وَمَحَاسِنِ
 الْأُمُورِ وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ وَصَرَامَةِ الْأَنْفُسِ كَفِرَاحِ عَنَاقِ الطَّيْرِ

(قَالَ الْمُهْدِيُّ): إِنِّي لَا رَجُو ذَٰلِكَ لِقَدِيمِ عَادَةِ اللَّهِ فِيهِ وَحُسْنِ
مَعُونَتِهِ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ أُحِبُّ الْمُوَافَقَةَ عَلَى الرَّأْيِ وَالْإِعْتِبَارَ لِلْمُشَاوَرَةِ فِي
الْأَمْرِ الْمُهْمِّ. (قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ اللَّيْثِ): أَهْلُ خُرَّاسَانَ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ قَوْمٌ
ذَوُو عِزَّةٍ وَمَنْعَةٍ وَشَيَاطِينُ خُدَعَةٍ. زُرُوعُ الْحِمَةِ فِيهِمْ نَابِتَةٌ. وَمَلَابِسُ
الْأَنْفَةِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَةٌ. فَالرُّؤْيَةُ عَنْهُمْ غَارِبَةٌ وَالْعَجَلَةُ عَنْهُمْ حَاضِرَةٌ.
تَسْبِقُ سَيُولُهُمْ مَطْرَهُمْ وَسَيُوفُهُمْ عَذْلُهُمْ. لِأَنَّهُمْ بَيْنَ سَفَلَةٍ لَا تَعْدُو
مَبْلَغَ عَقُولِهِمْ وَمَنْظَرِ عُيُونِهِمْ. (وَبَيْنَ) رُؤْسَاءٍ لَا يُجْمُونَ إِلَّا بِشِدَّةٍ وَلَا
يُفْطَمُونَ إِلَّا بِالْمَرِّ. وَإِنْ وَلَّى الْمُهْدِيُّ عَلَيْهِمْ وَضِعَاعًا لَمْ تَنْقُدْ لَهُ الْعُظَمَاءُ.
وَإِنْ وَلَّى أَمْرَهُمْ شَرِيفًا تَحَامَلَ عَلَى الضُّعْفَاءِ. وَإِنْ أَخَّرَ الْمُهْدِيُّ أَمْرَهُمْ
وَدَافَعَ حَرْبَهُمْ حَتَّى يُصِيبَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَشْمِهِ وَمَوَالِيهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ أَوْ
بَنِي أَبِيهِ نَاعِمًا يَتَّقُ عَلَيْهِ أَمْرَهُمْ وَثِقَةً تَجْتَمِعُ لَهُ أَمَلَاؤُهُمْ بِأَنَّ أَنْفَ
تَلْزَمَهُمْ وَلَا حِمَّةَ تَدْخُلُهُمْ وَلَا مُصِيبَةَ تُفَرِّهُمُ تَنْفَسَتِ الْأَيَّامُ بِهِمْ
وَتَرَاخَتْ أُلْحَالُ بِأَمْرِهِمْ. فَدَخَلَ بِذَلِكَ مِنَ الْفَسَادِ الْكَبِيرِ وَالضَّيَاعِ
الْعَظِيمِ مَا لَا يَتَلَفَّاهُ صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَإِنْ وَجِدَ. وَلَا يَسْتَصْلِحُهُ
وَإِنْ جَهِدَ. إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ وَشَرٍّ كَبِيرٍ. وَلَيْسَ الْمُهْدِيُّ وَفَّقَهُ اللَّهُ
فَاطْمَأَنَّا عَلَيْهِمْ. وَلَا قَارِعًا صَفَاتِهِمْ. بِمِثْلِ أَحَدٍ رَجُلَيْنِ لَا ثَالِثَ لُهُمَا وَلَا
عُدْلَ فِي ذَٰلِكَ بَيْنَهُمَا. أَحَدُهُمَا لِسَانٌ نَاطِقٌ مُوَصَّلٌ بِسَمْعِكَ وَيَدٌ مُمَثَّلَةٌ
لِعَيْنِكَ. وَصَخْرَةٌ لَا تُرْغَزُ وَبَهِيمَةٌ لَا تُتْنَى وَبَازِلٌ لَا يُفْرَعُهُ صَوْتُ
الْحُجْلِ. نَقِيُّ الْعَرِضِ زَيَّةُ النَّفْسِ جَلِيلُ الْخَطَرِ قَدْ اتَّضَعَتِ الدُّنْيَا عَنْ

دَالَةٌ مَحْمُولَةٌ وَمَا تَهُ مَقْبُولَةٌ وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَحُقُوقٌ وَاجِبَةٌ . لِأَنَّهُمْ
أَيَّدِي دَوْلَتِهِ وَسَيُوفُ دَعْوَتِهِ وَأَنْصَارُ حَقِّهِ وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ . فَلَيْسَ مِنْ
شَأْنِ الْمُهْدِيِّ الْأَضْطِفَانِ عَلَيْهِمُ وَلَا الْمُواخَذَةِ لَهُمْ وَلَا التَّوَعُّرِ بِهِمْ وَلَا
الْمُكَافَأَةِ بِإِسَاءَتِهِمْ . لِأَنَّ مُبَادَرَةَ حَسَمِ الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ
تَقْوَى وَمَحَاوَلَةٌ قَطْعِ الْأُصُولِ ضَائِلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ أَحْزَمُ فِي الرَّأْيِ
وَأَصَحُّ فِي التَّدْبِيرِ مِنَ التَّأْخِيرِ لَهَا وَالتَّهْلُؤُنِ بِهَا . حَتَّى يَأْتِيَهُمْ قَلِيلُهَا
بِكَثِيرِهَا وَتَجْتَمِعَ أَطْرَافُهَا فِي جُمْهُورِهَا . (قَالَ الْمُهْدِيُّ) : مَا زَالَ
هَارُونُ يَقَعُ وَقَعُ الْحَيَا حَتَّى خَرَجَ خُرُوجَ الْقَدَحِ مِنَ الْمَاءِ . قَالَ وَأَنْسَلَ
أَنْسِلَالَ السَّيْفِ فِيمَا أَدْعَى فَدَعَا مَا سَبَقَ مُوسَى فِيهِ أَنَّهُ هُوَ الرَّأْيُ .
وَوَثَّنِي بَعْدَهُ هَارُونُ وَلَكِنْ مِنْ لَأَعْنَةِ الْحَيْلِ وَسِيَاسَةِ الْحَرْبِ وَقَادَةِ
النَّاسِ إِنْ أَمَعَنَ بِهِمُ الْجَلَّاجُ وَأَفْرَطَتْ بِهِمُ الدَّالَّةُ . (قَالَ صَالِحٌ) :
لَسْنَا نَبْلُغُ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ بَدَوَامِ التَّجَتِّ وَطُولِ الْفِكْرِ أَذْنَى فِرَاسَةٍ رَأَيْكَ
وَبَعْضَ لَحْظَاتِ نَظَرِكَ . وَائِسَ يَنْقُصُ عَنْكَ مِنْ يُؤْتَاتِ الْعَرَبَ
وَرِجَالَاتِ الْعَجَمِ ذُو دِينَ فَاضِلٍ وَرَأْيِ كَامِلٍ وَتَدْبِيرِ قَوِيٍّ . يُقَلِّدُهُ
حَرْبَكَ وَتَسْتَوْدِعُهُ جُنْدَكَ . مِمَّنْ يَحْتَمِلُ الْأَمَانَةَ الْعَظِيمَةَ وَيَضْطَلِعُ
بِالْأَعْيَاءِ الثَّقِيلَةِ . وَأَنْتَ بِمَحْمَدِ اللَّهِ مَيُّونُ النَّصِيْبَةِ مُبَارَكُ الْعَزِيمَةِ مُخْبِرُ
التَّجَارِبِ مُحْمَدُ الْعَوَاقِبِ مَنْصُومُ الْعَزْمِ . فَلَيْسَ يَقَعُ اخْتِيَارُكَ وَلَا
يَقِفُ نَظَرُكَ عَلَى أَحَدٍ تَوَلَّيْهِ أَمْرَكَ وَتُسْنِدُ إِلَيْهِ ثِقْلَكَ إِلَّا أَرَاكَ اللَّهُ
مَاتِحِبُّ وَجَمَعَ لَكَ مِنْهُ مَا تَرِيدُ

الْقَلْبُ اللِّسَانُ فَأَنْطَوَى الْقَلْبُ عَلَى مَحْجُوبَةٍ تُبْطِنُ . وَأَسْتَسِرَّ بِمَدْخُولَةٍ
لَا تُعْلَنُ . وَالطَّيِّبُ الرَّفِيقُ يَطِيبُهِ الْبَصِيرُ بِأَمْرِهِ الْعَالِمُ بِمُقَدَّمِ يَدِهِ
وَمَوْضِعِ مَيْسَرِهِ لَا يَتَعَجَّلُ بِالْإِدْوَاءِ حَتَّى يَمُتَّعَ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّاءِ . فَالرَّأْيُ
لِلْمُهْدِيِّ وَقَعَهُ اللَّهُ أَنْ يَفِرَّ بَاطِنُ أَمْرِهِمْ فَرَّ الْمُسْنَةِ . وَيَخْضُ ظَاهِرُ
حَالِهِمْ فَخَضَ السَّقَاءُ بِمُتَابَعَةِ الْكُتُبِ وَمُظَاهَرَةِ الرُّسُلِ وَمُوَالَاةِ الْعُيُونِ
حَتَّى تَهْتِكَ حُجُبَ عُيُونِهِمْ وَتَكْشِفَ أَغْطِيَةَ أُمُورِهِمْ . فَإِنْ أَنْفَرَجَتْ
الْحَالُ وَأَفْضَتْ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَغْيِيرِ حَالٍ أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ اشْتَمَلَتْ
الْأَهْوَاءُ عَلَيْهِ وَأَنْقَادَ الرِّجَالِ إِلَيْهِ . وَأَمْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ لِحُوهِ بَدِينِ
يَعْتَقِدُونَهُ وَإِثْمٍ يَسْتَحْلُونَهُ عَصَبُهُمْ بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا وَرَمَاهُمْ بِعُقُوبَةٍ
لَا عَفْوَ مَعَهَا . وَإِنْ أَنْفَرَجَتْ الْعُيُونُ وَاهْتَصَرَتْ السُّتُورُ وَرُفِعَتْ
الْحُجُبُ وَالْحَالُ فِيهِمْ مَرِيئَةٌ وَالْأُمُورُ فِيهِمْ مُعْتَدِلَةٌ فِي أَرْزَاقٍ يَطْلُبُونَهَا
وَأَعْمَالٍ يُنْكِرُونَهَا وَظُلَامَاتٍ يَدْعُونَهَا وَحُقُوقٍ يَسْأَلُونَهَا بِمَاتَةٍ
سَابِقَتِهِمْ وَدَالَةٍ مُنَاصَحَتِهِمْ فَالرَّأْيُ لِلْمُهْدِيِّ وَقَعَهُ اللَّهُ أَنْ يَتَسَّعَ لَهُمْ
بِمَا طَلَبُوا وَيَتَجَانَفَى لَهُمْ عَمَّا كَرِهُوا وَيُشْعَبَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا صَدَعُوا
وَيَذُوقَ مِنْ فَتَقِهِمْ مَا قَطَعُوا . وَيُؤَيِّلِي عَلَيْهِمْ مَنْ أَحْبَبُوا وَيُدَاوِي بِذَلِكَ
مَرَضَ قُلُوبِهِمْ وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ . فَإِنَّمَا الْمُهْدِيُّ وَأُمَّتُهُ وَسَوَادُ أَهْلِ
تَمَلُّكِهِ بِمَنْزِلَةِ الطَّيِّبِ الرَّفِيقِ وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ وَالرَّاعِي الْجَرِبِ الَّذِي
يَحْتَاطُ لِمَرَايِضِ غَنَمِهِ وَضَوَالِ رِعْيَتِهِ حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا .
وَيَرْدُّ الصَّحِيحَةَ إِلَى الْأَنْسِ جَمَاعَتِهَا . ثُمَّ إِنَّ خُرَاسَانَ بِخَاصَّةِ الدِّينِ لَهُمْ

الْخَوْفَ مُفْرَدًا وَالشَّرَّ مُجَرَّدًا لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ وَلَا لَيْسَ يَنْتَبِهَ أَشَدَّتْ
الْأُمُورُ بِهِمْ وَأَنْقَطَعَتْ الْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدٍ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمْ
الْحِمِيَّةُ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْأَنَفَةُ مِنَ الذَّلَّةِ وَالْإِمْتِعَاضُ مِنَ الْقَهْرِ فَيَدْعُوهُمْ
ذَلِكَ إِلَى التَّمَادِي فِي الْخِلَافِ وَالْإِسْتِيسَالِ فِي الْقِتَالِ وَالْإِسْتِيسْلَامِ
لِلْمَوْتِ. وَإِمَّا أَنْ يَنْقَادُوا بِالْكَرْهِ وَيَذْعِنُوا بِالْقَهْرِ عَلَى بَغْضَةٍ لَازِمَةٍ
وَعَدَاوَةٍ بَاقِيَةٍ تُورِثُ النِّفَاقَ وَتُعَقِبُ الشَّقَاقَ. فَإِذَا امْتَكَنَتْهُمْ فُرْصَةٌ
أَوْ ثَابَتْ لَهُمْ قُدْرَةٌ أَوْ قَوِيَتْ لَهُمْ حَالٌ عَادَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَصْعَبٍ وَأَغْلَظَ
وَأَشَدِّ مِمَّا كَانَ. (وَقَالَ) فِي قَوْلِ أَبِي الْفَضْلِ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ أَكْفَى
دَلِيلٍ وَأَوْضَحَ بُرْهَانٍ وَأَبِينُ خَبَرٍ. بَأَنَّ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيُهُ وَحَزَمَ نَظْرُهُ عَلَى
الْإِرْشَادِ بِعِثَةِ الْجُيُوشِ إِلَيْهِمْ وَتَوَجُّهِهِ الْبُعُوثِ نَحْوَهُمْ مَعَ إِعْطَائِهِمْ
مَا سَأَلُوا مِنْ الْحَقِّ وَإِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْعَدْلِ. (قَالَ الْمُهْدِيُّ):
ذَلِكَ رَأْيِي. (قَالَ هَارُونُ): خَاطَبَتِ الشَّدَّةُ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ بِاللَّيْنِ.
وَأَنْتَظِمُ أَمْرُ الدُّنْيَا بِاللَّيْنِ. فَصَارَتِ الشَّدَّةُ أَمْرَ فِطَامٍ بِمَا تَكْرَدُ وَعَادَ
اللَّيْنُ أَهْدَى قَائِدٍ إِلَى مَا يُحِبُّ. وَلَكِنْ أَرَى غَيْرَ ذَلِكَ. (قَالَ الْمُهْدِيُّ):
لَقَدْ قُلْتَ قَوْلًا بَدِيعًا. وَخَالَفْتَ بِهِ أَهْلَ بَيْتِكَ جَمِيعًا. وَالْمَرْءُ مُؤَمَّنٌ
بِمَا قَالَ وَظَنِينَ بِمَا ادَّعَى حَتَّى يَأْتِيَ بَبِينَةٍ عَادِلَةٍ وَحُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ فَأَخْرَجَ عَمَّا
قُلْتَ. (قَالَ هَارُونُ): أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ وَالْأَعَاجِمَ
قَوْمٌ مَكْرَةٌ. وَرُبَّمَا اعْتَدَلَتِ الْحَالُ بِهِمْ وَاتَّفَقَتِ الْأَهْوَاءُ مِنْهُمْ. فَكَانَ
بَاطِنُ مَا يُسِرُّونَ عَلَى ظَاهِرِ مَا يُعْلِنُونَ. وَرُبَّمَا افْتَرَقَتِ الْحَالَانِ وَخَالَفَ

الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ: أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ أَمَّا الْوَلَايُ فَآخِذُوا بِفُرُوعِ الرَّأْيِ
وَسَلِّكُوا جَنَابَاتِ الصَّوَابِ وَتَعَدُّوا أُمُورًا قَصَرَ بِنَظَرِهِمْ عَنْهَا أَنَّهُ لَمْ
تَأْتِ تِجَارِبُهُمْ عَلَيْهَا. (وَأَمَّا الْفَضْلُ) فَأَشَارَ بِالْأَمْوَالِ أَنَّ لَا تُثَقِّقَ
وَالْجُنُودِ أَنَّ لَا تُفَرِّقَ. وَيَبَانَ لَا يُعْطَى الْقَوْمُ مَا طَلَبُوا وَلَا يُنْذَلُ لَهُمْ
مَا سَأَلُوا. وَجَاءَ بِأَمْرِ بَيْنَ ذَلِكَ اسْتِصْغَارًا لِأَمْرِهِمْ وَاسْتِهَانَةً بِحَرْبِهِمْ
وَأِنَّمَا يَهَيِّجُ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ صِغَارُهَا. (أَمَّا عَلِيٌّ) فَأَشَارَ بِاللَّيْنِ وَأَفْرَدَ
الرِّفْقَ وَإِذَا جَرَّدَ الْوَلَايَ لِمَنْ غَمَطَ أَمْرُهُ وَسَفِهَ حَقَّهُ اللَّيْنُ بَحْتًا وَالْخَيْرُ
مُخَضًّا لَمْ يَخْطِطْهُمَا بِشِدَّةٍ تَعَطُّفُ الْقُلُوبِ عَلَى لِينِهِ وَلَا بِشَرٍّ يَجْبِسُهُمْ
إِلَى خَيْرِهِ. فَقَدْ مَلَكَهُمْ الْخَلْعُ لِعِذْرِهِمْ وَوَسَّعَ لَهُمُ الْفُرْجَةَ لِثَنِي أَعْنَاقِهِمْ.
فَإِنْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ وَقَبِلُوا لِينَهُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ اضْطَرُّهُمْ وَلَا شِدَّةٍ
وَزَوْقَةٍ فِي رُؤُوسِهِمْ يَسْتَدْعُونَ بِهَا الْبَلَاءَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَسْتَصْرِخُونَ
بِهَا رَأْيَ الْمُهْدِيِّ فِيهِمْ. وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ وَيُسْرِعُوا لِإِجَابَتِهِ
بِاللَّيْنِ الْخَفِضِ وَالْخَيْرِ الصَّرَاحِ فَذَلِكَ مَا عَلَيْهِ الظَّنُّ بِهِمْ وَالرَّأْيُ فِيهِمْ
وَمَا قَدْ يُشَبِّهُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مِثْلِهِمْ. لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَجَعَلَ
فِيهَا مِنَ التَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالْمَلِكِ الْكَبِيرِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ وَلَا
تُدْرِكُهُ الْفَكْرُ وَلَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا وَرَغَّبَهُمْ فِيهَا. فَلَوْلَا
أَنَّهُ خَلَقَ نَارًا جَعَلَهَا لَهُمْ رَحْمَةً يَسُوقُهُمْ بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ لَمَا أَجَابُوا وَلَا قَبِلُوا.
(وَأَمَّا مُوسَى) فَأَشَارَ بِأَنْ يُعْصِبُوا بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا وَأَنْ يُرْمَوْا بِشَرٍّ
لَا خَيْرَ مَعَهُ. وَإِذَا أَضْمَرَ الْوَلَايَ لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ

وَتَلَّاحَقَ مَا دَتَهُمْ وَتَسْتَفْجِلَ حَرْبَهُمْ وَتَسْتَمِرَّ الْأُمُورُ بِهِمْ . وَالْمُهْدِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي حَالِ غَرَّةٍ وَلِبَاسِ أَمْنَةٍ قَدْ فُتِرَ لَهَا وَأَنَسَ بِهَا وَسَكَنَ إِلَيْهَا . وَلَوْلَا مَا أَجْتَمَعَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَبَرَدَتْ عَلَيْهِ جُلُودُهُمْ مِنَ الْمُنَاصَبَةِ بِالْقِتَالِ وَالْإِضْمَارِ لِلْقِرَاعِ عَنْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ أَوْ شَيْطَانِ فُسَادٍ لَرَهَبُوا عَوَاقِبَ أَخْبَارِ الْوَلَاةِ وَغَبَّ سُكُونُ الْأُمُورِ فَلْيَشْدُدِ الْمُهْدِيُّ وَفَقَّهُ اللَّهُ أَرْزَهُ لَهُمْ وَيَكْتُبْ كِتَابَهُ نَحْوَهُمْ وَلِيَضَعِ الْأَمْرَ عَلَى أَشَدِّ مَا يَحْضُرُهُ فِيهِمْ . وَلِيُوقِنَ أَنَّهُ لَا يُعْطِيهِمْ خُطَّةً يُدِي بِهَا صَالِحَهُمْ إِلَّا كَانَتْ دَرَبَةً إِلَى فُسَادِهِمْ وَقُوَّةً عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ وَدَاعِيَةً إِلَى عَوْدَتِهِمْ وَسَبَبًا لِفُسَادِ مَنْ يَحْضُرَتِهِ مِنَ الْجُنُودِ . وَمَنْ يَبَايَهُ مِنَ الْوُفُودِ . الَّذِينَ إِنْ أَقَرَّهُمْ وَتَوَكَّلَ الْعَادَةُ وَأَجْرَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْأَرْبِ . لَمْ يَبْرَحْ فِي فَتْقٍ حَادِثٍ وَخِلَافٍ حَاضِرٍ لَا يَضِلُّ عَلَيْهِ دِينٌ وَلَا تَسْتَقِيمُ بِهِ دُنْيَا . وَإِنْ طَلَبَ تَغْيِيرَهُ بَغَيْرِ اسْتِحْكَامِ الْعَادَةِ وَاسْتِمْرَارِ الدَّرَبَةِ لَمْ يَصِلْ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِالْعُقُوبَةِ الْمَفْرُطَةِ وَالْمَوْتَةِ الشَّدِيدَةِ . وَالرَّأْيُ لِلْمُهْدِيِّ وَفَقَّهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يُقِيلُ عَثَرَتَهُمْ وَلَا يَقْبَلُ مَعْذَرَتَهُمْ حَتَّى تَطَّاهُمُ الْجُيُوشُ وَتَأْخُذَهُمُ السُّيُوفُ . وَيَسْتَحْرِ بِهِمُ الْقَتْلُ وَيُخْدِقَ بِهِمُ الْمَوْتُ . وَيُحِيطَ بِهِمُ الْبَلَاءُ وَيُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الذُّلُّ . فَإِنْ فَعَلَ الْمُهْدِيُّ بِهِمْ ذَلِكَ كَانَ مَقْطَعَةً لِكُلِّ عَادَةٍ سَوْءٍ فِيهِمْ . وَهَزِيمَةً لِكُلِّ عَادَةٍ سَوْءٍ فِيهِمْ . وَاحْتِمَالُ الْمُهْدِيِّ فِي مَوْتِهِ غَزَوَتِهِمْ هَذِهِ تَضَعُ عَنْهُ غَزَوَاتٍ كَثِيرَةً وَنَفَقَاتٍ عَظِيمَةً (قَالَ الْمُهْدِيُّ) : قَدْ قَالَ الْقَوْمُ فَأَحْكُمُ يَا أَبَا الْفَضْلِ . (فَقَالَ

الْعَرَبُ أَنَّهُ أَعْظَمُ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ عَفْوًا وَأَشَدَّهُمْ وَقَعًا وَأَصْدَقُهُمْ صَوْلَةً.
 وَأَنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ عَفْوٌ وَلَا يَتَسَكَّأُ دُهُ صَفْحٌ وَإِنْ عَظُمَ الذَّنْبُ وَجَلَّ
 الْخَطْبُ. فَالرَّأْيُ لِلْمُهْدِيِّ وَفَقَّهَهُ اللَّهُ أَنْ يُجَلِّلَ عَقْدَهُمُ الْغَيْظَ بِالرَّجَاءِ لِحُسْنِ
 ثَوَابِ اللَّهِ فِي الْعَفْوِ عَنْهُمْ. وَأَنْ يَذْكُرَ أَوْلَى حَالَاتِهِمْ وَضِيعَةَ عِيَالِهِمْ
 بِرَأْيِهِمْ وَتَوْسَعًا لَهُمْ. فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُ دَوْلَتِهِ وَأَرْكَانُ دَعْوَتِهِ وَأَسَاسُ حَقِّهِ
 الَّذِينَ بَغَزَّتْهُمْ يَصُولُ وَبَحَّجَّتْهُمْ يَقُولُ. وَإِنَّمَا مَثَلُهُمْ فِيمَا دَخَلُوا فِيهِ مِنْ
 مَسَاطِطِهِ وَتَعَرَّضُوا لَهُ مِنْ مَعَاصِيهِ وَأَنْطَوُوا فِيهِ عَنْ إِجَابَتِهِ. وَمَثَلُهُ فِي
 قَلَّةِ مَا غَيَّرَ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِهِ فِيهِمْ أَوْ نُقِلَ عَنْ حَالِهِ لَهُمْ أَوْ تَغَيَّرَ مِنْ نِعْمَتِهِ
 بِهِمْ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ أَخَوَيْنِ مُتَنَاصِرَيْنِ مُتَوَازِرَيْنِ أَصَابَ أَحَدَهُمَا خَبَلٌ
 عَارِضٌ وَلَهُوَ حَادِثٌ فَنَهَضَ إِلَى أَخِيهِ بِالْأَذَى وَتَحَامَلَ عَلَيْهِ بِالسُّكْرَةِ.
 فَلَمْ يَزِدْ أَخُوهُ إِلَّا رِقَّةً لَهُ وَلُطْفًا بِهِ وَاحْتِيَالًا لِمُدَاوَاةِ مَرَضِهِ وَمُرَاجَعَةِ
 حَالِهِ عَطْفًا عَلَيْهِ وَبِرًّا بِهِ وَمَرْحَمَةً لَهُ. (فَقَالَ الْمُهْدِيُّ:) أَمَا عَلَيَّ فَقَدْ
 كَوَى سَمْتَ الْإِيَانِ. وَفَضَّ الْقُلُوبَ فِي أَهْلِ خُرَاسَانَ. وَلِكُلِّ نَفْسٍ
 مُسْتَمْتِرَةٍ. فَقَالَ: مَا تَرَى يَا أَبَا مُحَمَّدٍ (يَعْنِي مُوسَى أَبْنَهُ). (فَقَالَ مُوسَى:)
 أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ لَا تَسْكُنْ إِلَى حُلَاوَةِ مَا يَجْرِي مِنَ الْقَوْلِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ
 وَأَنْتَ تَرَى الدَّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ خَلَلِ فِعْلِهِمْ. أَتَحَالُ مِنَ الْقَوْمِ يُنَادِي
 بِمُضْمِرَةِ شَرٍّ وَخُفْيَةِ حَقْدٍ. قَدْ جَعَلُوا الْمَعَاذِيرَ عَلَيْهَا سِتْرًا وَاتَّخَذُوا الْعِلَلَ
 مِنْ دُونِهَا حِجَابًا. رَجَاءً أَنْ يُدَافِعُوا الْأَيَّامَ بِالتَّأْخِيرِ وَالْأُمُورَ بِالتَّطْوِيلِ
 فَيَكْسِرُوا حِيلَ الْمُهْدِيِّ فِيهِمْ وَيُفْنُوا جُنُودَهُ عَنْهُمْ. حَتَّى يَتَلَحَّمَ أَمْرُهُمْ

النَّاسُ مَحْمَلٌ ذَلِكَ عَلَى طَبِيعَةِ جُودِكَ وَسَخِيَّةِ حِلْمِكَ وَإِسْجَاحِ خَلِيقَتِكَ
وَمَعْدَلَةِ نَظَرِكَ . فَأَمِنتُ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى ضَعْفٍ وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِيمَا بَقِيَ
دُرْبَةً . وَإِنْ مَنَعْتَهُمْ مَا طَلَبُوا وَلَمْ تُجِبْهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا أَعْدَلْتُ بِكَ وَبِهِمْ
الْحَالُ وَسَاوَيْتَهُمْ فِي مِيدَانِ الْخُطَابِ فَمَا أَرَبُ الْمُهْدِي أَنْ يَعْمَدَ إِلَى طَائِفَةٍ
مِنْ رَعِيَّتِهِ مُقَرَّرِينَ بِمَمْلَكَتِهِ مُذْغَبِينَ بِطَاعَتِهِ لَا يُخْرِجُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ
قُدْرَتِهِ فِيمَا لَكُمْ أَنْفُسُهُمْ وَيَحْلَعُ نَفْسَهُ عَنْهُمْ وَيَقِفُ عَلَى الْحِيلِ
مَعَهُمْ . ثُمَّ يُجَازِيهِمُ السُّوءُ فِي حَدِّ الْمُقَارَعَةِ وَمُضْمَارِ الْخُاطَرَةِ . أُرِيدُ
الْمُهْدِي وَقَمَّةُ اللَّهِ الْأَمْوَالُ فَاعْمَرِي لَا يَنَالُهَا وَلَا يَفْظُرُ بِهَا إِلَّا بِإِنْفَاقٍ
أَكْثَرَ مِنْهَا مِمَّا يُطَالَبُ مِنْهُمْ وَإِضْعَافٍ مَا يَدَّعِي قِبَالَهُمْ . وَلَوْ نَالَهَا فَحُمِلَتْ
إِلَيْهِ أَوْ وُضِعَتْ بِخَرَايِطِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ تَجَافَى لَهُمْ عَنْهَا وَطَالَ عَلَيْهِمْ
بِهَا لَكَانَ مِمَّا إِلَيْهِ يُنْسَبُ بِهِ يُعْرَفُ مِنَ الْجُودِ الَّذِي طَبَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِهِ وَنَهْمَةَ نَفْسِهِ فِيهِ . فَإِنْ قَالَ الْمُهْدِي : هَذَا رَأْيِي
مُسْتَقِيمٌ سَدِيدٌ فِي أَهْلِ الْخَرَاجِ الَّذِينَ شَكُّوا ظَنًّا عَمَّا لَنَا وَتَحَامَلُوا وَلَا تَنَالُوا
فَأَمَّا الْجُنُودُ الَّذِينَ نَقَضُوا مَوَاقِفَ الْعُهُودِ وَأَنْطَقُوا لِسَانَ الْإِرْجَافِ
وَفَتَحُوا بَابَ الْمُصِيبَةِ وَكَسَرُوا قَيْدَ الْفِتْنَةِ فَقَدْ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ أَجْعَلَهُمْ
نَكَالًا لِنُغْيِرَهُمْ وَعِظَةً لِسَوَاهِهِمْ . فَلْيَعْلَمْ الْمُهْدِي أَنَّهُ لَوْ أَتَى بِهِمْ
مَغْلُولِينَ فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّرِينَ فِي الْأَصْفَادِ . ثُمَّ أَسْعَى لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ عَفْوُهُ .
وَلَا قَالَةَ عَثَرَتِهِمْ صَفْحُهُ . وَاسْتَبْقَاهُمْ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ جِزْبِهِ أَوْ لِمَنْ يَازَانُهُمْ
مِنْ عَدُوِّهِ لِمَا كَانَ بِدَعَا مِنْ رَأْيِهِ وَلَا مُسْتَكْرَأَمِنْ نَظَرِهِ . لَقَدْ عَلِمْتَ

الْعُقُولَ وَالْأَرْءَاءَ. وَيَسْتَمِيلُ الْأَهْوَاءَ. وَيَسْتَدْعِي الْمَوَاتَاةَ أَنْفَذَ مِنْ الْقِتَالِ
 بِظُبَاتِ السُّيُوفِ وَأَسِنَّةِ الرِّمَاحِ. كَمَا أَنَّ الْوَالِيَّ الَّذِي يَسْتَنْزِلُ طَاعَةً
 رَعِيَّتِهِ بِالْحَيْلِ وَيُنْفِقُ كَلِمَةَ عَدُوِّهِ بِالْمُسْكَايَةِ أَحْكَمُ عَمَلًا وَالْأَطْفُ
 مَنْظَرًا وَأَحْسَنُ سِيَاسَةً مِنَ الَّذِي لَا يَنَالُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْقِتَالِ وَالْإِتْلَافِ
 لِلْأَمْوَالِ وَالتَّغْرِيبِ وَالْخِطَارِ. وَلَيَعْلَمُ الْمُهْدِيُّ أَنَّهُ إِنْ وَجَّهَ لِقَاتِهِمْ رَجُلًا
 لَمْ يَسِرْ لِقَاتِهِمْ إِلَّا بِجُنُودٍ كَثِيفَةٍ تَخْرُجُ عَنْ حَالٍ شَدِيدَةٍ وَتَقْدِمُ عَلَى
 أَسْفَارِ ضِمَّةٍ وَأَمْوَالٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَقُودٍ غَشِشَةٍ إِنْ أَتَتْهُمْ اسْتَفْدُوا مَالَهُ
 وَإِنْ اسْتَصَحَّحَهُمْ كَانُوا عَلَيْهِ لَالَةً. (قَالَ الْمُهْدِيُّ) : هَذَا رَأْيِي قَدْ أَسْفَرَ
 نُورُهُ وَأَبْرَقَ ضَوْؤُهُ وَتَمَثَّلَ صَوَابُهُ لِلْعُيُونِ وَجَدَّ حَقُّهُ فِي الْقُلُوبِ.
 وَلَكِنْ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ عَلِيٍّ. فَقَالَ : مَا تَقُولُ.
 (قَالَ عَلِيٌّ) : أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنْ أَهْلَ خُرَاسَانَ لَمْ يَقْلَعُوا عَنْ طَاعَتِكَ وَلَمْ
 يَنْصَبُوا مِنْ دُونِكَ أَحَدًا يَقْدَحُ فِي تَقْيِيرِ مُلْكِكَ وَيُرِيضُ الْأُمُورَ
 لِقِسَادِ دَوَانِكَ. وَلَوْ فَعَلُوا لَكَانَ الْخُطْبُ أَيْسَرَ وَالشَّانُ أَضْفَرَ.
 وَالْحَالُ أَدَلُّ لَأَنَّ اللَّهَ مَعَ حَقِّهِ الَّذِي لَا يُخْذَلُهُ وَعِنْدَ مَوْعِدِهِ الَّذِي لَا
 يُخْلَفُهُ. وَإِكْنَهُمْ قَوْمٌ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَطَائِفَةٌ مِنْ شِيعَتِكَ الَّذِينَ جَعَلَكَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَآلِيًا. وَجَعَلَ الْعَدْلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حَاسِمًا. طَلَبُوا حَقًّا
 وَسَأَلُوا أَنْصَافًا. فَإِنْ أَجَبْتَ إِلَى دَعْوَتِهِمْ وَنَفَسْتَ عَنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتْلَاحَمَ
 مِنْهُمْ حَالٌ أَوْ يَخْدُثَ مِنْ عِنْدِهِمْ فَتَقُ أَطْعَمَ أَمْرَ الرَّبِّ. وَأَطْفَأَتِ
 نَارَ الْحَرْبِ. وَوَقَرَتِ خَزَائِنُ الْمَالِ. وَطَرَحَتِ تَغْرِيبَ الْقِتَالِ. وَحَمَلَ

وَلِيَّ الْأُمُورِ وَسَائِسِ الْحُرُوبِ رُبَّمَا تَحْيَ جُنُودَهُ وَفَرَّقَ أَمْوَالَهُ فِي غَيْرِ
مَا ضَيَّقَ أَمْرَ حَرْبِهِ وَلَا ضَغْطَةَ حَالِ اضْطَرَّتْهُ فَيَقْعُدَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا
وَبَعْدَ التَّفَرُّقَةِ لَهَا عَدِيمًا مِنْهَا فَاقْدًا لَهَا لَا يَثِقُ بِقُوَّةٍ وَلَا يَصُولُ بَعْدَهُ
وَلَا يَفْزَعُ إِلَى ثِقَةٍ . فَالْأَيُّ لَكَ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ وَقَفَّكَ اللَّهُ أَنْ تُعْفَى
خَزَائِنُكَ مِنَ الْإِنْفَاقِ لِلْأَمْوَالِ وَجُنُودِكَ مِنْ مُسْكَابَةِ الْأَسْفَارِ
وَمُقَارَعَةِ الْخُطَارِ وَتَغْيِيرِ الْقِتَالِ . وَلَا تُسْرِعِ لِلْقَوْمِ فِي الْإِجَابَةِ إِلَى مَا
يَطْلُبُونَ وَالْعَطَاءِ لِمَا يَسْأَلُونَ فَيَفْسُدَ عَلَيْكَ أَدْبَهُمْ وَتَجْرَى مِنْ رَعِيَّتِكَ
غَيْرُهُمْ . وَلَكِنْ أَغْزِهِمْ بِالْحِيلَةِ وَقَاتِلَهُمْ بِالْمَكِيدَةِ وَصَارِعْهُمْ بِاللَّيْنِ
وَحَايِلَهُمْ بِالرَّفْقِ . وَأَبْرِقْ لَهُمْ بِالْقَوْلِ وَأَرْعِدْ نَحْوَهُمْ بِالْفِعْلِ . وَأَبْعَثْ
الْبُعُوثَ وَجَنِّدِ الْجُنُودَ وَكُتِبَ الْكُتَابُ وَاعْقِدِ الْأَلُويَةَ وَأَنْصِبِ
الرَّايَاتِ . وَأَظْهِرْ أَنَّكَ مُوجِّهٌ إِلَيْهِمْ الْجُيُوشَ مَعَ أَخَقِ قَوَادِكَ عَلَيْهِمْ
وَأَسْوَنِهِمْ أَثَرًا فِيهِمْ . ثُمَّ ادْخُسِ الرُّسُلَ وَأَبْلُثِ الْكُتُبَ وَضَعْ بَعْضَهُمْ
عَلَى طَمَعٍ مِنْ وَعْدِكَ وَبَعْضًا عَلَى خَوْفٍ مِنْ وَعْدِكَ . وَأَوْقِدْ بِذَلِكَ
وَأَشْبَاهَهُ نِيرَانَ التَّحَاسُدِ فِيهِمْ وَأَغْرِسْ أَشْجَارَ التَّنَافُسِ بَيْنَهُمْ . حَتَّى
تَمَلَّأَ الْقُلُوبُ مِنَ الْوَحْشَةِ وَتَنْطَوِي الصُّدُورُ عَلَى الْبَغْضَةِ وَيَدْخُلَ
كُلًّا مِنْ كُلِّ الْحَذَرِ وَالْهَيْبَةِ . فَإِنَّ مَرَامَ الظَّفَرِ بِالْعِيْلَةِ . وَالْقِتَالِ بِالْحِيلَةِ .
وَالْمُنَازَعَةِ بِالْكُتُبِ وَالْمُسْكَابَةِ بِالرُّسُلِ وَالْمُقَارَعَةَ بِالْكَلَامِ اللَّطِيفِ
الْمَدْخُلِ فِي الْقُلُوبِ الْقَوِيِّ الْمَوْقِعِ مِنَ النُّفُوسِ الْمَعْقُودِ بِالْحُجَجِ
الْمَوْصُولِ بِالْحَيْلِ الْمُنْبِيِّ عَلَى اللَّيْنِ الَّذِي يَسْتَمِيلُ الْقُلُوبَ وَيَسْتَرْقِ

التَّحْدِيدِ وَلِبَابِ الصَّوَابِ رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ وَقَلْبُهُ تَذْبِيرُكَ فَلَيْسَ
 وَرَاءَهُ مَذْهَبُ طَاعِنٍ وَلَا دُونُهُ مَعْلَقُ لِحْصُومَةِ عَائِبٍ . ثُمَّ أَجَبَتْ الْبُرْدُ
 بِهِ وَأَنْطَوَتْ الرُّسُلُ عَلَيْهِ كَانِ بِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ . وَقَدْ
 حَدَّثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ . فَالَسِّرُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرُّسُلُ وَتَرَدَّ عَلَيْكَ
 الْكُتُبُ بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ .
 فَتُحْدِثُ رَأْيًا غَيْرَهُ وَتَبْتَدِعُ تَذْبِيرًا سِوَاهُ . قَدْ أَنْفَرَجَتْ الْحُلُقُ وَتَحَلَّتْ
 الْعُقَدُ وَاسْتَرَحَى الْخِنَاقُ وَامْتَدَّ الزَّمَانُ . ثُمَّ لَعَلَّمَا مَوْقِعَ الْآخِرَةِ كَمَصْدَرِ
 الْأُولَى . وَلَكِنْ الرَّأْيُ لَكَ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ وَفَقَّكَ اللَّهُ أَنْ تَصْرِفَ إِجَالَهَ
 النَّظَرِ وَتَقْلِبَ الْفِكْرَ فِيمَا جَمَعْتَا لَهُ وَاسْتَشَرْتَا فِيهِ . مِنَ التَّذْبِيرِ
 لِحَزْبِهِمْ وَالْحِيلِ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى الطَّلَبِ لِرَجُلٍ ذِي دِينٍ فَاضِلٍ . وَعَثَلٍ
 كَامِلٍ . وَوَرَعٍ وَاسِعٍ لَيْسَ مَوْصُوفًا بِهَوَى فِي سِوَاكَ . وَلَا مَتَّهَمًا فِي
أَثَرِهِ عَلَيْكَ وَلَا ظَنِينًا عَلَى دِخْلِهِ مَكْرُوهَةً . وَلَا مَنْسُوبًا إِلَى بِدْعَةٍ
مَحْذُورَةٍ . فَيَقْدَحَ فِي مُلْكِكَ وَيُرِيضَ الْأُمُورَ لِعَيْرِكَ . ثُمَّ تَسْنِدُ إِلَيْهِ
أُمُورَهُمْ وَتُفَوِّضُ إِلَيْهِ حَرْبَهُمْ وَتَأْمُرُهُ فِي عَهْدِكَ وَوَصِيَّتِكَ إِيَّاهُ
بِلُزُومِ أَمْرِكَ مَا لَزِمَهُ الْحَزْمُ وَخِلَافِ نَهْيِكَ إِذَا خَالَفَهُ الرَّأْيُ عَنْ
اسْتِحَالَةِ الْأُمُورِ وَاشْتِدَادِ الْأَحْوَالِ الَّتِي يُنْقِضُ أَمْرُ الْغَائِبِ عَنْهَا
وَيُثَبِّتُ رَأْيُ الشَّاهِدِ لَهَا . فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ قَوَائِبُ أَمْرِهِمْ مِنْ قَرِيبٍ
وَسَقَطَ عَنْهُ مَا يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ نَمَّتِ الْحِيلَةُ وَقَوِيَتِ الْمَكِيدَةُ وَنَفِذَ الْعَمَلُ
وَاحِدٌ النَّظَرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (قَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ) : أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنَّ

وَعَفَّتْهُمْ شِدَائِدُهَا . وَقَرَّمَتْهُمْ نَوَاجِدُهَا . فَلَوْ عَجَمْتَ مَا قَبْلَهُمْ وَكَشَفْتَ مَا
عِنْدَهُمْ لَوَجَدْتَ نَظَارَ تَوَيْدٍ أَمْرَكَ . وَتَجَارَبَ تَوَافِقُ نَظَرِكَ . وَاحَادِيثَ
تُقَوِّي قَلْبَكَ . فَأَمَّا لَحْنُ مَعَاشِرِ عُمَّالِكَ وَأَصْحَابِ دَوَاوِينِكَ فَحَسَنٌ بِنَا
وَكَثِيرٌ مِنَّا أَنْ نَقُومَ بِثَقَلِ مَا حَمَلْتَنَا مِنْ عَمَلِكَ وَأَسْتَوْدَعْتَنَا مِنْ أَمَانَتِكَ .
وَشَغَلْتَنَا بِهِ مِنْ إِمْضَاءِ عَدْلِكَ وَإِنْفَازِ حُكْمِكَ وَإِظْهَارِ حَقِّكَ .
(فَاجَابَهُ الْمُهْدِيُّ) : إِنَّ فِي كُلِّ قَوْمٍ حِكْمَةً وَلِكُلِّ زَمَانٍ سِيَاسَةً وَفِي
كُلِّ حَالٍ تَدْبِيرًا يُبْطِلُ الْآخِرُ الْأَوَّلَ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِزَمَانِنَا وَتَدْبِيرِ
سُلْطَانِنَا . (قَالَ) : نَعَمْ أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ أَنْتَ مُتَّسِعُ الرَّأْيِ وَثِقُ الْعُقْدَةِ .
قَوِي الْمُنَّةِ بَلِيغُ الْفِطْنَةِ . مَعْصُومُ النِّيَّةِ مُحْضَرُ الرُّوْيَةِ . مُوَيَّدُ الْبَدِيهِةِ
مُوفِقُ الْعَزِيمَةِ . مُعَانُ بِالظَّفَرِ مَهْدِيٌّ إِلَى الْخَيْرِ . إِنْ هَمَمْتَ فَفِي عِزِّكَ
مَوَاقِعُ الظَّنِّ . وَإِنْ اجْتَمَعَتْ صَدَعُ فِعْلِكَ مُلْتَبِسُ الشُّكِّ . فَأَعِزِّمْ يَهْدِ
اللَّهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ . وَقُلْ يُنْطِقِ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانُكَ . فَإِنْ جُودَكَ
جَهَةٌ وَخَزَائِنُكَ عَامِرَةٌ وَنَفْسُكَ سَنِيشَةٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ . (فَاجَابَهُ
الْمُهْدِيُّ) : إِنَّ الْمُسَاوَرَةَ وَالْمُنَازَرَةَ بَابَا رَحْمَةٍ وَمِفْتَاحَا بَرَكَةٍ لَا يَهْدِيكَ
عَلَيْهِمَا رَأْيٌ وَلَا يَنْفِيْلُ مَعَهُمَا حَزْمٌ . فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ وَقُولُوا بِمَا يَخْضُرُكُمْ
فَإِنِّي مِنْ وَرَائِكُمْ وَتَوْفِيقَ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . (قَالَ الرَّبِيعُ) : أَيُّهَا
الْمُهْدِيُّ إِنْ تَصَارِيفَ وُجُوهِ الرَّأْيِ كَثِيرَةٌ . وَإِنَّ الْإِشَارَةَ بِبَعْضِ
مَعَارِيضِ الْقَوْلِ لَيْسِيرَةٌ . وَلَكِنَّ خُرَاسَانَ أَرْضُ بَعِيدَةٍ الْمَسَافَةِ مُتَرَاخِيَةٌ
الْشَّقَّةِ مُتَقَاوِنَةُ السَّبِيلِ . فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْبِيرِ وَمُسَبَّرِ

سُورَةَ غَضَبِهِمَا الْوَافِرِ وَجَلَّاهُمَا الْمُدِيدِ يَبْسِطُ حِلْمِهِ . وَيُعَاْمِلُهُمَا بِمَا وَفَرَ
فِي صَدْرِهِ مِنَ الْوَقَارِ وَسَكَنَ فِي قَلْبِهِ مِنَ السَّكِينَةِ . وَإِذَا كَانَ فِي
هَذِهِ الْمَدِينَةِ مَا لِكُنَا فَلَإِيْفَتِي وَمَا لَكَ فِي الْمَدِينَةِ

مشاورة المهدي لاهل بيته في حرب خراسان

٢٥ هذا ما تراجع فيه المهدي ووزرائه وما دار بينهم من تدبير الراي في حرب خراسان
أيام قضاة عليهم السلام واعتفت . فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكاينة على أن نكثوا
بهم ونقضوا موثقتهم وطرّدوا العمال والتوا بما عليهم من الخراج . وحمل المهدي ما يجب من
مصلحتهم ويكره من عندهم على أن أقال عثرهم واغفر زلتهم . واحتسب دألتهم تطوّلًا بالفضل
واتساعًا بالعفو وأخذًا بالحجة ورفقًا بالسياسة . ولذلك لم يزل مذمّمه الله أعباء الخلافة
وقلّده أمور الرعية رفيقًا بمدار سلطانه بصيرًا باها . زمانه باسطًا للعدلة في رعيته تسكن إلى
كنفه وتأنس بعفوه وتثق بحلمه . فاذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنده
هواة ولا اغضاء ولا مدهانة اثره للحق وقيامًا بالعدل وأخذًا بالحزم . فدعا أهل خراسان
الاغترار بحلمه والثقة بعفوه أن كسروا الخراج وطرّدوا العمال وسألوا ما ليس لهم من الحق .
ثم خلطوا احتجاجًا باعتذار وخصوصةً باقرار وتنصّلًا باعتلال . فلما انتهى ذلك إلى المهدي خرج
إلى مجلس خلّائه وبعث إلى نفر من لحنته ووزرائه فاعلم الحال واستنصحه للرعية . ثم أمر
الموالي بالابتداء وقال للعبّاس بن محمد : أي عم تعقب قولنا وكنا حكماء بيننا . وأرسل إلى
ولديه موسى وهارون فاحضرهما الأمر وشاركهما في الراي وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم
وابتات مقالهم في كتاب

(فَقَالَ سَلَامُ صَاحِبِ الْمَظَالِمِ) : أَيُّهَا الْمُهْدِيُّ إِنَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ غَايَةً
وَلِكُلِّ قَوْمٍ صِنَاعَةً اسْتَفْرَغْتَ رَأْيَهُمْ وَاسْتَفْرَقْتَ أَشْغَالَهُمْ وَاسْتَفْدَتِ
أَعْمَارَهُمْ . وَذَهَبُوا بِهَا وَذَهَبَتْ بِهِمْ وَعُرِفُوا بِهَا وَعُرِفَتْ بِهِمْ . وَلِهَذِهِ
الْأُمُورُ الَّتِي جُعِلْنَا فِيهَا غَايَةً وَعَلِمَتْ مَعُونَتُنَا عَلَيْهَا أَقْوَامٌ مِنْ أَبْنَاءِ
الْحَرْبِ وَسَاسَةِ الْأُمُورِ وَقَادَةِ الْجُنُودِ وَفُرْسَانِ الْهَزَاهِرِ وَإِخْوَانَ
التَّجَارِبِ وَأَطْفَالَ الْوَقَائِعِ الَّذِينَ وَسَّخَتْهُمْ سِحَالُهَا . وَقَيَّأَتْهُمْ ظِلَالُهَا .

الْمَسْطُورِ. وَبَيْتِي الْمَعْمُورِ. وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. وَالْقُرْآنَ ذِي التَّجْوِيدِ.
 إِنْ لَمْ تَكْفُ عَنِّي غَرْبَكَ. وَتُبْعِدْ مِنِّي قُرْبَكَ. لَا كُتِبَتْكَ مِنْ الصَّمِّ
 الْبُكْمُ. وَلَا سَطَرَنَ عَلَيْكَ بِعِلِّي سَجَلًا هَذَا الْحُكْمُ. (قَالَ السِّيفُ):
 أَمَا وَمَتْنِي الْمَتْنِ. وَفَتْحِي الْمَبِينِ. وَلِسَانِي الرُّطْبَيْنِ. وَوَجْهِي الصُّلْبَيْنِ.
 إِنْ لَمْ تَعْبَ عَنِّي بِيَاضِي بِسَوَادِكَ. لَا سَخِمَنَ وَجْهَكَ بِمِدَادِكَ. وَلَقَدْ
 كَسَبْتَ مِنَ الْأَسَدِ فِي الْغَايَةِ. تَوْفِيقَ الْعَيْنِ وَالصَّلَابَةِ. مَعَ أَنِّي مَا
 أَلَوْتُكَ نَصْحًا. أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا. (قَالَ الْقَلَمُ): سَلِّمْ إِنِّي
 مَعَ مَنْ سَلَّمَ. إِنْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَعْلَمُ. وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فَأَنَا أَحْلَمُ.
 وَإِنْ كُنْتَ أَقْوَى فَأَنَا أَقْوَمُ. أَوْ كُنْتَ أَلْوَى فَأَنَا أَلْوَمُ. أَوْ كُنْتَ
 أَطْرَى فَأَنَا أَطْرَبُ. أَوْ كُنْتَ أَعْلَى فَأَنَا أَغْلَبُ. أَوْ كُنْتَ أَعْتَى فَأَنَا
 أَعْتَبُ. أَوْ كُنْتَ أَقْضَى فَأَنَا أَقْضَبُ. (قَالَ السِّيفُ): كَيْفَ لَا
 أَفْضُلُكَ وَالْمَقْرُ الْفُلَايُ شَادُّ أَرْزِي. (قَالَ الْقَلَمُ): كَيْفَ لَا أَفْضُلُكَ
 وَهُوَ عَزَّ نَصْرُهُ وَلِيَّ أَمْرِي

(قَالَ الْحُكْمُ بَيْنَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ): فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحُجَّتَيْنِ
 نَاهِضَتَيْنِ. وَالْيَتِيمَتَيْنِ بَيْنَتَيْنِ مُتَعَارِضَتَيْنِ. وَعَلِمْتُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
 نِسْبَةً صَحِيحَةً إِلَى هَذَا الْمَقْرِ الْكَرِيمِ. وَرَوَايَةً مُسْنَدَةً عَنْ حَدِيثِهِ
 الْقَدِيمِ. لَطَفْتُ الْوَسِيلَةَ. وَدَقَقْتُ الْحِيلَةَ. حَتَّى رَدَدْتُ الْقَلَمَ إِلَى
 كَدِّهِ. وَأَعْمَدْتُ السِّيفَ فَنَامَ مِلَّ جَفْنِهِ. وَأَخْرَجْتُ بَيْنَهُمَا التَّرَجِيمَ.
 وَسَكْتُ عَمَّا هُوَ عِنْدِي الصَّحِيحُ. إِلَى أَنْ يَحْكُمَ الْمَقْرُ بَيْنَهُمَا بِعِلْمِهِ. وَيُسْكِنَ

صَفِيحَتِي بِسَوَادِ صَحِيفَتِكَ . فَأَيْنَ خِطَابِكَ فَأَنْتَ قَصِيرُ الْمُدَّةِ . وَأَحْسِنُ
جَوَابَكَ فَعِنْدِي حِدَّةٌ . وَأَقْلَلْ مِنْ غِلْظَتِكَ وَجَبْرِكَ . وَاسْتَعْلِفْ عَنْ
دَمٍ فِي وَجْهِ بَدَّةٍ فِي وَجْهِكَ . وَإِلَّا فَادْنِ ضَرْبَةً مِنِّي تَرُومُ
أُرُومَتَكَ . فَتَسْتَأْصِلُ أَصْلَكَ وَتَجْتَ جُرْثُومَتَكَ . فَسَقِيَا لِمَنْ غَابَ بِكَ
عَنْ غَايِكَ . وَرَعِيَا لِمَنْ أَهَابَ بِكَ اسْلَخَ إِهَابِكَ . (فَلَمَّا رَأَى الْقَلَمُ)
السَّيْفَ قَدْ اخْتَدَّ . أَلَا نَ لَهُ مِنْ خِطَابِهِ مَا اشْتَدَّ . وَقَالَ : أَمَّا الْأَدَبُ
فِيُؤْخِذُ عَنِّي . وَأَمَّا اللَّطْفُ فَيُكْتَسِبُ مِنِّي . فَإِنْ لَنْتُ لَنْتَ . وَإِنْ أَحْسَنْتُ
أَحْسَنْتَ . نَحْنُ أَهْلُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . وَلِهَذَا تُجْمَعُ فِي الدَّوَاةِ الْوَاحِدَةِ
مِنَ الْجَمَاعَةِ . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَهْلُ الْحِدَّةِ وَالْخِلَافِ . وَلِهَذَا لَمْ يَجْمَعُوا بَيْنَ
سَيْفَيْنِ فِي غِلَافٍ . (قَالَ السَّيْفُ) : أَمْكُرًا وَدَعْوَى عَفَّةٍ . لِأَمْرٍ مَا
جَدَعَ قَصِيرُ أَنْفِهِ لَوْ كُنْتَ كَمَا زَعَمْتَ ذَا أَدَبٍ . لَمَا قَابَلْتَ رَأْسَ
الْكَاتِبِ بِعُقْدَةِ الذَّنْبِ . أَنَا ذُو الصِّتِ وَالصَّوْتِ . وَغِرَارَايَ لِسَانَا
مَشْرِفِي يَرْجُلُ غَرَابِ الْمَوْتِ . أَنَا مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَالْقَلَمُ مِنْ
صَلْصَالٍ كَأَنْفَخَارٍ . وَإِذَا زَعَمَ الْقَلَمُ أَنَّهُ مِثْلِي أَمَرْتُ مِنْ يَدُكَ رَأْسَهُ
بِنَعْلِي . (قَالَ الْقَلَمُ) : صَهْ فَصَاحِبُ السَّيْفِ بِالسَّعَادَةِ كَأَلَا عَزَلٍ .
(قَالَ السَّيْفُ) : مَهْ فَقَلَمُ الْبَلِيعِ بَغِيرِ حَظٍّ مَغْزَلٍ . (قَالَ الْقَلَمُ) : أَنَا
أَزْكَى وَأَطْهَرُ . (قَالَ السَّيْفُ) : أَنَا أَبْهَى وَأَبْهَرُ . فَتَلَا (ذُو الْقَلَمِ) لِقَلَمِهِ :
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُفْرَ . فَتَلَا (صَاحِبُ السَّيْفِ) لِسَيْفِهِ : فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ .
فَتَلَا (ذُو الْقَلَمِ) لِقَلَمِهِ : إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ . (قَالَ) : أَمَّا وَكِتَابِي

تَقْلِيدُكَ مِنْ أَجْتِهَادِي . وَأَيْنَ نَجَاسَةُ دِمِكَ مِنْ تَطْهِيرِ مِدَادِي . (قَالَ
السَّيْفُ) : أَمِثْلُكَ يُعَيِّرُ مِثْلِي بِالْدمَاءِ . فَطَالَمَا أَمَرْتُ بَعْضَ فِرَاحِي وَهِيَ
السَّكِينُ . فَأَصْبَحْتَ مِنَ النَّفَّاثَاتِ فِي عُقْدِكَ يَا مِسْكِينَ . فَأَخَلَّتْ
مِنْ الْحَيَاةِ جُثْمَانُكَ . وَشَقَّتْ أَنْفَكَ وَقَطَعَتْ لِسَانُكَ . وَبِكَ إِنْ كُنْتَ
لِلدِّيَّانِ فَحَاسِبٌ مَهُومٌ . أَوْ لِلْإِنْشَاءِ فَخَادِمٌ لِمُخْدُومٍ . أَوْ لِلْبَلِغِ
فَسَاحِرٌ مَذْمُومٌ . أَوْ لِلْفَقِيهِ فَنَاقِصٌ فِي الْمَعْلُومِ . أَوْ لِلشَّاعِرِ فَسَائِلٌ
مَحْرُومٌ . أَوْ لِلشَّاهِدِ فَخَائِفٌ مَسْمُومٌ . أَوْ لِلْمَعْلَمِ فَلَحِي الْقَيُومِ . وَأَمَّا أَنَا
فَلِي الْوَجْهُ الْأَزْهَرُ . وَالْحَلِيَّةُ وَالْجَوْهَرُ . وَالْهَيْبَةُ إِذَا أَشْهَرُ . وَالصُّعُودُ
عَلَى الْمُنْبَرِ . شَكْلِي الْحَسَنُ عَلِيٌّ . وَلِمَ لَا هَمْلُكَ الْحَطَبَ بَدَلِي . ثُمَّ إِنِّي
مَمْلُوكٌ كَمَا لَكَ . فَإِنَّكَ كُنَاسِيكَ . أَسْلُكُ الطَّرَاقِ . وَأَقْطَعُ الْعَلَاقِ .
(قَالَ الْقَلَمُ) : أَمَّا أَنَا فَأَبْنُ مَاءِ السَّمَاءِ . وَأَلِيفُ الْغَدِيرِ وَحَلِيفُ الْهَوَاءِ .
وَأَمَّا أَنْتَ فَأَبْنُ النَّارِ وَالْدُّخَانِ . وَبَارِئُ الْأَنْعَامِ وَخَوَّانُ الْأَخْوَانِ .
تَفْصُلُ مَا لَا يُفْصَلُ . وَتَقْطَعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ . لَا جَرَمَ شِيرِ
السَّيْفِ وَصُقْلَ قَفَاهُ . سُقْيَ مَاءٌ حَمِيماً فَقُطِعَ مَعَاهُ . يَا غَرَابَ الْبَيْنِ .
وَيَا عُدَّةَ الْحَيْنِ . وَيَا مُعْتَلَ الْعَيْنِ . وَيَا ذَا الْوَجْهِينِ . كَمْ أَفْنَيْتَ وَأَعْدَمْتَ .
وَأَرَمْتَ وَأَيْتَمْتَ . (قَالَ السَّيْفُ) : يَا ابْنَ الطِّينِ . أَلَسْتُ ضَامِراً
وَأَنْتَ بَاطِنٌ . كَمْ جَرَيْتَ بِعَكْسٍ . وَتَصَرَّفْتَ فِي مَكْسٍ . وَزَوَّرْتَ
وَحَرَّفْتَ . وَنَكَّرْتَ وَعَرَّفْتَ . وَسَطَّرْتَ هَجْواً وَشَتَمًا . وَخَلَّدْتَ عَارًا
وَذَمًّا . أَبْشِرْ بِفَرْطِ رَوْعِكَ . وَشِدَّةِ خِيفَتِكَ . إِذَا قِسْتَ بَيَاضَ

فِي قَهْرِ الْأَعْدَاءِ تَعَبَ . وَكَيْفَ لَا وَفِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ .
 فَإِنْ كَانَ الْقَلَمُ شَاهِدًا فَالسَّيْفُ قَاضِي . وَإِنْ أَقْتَرَبَتْ مَجَادِلُهُ بِأَصْرٍ
 مُسْتَشِيلٍ قَطَعَهُ السَّيْفُ بِفِعْلِ مَا ضِي . بِهِ ظَهَرَ الدِّينُ . وَهُوَ الْعِدَّةُ
 لِقَمْعِ الْمُعْتَمِدِينَ . حَلَّتْهُ دُونَ الْقَلَمِ يَدُ نَبِيٍّ . فَشَرَفَ بِذَلِكَ فِي الْأُمَمِ
 شَرَفًا بَيْنَنَا . الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِهِ . وَلَا سِيَمَا حِينَ يُسَلُّ قَرَى وَدَقَ الدَّمُ
 يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ . زَيَّنَتْ بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ سَمَاءُ غَمْدِهِ . وَصَدَقَ الْقَائِلُ :
 السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنْ صِدِّهِ . لَا يَغِثُ بِهِ الْحَامِلُ . وَلَا يَتَنَاوَلُهُ
 كَالْقَلَمِ بِأَطْرَافِ الْأَنَامِلِ . مَا هُوَ كَالْقَلَمِ الْمُشَبَّهِ بِقَوْمٍ عُرُوا عَنْ
 لُبْسِهِمْ . ثُمَّ نَكَسُوا كَمَا قِيلَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ . فَكَانَ السَّيْفُ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ
 دَافِقٍ . أَوْ كَوَكَبٍ رَاشِقٍ . مُقَدَّرًا فِي السَّرْدِ . فَهُوَ الْجَوْهَرُ الْقَرْدُ .
 لَا يُشْرَى كَالْقَلَمِ بِشَيْءٍ بَخْسٍ . وَلَا يُبْلَى كَمَا يُبْلَى الْقَلَمُ بِسَوَادٍ وَطُسٍ .
 كَمْ لِقَائِهِ الْمُتَنَظَّرِ . مِنْ أَثَرٍ فِي عَيْنٍ أَوْ عَيْنٍ فِي أَثَرٍ . فَهُوَ فِي حِرَابِ
 الْقَوْمِ قِيَامُ الْحَرْبِ . وَلِهَذَا جَاءَ مَطْبُوعَ الشَّكْلِ دَاخِلَ الضَّرْبِ . (قَالَ
 الْقَلَمُ) : أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ . يُفَاخِرُ
 وَهُوَ الْقَائِمُ عَنِ الشِّمَالِ الْجَالِسُ عَلَى الْيَمِينِ . أَنَا الْخُصُوصُ بِالرَّيِّ
 وَأَنْتَ الْخُصُوصُ بِالصَّدَى . أَنَا آلَةُ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ آلَةُ الرَّدَى . مَا
 لَنْتَ إِلَّا بَعْدَ دُخُولِ السَّعِيرِ . وَمَا حُدِثَ إِلَّا عَنْ ذَنْبٍ كَبِيرٍ . أَنْتَ
 تَنْفَعُ فِي الْعُمُرِ سَاعَةً . وَأَنَا أَفْنِي الْعُمُرَ فِي الطَّاعَةِ . أَنْتَ لِلرَّهَبِ .
 وَأَنَا لِلرَّغَبِ . وَإِذَا كَانَ بَصْرُكَ حَدِيدًا فَبَصْرِي مَا ذَهَبَ . أَيْنَ

الْمُخْفُوضِ وَالْمَرْفُوعِ . وَمَقْدَمَتِي تَبِيحَةُ الْجَدَلِ الصَّادِرِ عَنْهُمَا الْحُمُولُ
 وَالْمَوْضُوعُ . فَكَرْتُ أَيُّهُمَا أَعْظَمُ فُخْرًا . وَأَعْلَى قَدْرًا . فَجَلَسْتُ لَهُمَا مَجْلِسَ
 الْحُكْمِ وَالْقَوَى . وَمَثَّاتُهُمَا فِي الْفِكْرِ حَاضِرَيْنِ لِلدَّعْوَى . وَسَوَّيْتُ
 بَيْنَ الْخُصْمَيْنِ فِي الْإِكْرَامِ . وَاسْتَنْطَقْتُ لِسَانَ حَالِهِمَا لِلْكَلَامِ .
 (فَقَالَ الْقَلَمُ) : بِسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا . وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا .
 وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ بَارِي الْقَلَمِ . وَمُشْرِفِهِ بِالْقَسَمِ .
 وَجَعَلَهُ أَوَّلَ مَا خَلَقَ . وَجَمَلَ الْوَرَقَ بِفُضْنِهِ كَمَا جَمَلَ الْفُضْنَ بِالْوَرَقِ .
 وَالصَّلَاةِ عَلَى الْقَائِلِ : جَفَّتِ الْأَقْلَامُ . فَإِنَّ الْقَلَمَ قَصَبُ السِّبَاقِ .
 وَالْكَاتِبُ سَبْعَةُ أَقْلَامٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْكِتَابِ فِي السَّبْعِ الطَّبَقِ .
 جَرَى بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ . وَنَابَ عَنِ اللِّسَانِ فِيمَا نَهَى وَأَمَرَ . طَالَمَا أَرَبِي
 عَلَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ فِي ضَرَابِهَا وَطِعَانِهَا . وَقَاتَلَ فِي الْبُعْدِ وَالصَّوَارِمِ
 فِي الْقُرْبِ مِلَّةَ أَجْفَانِهَا . وَمَاذَا يُشَبِّهُ الْقَلَمَ فِي طَاعَةِ نَاسِهِ . وَمَشْيِهِ
 لَهُمْ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ . (قَالَ السِّيفُ) : بِسْمِ اللَّهِ الْخَافِضِ الرَّافِعِ .
 وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ
 آيَةَ السِّيفِ . فَعَظَمَ بِهَا حُرْمَةَ الْجَرْحِ وَأَمَّنَ خِيفَةَ الْحَيْفِ وَالصَّلَاةِ عَلَى
 الَّذِي نَقَذَ بِالسِّيفِ سُطُورَ الطُّرُوسِ . وَخَدَمَتَهُ الْأَقْلَامُ مَا شِئَتْ عَلَى
 الرُّؤُوسِ . وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَرْهَفَتْ سِيُوفُهُمْ . وَبُنِيَتْ بِهَا عَلَى
 كَثَرِ الْأَعْدَاءِ حُرُوفُهُمْ . فَإِنَّ السِّيفَ عَظِيمُ الدَّوْلَةِ . شَدِيدُ الصَّوْلَةِ .
 مَحَاسِنُ الْبَلَاغَةِ . وَأَسَاغَ مَمْنُوعَ الْإِسَاغَةِ . مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى غَيْرِهِ

أَمْرًا وَنَهْيًا وَتَأْلَهُ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . لِيَفْضَلَ الْأَمْرَ بِحُكْمِهِ .
وَيُقَدِّمَنَا إِلَى مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ فَيُحْكِمَ بَيْنَنَا بِعِلْمِهِ . فَقَدِّمْ خَيْرَةَ اللَّهِ عَلَى
ذَلِكَ الْأَشْتِرَاطِ . وَقُلْ بَعْدَ تَقْسِيلِنَا الْأَرْضَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْبَسَاطِ :
خَصَمَانِ بَنَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ .
وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ . فَتَشِطَّ الْقَلَمُ فَرَحًا . وَمَشَى فِي أَرْضِ
الطَّرْسِ مَرَحًا . وَطَرِبَ لِهَذَا الْجَوَابِ . وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . وَقَالَ : نَمْعًا
وَطَاعَةً . وَشَكَرَ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ السَّاعَةِ

يَا بَرْدَ ذَلِكَ الَّذِي قَالَتْ عَلَى كِبْدِي

الآنَ ظُهِرَ مَا تَغْيَانِ . وَقُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . وَحَكَمَ
بَيْنَنَا الرَّأْيُ الْمُنِيرُ . وَنَبَّأَنَا بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ . ثُمَّ
تَفَاصَلَ عَلَى ذَلِكَ . وَتَرَضِيََا عَلَى مَا يُحْكَمُ بِهِ الْمَالِكُ . وَكَأُتُوا أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَاهَا وَأَنْتَبَهَ الْمَمْلُوكُ مِنْ سِنَةِ فِكْرِهِ . وَطَالَعَ بِنَا اخْتِلَاجَ سَوَادِ هَذِهِ
الَلَّيْلَةِ فِي سِرِّهِ . وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ أَيَّامَ مَوْلَانَا السَّاطِرَانِ الَّتِي هِيَ
نِظَامُ الْمَفَاحِرِ . وَمَقَامُ الْمَآثِرِ . وَغَوْثُ الشَّاكِي وَغَيْثُ الشَّاكِرِ . وَيَمْتَعُ
بِظِلَالِ مَقَامِهِ الَّذِي لَا تَكْسِرُ الْأَيَّامُ مِقْدَارَ مَا هُوَ جَابِرٌ . وَلَا تُجْبِرُ مَا هُوَ
كَاسِرٌ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

(خزانة الادب للحموي)

رسالة لابن الرودي في السيف والقلم

٤٤ لَمَّا كَانَ السَّيْفُ وَالْقَلَمُ عُدَّتِي الْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَعُمْدَتِي الدُّوَلِ
فَإِنْ عَدِمْتُهُمَا دَوْلَةٌ فَلَا حَوْلَ . وَرُدُّنِي إِسْنَادِ الْمُلْكِ الْمُعْرِبِينَ عَنْ

إِلَى أُمِّكَ الدَّوَاةِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ . وَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
 يَزِيدَ مُحَاسِنَ تِلْكَ الْيَدِ الْعَالِيَةِ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ فَإِنَّهَا الْيَدُ الَّتِي :
 لَوْ أَثَرُ الثَّقِيلِ فِي يَدِ مُنْعِمٍ . أَمَّا بِرَاجِمٍ كَفَّهَا الثَّقِيلُ
 وَالرَّاحَةُ الَّتِي :

تَسْعَى الْقُلُوبُ لِغَوْثِهَا وَلِغِيثِهَا فَيُجِيبُهُ التَّائِمِينَ وَالتَّائِمِلُ
 وَالْأَنَامِلُ الَّتِي عَلَّمَهَا اللَّهُ بِالسِّيفِ وَالْقَلَمِ . وَمَكَّنَهَا مِنْ رُبَّتِي
 الْعِلْمِ وَالْعِلْمِ . وَدَارَكَ بِكَرَمِهَا آمَالُ الْغَفَاةِ بَعْدَ إِنْ وَلَا وَلَمْ . وَلَوْلَا أَنَّ هَذَا
 الْمَضْمَارَ يَضِيقُ عَنْ وَصْفِهِ السَّابِقِ إِلَى غَايَةِ الْخُصْلِ . وَمَجْدِهِ الَّذِي إِذَا
 جَرَّ ذَيْلُهُ وَدَّ الْفَضْلُ لَوْ تَمَسَّكَ مِنْهُ بِالْفَضْلِ . لَا طَلَّتْ الْآنَ فِي ذِكْرِ
 مَجْدِهَا الْأَوْضَحِ . وَأَفْضَحْتُ فِي مَدْحِهَا وَلَا يُنْكَرُ لِيْلَهَا أَنْ أَنْطَقَتْ
 الصَّامِتَ فَأَفْضَحَ . ثُمَّ إِنَّكَ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْقَوْلِ الْمَزِيدِ . وَالْمُجَادَلَةِ
 الَّتِي عَزَّأَمْرُهَا عَلَى الْحَدِيدِ . أَقَرَّرْتَ أَنْتَ أَنَّنَا لِلْمَلِكِ كَالْيَدَيْنِ . وَلَمْ
 تُقَرِّأْنَا الْيَمِينَ . وَفِي آفَاقِهِ كَالْتَمَرَيْنِ . وَلَمْ تَذْكُرْ أَيْنَا الْوَاضِحَةَ
 الْجَبِينِ . وَمَا يَشْفِي ضَنَائِي وَيُرْوِي صَدَائِي إِلَّا أَنْ يُحْكَمَ بَيْنَنَا مِنْ لَا
 يَرُدُّ حُكْمَهُ . وَلَا يَتَّهِمُ فُهُمَهُ . فَيُظْهِرُ أَيْنَا الْمَفْضُولُ مِنَ الْفَاضِلِ . وَالْخُذُولُ
 مِنَ الْخَازِلِ . وَيُقْصِرُ عَنْ الْقَوْلِ الْمُنَاطِرُ . وَيَسْتَرِيحُ الْمُنَاضِلُ . وَقَدْ
 رَأَيْتُ أَنْ يُحْكَمَ بَيْنَنَا الْمَقَامُ الْأَعْظَمُ الَّذِي أَشْرَتْ إِلَى يَدِهِ الشَّرِيفَةِ .
 وَتَوَسَّاتِ بِمُحَاسِنِهَا الْأَطِيفَةِ . فَإِنَّهُ مَا لِكَ زِمَامِنَا . وَمُنْشَى غَمَامِنَا .
 وَمُصَرَّفُ كَلَامِنَا . وَحَامِلُ أَعْبَانِنَا . الَّذِي مَا هَوَى لِلْهَوَى وَصَاحِبُ

الشَّيْبَ وَتُحَدِّدَ . فَأَذْكُرُ مَحَلَّنَا فِي أَلْيَدِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الْمُلْكِيَّةِ
 الْمُؤَيَّدَةِ . أَيْدِ اللَّهِ نِعْمَهَا . وَجَارَى بِالْإِحْسَانِ شِمَهَا . وَأَيْقُظَ فِي
 الْأَجَالِ وَالْأَمَالِ سَيْفَهَا وَقَلَمَهَا . وَلَا عَطَّلَ مَشَاهِدَ الْمَذْحِ مِنْ أَنْسَهَا .
 وَلَا أَخْلَى فَرَائِضَ الْبَاسِ وَالْكَرَمِ مِنْ قِيَامِ خُسْبَهَا . فَأَقْسِمَ مِنْ بَاسِهِ
 بِاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَمِنْ بَشَرٍ طَلَعَتْهُ بِالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ . لَوْ تَجَاوَرَ
 الْأُسْدُ وَالظَّبَاءُ بِتِلْكَ أَلْيَدِ لَوْرَدَا بِالْأَمْنِ فِي مَنْهَلٍ . وَرَتَعَا فِي
 رَوْضٍ لَا يُجْهِلُ . فَمَا يَذْنِبُنِي لَنَا بَيْنَ تِلْكَ الْأَنَامِلِ غَيْرُ سُلُوكِ الْأَدَبِ .
 وَالْمُعَاذَةِ عَلَى مَخَوِ الْأَزْمَاتِ وَالنُّوبِ . وَالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى الْحَقِّ وَلَا
 عِوَجَ . وَالْحَدِيثِ مِنْ تِلْكَ الرَّاحَةِ عَنِ النَّجَرِ وَلَا حَرَجَ . هَذِهِ نَصِيحَتِي
 إِلَيْكَ وَالِدَيْنِ النَّصِيحَةُ . وَاللَّهُ تَعَالَى يُطْلِعُكَ عَلَى مَعَانِي الرُّشْدِ
 الصَّرِيحَةِ . وَيَجْعَلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْغِيِّ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَيُنَسِّيكَ مَا تَقَدَّمَ
 مِنْ الْقَوْلِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا . فَعِنْدَ ذَلِكَ نَكْسَرُ
 السَّيْفَ طَرَفَهُ وَقَبْلَ خَدِيعَةِ الْقَلَمِ قَائِلًا لِأَمْرِ مَا جَدَعَ قَصِيرُ أَفْقِهِ :
 وَأَمْسَكَ عَنِ الْمُسَاعَبَةِ خَيْفَةَ الزَّلَلِ . فَإِنَّ السُّيُوفَ مَعْرُوفَةٌ بِالْحُلُلِ .
 ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الضَّعِيفُ الْجَبَّارُ . الْبَارِغُ فِي لَيْلِ الْمِدَادِ نَجْمًا وَكَمْ فِي النُّجُومِ
 غَرَارُ . لَقَدْ تَطَلَّمْتَ مِنْ أَمْرِ أَنْتَ الْبَادِي بِظُلْمِهِ . وَتَسَوَّرْتَ إِلَى فَتْحِ
 بَابِ أَنْتَ السَّابِقُ إِلَى فَتْحِ خَتْمِهِ . وَقَدْ فَهِمْتَ الْآنَ مَا ذَكَرْتَ مِنْ
 أَمْرِ أَلْيَدِ الشَّرِيفَةِ وَنِعْمَ مَا ذَكَرْتَ . وَأَحْسَنَ بِمَا أَشَرْتَ . وَمَا أَنَا بِهِ
 إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَقَدْ تَغَافَلْتُ عَنْ قَوْلِكَ الْأَحْسَنَ . وَرَدَدْتُكَ

فَأَلْفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلْتَهَبُ فِي قَدْحِهِ . وَالْخَارِجُ عَمَّا نُسِبَ
إِلَيْهِ مِنْ صَفْحِهِ . مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي السَّبَابِ . وَالْتِّظْفِيفُ فِي كَيْلِ
الْجَوَابِ . وَأَيْنَ عِلْمُ الشُّيُوخِ عِنْدَ جَهْلِ الشَّبَابِ . أَمَا كَانَ الْأَحْسَنُ بِكَ
أَنْ تَتْرَكَ هَذَا الرَّفَثَ . وَتَلَمْ أَخَاكَ عَلَى الشَّعْثِ . وَتَحْلَمَ كَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ
السَّيِّدُ . وَتَزْكُو عَلَى الْغَيْظِ كَمَا يَزْكُو عَلَى النَّارِ الْجَدِيدُ . أَمَا تَعْلَمُ أَيُّ مَعِينِكَ
فِي تَشْيِيدِ الْمَالِكِ . وَرَغِيْقِكَ فِيمَا تَسْلُكُهُ لِنَفْعِهَا مِنَ الْمَسَالِكِ . أَمَا أَنَا
وَأَنْتَ لِلْمَالِكِ كَالْيَدَيْنِ . وَفِي تَشْيِيدِهِ كَالرُّكْنَيْنِ . وَمَا أَرَاكَ عِبْتَنِي فِي
الْأَكْثَرِ إِلَّا بِخَوْلِ الْجَسَدِ الَّذِي لَيْسَ خَلْمُهُ عَلَيَّ . وَضَعْفِهِ الَّذِي لَيْسَ
أَمْرُهُ إِنِّي . عَلَى أَنَّ أَذْكَى النَّسَبَاتِ أَعْلَاهَا وَأَذْنَفُهَا . وَهَذِهِ سَادَاتُ
الْعَرَبِ تَعُدُّ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِهَا الْأَظْهَرِ . وَحُسْنِهَا الْأَشْهَرِ . وَلَوْ أَنَّكَ تَقُولُ
بِالْفَصَاحَةِ . وَتَقِفُ فِي هَذِهِ السَّاحَةِ . لَأَسْتَمَعْتُكَ فِي ذَلِكَ مِنْ
أَشْعَارِهِمْ . وَأَتَحَفَّتُكَ بِمَا يَفْخَرُونَ بِهِ مِنْ آثَارِهِمْ . فَيَا لِلَّهِ مِنْ هَذِهِ
الْحُجَّةِ الْبَارَةِ . وَالْكَرَّةِ الْخَاسِرَةِ . وَعَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ مَا عِبْتَنِي بِهِ مِنْ
فَقْرِ الْأَنْبِيَاءِ . وَذُلِّ الْحُكَمَاءِ . عَلَى أَنَّ إِطْلَاقَاتِ مَعْرُوفِي مَعْرُوفَةٌ .
وَسَطَوَاتِ أَمْرِي فِي وُجُوهِ الْأَعْدَاءِ الْمَكْشُوفَةِ مَكْشُوفَةٌ . فَاسْتَغْفِرِ
اللَّهَ بِمَا قَرِطَ فِي مَقَالِكَ . وَالتَّقْوِيضُ مِنْ عَوَائِدِ احْتِمَالِكَ . فَلَا
تُسَمِّتُ بِنَا الْأَضْدَادَ وَلَا تُسَاطِ بِفِرْقَتَا الْمَفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ .
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ . وَأَغْضُضْ الْآنَ مِنْ خِيَالِكَ بَعْضَ هَذَا
الْفَضِّ . وَلَا تَشْكُ أَيُّ قَسِيمِكَ وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُهْدَدَ . وَتُجْرَدَ

مَعْدُودٌ مِنْ شَيَاطِينِ الدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي الطَّرْسِ وَالنَّفْسِ بَيْنَ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ .
فَلَوْ جَرَيْتَ خَلْفِي إِلَى أَنْ تَحْفَى . وَصَحْتَ بِصَرِيرِكَ إِلَى أَنْ تَحْقُتَ وَتَحْفَى .
لَمَا كُنْتَ مِنِّي إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْمُدْرَةِ مِنَ السَّمَاءِ الرِّيحُ . وَالْبَعْرَةِ عَلَى تَيَّارِ
الْخِضَمِّ الطَّافِحِ . فَلَا تَعُدْ نَفْسَكَ بِمُعْجِزِي فَإِنَّكَ تَمُنُّ بِمَيْنُ . وَلَا تَحِافُ
لَهَا أَنْ تَبْلُغَ مَدَايِ فَلَيْسَ لِمُخْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ . وَمِنْ صَلَاحِ نَجْمِكَ
أَنْ تَعْتَرِفَ بِفَضْلِي الْأَكْبَرِ . وَتُؤْمِنَ بِمُعْجِزِي الَّتِي بَعَثْتُ مِنْكَ إِلَى
الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ . لِتَسْتَوْجِبَ حَقًّا . وَتَسْلَمَ مِنْ نَارِ حَرِّ تَلْطِئِ لَا
يُضِلُّهَا إِلَّا الْأَشْقَى . وَإِنْ لَمْ يَتَضَخَّ لِرَأْيِكَ إِلَّا الْإِصْرَارُ . وَأَبَتْ
حَصَائِدُ لِسَانِكَ إِلَّا أَنْ تُوقِعَكَ فِي النَّارِ . فَلَا رَعَى اللَّهُ عَزَائِمَكَ
الْقَاصِرَةَ . وَلَا جَمْعَ عَقَارِبَ لَيْلِ نَفْسِكَ الَّتِي إِنْ عَادَتْ فَإِنَّ نِعَالَ
السُّيُوفِ لَهَا حَاضِرَةٌ . ثُمَّ قَطَعَ الْكَلَامَ . وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :
السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحُدَّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
يَبِضُ الصَّفَاحُ لِأَسْوَدَ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
فَلَمَّا تَحَقَّقَ تَحْرِيفُ الْقَلَمِ حَرَجَهُ . وَفِيهِ مِقْدَارُ الْغَيْظِ الَّذِي
أَخْرَجَهُ . وَسَمِعَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ الَّتِي يَقْطُرُ مِنْ جَوَانِبِهَا الدَّمُ . وَرَأَى أَنَّهُ هُوَ
الْبَادِي بِهَذِهِ الْمُنَاقَشَةِ وَالْبَادِي أَظْلَمُ . رَجَعَ إِلَى خِدَاعِهِ . وَتَنَحَّى عَنْ
طَرِيقِ قِرَاعِهِ . وَعَلِمَ أَنَّ الدَّهْرَ دَهْرُهُ . وَالْقَدْرَ عَلَى حُكْمِ الْوَقْتِ قَدْرُهُ .
وَأَنَّهُ أَحَقُّ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

لَحْنُهَا مُعْرَبٌ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّ إِعْرَابَ غَيْرِهَا مُلْحُونُ

الْخَدُومُ الْأَبْيَضُ وَأَنْتَ الْخَادِمُ الْأَسْوَدُ . وَأَقْسِمُ بِمَنْ صِرَ فِي قَبْضَتِي
 أَنْوَاعُ الْإِيْنِ إِنَّكَ عَنْ بُلُوغِ قَدْرِي لَأَذَلُّ رُتْبَةً . وَعَنْ بَرِي كَفِّي
 لَأَخِيبُ طَلِبَةً . فَإِنِّي لَا أَنْكُرُ قَوْلَ بَعْضِ أَرْبَابِكَ حَيْثُ قَالُوا
 أَفَّ لِرِزْقِ الْكُتْبَةِ أَفَّ لَهُ مَا أَضَعَبَهُ
 يُرْتَشَفُ الرِّزْقُ بِهِ مِنْ شِقِّ تِلْكَ الْقَصَبَةِ
 يَا قَلَمًا يَرْفَعُ فِي الطَّرْسِ لَوْجَهِي ذَنْبَهُ
 مَا عَرَفَ الْمُسْكِينُ إِلَّا كَاتِبًا ذَا مَتْرَبَةٍ

إِنْ عَايَنْتَ الدِّيَوَانَ وَقَعْتَ فِي الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ . أَوِ الْبَلَاغَةَ
 سَحَرْتَ وَبَالَغْتَ فَأَنْتَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَوْ فُحِرْتَ بِتَقْسِيدِ الْعُلُومِ فَأَلَاكَ
 مِنْهَا سِوَى لَحْمَةِ الطَّرْفِ . أَوْ يَرْقَمُ الْمُصَاحِفَ فَإِنَّكَ تَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى
 حَرْفٍ . أَوْ جَمَعْتَ عَمَلًا فَإِنَّمَا جَمَعْتَ لِالتَّكْسِيرِ . أَوْ رَفَعْتَ إِلَى طَرَفِكَ
 رَجَعَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ . وَهَلْ أَنْتَ فِي الدُّوَلِ إِلَّا خِيَالٌ
 تَكْتَفِي الِهْمَمُ بِطَيْفِهِ . أَوْ إِصْبَعُ تَلْعَقُ بِهَا الرِّزْقُ إِذَا أَكَلَ الضَّارِبُ
 بِقَائِمِ سَيْفِهِ . وَسَاعٍ عَلَى رَأْسِهِ قَلٌّ مَا أَجْدَى . وَسَارٍ رُبَّمَا أُعْطِيَ قَلِيلًا
 وَأَكْدَى . ثُمَّ وَقَفَ وَأَكْدَى . أَيْنَ أَنْتَ مِنْ حَظِّي الْأَسْنَى وَكَفِّي الْأَغْنَى .
 وَمَا خَصِصْتُ بِهِ مِنَ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ إِذَا عَجَزْتَ أَنْتَ عَنِ الْعَرْضِ
 الْأَدْنَى . كَمْ بَرَزْتَ فَمَا أَغْنَيْتَ فِي مَهْمِهِ . وَكَمْ خَرَجْتَ مِنْ دَوَاتِكَ
 لِتَسْطِيرِ سَيْئَةٍ . فَخَرَجْتَ كَمَا قِيلَ مِنْ ظُلْمَةٍ إِلَى ظُلْمَةٍ . وَهَبْ أَنَّكَ كَمَا
 قُلْتَ مَفْتُوقُ الْإِسَانِ . جَرِي الْجَنَانِ . مُدَاحِلُ مِجْلِكَ بَيْنَ ذَوِي الْاِقْتِنَاصِ .

وَحَمَيْتَ الْأَضْغَانَ قَيْظًا . وَشَكَوْتَ الصَّدَى فَسُقِيتَ وَلَكِنْ بِشَوَاطِ مِنْ
نَارٍ . وَأَخْتَتِ عَلَيْكَ الْأَيَّامُ حَتَّى ائْتَعَلَ بِأَبْعَاضِكَ الْحِمَارُ . وَلَوْلَا
تَعَرُّضُكَ إِلَيَّ لَمَا وَقَعْتَ فِي الْمَقْتِ . وَلَوْلَا إِسَاءَتُكَ لَمَا كُنْتَ تُصَقَّلُ فِي
كُلِّ وَقْتٍ . فَدَعِ عَنْكَ هَذَا الْفَخْرَ الْمَدِيدَ . وَتَأَمَّلْ وَصْفِي إِذَا كُشِفَ
عَنْكَ الْإِطَاءُ فَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ . وَافْهَمْ قَوْلَ ابْنِ الرُّومِيِّ :

يَذَاقُضِي اللَّهُ فِي الْأَقْلَامِ إِذْ بَرِيتَ أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مَذَازُ هَفَّتْ خَدَمُ
(فَعِنْدَ ذَلِكَ وَثَبَ السَّيْفُ) عَلَى قَدِّهِ . وَكَادَ الْغَضَبُ يُخْرِجُهُ مِنْ
حَدِّهِ . وَقَالَ : أَيُّهَا الْمُتَطَاوِلُ عَلَى قِصْرِهِ . وَالْمَأْشِي عَلَى طَرِيقِ غِرَرِهِ .
وَالْمُتَعَرِّضُ مِنِّي إِلَى الدَّمَارِ . وَالْمُتَحَرِّشُ بِي فَهُوَ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ :
ذَنْبُهُ قَسٌّ وَيَتَحَرَّشُ بِالنَّارِ . لَقَدْ شَمَرْتَ عَنْ سَاقِكَ حَتَّى أَغْرَقْتَكَ
الْغَمَرَاتُ . وَأَتَعَبْتَ نَفْسَكَ فِيمَا لَا تُذَرِّكُ إِلَى أَنْ أَذْهَبَهَا التَّعَبُ
خَسَرَاتٍ . أَوْلَسْتَ الَّذِي طَالَمَا أَرَعَشَ السَّيْفُ لِلْهِيمَةِ عِطْفَكَ . وَنَكَّسَ
لِلْخِدْمَةِ رَأْسَكَ وَطَرَفَكَ . وَأَمَرَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ وَهُوَ السَّكِينُ فَقَطَعَ
قِفْلَكَ وَشَقَّ أَنْفَكَ . وَرَفَعَكَ فِي مُهْمَاتٍ خَامِلَةٍ وَحَطَّكَ . وَجَذَبَكَ
لِلْإِسْتِعْمَالِ وَقَطَّكَ . غَلَبَتْ شِعْرِي كَيْفَ جَسَرْتَ . وَعَبَسْتَ عَلَى مِثْلِي
وَبَسَرْتَ . وَأَنْتَ السُّرُوقَةُ وَأَنَا الْمَلِكُ . وَأَنَا الصَّادِقُ وَأَنْتَ الْمُؤْتِفُكَ .
وَأَنْتَ لِصُونِ الْحَطَامِ وَأَنَا لِصُونِ الْمَالِكِ . وَأَنْتَ لِحِفْظِ الزَّرَاعِ وَأَنَا
لِحِفْظِ الْمَسَالِكِ . وَأَنْتَ لِلْفَلَاحَةِ وَأَنَا لِلْفَلَاحِ . وَأَنْتَ حَاطِبُ الْأَلِيلِ
مِنْ نَفْسِهِ وَأَنَا سَارِي الصَّبَاحِ . وَأَنَا الْبَاصِرُ وَأَنْتَ الْأَرْمَدُ . وَأَنَا

لِمَصَالِحِ الدُّوَلِ وَأَنْتَ فِي الْعَمْدِ طَرِيحٌ . وَالْمَتْعَبُ فِي تَهْيِيدِهَا وَأَنْتَ
 غَافِلٌ مُسْتَرْمِحٌ . وَالسَّاهِرُ وَقَدْ مَهَّدَ لَكَ فِي الْعَمْدِ مَضْجَعٌ . وَالْجَالِسُ
 عَنْ يَمِينِ الْمَلِكِ وَأَنْتَ عَنْ يَسَارِهِ فَأَيُّ الْحَالَتَيْنِ أَرْفَعُ . وَالسَّاعِي فِي
 تَذْيِيرِ حَالِ الْقَوْمِ . وَالْمُقْنِي لِنَفْعِهِمُ الْعُمُرَ إِذَا كَانَ نَفْعُكَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
 يَوْمٍ . فَأَقْطَعْ عَنْكَ أَسْبَابَ الْمَفَاخِرَةِ . وَأَسْتُرْ أَنْيَابَكَ عِنْدَ الْمُكَاشَرَةِ .
 فَمَا يَحْسُنُ بِالصَّامِتِ مُحَاوَرَةَ الْمُفْصِحِ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ . عَلَى
 أَنَّهُ لَا يُنْكِرُ لِمِثْلِكَ التَّصَدِّي . وَلَا يُسْتَعْرَبُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ التَّعَدِّي . مَا
 أَنَا أَوَّلُ مَنْ أَطَاعَ الْبَارِيَّ وَتَجَرَّأَتْ عَلَيْهِ . وَمَدَدَتْ يَدَ الْعُدْوَانِ إِلَيْهِ .
 أَوْلَسْتَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

شَيْخٌ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ
 قَدْ سَلَبْتَ الرَّحْمَةَ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ . وَجَلَبْتَ
 الْقِسْوَةَ فَكَمْ هَيِّجَتْ سُبَّةَ حَمَرَاءَ . وَأَثَرْتَ دَهْمَاءَ . وَخَمَشْتَ الْوُجُوهَ
 وَكَفَفَ لَا وَأَنْتَ كَالظُّفْرِ كَوْنًا . وَقَطَعْتَ اللَّذَاتِ وَلَمْ لَا وَأَنْتَ
 كَالصُّبْرِ لَوْنًا . أَيْنَ بَطْشُكَ مِنْ حِلْمِي . وَجَهْلُكَ مِنْ عِلْمِي . وَجِسْمُكَ
 مِنْ جِسْمِي :

شَتَانُ مَا بَيْنَ جِسْمٍ صَنِيعٍ مِنْ ذَهَبٍ وَذَلِكَ جِسْمِي وَجِسْمٍ صَنِيعٍ مِنْ بَهَقٍ
 أَيْنَ عَيْنُكَ الزَّرْقَاءُ مِنْ عَيْنِي الْكُحْلِيَّةِ . وَرُؤْيَاكَ الشُّعَاءُ مِنْ
 رُؤْيَايَ الْجَمِيلَةِ . أَيْنَ لَوْنُ الشَّيْبِ مِنْ لَوْنِ الشَّبَابِ . وَأَيْنَ نَذِيرُ
 الْأَعْدَاءِ مِنْ رَسُولِ الْأَحْبَابِ . هَذَا وَكَمْ أَكَلَتْ الْأَكْبَادُ غَيْظًا .

الْحَدِيثِ وَتَجَرَّيْجِهِ . اسْتَغَاثَ بِاللَّفْظِ النَّصِيرِ . وَاحْتَدَّ وَمَا أَدْرَاكَ مَا حِدَّةُ
 الْقَصِيرِ . وَقَامَ فِي دَوَاتِهِ وَقَعْدَ . وَأَضْطَرَبَ عَلَى وَجْهِ الْقِرْطَاسِ وَارْتَعَدَ .
 وَعَدَلَ إِلَى السَّبِّ الصُّرَاحِ . وَرَأَى أَنَّهُ إِنْ سَكَتَ تَكَلَّمَ وَلَكِنْ بِأَفْوَاهِ
 الْجِرَاحِ . فَأَنَحَرَفَ إِلَى السِّيفِ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمُعْتَرُّ بِطَبْعِهِ . الْمُعْتَرُّ بِلَمْعِهِ .
 النَّاقِضُ حَبْلِ الْأَنْسِ بِقَطْعِهِ . النَّاسِخُ بِهَجِيرِهِ مِنْ ظِلَالِ الْعَيْشِ
 فَيْئًا . السَّرَابُ الَّذِي يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا .
 الْحَيْسُ الَّذِي طَالَ مَا عَادَتْ عَلَيْهِ عَوَائِدُ شَرِّهِ . أَتَعَرَّضُ بِسِيٍّ . وَتَتَعَرَّضُ
 لِمَا كَايِدُ حَرَبِي . أَلَسْتُ ذَا الْخُدْعِ الْبَالِغَةِ وَالْحَرْبِ خُدْعَةً . وَالْمِنَنِ
 النَّافِعَةِ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا تَبْغِي إِلَّا نَامُ نَفْعُهُ . أَلَسْتُ الْمُسَوَّدَ الْأَحَقَّ
 بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْجُودَ وَالْإِقْدَامَا
 أَتُفَاخِرُنِي وَأَنَا لِلْوَصْلِ وَأَنْتَ لِلْقَطْعِ . وَأَنَا لِلْعِطَاءِ وَأَنْتَ
 لِلنَّعْ . وَأَنَا لِلصَّحِّ وَأَنْتَ لِلضَّرَبِ . وَأَنَا لِلْعِمَارَةِ وَأَنْتَ لِلْخَرَابِ .
 وَأَنَا لِلْمُعَمَّرِ وَأَنْتَ لِلْمُدْمَرِ . وَأَنْتَ الْقَلْدُ وَأَنَا صَاحِبُ التَّقْلِيدِ . وَأَنْتَ
 الْعَابِثُ وَأَنَا الْعُجُودُ وَمَنْ أَوَّلَى مِنَ الْقَلَمِ بِالْتَّجْوِيدِ . فَمَا أَقْبَحَ شِبْهَكَ .
 وَمَا أَشْنَعُ يَوْمًا تَرَى فِيهِ الْعُيُونُ وَجْهَكَ . أَعْلَى مِثْلِي يُشَقُّ الْقَوْلُ .
 وَيَرْفَعُ الصَّوْتُ وَالصَّوْلُ . وَأَنَا ذُو اللَّفْظِ الْمَكِينِ . وَأَنْتَ مِمَّنْ دَخَلَ
 تَحْتَ قَوْلِ الْقُرْآنِ : أَوْ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ .
 فَتَدَّ تَعَدَّيْتَ حَدَّكَ . وَطَلَبْتَ مَا لَمْ تَبْلُغْ بِهِ جَهْدَكَ . هِيَاهُ أَنَا الْمُنْتَصِبُ

الدُّولُ لِقَائِهِ نَصْرِهِ الْمُتَنْظَرِ . وَحَازَتْ أَبْكَارُ الْقُتُوحِ بِحِدِّهِ الظُّفَرِ .
وَعَدَتْ أَيَّامُهَا بِهِ ذَاتَ حُجُولٍ مَعْلُومَةٍ وَغَرَرٍ . وَشَدَّتْ بِهِ الظُّهُورَ .
وَحَدَّتْ عَلَانِيَتَهُ فِي الْأُمُورِ . وَاتَّخَذَتْهُ الْمُلُوكُ حِرْزًا لِسُلْطَانِيهَا . وَحِصْنًا
عَلَى أَوْطَانِهَا وَقُطْنَانِهَا . وَجَرَدَتْهُ عَلَى صُرُوفِ الْأَقْدَارِ فِي شَانِهَا .
وَنُدِبَ فَمَا أَعَيْتَ عَلَيْهِ الْمَصَالِحُ . وَبَاشَرَ اللَّيْمَ فَهُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بَيْنَ
الْهُدَى وَالضَّلَالِ فَرَقٌ وَاضِحٌ . وَأَعَاثَ فِي كُلِّ فَضْلٍ فَهُوَ إِمَامٌ لِعَفْدِهِ
سَعْدُ الْأَخِيَّةِ وَإِمَامٌ لِحَامِلِهِ سَعْدُ السُّعُودِ . وَإِمَامٌ لِيَصِيدَ سَعْدَ الذَّابِحِ .
يَجْلِسُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَعْدَاءِ قَهْرًا . وَيَشْرَحُ أَنْبَاءَ الشَّجَاعَةِ قَارًا لَا لِلْقَلَمِ :
ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا . وَهَلْ يُفَاخِرُ مَنْ وَقَفَ الْمَوْتُ
عَلَى بَابِهِ . وَغَضَّ الْحَرْبِ الصُّرُوسِ بِنَايِهِ . وَقُدِفَتْ شَيَاطِينُ الْقِرَاعِ
بِشَبْهِهِ . وَمُنَحَّ آيَاتٍ شَرِيفَةٍ مِنْهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ غَرْبِهِ . وَمِنْهَا : أَنَّ
اللَّهَ أَنْشَأَ بَرْقَةً فَكَانَ لِلْمَارِدِ مَضْرَعًا . وَلِلرَّائِدِ مَرْتَعًا . أَقُولُ قَوْلِي
هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ مِنْ لَفْظٍ يَجْمَعُ . وَرَأْيِي إِلَى الْخِصَامِ يَجْمَعُ .
وَلِسَانٌ يُخَوِّجُهُ اللَّدْدُ إِلَى أَنْ يُخْرِجَ فَيُجْرَحُ . وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي صَدِّ
الْبَاطِلِ وَصَرْفِهِ . وَأَسْأَلُهُ الْإِعَانَةَ عَلَى كُلِّ بَاحِثٍ عَنْ حَقِّهِ بِظُلْفِهِ . ثُمَّ
اخْتَفَى فِي بَعْضِ الْحَمَائِلِ . وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

سَلِ السَّيْفَ عَنْ أَصْلِ الْفَخَّارِ وَفَرَعِهِ فَإِنِّي رَأَيْتُ السَّيْفَ أَقْصَحَ مِقُولًا
(فَلَمَّا وَغَى الْقَلَمُ) خُطْبَتُهُ الطَّوِيلَةَ الطَّائِلَةَ . وَنَشْطَتُهُ الْجَلِيلَةَ الْجَائِلَةَ .
وَفِيهِمْ كِنَايَتُهُ وَتَلْوِيحُهُ . وَتَعْرِيزُهُ بِالذَّمِّ وَتَضْرِيحُهُ . وَتَعْدِيلُهُ فِي

يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُلَيَّانُ مَرْصُوصٌ وَعَقْدٌ مَرْصُوفٌ .
وَأَجْنَاهُمْ مِنْ وَرَقِ حَدِيدٍهَا الْأَخْضَرُ ثَمَارُ نَعِيمِهَا الدَّانِيَةُ الْقُطُوفُ . أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ السَّيْفَ زَنْدُ الْحَقِّ الْوَرِيُّ وَزَنْدُهُ الْقَوِيُّ . وَحَدُّهُ الْفَارِقُ
بَيْنَ الرَّشِيدِ وَالْغَوِيِّ . وَالنَّجْمُ الْهَادِي إِلَى الْعِزِّ وَسَبِيلُهُ . وَالنَّعْرُ
الْبَاسِمُ عَنْ تَبَاشِيرِ قَوْلِهِ . وَخَصَّهُ اللَّهُ عَلَى الْأَقْلَامِ بِأَنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْهَا جَا .
وَأَظْلَعَهُ فِي لَيْلِي النَّعْمِ وَالشَّكِّ سِرَاجًا وَهَاجًا . وَفَتَحَ بَابَ الدِّينِ
بِمِصْبَاحِهِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ أَفْوَاجًا . فَهُوَ ذُو الرَّأْيِ الصَّابِ .
وَشَهَابُ الْعِزِّ الثَّاقِبِ . وَسَمَاءُ الْعِزِّ الَّتِي زَيَّنَتْ مِنْ آثَارِهِ بَرِّينَةَ
الْكَوَاكِبِ . وَالْحَدُّ الَّذِي كَانَهُ مَاءٌ دَافِقٌ يُخْرِجُ عِنْدَ قَطْعِ الْأَجْسَادِ مِنْ
بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . لَا تُجْعَدُ آثَارُهُ وَلَا يُنْكَرُ قَرَارُهُ . إِذَا اسْتَبْتَّ
فِي الدُّجَى وَالنَّعْمِ نَارُهُ . يَجْمَعُ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ الْبَاسِ وَالْكَرَمِ . وَيَصَاغُ
فِي صَوْقِ الْحِلَّتَيْنِ فَهُوَ إِمَّا طَوْقٌ فِي نُحُورِ الْأَعْدَاءِ وَإِمَّا خُفَالٌ فِي
عَرَاقِبِ أَهْلِ النِّقَمِ . وَتُحْسَمُ بِهِ أَهْوَاءُ الْفِتَنِ الْمُضِلَّةِ . وَتُحْذَفُ بِهِمَّتُهُ
الْجَازِمَةِ حُرُوفُ الْعِلَّةِ . وَإِذَا انْمَحَى فِي سَمَاءِ الْقِتَامِ بِالضَّرْبِ فَهُوَ
الْقَوِيُّ الْإِسْطَاعَةُ الطَّوِيلُ الْمُعَمَّرُ . إِذَا قُصِفَ سِوَاهُ فِي سَاعَةٍ فَمَا
أَوْلَاهُ يَطُولُ الْإِحْسَانِ . وَمَا أَجْمَلَ ذِكْرُهُ فِي أَخْبَارِ الْمُعَمَّرِينَ وَمَقَاتِلِ
الْفُرْسَانِ . كَانَ الْغَيْثُ فِي غَمْدِهِ لِلطَّائِبِ الْمُتَّجِعِ . وَكَأَنَّهُ زِنَادٌ
يُسْتَضَاءُ بِهِ إِلَّا أَنَّ دَفْعَ الدِّمَاءِ شَرُّهُ الْمُتَمِيعِ . كَمْ قَدْ مَدَّ فَأَدْرَكَ
الطَّلَابَ . وَدَعَا النَّصْرَ بِلِسَانِهِ الْأُخْمَرِ مِنْ أَثَرِ الدِّمَاءِ فَأَجَابَ . وَتَشَعَّبَتْ

مِنْ مُجْزَاتِ النُّبُوَّةِ نَوْعًا مِنَ النَّصْرِ بِالرَّغْبِ . وَبَعَثَ حَاجِلَ السُّطُورِ
 فَأَلْقَى دَالَاتُ وَالرِّمَاحُ أَلْقَاتُ وَاللَّامَاتُ لَامَاتُ . وَالْهَمَزَاتُ كَوَاسِرُ
 الطَّيْرِ الَّتِي تَتَّبِعُ الْحَاجِلَ . وَالْأَثَرِبَةُ عَجَاجُهَا النُّحْمَرُ مِنْ دَمِ الْكَلَى
 وَالْمُفَاصِلِ . فَهُوَ صَاحِبُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعِلْمِ . وَسَاحِبُ ذَيْلِي
 الْفَخَارِ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ . لَا يُعَادِيهِ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ . وَلَيْسَ لِنَفْسِهِ
 وَطِيعٌ عَلَى قَلْبِهِ . وَقَلَّ الْجِدَالُ مِنْ غَرِبِهِ . وَخَرَجَ فِي وَزْنِ الْمُعَارَضَةِ
 عَنْ ضَرْبِهِ . وَكَيْفَ يُعَادَى مَنْ إِذَا كَرَعَ فِي نَفْسِهِ . قِيلَ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
 الْكُوْثَرَ . وَإِذَا ذَكَرَ شَانَهُ السِّيفُ قِيلَ إِنَّ شَانَكَ هُوَ الْآبَتَرُ . أَقُولُ
 قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنَ الشَّرَفِ وَخِيَالَيْهِ . وَالْفَخَارِ وَكِبَرِيَاةِهِ .
 وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فِيمَا حَكَمَ . وَأَسْأَلُهُ التَّدْبِيرَ فِيمَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ . ثُمَّ
 أَكْتَفَى بِمَا ذَكَرَهُ مِنْ أَدْوَاتِهِ . وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ دَوَاتِهِ تَمَثُّلاً بِقَوْلِ
 الْقَائِلِ :

قَلَمٌ يُقْلُ الْجَدِشَ وَهُوَ عَرَمَرَمٌ وَالْبَيْضُ مَا سَلَّتْ مِنَ الْأَعْمَادِ
 وَهَبَتْ لَهُ الْأَجَامُ حِينَ نَشَأَهَا كَرَمَ السُّيُولِ وَصَوْلَةَ الْأَسَادِ
 فَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَضَ السِّيفُ قَائِمًا عَجَلًا . وَتَلَهَّظَ لِسَانُهُ لِلْقَوْلِ مُرْتَجِلًا .
 وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ
 وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
 عَزِيزٌ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ . وَشَرَعَ حُدُودَهَا
 فِي ذَوِي الْعِصْيَانِ فَأَغَصَّتْهُمْ بِمَاءِ الْخُصُوفِ . وَشَيْدَ مَرَاتِبِ الَّذِينَ

وَعَذِيقُ الْمَلِكِ الْمَرْجَبِ . وَزِمَامُ أُمُورِهِ السَّائِرَةِ . وَقَادِمَةُ أَجَنَّتِهِ
الطَّائِرَةِ . وَمُطْلَقُ أَرْزَاقِ عِفَاتِهِ الْمُتَوَاتِرَةِ . وَأَثْمَلَةُ الْهُدَى الْمُسِيرَةِ إِلَى
ذَخَائِرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . بِهِ رُقْمُ الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ .
وَسُنَنُهُ الَّتِي تَهْدِي الْخَوَاطِرَ الْخَوَاطِلَ . هُوَ فِي مَرَاضِي الدُّوَلِ عَوْنُهُ
لِلسَّائِدِينَ . وَبَعَيْنُ اللَّهِ فِي لِيَالِي النَّفْسِ تَقَلُّبُ وَجْهِهِ فِي السَّاجِدِينَ . إِنْ
نُظِمَتْ فَرَانِدُ الْعُلُومِ فَإِنَّمَا هُوَ سِلْكُهَا . وَإِنْ عُلَتْ سِرَّةُ الْكُتُبِ فَإِنَّمَا
هُوَ مَلِكُهَا . أَوْ رُقِمَتْ بِرُودِ الْبَيَانِ فَإِنَّمَا هُوَ جَلَالُهَا . وَإِنْ تَشَبَّهَتْ فُنُونُ
الْحِكْمِ فَإِنَّمَا هُوَ أَمَانُهَا وَمَالُهَا . وَإِذَا انْقَسَمَتْ أُمُورُ الْمَمَالِكِ فَإِنَّمَا هُوَ
عِصْمَتُهَا وَمِثْلُهَا . وَإِنْ اجْتَمَعَتْ رَعَايَا الصَّنَائِعِ فَإِنَّمَا هُوَ إِمَامُهَا الْمُتَنَفِّعُ
بِسَوَادِهِ . وَإِنْ زَخَرَتْ بِحَارُ الْأَفْكَارِ فَإِنَّمَا هُوَ الْمُسْتَخْرِجُ دُرَرَهَا مِنْ
ظُلُمَاتِ مِدَادِهِ . وَإِنْ وَعَدَ وَفَى بِحَبَابِ النِّفَعِ . وَإِنْ أَوْعَدَ أَخَافَ كَأَنَّمَا
يَسْتَمِدُّ مِنَ النَّفْعِ . هَذَا وَهُوَ لِسَانُ الْمُلُوكِ الْمُخَاطَبُ . وَرَسِيلُهَا لَا بُكَارِ
الْفُتُوحِ وَالْمُخَاطَبِ . وَالْمُنْفِقُ فِي تَعْمِيرِ دَوْلَتِهَا مَحْضُولُ أَنْفَاسِهِ .
وَالْمُتَحَمِّلُ أُمُورَهَا الشَّاقَّةَ عَلَى عَيْنِهِ وَرَأْسِهِ . وَالْمُتَقَيِّظُ لِحِمَاةِ أَعْدَائِهَا
وَالسِّيفُ فِي جَفْنِهِ نَائِمٌ . وَالْمُجَهِّزُ لِبَاسِهَا وَكَرَمُهَا جَيْشِي الْخُرُوبِ
وَالْمُكَارِمِ . وَالْجَارِي بِمَا أَمَرَ اللَّهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . وَالْمُسَوِّدُ
النَّاصِرُ فَكَأَنَّمَا هُوَ لَعِينُ الدَّهْرِ إِنْسَانٌ . طَالَمَا ذُبَّ عَنْ حَرَمِهَا . فَشَدَّ
اللَّهُ أَرْزَدُ وَرَفَعَ ذِكْرُ . وَقَامَ فِي الْمَحَامَةِ عَنْ دِينِهَا أَشْعَثُ أَغْبَرَلَوْ
أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يَرُدُّ وَقَاتِلَ عَلَى الْبُعْدِ وَالصَّوَارِمِ فِي الْقُرْبِ . وَأَوْتِيَ

بَيِّدَ أَنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوقِدَ مِنْ تَوْفِيقِكَ مَا خَمَدَ . وَيُسِيلَ
 مِنْ تَسْدِيدِكَ مَا جَمَدَ . وَلَا يُطِيلَ عَلَيْكَ فِي الْجَهْلَةِ الْأَمَدَ . وَإِيَّاهُ سُبْحَانَهُ
 نَسْأَلُ أَنْ يَرُدَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِلَى أَفْضَلِ عَوَائِدِهِ . وَيَجْعَلَ مَصَائِبَ
 أَعْدَائِهِ مِنْ فَوَائِدِهِ . وَيَمَكِّنَ حُسَامَهُ مِنْ رِقَابِ الْمُشَغَّبِينَ . وَيُثَبِّتَ
 وَجْهَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَمَنْ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُصِلَ لَهُ تَأْيِيدًا وَتَأْيِيدًا .
 وَيَهْدِلَهُ الْأَيَّامَ حَتَّى تَكُونَ الْأَحْرَارُ لِعِيدِ عِيدِهِ عِيدًا . وَيُمِدَّ عَلَى
 الدُّنْيَا بِسَاطِ سَعْدِهِ وَيَهَبَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ :

آمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ حَتَّى أَضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَ
 ثُمَّ السَّلَامُ الَّذِي يَتَأَقُّ عِبَادًا وَنَشْرًا . وَيَتَأَقُّ رُونَاقًا وَبَشْرًا . عَلَى
 حَضْرَتِهِمُ الْعَلِيَّةِ . وَمَطَالِحِ أَنْوَارِهِمُ السَّنَةِ الْجَلِيلَةِ . وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَبَرَكَاتِهِ
 (نسخ الطيب للقرى)

نخبة من مغيرة بين السيف والقلم للشيخ جمال الدين ابن نباتة

٤٣ (قَالَ) : بَرَزَ الْقَلَمُ بِإِفْصَاحِهِ . وَنَشِطَ لِأَرْتِيَا حِهِ . وَرَقِيَ مِنْ
 الْأَنَامِلِ عَلَى أَعْوَادِهِ . وَقَامَ خَطِيبًا بِحَاسِنِهِ فِي حُلَّةِ مِدَادِهِ . وَانْتَفَتَ
 إِلَى السَّيْفِ وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ .
 مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ تَمَجُّنُونَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَالَمَ بِالْقَلَمِ وَشَرَّفَهُ
 بِالْقَلَمِ . وَخَطَّ بِهِ مَا قَدَّرَ وَقَسَمَ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَلَمَ مَنَارُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا .
 وَنِظَامُ الشَّرَفِ وَالْعُلَمَاءِ . وَمَجَادِيحُ سُحُبِ الْخَيْرِ إِذَا أُحْتَاجَتْ الِهْمَمُ
 إِلَى السُّقْيَا . وَمِفْتَاحُ بَابِ الْيَمْنِ الْعُجْرَبُ إِذَا أَعْيَا . وَسَفِيرُ الْمَلِكِ الْمُحْجَبُ .

ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . (فَقَالَ بِلَنسِيَّةٍ) : فِيمَ الْجِدَالِ وَالْقِرَاعِ . وَعَلَامَ
 الْإِسْتِهَامِ وَالْإِقْتِرَاعِ . وَإِلَامَ التَّعْرِيزِ وَالتَّصْرِيحِ . وَتَحْتَ الرُّغْوَةِ
 اللَّبَنُ الصَّرِيحُ . أَنَا أَحْزُهُ مِنْ دُونِكُمْ . فَأَحْمَدُوا نَارِي تَحْرُكِكُمْ
 وَهْدُونِكُمْ . فَلَئِنْ لَمْ يَكُنْ السَّائِغَةُ الْأَعْلَامُ . وَالْجَنَاتُ الَّتِي تُلْقَى إِلَيْهَا
 الْأَفَاقُ يَدُ الْإِسْتِسْلَامِ . وَبِرْصَافِي وَجَسْرِي أَعَارِضُ مَدِينَةِ السَّلَامِ .
 فَاجْمَعُوا عَلَيَّ الْإِنْقِيَادِي وَالسَّلَامُ . وَإِلَّا فَعَضُوا بَنَانًا . وَأَقْرَعُوا أَسْنَانًا .
 فَأَنَا حَيْثُ لَا تَذِرُ كُونَ وَإِنِّي وَمَوْلَانَا لَا يُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا .
 (فَعِنْدَ ذَلِكَ أُرْتَمَتْ جَمْرَةٌ تَدْمِيرَ بِالشَّرَارِ) وَأَسْتَدَّتْ أَسْهُمَا لِنُحُورِ
 الشَّرَارِ وَقَالَتْ : عِشْ رَجَبًا . تَرَعَجَبًا . أَبْعَدَ الْعِصْيَانِ وَالْعُقُوقِ .
 تَتَهَيَّأَنَّ لِرُتَبِ ذَوِي الْحُقُوقِ . هَذِهِ سَمَاءُ الْفَخْرِ مِنْ صَمَكٍ أَنْ تُعَرِّجِي .
 لَيْسَ بِعُشِكَ فَأَذْرُجِي . لَكَ الْوَصَبُ وَالْخَبْلُ . الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتِ
 قَبْلُ . أَتَيْتِهَا الصَّانِعَةَ الْفَاعِلَةَ . مَنْ أَذْرَاكَ أَنْ تَضْرِبِي وَمَا أَنْتِ فَاعِلَةٌ . مَا
 الَّذِي يُجَدِّدُكَ الرُّوضُ وَالزَّهْرُ . أَمْ يُفِيدُكَ الْجَدُولُ وَالنَّهْرُ . وَهَلْ
 يُصْلِحُ الْعَطَارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ . هَلْ أَنْتِ إِلَّا مَحْطَرُ حُلِّ النَّفَاقِ .
 وَمَنْزِلُ مَا لِسُوقِ الْخِصْبِ فِيهِ مِنْ نَفَاقٍ . ذَرَاكَ لَا يَكْتَحِلُ الطَّرْفُ فِيهِ
 بِهَجُوعٍ . وَقِرَاكَ لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ . فَإِلَامَ تَبَرُّدِ الْإِمَاءِ فِي
 مَنَصَةِ الْعُقَايِلِ . وَلَكِنْ أَذْكَرِي قَوْلَ الْقَائِلِ :

بِلَنسِيَّةٍ بَيْنِي عَنِ الْقَلْبِ سَلَوَةٌ فَإِنَّكَ رَوْضٌ لَا أَحْنُ لَزَهْرِكَ
 وَكَيْفَ يَحِبُّ الْمَرْءُ دَارًا تَقَسَّمَتْ عَلَى صَارِمِي جُوعٍ وَقِتْنَةِ مُشْرِكٍ

فَمَا لَكُمْ تَعْتَرُونَ لِفَخْرِي وَتَتَمَوْنَ . وَتَتَأَخَّرُونَ فِي مَيْدَانِي
وَتَتَقَدَّمُونَ . تَبَرَّؤْا إِلَيَّ مِمَّا تَزْعُمُونَ . ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .
(فَقَالَتْ مَالِقَةُ) : أَتَتْرُكُونِي بَيْنَكُمْ هَمَلًا . وَلَمْ تُعْطُونِي فِي سَيِّدِنَا أَمَلًا .
وَلَمْ وَلِيَّ الْبَحْرِ الْحَجَّاجُ . وَالسَّيْلُ الْحَجَّاجُ . وَالْجَنَّاتُ الْأَثِيرَةُ . وَالْفَوَاكِهُ
الْكَثِيرَةُ . لَدَيَّ مِنَ الْبَهْجَةِ مَا تَسْتَفِينِي بِهِ الْحَمَامُ عَنْ الْهَدِيدِ . وَلَا تَمْنَحُ
الْأَنْفُسُ الرِّقَاقُ الْحَوَاشِي إِلَى تَعْوِضٍ عَنْهُ وَلَا تَبْدِيلٍ . فَمَا لِي لَا
أُعْطَى فِي نَادِيكُمْ كَلَامًا . وَلَا أَنْشُرُ فِي جَيْشٍ فَخَارَكُمْ أَعْلَامًا . فَكَأَنَّ
الْأَمْصَارَ نَظَرْتَهَا أُرْدِرَاءً . فَلَمْ تَرَ لِحَدِيثِهَا فِي مَيْدَانِ الذِّكْرِ إِجْرَاءً .
لِأَنَّهَا مَوْطِنٌ لَا يُحْلَى مِنْهُ بِطَائِلٍ . وَنَظَنُ الْبِلَادِ تَأَوَّلَتْ فِيهَا قَوْلُ الْقَائِلِ :
إِذَا نَطَقَ السَّفِينُ فَلَا تُجِبُهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِبَابَتِهِ السُّكُوتُ
(فَقَالَتْ مُرْسِيَةُ) : أَمَامِي تَتَعَاطُونَ الْفَخْرَ . وَبِحَضْرَةِ الدُّرِّ
تُنْفِقُونَ الصَّخْرَ . إِنْ عُدَّتِ الْمُنَافِرُ فِي مَنِهَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . أَيْنَ
أَوْشَالِكُمْ مِنْ بَحْرِي . وَخَرَزُكُمْ مِنْ لَوْلُؤِ نَحْرِي . فَوَيْ الرَّوْضِ النَّضِيرُ .
وَالْمَرَايَ الَّذِي مَالَهُ مِنْ نَظِيرٍ . فَمِنْ دَوَحَاتٍ . كَمْ لَهَا مِنْ بُكُورٍ
وَرَوْحَاتٍ . وَمِنْ أَرْجَاءٍ . إِلَيْهَا تَمُدُّ أَيْدِي الرِّجَاءِ . فَأَبْنَائِي فِيهِ فِي الْجَنَّةِ
الدُّنْيَوِيَّةِ مُودَعُونَ . يَتَعَمَّونَ فِيهَا يَأْخُذُونَ وَيَدْعُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَا
تَشْتَهِي أَنْفُسُهُمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَدْعُونَ . فَأَنْقَادُوا لِأَمْرِي . رَحَّادِرُوا
أَصْطِلَاءَ جَمْرِي . وَخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَيِّدِنَا أَبِي زَيْدٍ . وَإِلَّا ضَرَبْتُكُمْ
ضَرْبَ زَيْدٍ . فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهَذَا الْمَلِكِ الْمُسْتَأْثَرِ بِالْعَظِيمِ . وَمَا يَقْلَاهَا إِلَّا

الْهَدْيَانِ . وَإِنِّي لِلْإِيضَاحِ وَالْبَيَانِ . مَتَى اسْتَحَالَ الْمُسْتَقْبَحُ مُسْتَحْسَنًا . وَمَنْ
 أَوْدَعَ أَجْفَانَ الْمُهْجُورِ وَسَنًا . أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ قَرَأَهُ حَسَنًا . يَعْجَبَا
 لِلْمَرَاكِزِ تُقَدَّمُ عَلَى الْأَيْسَةِ . وَلِلْأَثْفَارِ تُفَضَّلُ عَلَى الْأَعْنَةِ . إِنْ ادَّعَيْتُمْ
 سَبْقًا . فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى . لِي أَلْبَيْتُ الْمُطَهَّرُ الشَّرِيفُ . وَالْأَسْمُ
 الَّذِي ضَرَبَ عَلَيْهِ رِوَاقَهُ التَّعْرِيفُ . فِي بَقِيْعِي مَحَلُّ الرِّجَالِ الْأَفَاضِلِ .
 فَلْيَرْغَمْ أَنْفُ الْمُنَاضِلِ . وَفِي جَامِعِي مَشَاهِدُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ . فَحَسْبِي مِنْ
 نَبَاهَةِ الْقَدْرِ . فَمَا لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَأْثِرَ عَلَيَّ بِهَذَا السَّيِّدِ الْأَعْلَى . وَلَا أَرْضَى
 لَهُ أَنْ يُوْطَى غَيْرُ تَرَايِي نَعْلًا . فَأَقْرُوا لِي بِالْأَبْوَةِ . وَانْقَادُوا لِي عَلَى
 حُكْمِ الْبُنُوَّةِ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَرْهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ . وَكُفُّوا
 عَنْ تَبَارِكِكُمْ . ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ . (فَقَالَتْ غَرْ نَاطَةٌ) : لِي
 الْمَعْقَلُ الَّذِي يَمْتَنِعُ سَاكِنُهُ مِنَ السَّجُومِ . وَلَا تَجْرِي إِلَّا تَحْتَهُ جِيَادُ الْغَيْثِ
 السَّجُومِ . فَلَا يُلْحِقُنِي مِنْ مُعَانِدٍ ضَرَّرَ وَلَا حَيْفٌ . وَلَا يَهْتَدِي إِلَيَّ خِيَالُ
 طَارِقٍ وَلَا طَيْفٌ . فَاسْتَسْلِمُوا قَوْلًا وَفِعْلًا . فَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى .
 لِي بِطَاحٍ تَقَلَّدَتْ مِنْ جَدَاوِلِهَا أَسْلَاكًا . وَأَطْلَعَتْ كَوَاكِبُ زَهْرِهَا
 فَعَادَتْ أَفْلَاكًا . فَحَسْبِي لَا يُطْمَعُ فِيهِ وَلَا يُخْتَالُ . فَدَعُونِي فَكُلُّ
 ذَاتِ ذَيْلٍ تَخْتَالُ . فَأَنَا أَوَّلِي بِهَذَا السَّيِّدِ الْأَعْدَلِ . وَمَالِي بِهِ مِنْ عِوَضٍ
 وَلَا بَدَلٍ . وَلَمْ لَا يَعْطِفُ عَلَيَّ عِنَانُ مُجْدِهِ وَيَثْنِي . وَإِنْ أُنْشِدَ يَوْمًا
 فَأَيَّايَ يَعْني :

بِأَلَدُهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَانِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابَهَا

أَبَابُ الثَّالِثِ فِي الْمُنَظَرَاتِ

مناظرة بين بلاد الاندلس

هذا ما خاطب به أديب الأندلس أبو بحر صفوان بن إدريس الأمير عبد الرحمن ابن
السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي :

٤٢ لَمَّا تَخَاصَمْتَ فَيْكَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ الْأَمْصَارُ . وَطَالَ بِهَا الْوُقُوفُ
عَلَى حُبِّكَ وَالْإِقْتِصَارُ كُلُّهَا يُفْصِحُ قَوْلًا وَيَقُولُ : أَنَا أَحَقُّ وَأَوْلَى .
وَيُصِغُ إِلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَيُضْنِي . وَيَتْلُو إِذَا بُشِّرَ بِكَ : ذَلِكَ مَا كُنَّا
نَتَّبِعِي . نَمَرَّتْ (حِصَصُ) غَيْظًا . وَكَادَتْ تَفِيطُ فَيْظًا . وَقَالَتْ : مَا لَهُمْ
يَزِيدُونَ وَيَقْصُونَ وَيَطْمَعُونَ وَيَخْرُصُونَ . إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . اللَّهُمَّ السَّهْمُ الْأَشَدُّ . وَالسَّاعِدُ الْأَشَدُّ . وَالنَّهْرُ الَّذِي
يَتَعَابُ عَلَيْهِ الْجَزْرُ وَالْمَدُّ . أَنَا مِصْرُ الْأَنْدَلُسِ وَالنَّيْلُ نَهْرِي . وَسَمَائِي
النَّاسُ وَالنَّجْمُ زَهْرِي . إِنْ تَجَارَيْتُمْ فِي ذَلِكَ الشَّرَفِ . فَحَسْبِي أَنْ
أَفِضَ فِي ذَلِكَ الشَّرَفِ . وَإِنْ تَحَجَّبْتُمْ بِأَشْرَفِ اللُّبُوسِ . فَأَيُّ إِزَارٍ
أَسْتَلْتُمُوهُ كَسَلْتُ بُوسَ . إِلَى مَا شِئْتُ مِنْ أَيْنِيَّةِ رِحَابٍ . وَرَوْضٍ
يَسْتَنِي بِنَضْرَتِهِ عَنِ السَّحَابِ . قَدْ مَلَأْتُ زَهْرَاتِي وَهَادَا وَأَنْجَادًا .
وَتَوَشَّحْتُ سَيْفُ نَهْرِي بِجَدَائِقِي نِجَادًا . فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِسَيِّدِنَا الْهُمَامِ وَأَحَقُّ .
الآن حَصَصَ الْحَقُّ . فَظَرَّتَهَا (قُرْطَبَةُ) شَرْرًا وَقَالَتْ : لَقَدْ كَثُرَتْ
زُرًّا . وَبَذَرَتْ فِي الصَّخْرِ الْأَصَمِّ زُرًّا . كَلَامُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنْ

لَا تَبْدُلِ الْحِلْمَ لَغَيْرِ شَاكِرٍ فَإِنَّهُ يُفْضِي إِلَىٰ إِعْجَابِهِ
فَأَغْرُ الْعِدَىٰ بِغَزْوَةٍ مِنْ شَأْنِهَا إِيَّانُ حَزْمِ الرَّأْيِ مِنْ أَبْوَابِهِ
تُسَلِّمُ أَرْوَاحَ الْعِدَىٰ إِلَى الرَّدَىٰ وَتَرْجِعُ الْأَمْرَ إِلَىٰ أَرْبَابِهِ
حَتَّى يَقُولَ كُلُّ رَبِّ رُتْبَةٍ قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَىٰ نَصَابِهِ
قَدْ رَفَعَ اللَّهُ الْعَذَابَ عَنْهُمْ فَشَمَّرُوا السَّاعِدَ فِي طَلَابِهِ
رَنَوْا إِلَى الْمَلِكِ بِعَيْنِ غَادِرٍ أَطْعَمَهُ حَامُكَ فِي أَقْضَابِهِ
إِنْ لَمْ تُقْطَعْ بِالظُّلْمِ أَوْصَالُهُمْ لَمْ تُقْطَعْ إِلَّا مَالٌ مِنْ أَسْبَابِهِ
لَا تَقْبَلِ الْعُذْرَ فَإِنَّ رَبَّهُ قَدْ أَضْمَرَ التَّخْخِيفَ فِي كِتَابِهِ
قَتَوْبَةُ الْمُقْلَعِ إِثْرَ ذَنْبِهِ وَتَوْبَةُ الْغَادِرِ مَعَ عِتَابِهِ
لَوْ أَنَّهُمْ خَافُوا كِفَاءَ ذَنْبِهِمْ لَمْ يُقَدِّمُوا يَوْمًا عَلَىٰ أَرْكَابِهِ
فَأَصْرِمَ حِبَالَ عَزِيمِهِمْ بِصَارِمٍ قَدْ بَالَعَ الْقِيُونَ فِي انْتِخَابِهِ
يَعْتَذِرُ الْمَوْتُ إِلَى شَفَرَتِهِ وَتَقْصُرُ إِلَّا جَالٌ عَنْ عِتَابِهِ
يُذِيهِمْ فِي شَيْبِهِ أَضْعَافَ مَا أَذَاقَهُ الْقِيُونَ فِي شَبَابِهِ
يَا مَلِكًا يَعْتَذِرُ الدَّهْرُ لَهُ وَتَخْدُمُ الْأَيَّامُ فِي رِكَابِهِ
لَمْ يَكْ تَحْرِضِي لَكُمْ إِسَاءَةً وَلَمْ أَحْلُ فِي الْقَوْلِ عَنْ آدَابِهِ
وَلَا يَغِيبُ السِّيفُ وَهُوَ صَارِمٌ هَزُّ يَدِ الْجَاذِبِ فِي انْتِدَابِهِ
ذِكْرُكَ مَشْهُورٌ وَنَظْمِي سَائِرٌ كِلَاهُمَا أَمْعَنَ فِي اغْتِرَابِهِ
ذِكْرُ جَمِيلٍ غَيْرَ أَنَّ نَظْمَهُ يَزِيدُهُ حُسْنًا مَعَ أَصْطِحَابِهِ
كَالدَّرِّ لَا يُفْهَرُ حُسْنُ عَقْدِهِ إِلَّا جَوَازُ السِّلَاقِ فِي أَثْقَابِهِ

وَلَا تَقُلْ إِنَّ الصَّغِيرَ عَاجِزٌ
فَارَمَ ذُرَى قَلْعِهِمْ بِقَلْعَةٍ
فَإِنَّهَا إِذَا رَأَتْكَ مُقْبِلًا
إِنْ لَمْ تُحَالِكِ الدَّهْرَ فِي دَوَامِهِ
وَأَجَلَ لَهُمْ عَزْمًا إِذَا جَلَوْتُهُ
عَزَمَ مَلِيكَ يَخْضَعُ الدَّهْرُ لَهُ
تُحَازِرُ الْأَحْدَاثُ مِنْ حَدِيثِهِ
قَدْ صَرَفَ الْحُجَابَ عَنْ حَضْرَتِهِ
إِذَا رَأَى الْأَمْرَ بَعَيْنَ فِكْرِهِ
وَإِنْ أَجَالَ رَأْيُهُ فِي مُشْكِلٍ
تَقْدَادُ مَعَ آرَائِهِ أَيَّامُهُ
لَا يَزْجُرُ الْبَارِحَ فِي اعْتِرَاضِهِ
يُقْرَأُ مِنْ عُنْوَانِ سِرِّ رَأْيِهِ
قَدْ أَشْرَقَتْ بُيُورُهُ أَيَّامُهُ
يَكَادُ أَنْ تُلْهِيه عَنْ طَعَامِهِ
مَا سَارَ لِلنَّاسِ ثَنَاءٌ سَائِرٌ
إِذَا اسْتَجَارَ مَالُهُ بِكَفِّهِ
وَإِنْ كَسَا الدَّهْرُ الْأَنَامَ مَفْخَرًا
يَا مَلِكًا يَرَى الْعَدُوَّ قُرْبَهُ

هَلْ يَجْرَحُ اللَّيْثُ سِوَى ذُبَابِهِ
تَقْلَعُ أَسَّ الطُّودِ مِنْ تُرَابِهِ
مَادَتْ وَخَرَ السُّورُ لِاضْطِرَابِهِ
فَإِنَّهَا تَحْكِيهِ فِي أَنْقِلَابِهِ
فِي اللَّيْلِ أَغْنَى اللَّيْلَ عَنْ شِهَابِهِ
وَتَسْجُدُ الْمُلُوكُ فِي أَعْتَابِهِ
وَتَجْزَعُ الْخُطُوبُ مِنْ خِطَابِهِ
وَصَيَّرَ الْهَيْبَةَ مِنْ حُجَابِهِ
رَأَى خَطَاءَ الرَّأْيِ مِنْ صَوَابِهِ
أَعَانَهُ الْحَقُّ عَلَى طِلَابِهِ
مِثْلَ أَنْقِيَادِ اللَّفْظِ مَعَ إِعْرَابِهِ
وَلَا غَرَابَ الْبَيْنِ فِي تَعْلَابِهِ
مَا سَطَّرَ الْقَضَاءُ فِي كِتَابِهِ
كَأَنَّمَا تَبَسُّمُ عَنْ أَحْسَابِهِ
مَطَالِبُ الْحَمْدِ وَعَنْ شَرَابِهِ
إِلَّا وَحَطَّ رَحْلُهُ بِبَابِهِ
أَعَانَهُ الْجُودُ عَلَى ذَهَابِهِ
ظَنَنْتَهُ يَخْلَعُ مِنْ ثِيَابِهِ
كَأَلَّا جَلَّ الْمُخْتَوْمِ فِي أَقْرَابِهِ

كَانَتْ عِدَالُهَا دَسْتُ فَقَدْ صَدَعْتُ حَصَاةُ جَدِّكَ ذَاكَ الدَّسْتُ فَانْكَسَرَا
 فَالَوْ قَعُ إِذَا غَدَرُوا وَسَوَّطُ الْعَذَابِ بِهِمْ يَظَلُّ يَحْشَاكَ صَرْفُ الدَّهْرِ إِنْ غَدَرَا
 وَأَرْعَبُ قُلُوبِ الْعَدَى تُنْصَرُّ بِحُذْلِهِمْ إِنْ النَّبِيِّ بِفَضْلِ الرَّعْبِ قَدْ نُصِرَا
 وَلَا تُكَدِّرِيهِمْ نَفْسًا مُطَهَّرَةً فَالْبَجْرِ مِنْ يَوْمِهِ لَا يَعْرِفُ الْكَدَرَا
 ظَنُّوْا تَأَنِّيكَ عَجْزًا وَمَا عَلِمُوا أَنْ التَّائِي فِيهِمْ يُعْقِبُ الْبُظْفَرَا
 أَحْسَنْتُمْ فَبَغَوْا جَهْلًا وَمَا اعْتَرَفُوا لَكُمْ وَمَنْ كَفَرَ التَّمَعَى فَقَدْ كَفَرَا
 وَأَسْعَدَ بَعِيدِكَ ذَا الْأَصْحَى وَصَحَّ بِهِ وَصَلَّ وَصَلَّ لِرَبِّ الْعَرْشِ مُؤَمِّرَا
 وَأَتَحَرَّ عِدَالُكَ قِبَالَ الْإِنْعَامِ مَا أَنْصَحُوا إِنْ كَانَ غَيْرُكَ لِلْإِنْعَامِ قَدْ تَحَرَّا

٤١ ولصفي الدين الحلي يجرى السلطان الملك المنصور نجم الدين غازي ابن ارتق صاحب ماردين على حضوره حصار قلعة إربل حين أرسل الجيوش ولم يخضرها سنة اثنتين وسبعمائة :

أَبْدَسْنَا وَجْهَكَ مِنْ حِجَابِهِ فَالسَّيْفُ لَا يَقْطَعُ فِي قِرَابِهِ
 وَاللَّيْتُ لَا يُزْهَبُ مِنْ زَيْرِهِ إِذَا أُغْتَدَى مُحْتَجِبًا بِغَابِهِ
 وَالنَّجْمُ لَا يَهْدِي السَّبِيلَ سَارِيَا إِلَّا إِذَا أَسْفَرَ مِنْ حِجَابِهِ
 وَالشَّهْدُ لَوْلَا أَنْ يُذَاقَ طَعْمُهُ لَمَّا غَدَا مُبِيرًا عَنْ صَابِهِ
 إِذَا بَدَا نُورُكَ لَا يَصُدُّهُ تَرَاخُمُ الْمَوَكِبِ فِي أَرْكَابِهِ
 وَلَا يَضُرُّ الْبَدْرَ وَهُوَ مُشْرِقُ أَنْ رَفِيقَ الْقِيمِ مِنْ نِقَابِهِ
 قُمْ غَيْرَ مَأْمُورٍ وَلَكِنْ مِثْلَمَا هُزَّ الْحُسَامُ سَاعَةَ اجْتِدَابِهِ
 كَمْ مُذْرِكٍ فِي يَوْمِهِ بِعَزْمِهِ مَا لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْسِ فِي حِسَابِهِ
 مَنْ كَانَتْ السَّمَرُ الدَّانُ رُسْلُهُ كَانَ بُلُوغُ النَّصْرِ مِنْ جَوَابِهِ

بِكُلِّ أَيْضَ قَدْ أَجْرَى الْفِرْدَ بِهِ
خَاضَ الْعِجَاجَةَ عُرْيَانًا مَا أَنْقَشَتْ
لَا يَحْسُنُ الْحِلْمُ إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِ
وَلَا يَنَالُ الْعُلَى إِلَّا فَنِي شَرَفَتْ
كَالصَّاحِ الْمَلِكِ الْمَرْهُوبِ سَطَوْتُهُ
لَمَّا رَأَى الشَّرَّ قَدْ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ
رَأَى الْقِسِيَّ إِنَانًا فِي حَقِيقَتِهَا
فَجَرَّدَ الْعَزَمَ مِنْ قَبْلِ الصَّفَاحِ لَهَا
يَكَادُ يُقْرَأُ مِنْ عُتُونِ هِمَّتِهِ
كَالْجَرِّ وَالذَّهْرِ فِي يَوْمِي نَدَى وَرَدَى
مَا جَادَ لِلنَّاسِ إِلَّا قَبْلَ مَا سَأَلُوا
لَا مَوْهَ فِي بَذْلِهِ الْأَمْوَالُ قُلْتُ لَهُمْ
إِذَا عَدَا الْغَضَنُ غَضًّا مِنْ مَنَاتِهِ
مِنْ آلِ أُرْتُقِ الْمَشْهُورِ ذِكْرُهُمْ
الْحَامِلِينَ مِنَ الْخَطِيئِ أَطْوَلُهُ
لَمْ يَرْحَلُوا عَنْ جَمِي أَرْضٍ إِذَا تَزَلُّوا
تَبَقَى صَنَائِعُهُمْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُمْ
لِلَّهِ دَرُّ سَمَا الشَّهْبَاءِ مِنْ فَلَكَ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَائِي لِدَوْلَتِهِ
مَاءَ الرَّدَى فَلَوْ اسْتَقَطَرَتْهُ قَطَرًا
حَتَّى أَتَى بِدَمٍ الْأَبْطَالِ مُوْتَرًا
وَلَا يَلِيقُ الْوَفَا إِلَّا لِمَنْ شَكَرًا
خِلَالَهُ فَاطَاعَ الدَّهْرُ مَا أَمَرًا
فَلَوْ تَوَعَّدَ قَلْبَ الدَّهْرِ لَا نَفْطَرًا
وَالْعَدْرَعَنْ نَابَهُ لِلْحَرْبِ قَدْ كَشَرًا
فَعَافَهَا وَاسْتَشَارَ الصَّارِمَ الذِّكْرًا
مَلَكٌ عَنِ الْبَيْضِ يَسْتَغْنِي بِمَا شَهَرًا
مَا فِي صَحَائِفِ ظَهْرِ الْقَيْبِ قَدْ سَطَرًا
وَاللَيْثُ وَالْغَيْثُ فِي يَوْمِي وَغَى وَقَرَى
وَلَا عَقَا قَطُّ إِلَّا بَعْدَ مَا قَدَرًا
هَلْ تَقْدِيرُ السَّحْبِ إِلَّا تُرْسِلُ الْمَطَرًا
مَنْ شَاءَ فَلْيَجْنِ مِنْ أَفْنَانِهِ الثَّمَرَا
إِذَا كَانَ كَأَمْسِكَ إِنْ أَخْفَيْتُهُ ظُورًا
وَالنَّاقِلِينَ مِنَ الْأَسْيَافِ مَا قَصَرَا
إِلَّا وَأَبَقُوا بِهَا مِنْ جُودِهِمْ أَثَرَا
وَالْغَيْثُ إِنْ سَارَا بَقِيَ بَعْدَهُ الزَّهَرَا
وَكَلَّمَا غَابَ نَجْمٌ أَطْلَعَتْ قَمَرَا
ذِكْرُ أَطْوَى ذِكْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَانْتَشَرَا

لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلْهَا
 هُمْ جَرَدُوا السَّيْفَ فَأَجْعَلُهُمْ لَهُ جُزْرًا
 إِنْ تَعَفُّ عَنْهُمْ يَقُولُ النَّاسُ كُلُّهُمْ
 هُمْ أَهْلَةُ غَسَّانٍ وَمَجْدُهُمْ
 وَعَرَضُوا بِفِدَاءٍ وَاعْفَينَ لَنَا
 أَيُّخْبُونُ دَمًا مِنَّا وَتَحْلِبُهُمْ
 عَالَمٌ تَقْبَلُ مِنْهُمْ فِدْيَةً وَهُمْ
 إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا
 وَأَوْقِدُوا النَّارَ فَأَجْعَلُهُمْ لَهَا حَطْبًا
 لَمْ يَفْ حِلْمًا وَلَكِنْ عَفْوُهُ رَهْبًا
 عَالٍ فَإِنْ حَاوَلُوا مُدَاكَ فَلَاعْجَبًا
 خَيْلًا وَإِبِلًا تَرُوقُ النُّجُجُ وَالْعَرَبَا
 رِسَالًا لَقَدْ شَرَفُونَا فِي الْوَرَى حَلْبًا
 لَا فِضَّةً قَبِلُوا مِنَّا وَلَا ذَهَبًا

٤٠ قال صني الدين الحلي يجوزُ السلطان الملك الصالح على الاحتراز من المغول

ومنافرتهم عند اقبالهم ويهينه بعيد النحر

لَا يَمِطُّ بِالنَّجْدِ مَنْ لَمْ يَذْكَبِ الْخَطَرَا
 وَمَنْ أَرَادَ الْعُلَى عَفْوًا بِلا تَعَبٍ
 لَا بُدَّ لِلشَّهْدِ مِنْ تَحُلٍّ يَمْنَعُهُ
 لَا يَبْلُغُ السُّؤْلُ إِلَّا بَعْدَ مُؤَلَّةٍ
 وَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ لَوَّمَاتٍ مِنْ ظَمَا
 وَأَغْزَرُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَظَرَتْ
 قَمَدٌ يُقَالُ عِثَارُ الرَّجُلِ إِنْ عَثَرَتْ
 مَنْ دَبَّرَ الْعَيْشَ بِالْأَرَاءِ دَامَ لَهُ
 يَهُونُ بِالرَّأْيِ مَا يَجْرِي الْقَضَاءُ بِهِ
 مَنْ فَاتَهُ الْغَيْزُ بِالْأَقْلَامِ أَدْرَكَهُ
 وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ قَدَّمَ الْحَذَرَا
 قَضَى وَلَمْ يَقْضَ مِنْ إِدْرَاكِهَا وَطَرَا
 لَا يَجْتَنِي النَّفْعَ مَنْ لَمْ يَحْمِلِ الضَّرَرَا
 وَلَا يَتِمُّ الْمُنَى إِلَّا لِمَنْ صَبَرَا
 لَا يَقْرُبُ الْوَرْدَ حَتَّى يَعْرِفَ الصَّدَرَا
 عَيْنَاهُ أَمْرًا غَدَا بِالْغَيْرِ مُعْتَبَرَا
 وَلَا يُقَالُ عِثَارُ الرَّأْيِ إِنْ عَثَرَا
 صَفَوْا وَجَاءَ إِلَيْهِ الْخُطْبُ مُعْتَذَرَا
 مَنْ أَخْطَأَ الرَّأْيَ لَا يَسْتَذِنُ الْقَدَرَا
 بِالْيَيْسِ يَفْدَحُ مِنْ أَطْرَافِهَا الشَّرَرَا

اللَّهُ فَإِنَّ الْحَمْدَ يَجِبُ عَلَيْهَا عَمَلًا وَشَرْعًا. وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّكَ صِرْتَ فِي
 الْأُمُورِ أَصْلًا وَصَارَ غَيْرُكَ فَرْعًا. وَمِمَّا يَجِبُ أَيْضًا تَقْدِيمُ ذِكْرِهِ أَمْرُ
 الْجِهَادِ الَّذِي أَضْحَى عَلَى الْأُمَّةِ فَرَضًا. وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي يَرْجِعُ بِهِ
 مُسَوِّدُ الصَّخَائِفِ مُبَيِّضًا. وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِالْآخِرِ الْعَظِيمِ.
 وَأَعَدَّ لَهُمْ عِنْدَهُ الْمَقَامَ الْكَرِيمَ. وَبِكَ صَانَ اللَّهُ جَمِيَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَنْ
 يُبْتَدَلَ. وَيُعْزَمَكَ حِفْظَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نِظَامَ هَذِهِ الدُّوَلِ. وَسَيَفُكُّ أَثَرَ
 فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ قُرُوحًا لَا تَدْمِلُ. وَبِكَ يُرْجَى أَنْ يَرْجِعَ مِنْ
 الْخِلَافَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْأَيَّامِ الْأُولَى. فَأَنْقِظْ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ
 جَفْنًا مَا كَانَ غَافِيًا وَلَا هَاجِمًا. وَكُنْ فِي مُجَاهَدَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِمَامًا مَتَّبُوعًا
 لَا تَابِعًا. هَذَاكَ اللَّهُ إِلَى مَنَاجِحِ الْحَقِّ وَمَازَاتِ مُهْتَدِيَا إِلَيْهَا. وَأَلْزَمَكَ
 الْمُرَاشِدَ وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَنْبِيهِ عَلَيْهَا. وَاللَّهُ مُمِدِّكَ بِأَسْبَابِ نَصْرِهِ وَيُوزِعُكَ
 شُكْرَ نِعَمِهِ فَإِنَّ النِّعْمَةَ لَسَتِمْ بِشُكْرِهِ (للسيوطي)

٣٩ خطبة أبي أذينة يفرى الاسود بن المنذر يقتل آل غسان وكانوا قتلوا أخاه

مَا كُلُّ يَوْمٍ نَيْالُ الْمَرْءِ مَا طَلَبَا وَلَا يُسَوِّعُهُ الْمِقْدَارُ مَا وَهَبَا
 وَأَخْزَمُ النَّاسِ مَنْ إِنْ فُرْصَةٌ عَرَضَتْ لَمْ يَجْعَلِ السَّبَبَ الْمَوْصُولَ مُنْقَضِبًا
 وَأَنْصَفُ النَّاسِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ مَنْ سَقَى الْمُعَادِينَ بِأَلْكَاسِ الَّتِي شَرِبَا
 وَلَيْسَ يَظْلِمُهُمْ مَنْ رَاحَ يَضْرِبُهُمْ بِحَدِّ سَيْفٍ بِهِ مِنْ قَتْلِهِمْ ضَرْبًا
 وَالْعَفْوُ إِلَّا عَنِ الْأَكْفَاءِ مَكْرَمَةٌ مَنْ قَالَ غَيْرَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ كَذَبًا
 قَتَلَتْ عَمْرًا وَتَسْتَبْقِي لِزَيْدٍ لَقَدْ رَأَيْتَ رَأْيًا يُجْرِي الْوَيْلَ وَالْحَرْبَا

يَعْمَلُوا أَحَدًا عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَّا بِمَا يَسْتَحِقُّ. وَأَنْ يَكُونُوا لِمَنْ
تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الرِّعَايَا إِخْوَانًا. وَأَنْ يُوسِعُوهُمْ بَرًّا وَإِحْسَانًا. وَأَنْ
لَا يَسْتَحْلُوا حُرْمَتَهُمْ إِذَا اسْتَحَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ حِرْمَانًا. فَلِمُسْلِمٍ أَخُو
الْمُسْلِمِ. وَلَوْ كَانَ أَمِيرًا عَلَيْهِ وَسُلْطَانًا. وَالسَّعِيدُ مَنْ تَسَجَّ وَلَا تَهْ فِي
الْخَيْرِ عَلَى مَنَوَالِهِ. وَاسْتَسْنُوا بِسُنَّتِهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ. وَتَحَمَّلُوا عَنْهُ
مَا تَعَجَّزُ قُدْرَتُهُ عَنْ حَمْلِ أَثْقَالِهِ. وَمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ أَنْ يُعْجَى مَا أُحْدِثَ مِنْ
سَيِّئِ السَّنَنِ. وَجِدِّدْ مِنَ الْمَظَالِمِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْخَبَرِ. وَأَنْ
يَشْتَرِيَ بِإِبْطَالِهَا الْحَامِدَ فَإِنَّ الْحَامِدَ رَخِصَةٌ بِأَعْلَى ثَمَنِ. وَمَهْ أَجْبَى
بِهَا مِنْ الْأَمْوَالِ فَإِنَّمَا هِيَ بِأَفْقَةٍ فِي الدِّمِّ حَاصِلَةٌ. وَأَجْيَادُ الْخَزَائِنِ وَإِنْ
أَصَحَّتْ بِهَا حَالِيَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْهَا عَاطِلَةٌ. وَهَلْ أَشَقَى مِمَّنْ
أُحْتَقِبَ إِثْمًا. وَاكْتَسَبَ بِالسَّاعِي الدِّمِيَّةِ ذِمًّا. وَجَعَلَ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ
لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَصْمًا. وَتَحَمَّلَ ظُلْمَ النَّاسِ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ أَعْمَالِهِ
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا. وَحَقِيقُ بِالْمَقَامِ الشَّرِيفِ الْمُؤَلَوِيِّ السُّلْطَانِي
الْمُلْكِيِّ الظَّاهِرِيِّ الرَّكْنِيِّ أَنْ تَكُونَ ظُلَامَاتُ الْأَنَامِ مَرْدُودَةً بَعْدْلِهِ.
وَعَزَائِمُهُ تُخَفَّفُ ثِقَلًا لَا طَاقَةَ لَهُ بِحِمْلِهِ. فَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْإِحْسَانِ قَائِدًا.
وَصَنَعَتْ لَهُ الْأَيَّامُ مَا لَمْ تَصْنَعْهُ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ جَاءَ
آخِرًا. فَاحْمَدِ اللَّهَ عَلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى جَانِبِكَ إِمَامٌ هُدَى أَوْجَبَ لَكَ
مَرْيَةَ التَّعْظِيمِ. وَتَبَّ الْخَلَائِقُ عَلَى مَا أَفْضَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ هَذَا الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ. وَهَذِهِ أُمُورٌ يَجِبُ أَنْ تَلَاظِمْ وَتُرْعَى. وَأَنْ يُؤَالَى عَلَيْهَا حَمْدُ

تَعْدُ فِي الْأَعْلَى وَلَا فِي الْأَدْنَى . فَلَا حِظَّ أُمُورِ الْأُمَّةِ فَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهَا
حَامِلًا . وَخَلَّصَ نَفْسَكَ مِنَ التَّيَبَاتِ الْيَوْمَ فَبِئْسَ غَدٌ تَكُونُ مَسْئُولًا لَا
سَائِلًا . وَدَعِ الْإِغْتِرَارَ بِأَمْرِ الدُّنْيَا فَمَا نَالَ أَحَدٌ مِنْهَا طَائِلًا . وَمَا رَأَاهَا
أَحَدٌ بِعَيْنِ الْحَقِّ إِلَّا رَأَاهَا حَائِلًا زَائِلًا . فَالْسَّعِيدُ مَنْ قَطَعَ مِنْهَا آمَالَهُ
الْمَوْصُولُ . وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ زَادَ التَّقْوَى فَتَقَدَّمَ غَيْرِ التَّقْوَى مَرْدُودَةٌ لَا
مَقْبُولَةٌ . وَابْسُطْ يَدَكَ بِالْإِحْسَانِ وَالْعَدْلِ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ
وَحَثَّ عَلَى الْإِحْسَانِ . وَكَفَّرَ بِهِ عَنِ الْمَرْءِ ذُنُوبًا كُتِبَتْ عَلَيْهِ وَأَثَامًا .
وَجَعَلَ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْهَا كِعِبَادَةِ الْعَالِيدِ سِتِّينَ عَامًا . وَمَا سَلَكَ أَحَدٌ سَبِيلَ
الْعَدْلِ إِلَّا وَاجْتَنَى ثِمَارَهُ مِنَ الْأَفْئَانِ وَرَجَعَ الْأَمْرُ بَعْدَ بَعْدٍ تَدَاعَى أَرْكَانُهُ
وَهُوَ مُشِيدُ الْأَرْكَانِ . وَتَحَصَّنَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ زَمَانِهِ . وَالسَّعِيدُ مَنْ
تَحَصَّنَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ . وَكَانَتْ أَيَّامُهُ فِي الْأَيَّامِ أَبْهَى مِنْ
الْأَعْيَادِ . وَأَحْلَى مِنَ الْعُقُودِ إِذَا حَلَّى بِهَا عَاطِلُ الْأَجْيَادِ . وَهَذِهِ
الْأَقَالِيمُ الْمَنْوُطَةُ بِكَ تَحْتَاجُ إِلَى نَوَابِ وَحُكَامٍ . وَأَصْحَابِ رَأْيٍ
مِنْ أَصْحَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ . فَإِذَا اسْتَعْنَتْ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي أُمُورِكَ
فَقَبِّ عَلَيْهِ تَقِيًّا . وَاجْعَلْ عَلَيْهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ رَقِيبًا . وَاسْأَلْ عَنْ
أَحْوَالِهِ فَبِئْسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ عَنْهُ مَسْئُولًا وَبِمَا اجْتَرَمَ مَطْلُوبًا . وَلَا
تُؤَلِّمْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ تَكُونُ مَسَاعِيهِ حَسَنَاتٍ لَكَ لَا ذُنُوبًا . وَأَمْرُهُمْ
بِالْأَنَانَةِ فِي الْأُمُورِ وَالرِّفْقِ . وَخُلَافَةُ الْهَوَى إِذَا ظَهَرَتْ أَدِلَّةُ الْحَقِّ .
وَأَنْ يُتَابِلُوا الضُّعَفَاءَ فِي حَوَائِجِهِمْ بِالتَّغْرِيبِ الْبَاسِمِ وَالْوَجْهِ الطَّلَقِ . وَأَنْ لَا

سُلْطَانَهُ تَنْوِيهَا بِشَرِيفِ قَدْرِهِ . وَأَعْتَرَفَا بِصَنِيعِهِ الَّذِي تَفَعَّدُ الْعِبَارَةَ
الْمُسْتَهْبَةَ وَلَا تَقُومُ بِشُكْرِهِ . وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَقَامَ الدَّوْلَةَ الْعَبَّاسِيَّةَ
بَعْدَ أَنْ أَقْعَدَتْهَا زَمَانَةُ الزَّمَانِ . وَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ لَهَا مِنْ مُحَاسِنَ
وِإِحْسَانٍ . وَعُتِبَ دَهْرُهَا الْمُسِيءُ لَهَا فَأَعْتَبَ . وَأَرْضَى عَنْهَا زَمَنَهَا وَقَدْ
كَانَ صَالَ عَلَيْهَا صَوْلَةٌ مُغْضَبٍ . فَأَعَادَ لَهَا سَلَامًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَيْهَا
حَرْبًا . وَصَرَفَ إِلَيْهَا أَهْتَامَهُ فَرَجَعَ كُلُّ مُتَضَايِقٍ مِنْ أُمُورِهَا وَاسِعًا
رَحْبًا . وَمَنَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ خُنُوءًا وَعَظْفًا . وَأَظْهَرَ مِنْ
الْوَلَاءِ رَغْبَةً فِي ثَوَابِ اللَّهِ مَا لَا يَحْتَقِي . وَأَبْدَى مِنَ الْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِ
الشَّرِيعَةِ وَالْبَيْعَةِ أَمْرًا لَوْرَامَهُ غَيْرُهُ لَا مُتَمَتِّعَ عَلَيْهِ . وَلَوْ تَمَسَّكَ بِحَبْلِهِ
مُتَمَسِّكٌ لَا نَقْطَعَ بِهِ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَيْهِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ أَدَّخَرَ هَذِهِ الْحُسْنَةَ
لِيُثْقِلَ بِهَا مِيزَانَ ثَوَابِهِ . وَيُخَفِّفَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابَهُ وَالسَّعِيدُ مَنْ
خَفَّفَ مِنْ حِسَابِهِ . فَهَذِهِ مَنَقِبَةُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُجَلِّدَهَا فِي صَحِيفَةِ
صُنْعِهِ . وَمَكْرَمَةٌ تَضَمَّنَتْ لِهَذَا أَلَيْتِ الشَّرِيفِ لِمَجْمَعِهِ . بَعْدَ أَنْ حَصَلَ
الْإِيَّاسُ مِنْ جَمْعِهِ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَشْكُرُ لَكَ هَذِهِ الصَّنَائِعَ . وَيَعْتَرِفُ
أَنَّهُ لَوْلَا أَهْتِمَامُكَ لَا تَسَعُ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ . وَقَدْ قَلَدَكَ الدِّيَارَ
الْمِصْرِيَّةَ وَالْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ . وَالدِّيَارَ الْبَكْرِيَّةَ وَالْحِجَازِيَّةَ وَالْيَمَنِيَّةَ
وَالْفَرَاتِيَّةَ . وَمَا يَتَجَدَّدُ مِنَ الْقُتُوحَاتِ غَوْرًا وَمَجْدًا . وَفَوْضَ أَمْرَ
جُنْدِهَا وَرَعَايَاهَا إِلَيْكَ حَتَّى أَصْبَحْتَ بِالْمَكْرَامِ فَرْدًا . وَلَا جَعَلَ مِنْهَا
بَلَدًا مِنَ الْبِلَادِ وَلَا حِصْنًا مِنَ الْحُصُونِ يُسْتَنْتَى . وَلَا جِهَةً مِنَ الْجِهَاتِ

بُجُوهِنَا فَعَرَضْتُمْ لَنَا دُونَهُمْ فَقَاتَلْتُمُونَا فَأَبْعَدَكُمْ اللَّهُ . فَوَاللَّهِ لَوْ قُلْتُمْ : لَا نَعْرِفُ الَّذِي تَقُولُ وَلَا نَعْلَمُهُ لَكَانَ أَعْذَرَمَعَ أَنَّهُ لَا عَذْرَ لِلْجَاهِلِ .
وَلَكِنْ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَنْطِقَ بِالْحَقِّ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ وَيَأْخُذَكُمْ بِهِ فِي
الْآخِرَةِ

(العقد الثريد لابن عبد ربه)

تقليد السلطان الى الملك الظاهر

(لما بُويع بالخلافة للمستنصر بالله صعد فخر الدين بن لقمان رئيس الكتاب منبراً فقرأ
على الملك (الظاهر) تقليد السلطان وكان التقليد من إنشائه . وصورته :)

٣٨ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَضْفَى عَلَى الْإِسْلَامِ مَلَائِسَ الشَّرَفِ . وَأَظْهَرَ بِهَيْجَةِ
دُرِّهِ وَكَانَتْ خَافِيَةً بِمَا اسْتَحْكَمَ عَلَيْهَا مِنَ الصَّدْفِ . وَشَدَّ مَا وَهَى مِنْ
عَالِيهِ حَتَّى أَتَى بِهِ ذِكْرَ مَنْ سَلَفَ . وَقَيَّضَ لِنَصْرِهِ مُلُوكًا اتَّفَقَ عَلَيْهِمْ
مَنْ اخْتَلَفَ . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي وَقَعَتِ الْأَعْيُنُ مِنْهَا فِي الرُّوضِ
الْأَنْفِ . وَالطَّافِهِ الَّتِي وَقَفَ الشَّاكِرُ عَالِيهَا فَلَيْسَ لَهُ عَنْهَا مُنْصَرَفٌ .
وَبَعْدُ فَإِنَّ أَوْلَى الْأَوْلِيَاءِ بِتَقْدِيمِ ذِكْرِهِ . وَأَحَقُّهُمْ أَنْ يُصْبِحَ الْقَلَمُ
رَاكِعًا وَسَاجِدًا لِتَسْطِيرِ مَنَاقِبِهِ وَبِرِّهِ . مَنْ سَعَى فَأَضْحَى سَعْيُهُ لِلْحَمْدِ
مُقَدِّمًا . وَدَعَا إِلَى طَاعَتِهِ فَاجَابَ مَنْ كَانَ مُنْجِدًا وَمُتَمِّمًا . وَمَا بَدَتْ يَدُ
فِي الْمَكْرُمَاتِ إِلَّا كَانَ لَهَا زَنْدًا وَمِقْصَدًا وَلَا اسْتَبَاحَ بِسَيْفِهِ حِمَى وَغَى
إِلَّا أَضْرَمَ مِنْهُ نَارًا وَأَجْرَى مِنْهُ دَمًا . وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْمَنَاقِبُ الشَّرِيفَةُ
مُخْتَصَّةً بِالْقَامِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ السُّلْطَانِيِّ الْمَلِكِيِّ الظَّاهِرِيِّ الرَّكْنِيِّ
شَرَفَهُ اللَّهُ وَأَعْلَاهُ . ذَكَرَهُ الدِّيَوَانُ الْعَزِيزُ الْمُسْتَصْرِيُّ أَعَزَّ اللَّهُ

بِتَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالِ الْمُبْطِلِينَ . فَأَصْبَحْتُمْ عَنْ الْحَقِّ نَاكِينَ أَمْوَاتًا
 غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا تَشْعُرُونَ . يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَا أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
 وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا أَصَحَّ أَصْلَكُمْ وَأَسْقَمَ فَرْعُكُمْ . كَانَ
 آبَاؤُكُمْ أَهْلُ الْيَقِينِ وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْدِّينِ وَالْبَصَائِرِ النَّاقِذَةِ وَالْقُلُوبِ
 الْوَاعِيَةِ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ . اسْتَعْبَدْتُمْ الدُّنْيَا فَادَّلَتْكُمْ
 وَالْأَمْوَانِي فَأَضَلَّتْكُمْ . فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ بَابَ الدِّينِ فَأَفْسَدْتُمُوهُ . وَأَغْلَقَ عَنْكُمْ
 بَابَ الدُّنْيَا فَفَتَحْتُمُوهُ . سِرَاعُ إِلَى الْفِتْنَةِ بَطَاءٌ عَنِ السُّنَّةِ . عُمِّي عَنْ
 الْبَرْهَانَ . ضَمُّ عَنْ الْعُرْفَانِ . عَيْدُ الطَّمَعِ خُلَفَاءُ الْجَزَعِ . نِعَمَ مَا وَرَثْتُمْ
 آبَاؤُكُمْ لَوْ حَفِظْتُمُوهُ وَبَسَّ مَا تَوَرَّثُونَ أَبْنَاءُكُمْ إِنْ تَسَكَّوْا بِهِ . نَصَرَ
 اللَّهُ آبَاءَكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَخَذَلَكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ . كَانَ عَدَدُ آبَائِكُمْ
 قَلِيلًا طَيِّبًا وَعَدَدُكُمْ كَثِيرٌ خَيْثُ . اتَّبَعْتُمُ الْهَوَى فَارْدَاكُمْ . وَاللَّهُوُ فَاسَّهَأَكُمْ .
 وَمَوَاعِظُ الْقُرْآنِ تَرْجُرُكُمْ فَلَا تَرْدَجُرُونَ . وَتَعْبُرُكُمْ فَلَا تَعْتَبِرُونَ . سَأَلْنَاكُمْ
 عَنْ وَلَا تَكُمُ هَوْلًا فَمَلْتُمْ وَاللَّهُ مَا فِيهِمُ الَّذِي يَعْلَمُ . أَخَذُوا الْمَالَ مِنْ
 غَيْرِ صَلَافٍ فَوَضَعُوهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا بِغَيْرِ مَا
 أُنْزِلَ اللَّهُ . وَاسْتَأَثَرُوا بِفِتْنِنَا فَجَعَلُوهُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ وَقُلْنَا لَكُمْ
 تَعَالَوْا إِلَى هَوْلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُونَا وَظَلَمُوكُمْ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا
 بِغَيْرِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ . فَقُلْتُمْ : لَا نَقْصَى عَلَى ذَلِكَ وَوَدِدْنَا أَنَا أَصْبَنَّا مَنْ
 يَكْفِينَا فَقُلْنَا : نَحْنُ نَكْفِيكُمْ ثُمَّ اللَّهُ رَاعٍ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ إِنْ ظَفَرْنَا
 لَنُعْطِينَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ . فَحِجْنَا فَأَتَقَيْنَا الرِّمَاحَ بِصُدُورِنَا وَالسُّيُوفَ

أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ . وَإِنْ هَلَكَتْ قَبْلَ وُصُولِي إِلَيْهِ فَأَخْلَفُونِي فِي عَزَمَتِي
هَذِهِ وَأَحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ وَاكْتَفُوا أَلْهَمَ مِنْ فَتْحِ هَذِهِ الْجَزِيدَةِ بِقَتْلِهِ

خطبة ابي حمزة بالمدينة

٣٧ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : خَطَبَنَا أَبُو حَمْزَةَ خُطْبَةً شَكَّ فِيهَا
الْمُسْتَبْصِرُ وَرَدَّتِ الْمُرْتَابَ . قَالَ : أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَالْعَمَلِ
بِسُنَّتِهِ وَصَلَةِ الرَّحِمِ وَتَعْظِيمِ مَا صَغُرَتْ الْجَبَابِرَةُ فِي حَقِّ اللَّهِ .
وَتَصْغِيرِ مَا عَظَّمَتْ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِمَانَةِ مَا أَحْيَا مِنَ الْجَوْرِ . وَإِحْيَاءِ مَا
أَمَاتُوا مِنَ الْحَقِّ . وَأَنْ يُطَاعَ اللَّهُ وَيُعَصَى الْعِبَادُ فِي طَاعَتِهِ فَالطَّاعَةُ
لِلْعِبَادِ مِنْ أَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ وَلَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَنْصِبَةِ الْخَالِقِ نَدْعُو
إِلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَالْقِسْمِ بِالسَّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الرِّعْيَةِ وَوَضْعِ الْأَخْمَاسِ فِي
مَوَاضِعِهَا الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا . إِنَّا وَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا أَشْرَ أَوَّلًا بَطَرًا وَلَا لَهْوًا
وَلَا لَعِبًا . وَلَا لِدَوْلَةِ مَلِكٍ زُيْدٍ أَنْ نَخُوضَ فِيهَا وَلَا لِثَارٍ قَدْ نِيلَ مِنَّا .
وَلَكِنْ لَمَّا رَأَيْنَا الْأَرْضَ قَدْ أَظْلَمَتْ وَمَعَالِمُ الْجَوْرِ قَدْ ظَهَرَتْ وَكَثُرَ
الْإِدْعَاءُ فِي الدِّينِ وَعَمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِّلَ الْأَمْرُ وَقِيلَ الْقَائِمُ
بِالْقِسْطِ وَعُتِفَ الْقَائِلُ بِالْحَقِّ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ
مُسْتَقِيمٍ . فَاجْنَادِ عِيَالِ اللَّهِ (الْأَيَّةُ) فَأَقْبَلْنَا مِنْ قَبَائِلِ شَتَّى قَلِيلِينَ
مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ . فَأَوَانَا اللَّهُ وَأَيَّدَنَا بِنَصْرِهِ فَأَصْبَحْنَا بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا وَعَلَى الدِّينِ أَعْوَانًا . يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَوْلَكُمْ خَيْرٌ أَوَّلٌ وَآخِرُكُمْ شَرٌّ
آخِرُكُمْ أَنْتُمْ أَطْعَمْتُمْ قُرَاءَكُمْ وَفَتَّهَأْتُمْ فَاخْتَلَفْتُمْ عَنْ كِتَابِ غَيْرِ ذِي عَوَجٍ

وَأَنْتُمْ لَا وَزَرَ لَكُمْ إِلَّا سُيُوفُكُمْ وَلَا أَقْوَاتَ إِلَّا مَا تَسْتَخْلَصُونَهُ مِنْ
أَيْدِي عَدُوِّكُمْ . وَإِنْ أَمَدَّتْ بِكُمْ الْأَيَّامُ عَلَى أَفْقَارِكُمْ وَلَمْ تُخْزُوا لَكُمْ
أَمْرًا ذَهَبَ رِيحُكُمْ وَتَعَوَّضَتِ الْقُلُوبُ مِنْ رِعْيِهَا عَنْكُمْ الْجُرْأَةُ عَلَيْكُمْ .
فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خِذْلَانِ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ مِنْ أَمْرِكُمْ بِمُنَاجَزَةِ هَذَا
الطَّاعِغَةِ . فَقَدْ أَلَقْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ مَدِينَتَهُ الْحَصِينَةَ وَإِنْ أَنْتَهَارَ الْفُرْصَةُ فِيهِ
لَمْ يَكُنْ إِنْ سَخَّطْتُمْ لَا نَفْسَكُمْ بِالْمَوْتِ . وَإِنِّي لَمْ أَحْذَرُكُمْ أَمْرًا أَنَا عَنْهُ
بِنَجْوَةٍ وَلَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصُ مَتَاعٍ فِيهَا النَّفْسُ . أَبْدَأُ بِنَفْسِي .
وَأَعْلَمُوا أَنْكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَشَقِّ قَلِيلًا اسْتَمْتَعْتُمْ بِالْأَرْفَةِ إِلَّا لَذَّ
طَوِيلًا . فَلَا تَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ نَفْسِي فَمَا حَظُّكُمْ فِيهِ بِأَوْفَرٍ مِنْ حَظِّي .
وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أَنْشَأْتُ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْعَمِيمَةِ . وَقَدْ
أَخْتَبَكُمُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَبْطَالِ عُرَبَانًا .
وَرَضِيكُمْ لِلْمُلُوكِ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ أَصْهَارًا وَأَخْتَانًا . ثِقَّةً مِنْهُ بِأَرْتِيَا حُكْمِ
لِلطَّعَانِ . وَاسْتِمَاحِكُمْ بِجَالِدَةِ الْأَبْطَالِ وَالْفُرْسَانِ . لِيَكُونَ حَظُّهُ
مِنْكُمْ ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ . وَلِيَكُونَ
مَغْنَمُهَا خَالِصَةً لَكُمْ مِنْ دُونِهِ وَمِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ سِوَاكُمْ . وَاللَّهُ
تَعَالَى وَلِيُّ إِتْجَادِكُمْ عَلَى مَا يَكُونُ لَكُمْ ذِكْرًا فِي الدَّارَيْنِ . وَأَعْلَمُوا أَنِّي
أَوَّلُ مُحِيبٍ إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ وَأَنِّي عِنْدَ مُلْتَقَى الْجَمْعَيْنِ حَامِلٌ بِنَفْسِي
عَلَى طَاعِغَةِ الْقَوْمِ لِدُرَيْقٍ فَقَاتِلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَاجْمَعُوا مَعِيَ فَإِنْ
هَآكُنْتُ بَعْدَهُ فَقَدْ كُفَيْتُمْ أَمْرَهُ وَلَمْ يُعْزِزْكُمْ بَطْلٌ عَاقِلٌ تَسْنِدُونَ

اللَّهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَرَاكُمْ اللَّهُ مُهْزِمِينَ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَأَنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَلَيْسَ لَكُمْ مَلْجَأٌ مِنْ دُونِهِ

وَخَرَجَ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فَطَافَ بَيْنَ الصُّفُوفِ وَهُوَ شَاكٌ فِي سِلَاحِهِ رَاكِبٌ فَرَسَهُ وَهُوَ يَقُولُ : مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنْتُمْ الْعَرَبُ الْكِرَامُ السَّادَةُ الْعِظَامُ وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي دِيَارِ الْأَعْلَاجِ مُنْقَطِعِينَ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ . وَاللَّهُ لَا يُخَيِّكُمْ مِنْهُمْ الْيَوْمَ إِلَّا الْطَعْنَ وَالضَّرْبُ تَبْلُغُونَ بِذَلِكَ أَرْبَكُمْ وَتَتَالُونَ الْقَوْزَ مِنْ رَبِّكُمْ . وَاعْلَمُوا أَنَّ الصَّبْرَ فِي مَوَاطِنِ الْبَأْسِ مِمَّا يَفْرِجُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ وَيُنْجِي بِهِ مِنَ الْغَمِّ . فَاصْدُقُوهُمْ الْقِتَالَ فَإِنَّ النَّصْرَ يَنْزِلُ مَعَ الصَّبْرِ . فَإِنْ صَبَرْتُمْ مَا بَكَّكُمْ أَمْصَارُهُمْ وَبِلَادَهُمْ وَاسْتَعْبَدْتُمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ . وَإِنْ وَلَّيْتُمْ فَلَيْسَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا مَقَاوِرُ لَا تُقْطَعُ إِلَّا بِالزَّادِ الْكَثِيرِ وَالْمَاءِ الْغَزِيرِ وَهُوَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى دَارٍ وَفُضُورٍ . فَامْتَنِعُوا بِسُيُوفِكُمْ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (فتوح الشام للواقدي)

خطبة طارق قبل فتوح الاندلس

٣٦ لما بَلَغَ طَارِقًا دُنُورَ دُرَيْقٍ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ حَثَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْجِهَادِ وَرَغَّبَهُمْ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَ الْفَرُّ . الْبَحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ وَاللَّهُ إِلَّا الصَّدَقُ وَالصَّبْرُ . وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَضْيَعُ مِنَ الْأَيَّامِ . فِي مَادِبَةِ اللَّيْلِ . وَقَدْ اسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِجَيْشِهِ . وَأَسْلَحَتُهُ وَأَقْوَاتُهُ مَوْفُورَةٌ

الْبَابُ الثَّانِي فِي الْخُطْبِ الْحَمَاسِيَّةِ

تجريض خالد على القتال في اجنادين

٣٤ يَا مَعَاشِرَ النَّاسِ أَنْصِرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ . وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَأَحْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَصْبِرُوا عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِكُمْ . وَقَاتِلُوا
عَنْ حَرِّ يَمِّكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَدِينِكُمْ . وَلَيْسَ لَكُمْ مُلْجَأٌ تَلْجَأُونَ إِلَيْهِ وَمَكْمَنٌ
تَكْمُنُونَ فِيهِ . فَأَقْرَبُ النَّاسِ الْمُنَاكِبَ وَقَدِّمُوا الْمُضَارِبَ . وَلَا تَحْمِلُوا حَتَّى أَمْرُكُمْ
بِالْحِمْلَةِ . وَلَتَكُنِ السَّهَامُ مُجْتَمِعَةً إِذَا خَرَجْتَ مِنْ أَكْبَادِ الْقِسِيِّ كَأَنَّهَا
تَخْرُجُ مِنْ كَيْدِ قَوْسٍ وَاحِدٍ . فَإِنَّهُ إِذَا تَلَاَحَقَتِ السَّهَامُ رَشْقًا كَالْجَرَادِ لَمْ
يَخْلُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا سَهْمٌ صَائِبٌ . وَأَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَارَابُطُوا وَانْفُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَا تَقُونَ عَدُوًّا مِثْلَ هَذِهِ الْقِسَةِ حِمَاتِهِمْ
وَأَبْطَاهِمُ وَمُلُوكِهِمْ

خطبة أمراء المسلمين لاهل جيشهم قبل وقعة اليرموك

٣٥ وَلَمَّا حَانَ الْقِتَالُ خَرَجَ مُعَاذٌ مُخَرِّضًا النَّاسَ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الدِّينِ
وَيَا أَنْصَارَ الْهُدَى وَالْحَقِّ اعْلَمُوا أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تُتَالُ إِلَّا
بِالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ وَلَا تُدْرِكُ بِالْعَصِيَةِ وَالْتَمَنِي وَبَغَيْرِ عَمَلٍ مَرْضِيٍّ . وَلَا
يُؤْتِي اللَّهُ مَغْفِرَتَهُ الْوَاسِعَةَ إِلَّا الصَّالِحِينَ وَالصَّادِقِينَ . فَإِنَّهُ قَدْ قَسَمَ أَنْ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . وَاسْتَحْيُوا رَحِمَكُمُ

الْمَسِيحِيَّةِ مِنْ لَيْلِ الظَّلَامِ الدَّامِسِ . وَوَضَعُوا أَقْدَامَهُمْ عَلَى جَدِيدِ الْهُدَى
 بَعْدَ أَنْ كَانُوا عَلَى الطَّرِيقِ الطَّوَامِسِ . وَقَادُواهُمْ عَنْ تِيهِ الْأَضَالِيلِ
 وَفَجَّاجِ الرَّدَى . وَأَعَادُواهُمْ بِشَرْعِ الْمَسِيحِ إِلَى سَيِّدِ الْمَقَاصِدِ وَمِنْهَا جِ
 الْهُدَى . بِآيَاتٍ قَطَّتْ قَوَاضِيهَا عُرَى الْأَبْطِيلِ مِنْ فُلُوبِ الْحُكَمَاءِ .
 وَقَطَّتْ مَضَارِبَهَا عَلَاقِ الشُّبُهَاتِ مِنْ أَذْهَانِ الْفُضَلَاءِ . فَكَمَ مِنْ مَيْتِ
 طَوَاهِ الْفَنَاءِ فِي مَدَارِجِ الْكُفَّانَةِ فَشَرُّهُ وَالنُّشْرُوهُ . وَأَعْمَى أَرْوَاغُ غَشَاةِ
 الْعَمَاءِ عَنْ بَصَرِهِ فَبَصْرُوهُ وَنَصْرُوهُ . وَكَمْ مُكْتَتِمٍ فِي مَخَادِعِ الْحَيَاءِ مِنْ
 وَخْشَةِ بَرَصِهِ فَأَظْهَرُوهُ وَطَهَّرُوهُ . وَذِي لَمَمٍ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحِجَى
 بِالْبُرَى وَالشِّقَاءِ بَشَّرُوهُ . وَكَمْ مِنْ مُقْعَدٍ حَلَّوْا قَيْدَ الزَّمَانَةِ مِنْ رِجْلِهِ
 فَانْهَضُوهُ ... وَكَلَامٌ عَلَيْهِ مَسْحَةُ الْبَشَاعَةِ بَيْنُوهُ بِالْآيَاتِ الْبَوَاهِرِ وَحَقِّقُوهُ .
 حَتَّى انْتَشَرَتْ أَعْلَامُ رَايَاتِهِ الْخَافِقَةِ . وَتَأَلَّقَتْ عَلَى الْأَفَاقِ ذَوَائِبُ
 شَمْسِهِ الشَّارِقَةِ . وَزَهَرَتْ كَوَاكِبُ الْإِيمَانِ فِي سَمَاءِ الْبَيْعَةِ . وَتَقَرَّرَ فِي
 قُلُوبِ الْخَلْقِ شَرَفُ السَّنَةِ الْإِضْطَالِيَّةِ وَمَفَاخِرُ الشَّرِيعَةِ ... فَلَمَّا أَرَفَ وَقْتُ
 أَرْتِحَالِهِمْ . وَخَسَفَتْ عُقْدَةُ الْمَوْتِ أَفْهَارَ آجَالِهِمْ . فَفِيهِمْ مَنْ عَمَّرَ طَوِيلًا .
 وَفِيهِمْ مَنْ مَاتَ قَتِيلًا . وَفِيهِمْ مَنْ قُتِلَ مَضْلُوبًا . وَصَابَ مَكْبُوبًا . وَقَبِرَ
 مَحْضُوبًا . وَقُتِلَ مَضْرُوبًا . فَمِنْ عَمَّرَ مِنْهُمْ عَاشَ بِاللَّهِ سَعِيدًا . وَمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ
 مَاتَ فِي اللَّهِ شَهِيدًا . شَقُوا فِي عَالَمِ الْفَنَاءِ قَلِيلًا . وَسَعَدُوا فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ
 طَوِيلًا . وَاسْتَخْلَفُوا عَلَى رِعَايَا الْمَسِيحِ أَيْمَةً يَهْدُونَ إِلَى مَقَارِ الْمُلْكُوتِ .
 مُوَيَّدِينَ بِالْمَوَاهِبِ الرُّوحَانِيَّةِ وَوَقَارِ الْكُنُوتِ ...

الْقُلُوبِ خَنَادِسَ الْكُفْرِ بِخَطَرَاتٍ عَالِيَةٍ... مَسَاكِينَ تَرْجُفُ مِنْ سَطَوَتِهِمْ
 أَسِيرَةً أَمَّا لِكَ. جُنُودٌ قَدْ قَهَرُوا ذَوِي الْبَأْسِ وَالتَّجْدَةِ وَالسَّجَّاحَةَ. لَكِنْ أَرْبُوا
 بِالْحَجَجِ الدَّوَامِ عَلَى أَرْبَابِ الْفَصَاحَةِ... لَيْسَ لَهُمْ فِي خَزَائِنِ الْقُلُوبِ
 مِنَ الْعَقَائِلِ غَيْرُ حَبِّ حَبِّ الْمَسِيحِ. وَلَا لَهُمْ فِي جُيُوبِ الْجَنُوبِ مِنَ
 الْأَمْوَالِ الْجَزَائِلِ غَيْرُ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ. لَا يَنْبِي ثَبَّةَ عَزَائِمِهِمْ عَنِ الثَّنَاءِ
 عَلَى سَيِّدِهِمْ ثَانٍ. وَلَا فِي صَدَفَاتِ قُلُوبِهِمْ غَيْرُ دُرَّةِ التَّوْحِيدِ شَيْءٌ ثَانٍ.
 مِنْ شُذُورِ كَلَامِهِمْ تُنْظَمُ عُقُودُ الْعَقَائِدِ. وَبُنُورِ أَفْهَامِهِمْ تُسْتَلُّ السَّخَائِمُ
 وَيَنْخَلُّ مَعْقُودُ الْحَقَائِدِ. هَجَمُوا عَلَى مُلُوكِ الرُّومِ وَقَلَاسِفَةِ الْيُونَانِ. وَهُمْ
 مِنْهُمْ مَكُونٌ فِي غَمَرَاتِ الْغِيِّ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ. قَدْ أَذْهَبَتْهُمْ شُبُهَ الشُّكُوكِ
 فَلَمْ تُقَادِرْ لَهُمْ لُبًّا. حَتَّى اتَّخَذُوا لَهُمُ الصَّنَمَ الْمَسْبُوكَ إِلَهًا وَرَبًّا. قَدْ
 عَسَفَتِ دِيَاجِيرُ الْكُفْرِ عَلَى أَبْصَارِ بَصَائِرِهِمْ. وَعَسَّشَ الْبُهْتَانُ
 وَالضَّلَالُ فِي أَوْعَارِ سَرَائِرِهِمْ. فَمَا فِيهِمْ إِلَّا مَنْ عَدِمَ بِهِاءَ الْعَقْلِ الشَّرِيفِ
 فِيهِمْ. وَضَرِيَ عَلَى شَهَوَاتِ الْجَسَدِ السَّخِيفِ حَتَّى نَهَمَ. قَدْ عَاطَتْ ذِرَابُ
 الْخَطَايَا فِي أَجْسَامِهِمْ. وَفَاحَتْ رَائِحَةُ الذُّنُوبِ وَزَفَرَةُ الْأَجْرَامِ مِنْ
 أَفْهَامِهِمْ. فَمَا زَالُوا يَصْدَعُونَ قُلُوبَهُمْ بِصَوَادِقِ الْبَرَاهِينِ وَالْبَيِّنَاتِ.
 وَيَقْطَعُونَ أَعْدَارَ الْحُكْمَاءِ بِمَدَى الْأَدِلَّةِ وَصَوَارِمِ الْآيَاتِ. حَتَّى أَتَتْ
 بَيِّنَةُ الْأَذْهَانِ عَنْ قَرْخِ الْحَقَائِقِ. وَافْتَرَّتْ مَضَاحِكُ الْإِيمَانِ فِي وُجُوهِ
 الْخَلَائِقِ. وَحَازَ الْحَقُّ قِصَبَاتِ السَّبْقِ يَوْمَ رَهَانِهِ. وَتَكَسَّتْ أَعْلَامُ
 الضَّلَالِ بِظَاهِرِ مُعْجِزِهِ وَبُرْهَانِهِ. فَاتَّقَلَ النَّاسُ إِلَى نَهَارِ الْبَشَارَةِ

وَيَرُدُّونَ الْأُمَمَ الْعَاصِيَةَ مِنْ حِنْدِسِ الْمَسَاءِ إِلَى ضِيَاءِ النَّهَارِ. يَجْنِبُونَ
الْجَنُوبَ فِي الطَّاعَاتِ الْمُسِيحِيَّةِ وَثِيرَ الْمَرَاقِدِ. وَيَسْتَوِطُونَ النَّوْمَ عَلَى
مَضَاجِعِ السَّيَالِ وَخَشِنَ الْفَرَاقِدِ. يَقْطَعُونَ الْمَسَافَاتِ الشَّاسِعَةَ بِشُسُوعٍ
مُقْطَعَةٍ. وَيَخُوضُونَ الْبُحُورَ الزَّوَاخِرَ بِقُلُوبٍ مُحْتَفَةٍ بِالتَّائِيدِ وَأَذْهَانٍ
مُشْجَمَةٍ. يُرْفَلُونَ إِلَى سَائِرِ الْأَفَاقِ بِخِجَابِ الْهَمَمِ الْعَلِيَّةِ. وَيَتَوَقَّلُونَ
أَعْنَاقَ الْحُجَجِ الْعَمِيقَةِ بِأَقْدَامِ الْعَزَائِمِ الْقُدْسِيَّةِ. صَائِرِينَ عَلَى مُعَانَاةِ الْبَلَايَا
وَالْمَصَائِبِ. مُثَابِرِينَ عَلَى مُكَافَحَةِ الْأَهْوَالِ فِي الشَّقَقِ الْبَعِيدَةِ وَالْمَتَاعِ.
يَلْتَقِلُونَ مِنْ أُمَّةٍ إِلَى أُمَّةٍ. وَيَقْلُونَ عَنِ الْقُلُوبِ غَمَّةً بَعْدَ غَمَةٍ. لَا تُرْعِجُهُمْ
نَارُ الْأَهْوَالِ إِذَا تَأَجَّجَتْ وَشَبَّتْ. وَلَا تُذْهِلُهُمْ عَتَارِبُ الْأَقْدَارِ إِذَا
أَزْبَارَتْ وَدَبَّتْ. وَلَا تَقْلُقُ عَزَائِمُهُمْ عَنْ عَوَاصِفِ رِيَّاحِ الْوَعِيدِ إِذَا
هَبَّتْ. وَلَا تَتَرَزَّلُ هَمَمُهُمْ عَنْ طَلِبَةِ اللَّهِ إِذَا صَابَتْهُمْ غَمَائِمُ التَّهْدِيدِ وَصَبَّتْ.
يَخْلُبُونَ بِالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ قُلُوبَ رَبَّاتِ الْهَوَاجِجِ. يُزْعِجُونَ سُدَدَ الْمَلَائِكِ
الْعَظَامِ بِالْكَلِمَاتِ السَّوَادِجِ. فَهُمْ كَأَنَّا نَسِ نَضِيتَ عَنْ أَشْبَاحِ أَبْدَانِهِمْ
جَلَائِبُ الْبَشَرِيَّةِ. أَوْ كَأَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ تَارَضُوا فَأَنْقَضُوا مِنْ صَفِجِ
السَّمَاءِ الْأَثِيرِيَّةِ. شُفَّتِ اللَّحْمُ وَالنَّوَاصِي صَوَافِي الْأَذْهَانِ. سَهْمُ الْوُجُوهِ
ضَوَائِرُ الْأَبْدَانِ. ضَلَّ الْجُسُومُ مِنْ تَحْمُلِ أَعْبَاءِ الْعِبَادَةِ. غُبِرَ الْوُجُوهُ
مِنْ تَغْفِيرِ الْخُذُودِ عَلَى هَبَوَاتِ الثَّرَى وَقَشْفِ الزَّهَادَةِ. نَحَافُ الْأَبْدَانِ
مِنَ التَّهَجُّدِ فِي ظُلُمَاتِ الدِّيَاجِرِ. شَحَابُ الْأَلْوَانِ مِنْ لَفْحَاتِ السَّمَائِمِ
وَحَرِّ الْهَوَاجِرِ. قَدْ لَبَسُوا مَلَائِسَ الْفَقْرِ عَلَى فَرَاتٍ بَالِيَةٍ. وَزَعُوا عَنْ

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ مِنْ أَحَقَرِ الْمَنَاصِبِ . وَأَصَارَهُمْ مِنْ دَرَجِ الْإِمَامَةِ الْكَهْنَوِيَّةِ
فِي أَوْفَى الرُّتَبِ وَأَعْلَى الْمَنَاصِبِ . وَأَصْطَفَاهُمْ خَدَمًا لِشَرِيفِ سُدَّتِهِ .
وَدُعَاةً يُرْسِلُهُمْ إِلَى آفَاقِ الْأَرْضِ لِنَشْرِ أَوَامِرِ نَامُوسِهِ وَدَعْوَتِهِ . وَجَعَلَهُمْ
بُرُوجًا اثْنَيْ عَشْرَةَ لِمَشْرِقِ سُلْطَانِهِ وَأَشْعَتِهِ . وَسَاعَاتٍ نَاطِقَةٍ لِنَهَارِ شَرْعِهِ
أَفْضَلِيٍّ وَبِشَارَتِهِ . وَاخْتَصَمَهُمْ مَلَائِكَةُ لِعَرْشِ عِزَّتِهِ الَّذِي لَا يَطُورُ بِهِ
ثُلٌّ . وَجُنُودًا مُخْتَفَةً بِلُؤَاءِ سُلْطَانِهِ الْقُدْسِيِّ الَّذِي لَا يُلِمُّ بِعَقْدِهِ حَلٌّ .
وَرَبِّهِمْ أَيْمَةً لِلخَلْقِ وَأَعْلَامًا لِلدَّلَالَةِ . وَشَرَّفَهُمْ بِتَاجِ الْكَهْنُوتِ وَأَكْلِيلِ
الرِّسَالَةِ . وَمَثَلَهُمْ بِأَتَمِّهِ الْمُلْحِ الْمُصْلِحَةِ لِلطُّغُومِ التَّنَهَةِ . وَالْأَنْوَارِ الزَّوَاهِرِ
فِي السَّمَاءِ الْيُسْعِيِّ الَّذِي تُضِي بِأَنْوَارِهِ كُلُّ جِهَةٍ . وَبَذَرَ زُرُوعَ الْقُدْسِ
وَالْإِيمَانِ فِي فَرَادِيسِ أَذْهَانِهِمْ . وَأَنْبَتَ غُرُوسَ سَرَائِرِ الْمَلَكُوتِ فِي
جَنَّاتِ جَنَانِهِمْ . وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا مَصَابِيحَ الدُّجَى . وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ أَقَالِيدَ
الْمَلَكُوتِ وَمِفْتَاحَ الرِّجَاءِ . وَأَمَرَهُمْ بِصَفْحِ الذُّنُوبِ وَغُفْرَانِ الْخَطَايَا . وَأَقْدَرَهُمْ
عَلَى اسْتِزَالِ الْمَوَاهِبِ وَاسْتِغْزَارِ الْعَطَايَا . وَأَثَبَتْ أَسْمَاءُهُمْ فِي بَيْعَةِ
الْأَبْكَارِ وَجَرَائِدِ الْأَسْمَاءِ . وَأَقْدَحَ حُكْمَهُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَكْنَفِ
السَّمَاءِ . وَقَالَ لَهُمْ مَا تَحْلُوْنَهُ فِي الْأَرْضِ فَهُوَ مَثَلُ الْمَلِكِيَّاتِ وَالْقَوَاعِدِ . وَمَا
تَرِبْطُونَهُ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَهُوَ مَرْمُومُ النَّوَاحِي بِرَبُوطِ الْمَعَاقِدِ . وَأَمَرَهُمْ
بِالسَّعْيِ فِي الْمَتَايَةِ وَالْجَاهِلِ بِقُلُوبِ قَوِيَّةٍ . وَأَنْ يَغْشَوْا غَمَرَاتِ الْكُرَايَةِ
بِنُفُوسٍ عَازِفَةٍ عَنِ الشَّهَوَاتِ أَبِيَّةٍ . يَنْتَقِلُونَ فِي الْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ بِغَيْرِ
سِلَاحٍ يَنْجِي سِرِّيهِمْ مِنَ الْأَذَاءِ وَلَا زَادٍ يَرِدُّونَ عَلَى الْمَمَالِكِ وَالْأَمْصَارِ

الْأَهْدَابِ وَالْأَذْيَالِ . يَتَرَجُّ فِي الْأَفَاقِ نَشْرُ رِيَّاهَا . وَيَتَبَلَّجُ فِي سَمَاءِ
 الْإِشْرَاقِ بِشَرُوحِهَا . رَاتِعِينَ فِي أَخْلَاءِ سَعَادَاتٍ مُتَبَجِّجَةِ الْبُدُورِ . وَادِيعِينَ
 فِي أَثْنَاءِ مَوَاهِبِ مُتَبَهِّجَةِ الْوُجُودِ بِاسْمَةِ الثُّغُورِ . وَلَا بَرَحَتْ شَوَارِدُ النِّعَمِ
 لَدَيْكُمْ ثَاوِيَةً . وَمَوَارِدُ الْحِكْمِ لِقُلُوبِكُمْ رَاوِيَةً . وَزُنُودُ الْفَضَائِلِ فِي
 أَلْبَابِكُمْ وَارِيَةً . وَجُنُودُ الرِّذَالِ عَنْكُمْ مُتَوَارِيَةً . حَتَّى تَتَلَّوْا مَوَارِدَ مُخْلِصِكُمْ
 يَوْمَ النَّشْأَةِ الْآخَرَى . وَالْقِيَامَةِ الْكُبْرَى . بِوُجُودِ مُتَبَجِّجَةِ الْوِضَاءِ . وَغُلُوبِ
 لَهْجَةِ بَالْتَنَاءِ . تَرْفُلُونَ فِي أَثْوَابِ النِّعَمِ الْأَبَدِيِّ فِي الْعِرَاصِ الْمَلَكُوتِيَّةِ .
 وَتَقْتَعِدُونَ سُرُرَ الْغَيْرِ وَالْإِكْرَامِ مَعَ الْأَوْلِيَاءِ الْخَوَاصِّ وَالزُّمَرِ الْمَلَايِكَةِ .
 بِشَفَاعَةِ الْأَبَاءِ وَالْقَدِيسِينَ . وَسَائِرِ الشُّهَدَاءِ وَالْمُنْتَخَبِينَ . آمِينَ

لعيد الرُّسُلِ الاطهار

٣٣ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنَارَ بِسُجَّاتِ نُورِهِ بَصَائِرَ الْخُلَصَاءِ . وَطَبَعَ سِرَّ
 ظُهُورِهِ فِي صَفَحَاتِ سَرَائِرِ الْأَخْصَاءِ . وَوَضَعَ أَكَالِيلَ الْمَوَاهِبِ الْمَلَكُوتِيَّةِ
 عَلَى مَفَارِقِ رُؤُوسِ الْأَصْفِيَاءِ . وَآيَدِ بُنُورِ الْحِكْمِ الْإِلَهِيَّةِ عُرُوقَ الْأَنْصَارِ
 وَالسَّالِمِينَ الْأَوْصِيَاءِ . مُحَمَّدُهُ عَلَى مَا أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ حُلَلِ الْحُجْدِ وَمَلَابِسِ
 السَّنَاءِ . وَنَشْكُرُهُ عَلَى جَزَائِلِ نِعْمَائِهِ شُكْرًا يَمْلَأُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَالْأَنْفَافِ
 السَّمَاءِ . أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ الشُّنَاءَ عَلَى مَنَاقِبِ الرُّسُلِ الْفَضْلَاءِ زَكَاةُ
 الْقَصَاحَةِ . وَنَشْرُوحُ مَحَاسِنِ الرُّسُلِ الْأَوْلِيَاءِ يَهْدِي إِلَى الْأَرْوَاحِ رَوْحَ
 الرَّاحَةِ . فَإِنَّ لَسَانِي نَشْرُفَ مَفَاخِرِهِمْ إِذَا تَارَجَتْ وَضَاعَتْ . أَوْجَدَتْ
 فِي الْقُلُوبِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ مَا كَانَتْ أَضَاعَتْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ

أَشْرَفَ الْمَطَالِعِ شُمُوسُ الْمُسَرَّةِ وَالْأَفْرَاحِ . فَالْهَنَاءُ بِالْقِيَامَةِ الْمَسِيحِيَّةِ
 إِسَارِ الْجُسُومِ وَالْأَرْوَاحِ . فَهَلُّوا الْآنَ نَوْمَ الْمَدِينَةِ الْقُدْسِيَّةِ بِأَقْدَامِ
 الْعُقُولِ وَالْأَفْكَارِ . وَلَنَمَحِ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ بَعْيُونَ الْبَصَائِرِ وَالْإِعْتِبَارِ .
 زَهْ مُتَالِقًا مِنَ الْمَطْلَعِ الْقُبْرِيِّ . مُزَقًا مَلَابِسَ الْمَوْتِ عَنْ طَبْعِهِ الْبَشَرِيِّ .
 نَظَرُ مَلَايِكَةِ السَّمَاءِ بِالْحُلُلِ الثَّوْرِيَّةِ . جَائِمَةً عَلَى صَهْوَةِ السُّدَّةِ
 الْقُبْرِيَّةِ . نَبْتَهْجَ مَعَ مَرْيَمَ الْمُجْدَلِيَّةِ وَيُوحَانَ . نُسَرَّ بِالْقِيَامَةِ الْبَكْرِيَّةِ
 مَعَ سَمْعُونَ الصَّفَا وَيُوحَنَّا . نَسْعَ بِأَقْدَامِ الْهَمَمِ إِلَى جَلِيلِ الْجَلَالِ .
 نَتَلَقَّ مُخَاصَ الْكُلِّ بِالْإِكْرَامِ . وَالْإِجْلَالِ . نَتَهَادُ بِالسَّلَامِ وَحُسْنِ
 التَّحِيَّةِ . وَنَهَزَّ أَعْطَافَ الْقُلُوبِ بِشَوْءِ أَرْحِيَّةِ . نَسْتَسِلُّ السَّخَائِمَ
 وَالْأَحْقَادَ بِالْقُبْلَةِ . وَنَسْتَبْشِرُ بِهَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ مَعَ الزُّمَرَةِ السَّيِّحَةِ .
 نَبْعَثُ الْهَمَمَ مِنْ قُبُورِ الْعَقْلَةِ وَالْإِهْمَالِ . وَنُسَيِّرُ عَنْ سُوقِ الْعِزَائِمِ
 تَشْيِيرَ الرِّجَالِ . وَنَعِدُّ لَنَا فِي خَزَائِنِ الْمُلْكُوتِ صَوَالِحَ الْأَعْمَالِ . وَنَسْتَعِدُّ
 بِالْمَصَابِيحِ وَالْأَضْوَاءِ لِيَوْمِ الْمَالِ . فَلَنَقْتَرِبَ الْآنَ عَلَانِيَةً إِلَى كُرْسِيِّ
 نِعْمَتِهِ . لِنَنْظُرَ بِالْمَرَاحِمِ وَنُحْمَدَ النِّعْمَةَ لِلْعَوْنِ فِي زَمَانِ الضِّيقِ (عبرانيين
 ٤ : ١٦) . وَنَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ السَّعِيدَ . وَالْيَوْمَ
 الْأَشْرَفَ الْمُجِيدَ . مُبَارَكًا عَلَيْكُمْ مَيُّونَ النَّقَائِبِ . مُؤْذِنًا بِالسَّعَادَاتِ
 الْحَاقِقَةِ الْأَعْلَامِ الْمُتَمَدِّدَةِ الذَّوَابِ . وَيَتَقَبَّلُ مِنْكُمْ مَا أَسْلَقْتُمُوهُ مِنْ
 الْأَعْمَالِ الصَّوَالِحِ . وَذَخَرْتُمُوهُ فِي خَزَائِنِ الْمُلْكُوتِ مِنَ الْمُتَاجِرِ وَالْمُرَاجِ .
 وَلَا يَرِحْتُمْ مَكْنُوفِينَ بِكُلِّ نِعْمَةٍ وَارِقَةٍ الْأَظْلَالِ . وَمِنْحَةٍ ضَافِيَةٍ

مَا لَيْسَ الْإِشْرَاقُ مَطَالِعُ بُدُورِهِ . وَتَفَرَّتْ أَعْسَاقُ الضَّلَالِ عَنْ
 الْقُلُوبِ بِطَوَالِعِ نُورِهِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَسَوَّرَتْ بِفَخْرِهِ مَعَاصِمُ
 الْكِبَالِ . وَأَضْحَكْتَ بِدَائِعِ أَسْرَارِهِ مَبَاسِمَ الْأَمَالِ . وَبَسَطْتَ فَرْحَتَهُ
 قَوَابِضَ الْأَسِيرَةِ . وَأَنْثَقَلْتَ الْقُلُوبُ مِنْ وَخْشَةِ الْأَحْزَانِ إِلَى النَّسْرِ
 الْمُسَرَّةِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَذْهَلَتْ أَلْأَلْبَابَ غَرَابَهُ . وَأَخْرَقَتْ الْعُقُولَ
 عَجَابَهُ . وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ كَوَاكِبُهُ . وَزَيَّنَتْ أَجْيَادَ الْأَعْيَادِ
 مَنَاقِبَهُ . الْيَوْمَ تَكْشَفَتْ بُدُورُ الْأَضَالِيلِ . تَكْشَفَتْ سُتُورُ الْأَبَاطِيلِ .
 تَشَقَّقَتْ رُؤُوسُ الْأَبْرَارِ . تَأَلَّقَتْ نَفُوسُ الْأَخْيَارِ . خَرَجَ هَالَالُ
 النَّاسُوتِيَّةِ عَنْ ظُلَمِ السَّرَارِ . ظَهَرَ مُخْلَصُ الْكُلِّ مِنَ الْمَطْلَعِ الْقُبْرِيِّ
 مَبْرَقًا يَرْدَاءُ الْأَنْوَارِ . الْيَوْمَ عَطَسَتْ أَنْوُفُ الْجُودِ . تَفَوَّقَتْ شُؤُفُ
 الْوُجُودِ . فَتَحَتْ خَزَائِنُ النِّعْمَةِ . مُنَحَتْ صَوَائِنُ الْحِكْمَةِ . تَبَلَّجَتْ
 أَقْمَارُ الْمَعَارِفِ . تَجَلَّتْ الْأَبْدَانُ بِأَبْهَى الْمَطَارِفِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي
 أَضْحَتْ فِيهِ غُرُرُ الْأَمَالِ مُبِیْضَةً . وَلَطَائِمُ الْإِقْبَالِ مُنْقَضَةً . وَمَوَاكِبُ
 الشَّيْطَانِ مُرْفُضَةً . وَكَوَاكِبُ الْبُهْتَانِ مُنْقَضَةً . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَبَلَّجَتْ
 الْحَقَائِقُ فِي سَدَفَتِهِ . وَابْتَهَجَتْ الْخَلَائِقُ فِي ضُبُحَتِهِ . صُبَّتِ الْبَرَكَاتُ فِي
 بُكَرَتِهِ . وَعَمَّتِ الْخَيْرَاتُ بِمِثْرِهِ وَبَرَكَتِهِ . فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ
 الرَّبُّ هَلُمُّوا نَبْتِجْ وَنَفْرَحْ فِيهِ (مز مود ١١٨ : ٢٤) . مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ
 لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِبُشْرَى الْقِيَامَةِ فِي أَبْرَارِ الْبُكْرِ وَآيِنِ الْأَصْبَاحِ . وَقَدِمْتُ
 عَلَيْكُمْ رَكَابُ الْبَهْجَةِ بِأَدِيَةِ الْفَرَرِ وَالْأَوْضَاحِ . وَذَرَّتْ عَلَيْكُمْ مِنْ

فَرَأَيْتِ الطَّاعَاتِ عَنْ سَاقِهِ وَمَرْقَمِهِ . وَاشْكُرْهُ شُكْرًا تَسْبِيحُ أَهْلَهُ
 الْإِخْلَاصِ عَلَى جَنِينِهِ وَمَرْقَمِهِ . أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ ذَا يَوْمٍ الْقِيَامَةِ رِبْدَايَةَ
 الْجُلُوسِ عَنِ الْيَمِينِ . فَلْتَفْرَحْ بِهَذَا الْعِيدِ وَلِيَعَانِقْ بَعْضُنَا بَعْضًا . الْيَوْمُ يَوْمُ
 الْقِيَامَةِ الْمَسِيحِيَّةِ وَمَبْدَأُ التَّجْدِيدِ . وَأَشْرَفُ الْمُبَادِي الْيَمِينِيَّةِ وَأَوَّلُ الْعَالَمِ
 الْعَتِيدِ . يَوْمٌ أَبَدَتْ فِي سَمَائِهِ أَهْلَهُ الْإِنْعَامِ . وَأَلْبَسَتْ الْجِبِلَّ
 الْبَشَرِيَّةَ فِي أَثْنَائِهِ حُلَّةَ الْمَجْدِ وَالْإِكْرَامِ . يَوْمٌ لَاحَتْ عَلَى مَفَارِقِهِ طُرُرُ
 الْكَمَالِ . وَامْتَدَّتْ عَلَى جَنَّتِهِ غُرُرُ السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ . يَوْمٌ تَحَلَّتْ
 بِعُقُودِ مَنَاقِبِهِ الْمَعَاصِمُ وَالْأَجْيَادُ . وَتَطَوَّقَتْ بِقَلَائِدِ فَخْرِهِ مَحُورُ الْمَوَاقِيتِ
 وَالْأَعْيَادِ . يَوْمٌ عَطَّرَ أَتُوبَابَ الزَّمَانِ تَارُجُ نَشْرِهِ . وَأَقْرَنَ لَيْلُ الْأَذْهَانِ
 بِدَبْجِ قَجَرِهِ . يَوْمٌ لَاحَ عَلَى جَبِينِ الْمَجْدِ إِشْرَاقُ نَجَاحِهِ . وَبَاحَ بِأَسْرَارِ
 السَّعْدِ إِسْفَارُ صَبَاحِهِ . وَتَهَلَّلَتْ وَجُوهُهُ الْإِقْبَالِ بِفُوزِ قَدَاحِهِ . وَاهْتَرَّتْ
 مَعَاطِفُ الْقُلُوبِ بِحُمَا رِيحِهِ وَآشُورَ رَاحِهِ . يَوْمٌ أَضَاءَتْ فِي حَنَادِسِ
 الْكَاتِبَةِ مَطَالِعُ جَلَالِهِ . وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْقُلُوبِ كَوَاكِبُ سَعْدِهِ
 وَطَوَالِعُ إِقْبَالِهِ . يَوْمٌ ظَهَرَتْ عَلَامُ الْبَرَكَاتِ عَلَى صَفْحَاتِهِ . وَهَبَتْ نَسَائِمُ
 الْخَيْرَاتِ مِنْ نَفْحَاتِهِ . وَقُدِحَتْ أَنْوَارُ السَّعَادَةِ مِنْ زُرُودِهِ . وَعَرَسَتْ
 رَكَابُ الْجُودِ عَلَى مَنَاهِلِهِ وَوُرُودِهِ . وَحَلَّتْ مَعَاقِدُ الْأَحْزَانِ لِفَرْحَتِهِ .
 وَقَامَ أَهْلُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ عَلَى قَدَمِ الْإِبْتِهَاجِ فِي صُبْحَتِهِ . يَوْمٌ
 بَشَّرَنَا بِالْفَلَاحِ أَدِيمِهِ . وَنَشَرَ عَلَيْنَا رَايَةَ الْإِفْرَاحِ نَسِيمَهُ . وَزَالَتْ عَنْ
 الْحُلَاثِقِ ضَرَاؤُهُ . وَانْحَسَرَتْ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ نَكَرَاؤُهُ . وَتَجَلَّتْ فِي

الظِّلِيلَ النَّاصِرِيَّ . عَلَى شَعْبِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ لِيَجْمِيَ سِرَّهُمْ
 مِنَ الْأَذْدَاءِ بِصَارِمِ عَدْلِهِ . وَيَجْرُسَ سُرُوبُهُمْ مِنَ الْأَقْدَاءِ بِوَافِرِ إِحْسَانِهِ
 وَعَزِيزِ فَضْلِهِ . بِشَفَاعَةِ الْأَطْهَارِ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْمُؤَيَّدِينَ . وَصَلَاةِ الْأَخْيَارِ
 مِنَ السُّعْدَاءِ الْمُتَرَهِّدِينَ . آمِينَ

لصباح احد القيامة المبارك

٣٢ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَفَرِّدِ بِالْكَمَالِ فِي عِزَّةِ اقْتِدَارِهِ . وَالْمُتَوَحِّدِ بِالْجَلَالِ
 فِي سُرَادِقِ مَجْدِهِ وَوَقَارِهِ . الْمُتَحَجِّبِ عَنْ لَقَاتِ الْأَبْصَارِ بِسُورِ
 أَنْوَارِهِ . الْمُتَنَتِّبِ عَنْ لَحَاتِ الْأَفْكَارِ بِنُورِ أَسْتَارِهِ . الَّذِي أَعْجَزَتْ
 الْأَفْهَامُ مَوَانِعَ مَعْرِفَتِهِ . وَعَجَزَتْ الْأَوْهَامُ عَنْ مَوَاقِعِ قُدْرَتِهِ . وَذَهَلَتْ
 الْأَفْكَارُ فِي بَدَائِعِ فِطْرَتِهِ . وَدَهَشَتْ بِصَارِ النَّظَارِ فِي صَنَائِعِ
 حِكْمَتِهِ . الَّذِي أَرْسَلَ مَسِيحَهُ وَوَجَّهَهُ الْإِيمَانَ مُلَقَّعَةً بِرَدَاءِ الضَّالِّالِ .
 وَمَلَأَ الْجَهْلَ وَالْبُهْتَانَ سَاحِبَةَ الدَّلَالِ وَالْأَذْيَالِ . وَمَرَّاعِ
 الْقَضَائِلِ دَارِيسَةِ الْمَعَالِمِ وَالْأَطْلَالِ . وَمَرَّاعِ الرِّذَائِلِ مُخَصَّبَةِ الْأَخْلَاءِ
 مُتَمَدِّدَةِ الْأَطْلَالِ . فَسَدَّدَ بَلْقَظِهِ الْأَقْدَامَ الْعَائِرَةَ . وَشَدَّ بِوَعْظِهِ
 الْأَعْلَامَ الدَّائِرَةَ . وَرَدَّ الْخَلْقَ مِنْ فِجَاجِ الرَّدَى بِالْمُعْجَزَاتِ الْقَاهِرَةِ .
 وَقَادَهُمْ إِلَى مِنْهَاجِ الْهُدَى بِالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ . حَتَّى صَفَا مَشْرَبُ
 الْإِيمَانِ مِنْ اكْثَارِ رَنَقِهِ . وَأَشْرَقَ الْحَقُّ كَأَشْمَسِ الْمُنِيرَةِ فِي دَارَةِ
 قَلَمِهِ . وَأَزْهَرَتْ كَوَاكِبُ الْهُدَى فِي جَوْهِ وَمَشْرِقِهِ . وَتَجَلَّى الدِّينُ
 الْمَسِيحِيُّ فِي أَنْخَرِ أَثْوَابِهِ وَبِهَاءِ رَوْقِهِ . مُحَمَّدُهُ حَمْدٌ مِنْ حَسَرٍ فِي آدَاءِ

وَالْخَافَةِ . نَوَاهِبِ الضَّغَائِنِ وَخَسَائِسِ الْأَحْقَادِ . وَنَحْلِ أَجْيَادِ الْعَقَائِدِ .
 بِنَفَائِسِ عُقُودِ الْأَعْتِقَادِ . نَعْسِلُ مِنْ دَسَائِيرِ الْقُلُوبِ أَسَاطِيرِ الشُّكُوكِ .
 وَنُخْرِ لَهُ سُجْدًا بِقَرَابِينِ الْأَعْمَالِ مَعَ الْمُلُوكِ . نَخْلُصُ النَّيَّاتِ وَالسَّرَائِرِ .
 وَنُعِدُّ لَنَا فِي ظِلِّ النُّورِ أَخِيرَ الذَّخَائِرِ . نَتَطَهَّرُ مِنْ أَوْضَارِ الْجُسُومِ
 وَخَطَايَا النُّفُوسِ . وَنُقَدِّمُ لَهُ الطَّاعَةَ الْقَلْبِيَّةَ مَعَ هَدَايَا الْجُوسِ . نَطْرَبُ
 لِمَوْلَاهِ مَعَ رِعَاةِ الْأَغْنَامِ . وَنُسَرُّ بِالْفَرَحَةِ الَّتِي عَمَّتِ الْيَوْمَ كُلَّ الْأَنَامِ .
 نَسْتَشْرِ هَذِهِ الْمَفَاخِرَ وَالْمَنَاقِبَ . وَنَسْتَشِفُّ مَا ثَرَّ الْعِيدِ السَّعِيدِ بِالْأَرَاءِ
 الثَّوَابِقِ . وَنَقِفُ فِي هَذَا السِّرِّ الشَّرِيفِ وَقُوفَ الْمَلَائِكَةِ الْأَطْهَارِ .
 وَنَتَأَمَّلُ الْأَسْرَارَ الْإِلَهِيَّةَ بِعُيُونِ الْعُقُولِ وَالْأَفْكَارِ . وَنَضْرَعُ إِلَى
 الَّذِي هَدَانَا مِنْ مَتَابِهِ الْأَضَالِيلِ . وَقَادَنَا إِلَى مَدَارِجِ الْهُدَى بِخَزَائِمِ
 أَوَامِرِ الْإِنْجِيلِ . أَنْ يُشَرِّفَ جَوَارِحَنَا بِطَاعَتِهِ . وَيُضَافِ مَرَايِحَنَا
 بِرَأْفَتِهِ . وَيَسْدُلَ عَلَى أَبْوَابِ حَوَائِصِنَا سُتُورَ عِصْمَتِهِ . وَيَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ
 السَّعِيدَ مُبَارَكًا عَلَى أُمَّتِهِ بِمَيُودِ النَّقَائِبِ عَلَى شُعْبِهِ الْمُقَدَّسِ وَرِعِيَّتِهِ .
 وَيَزْرَعُ الْأَلَّةَ وَالْحَبَّةَ فِي بَيْعَتِهِ . وَيُحْمَدُ نَوَازِلَ الْفَتَنِ الثَّوَابِرِ فِي أَقْطَارِ
 الْأَرْضِ بِرَحْمَتِهِ . وَيُعِيدُ كُلَّ خَلِيلٍ حَائِدٍ عَنْ جَدِّهِ الْإِسْتِوَاءِ إِلَى
 زُمْرَتِهِ . وَيُقْصِي كُلَّ مَرِيدٍ خَلَعَ رِبْقَةَ الطَّاعَةِ عَنْ أَظْلَالِ عِنَايَتِهِ .
 وَيَجْعَلَ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَانًا فِي أَكْنَافِ الْحَرَمِ الْحَرِيمِ
 الْأَمْنِ . وَالطَّافِ الظِّلِّ الْمُدِيدِ الْأَوْسَعِ . وَأَعْرَافِ الْحِمَى الْعَزِيزِ
 الْأَشْرَسِ . وَأَعْلَى ذُرُوتِ الْعِزِّ الشَّدِيدِ الْأَقْصَى . وَأَنْ يُسَبِّحَ ظِلْمًا

السَّعَادَةِ وَالْإِقْبَالِ . تَسَرَّ بَلَتْ جَبَلَهُ آدَمَ مِنْ فَخْرِ الْوِلَادَةِ الْمَسِيحِيَّةِ
 أَسْنَى حُلَّةٍ وَأَبْهَى سِرْبَالٍ . الْيَوْمَ أَتَجَمَّ سَحَابُ الْعَطَايَا . أَتَجَمَّ ضَبَابُ
 الْخَطَايَا . فُتِحَتْ خَزَائِنُ الْمَوَاهِبِ . مُنِحَتْ صَوَائِنُ الْأَذْخَارِ لِكُلِّ آتٍ
 وَذَاهِبٍ . الْيَوْمَ سَقَطَتْ أَجْنَةُ الطُّغْيَانِ . لُبِسَتْ جَنَّةُ الْفُقَرَانِ . ظَهَرَتْ
 سُنَّةُ الْإِيمَانِ . تَقَهَّرَتْ الْأَكِنَّةُ عَنِ الْقُلُوبِ وَالْأَذْهَانِ . الْيَوْمَ
 أَصْبَحَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْأَذْرَانِ مَحْمُومَةً . وَأَغْصَانُ الذُّنُوبِ عَنِ الْأَذْهَانِ
 مَحْمُومَةٌ . وَالْأُمَّةُ الْيَهُودِيَّةُ عِنْدَ الْأَنَامِ مَذْمُومَةٌ . وَبِحَجَارِ الْأَهْجَاءِ وَالْمَذَامِ
 مَحْصُوبَةٌ مَرْجُومَةٌ . فَيَتَبَنَّى لَنَا مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ نَجْتَلِي مَحَاسِنَ الْأَعْيَادِ
 بِأَبْصَارِ الْبَصَائِرِ . وَنَسْتَشْفَعَ بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ هَذِهِ النِّعَمَ الْغَزَائِرَ . فَإِنَّا
 نَرَى حَبَالًا تَنْزَهُ عَنْ مَسَاقِطِ النُّطْفِ الزَّرْعِيَّةِ . مِيلَادًا لَمْ تَنْقُضْ بِهِ
 الْحُتُومَ الطَّبِيعِيَّةُ . أَمَّا قَدْ شَاخَ مَعَهَا اسْمُ الْبُتُولَةِ . خَطِيبًا يُفْصِحُ بِالنِّشَاءِ
 عَلَى الْقُدْرَةِ الْعَلِيَّةِ . مِعْلَافًا أَزْرَى بِرَوْقِهِ عَلَى السُّدَدِ النُّسُورِيَّةِ . مَعَارَةً
 أَرَبَتْ شَرْقًا عَلَى الْأَوَاوِينَ السِّرِّيَّةِ . رِعَاةً شَبَوًا مِنْ شَطَايَا الْعِصْيِ نَارًا
 مُضِيَّةً . مَجُوسًا يُقَرِّبُ الْقَرَابِينَ وَتُذْنِي الْهَدْيَةِ . مَلَائِكَةً تُنَادِي
 بِالْإِسْلَامِ وَالرَّجَاءِ فِي أَرْجَاءِ الْبَرِيَّةِ . كَوَكَبًا يَهْدِي مَوَكِبًا مِنْ أَقْيَالِ
 الْجُوسِ إِلَى وَصِيدِ الْمَعَارَةِ الَّتِي لَحْمِيَّةٌ . قُطًّا تَشْرَفَتْ بِهَا الْأَعْلَامُ
 وَالْبُنُودُ الْمَلَكِيَّةُ . طِفْلًا تَرْتَجُّ لَهَيْبَتِهِ أَقْطَابُ الْكُرَاتِ الْفَلَكَيَّةِ . فَهَلُّوا
 الْآنَ يَا أَصْفِيَاءَ سَيِّدِنَا الْمَسِيحِ . نَسْرُ مِنْ صَدَفِ الْأَفْوَاهِ لَا إِلَهَ
 إِلَّا الْمَسِيحُ . نَكْثِرُ مِنَ التَّعْجِيدِ لِهَذِهِ الرَّأْفَةِ . وَنَقِفُ أَمَامَ اللَّهِ بِالرَّعْدَةِ

بِمِلَادِ الْمَسِيحِ الْمُنْتَظَرِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَفْتَرَتْ فِيهِ نَوَاجِدُ الْحَقَائِقِ .
وَتَبَسَّمتْ نُجُورُ الْجُودِ وَالْإِنْعَامِ فِي وُجُوهِ الْحَلَائِقِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي
كُتِبَتْ فِيهِ صُكُوكُ الْخُلَاصِ الْمُطْلَقِ . وَأَسْفَرَ لَيْلُ الشُّكُوكِ عَنْ غُرَّةِ
الصَّبَاحِ الْأَشْرَقِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَأَلَّقَ فِيهِ كَوْنُ الْحَيَاةِ مِنْ
أَفْرَاقِهَا . وَحَقَّقَ لَنَا فِي الْعَالَمِ الْمَلَكُوتِيِّ حِصَّةً فِي النُّورِ وَإِرْثًا . هَذَا
الْيَوْمُ الَّذِي أَشْرَقَتْ فِيهِ لِلْإِثْقَاءِ شَمْسُ الْبَرَارَةِ . وَذَرَتْ مِنْ أَلْفَاكِ
الْمُرْمِيِّ فِي آفَاقِ الْمَغَارَةِ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَهْتَرَتْ لِفَرْحَتِهِ أَعْطَافُ
الْوُجُودِ . وَأَنْشَقَّتْ بِمَدَى الْحَقَائِقِ أَصْدَافُ الْوُجُودِ . وَتَلَأَلَّتْ أَضْوَاءُ
دُرَّةِ الْحَيَاةِ فِي أَكْنَافِ قَرِيَةِ دَاوُدَ . هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ السَّيِّدُ
الْمَسِيحُ مِنَ الْمَقْصُورَةِ الْبَتُولِيَّةِ . مُجَلِّبًا بِالنَّاسُوتِ عَلَى نُورِ الْأَزَلِيَّةِ .
وَبَشِّرَتْ فِيهِ بِصَالِحِ الرَّجَاءِ أَصْفَاعُ الْبَرِّيَّةِ . وَتَمَيَّنَ بِمَوْلِدِهِ الْجَسَدِيُّ
أَبْنَاءُ الْجِبَلَةِ الْبَشَرِيَّةِ . الْيَوْمُ قَرَّتْ شَاشِقُ أَشْعِيَا النَّبِيِّ الْمُعْجَدِ فِي
الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ الْبَتُولَ الطَّاهِرَةَ تَحْمِلُ وَتَلِدُ أَشْرَفَ الْأَبْنَاءِ . الْيَوْمُ أَنْقَضَ
الْكُوكَبُ الصُّبْحِيُّ فِي فَلَكِ آلِ يَعْقُوبَ . وَفَضَّ بُنُورَهُ أَغْصَاقُ الضَّلَالِ
مِنْ آفَاقِ الْقُلُوبِ . الْيَوْمَ نَصَلَ خِضَابُ الْأَضَالِيلِ . أَصْحَرَتْ هِضَابُ
الْأَبَاطِيلِ . تَنَاقَرَتْ أَوْرَاقُ الرِّذَائِلِ . بَدَأَ الْإِيْرَاقُ فِي أَغْصَانِ
الْفَضَائِلِ . الْيَوْمَ تَبَجَّتْ أَقْمَارُ الْحَقَائِقِ . فَتَحَتْ الدِّخَائِرُ وَالْكُنُوزُ .
نُضِيتْ سُيُورُ الْأَسْرَارِ عَنْ وُجُوهِ الْأَمْثَالِ وَالرُّمُوزِ . الْيَوْمَ تَدَكَّدَتْ
أَعْرَانُ الضَّلَالِ . تَبَرَّكَتِ الْأَذْهَانُ بِمِلَادِ مُفِيدِ الْكَمَالِ . تَنَفَّسَ صَبَاحُ

نخبة من خطب الاعياد السيدية لابن الحديثي المعروف بابي الحليم

لعيد الميلاد الجسدي المقدس

٣١ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي تَفَرَّدَتْ ذَاتُهُ بِوُصْفِ الْاَحَدِيَّةِ فَلَا يُقَاسُ بِالْاَحَادِ .
وَتَمَيَّزَ بِصِفَاتِهِ عَنْ مَرَاتِبِ الْعَدَدِيَّةِ فَلَا يُمَازَلُ خَصَائِصُ الْأَعْدَادِ .
وَعَلَا يَغِزُّ الْعَظَمَةَ وَالْإِقْتِدَارَ عَنِ النَّظَرَاءِ وَالْأَشْبَاهِ وَالْأَنْدَادِ .
وَتَقَدَّسَ بِسُلْطَانِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِعْتِلَاءِ عَنْ ذِمَائِمِ أَوْصَافِ الْعِبَادِ .
الَّذِي أَفْرَغَ بَدَائِعَ صُورِ الْخَلْقِ الْكُونِيَّةِ فِي قَوَالِبِ الْمَوَادِّ . وَأَخْرَجَهَا
إِلَى نُورِ كَمَالِ الْفِعْلِ مِنْ ظُلْمَةِ نَقَائِصِ الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ . وَأَرْشَدَنَا
مِنْ تَبَةِ ظَلَامِ الْأَضَالِيلِ بِنُورِ الْإِهْتِدَاءِ إِلَى أَنْهَجِ الْجَوَادِ . وَفَصَّمْ عَنْ
أَعْنَاقِنَا أَرْبَاقَ الْخَطَايَا يَوْمَ إِشْرَاقِ مَسِيحِهِ مِنَ الْمَطْلَعِ الْبُتُوِّيِّ بِالْمِيلَادِ .
مُحَمَّدُهُ حَمْدًا يَبْرَأُ مِنَ الْمَغَايِبِ وَالْتَرْتِيفِ فِي حَقِّ حَقِّقَةِ النِّقَادِ .
وَلَشُكْرُ سَوَائِغِ نِعَمِهِ الْجَسِيْمَةِ شُكْرًا تَتَرَحَّحُّ لِرَوْنَقِ بَيْتِهِ شَوَائِغُ الْأَطْوَادِ .
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا أَشْرَفُ الْأَيَّامِ . وَالْأَلْفُ الْمُرَاقِبَةِ
الْمُعْظَمَةِ وَبِكُرِّ الْأَعْيَادِ الْكِرَامِ . يَوْمُ الْفَرَحِ الْأَعْظَمِ وَالسُّرُورِ
الْكَامِلِ . يَوْمُ الْإِسْتِشَارِ الْأَكْرَمِ وَالْخُبُورِ الشَّامِلِ . يَوْمُ الْهَنَاءِ الْأَوْفَرِ
وَالْجَذَلِ الْجَدِيدِ . يَوْمُ الْعِيدِ الْأَكْبَرِ وَمِيلَادِ النَّجْلِ الْوَحِيدِ . يَوْمُ انْتِهَاجِ
الْقُلُوبِ وَالْأَذْهَانِ . يَوْمُ إِزَالَةِ الذُّنُوبِ بِالْفُغْرَانِ . يَوْمُ أَنْذَرَتْ بِهِ
الْبَشَارُ النَّبَوِيَّةُ . يَوْمُ جَلَّ عَنِ النَّظَائِرِ وَالْأَشْبَاهِ الْمُثَلِّيَّةِ . يَوْمُ تَفْتَحَتْ
فِيهِ أَبْوَابُ السَّعَادَاتِ أَمَامَ الْبَشَرِ . وَحَصَلَتْ فِيهِ غَرَائِبُ الْإِفَادَاتِ

وَقَتِ الْأَسْرِ فَأَفْعَلَهُ فِي وَقْتِ الْإِطْلَاقِ . قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

أَتَأْمَلُ فِي الدُّنْيَا تَجْدُ وَتَعْمُرُ وَأَنْتَ غَدًا فِيهَا تَمُوتُ وَتُفْسِرُ
تَلْقَى آمَالًا وَتَرْجُو نِتَاجَهَا وَعَمْرُكَ مِمَّا قَدْ تَرْجِيهِ أَفْصَرُ
تَحُومُ عَلَى إِدْرَاكِ مَا قَدْ كُفِّيَتْهُ وَتَقْبَلُ بِالْأَمَالِ فِيهِ وَتُذِيرُ
وَهَذَا صَبَاحُ الْيَوْمِ يَنْعَاكَ ضَوْؤُهُ وَلَيْلَتُهُ تَعَاكَ إِنْ كُنْتَ تَشْعُرُ
وِرْزُقُكَ لَا يَعْدُوكَ إِمَّا مُعْجَلُ عَلَى حَالِهِ يَوْمًا وَإِمَّا مُؤَخَّرُ
وَلَا حَوْلُ مُخْتَالٍ وَلَا وَجْهٌ مَذْهَبِ وَلَا قَدَرٌ يُزْجِيهِ إِلَّا الْمَقْدَرُ
وَقَدْ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ مَنْ لَيْسَ عَادِلًا عَنِ الْعَدْلِ بَيْنَ الْخَلْقِ فِيمَا يُقَدَّرُ
فَلَا تَأْمَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ فَمَا زَالَتْ تُحُونُ وَتَقْدَرُ
فَمَا تَمَّ فِيهَا الصَّفْوُ يَوْمًا لِأَهْلِهِ وَلَا الرُّنْقُ إِلَّا رَيْنًا يَتَغَيَّرُ
وَمَا لَاحَ تَجْمُ لَا وَلَا ذَرَّ شَارِقُ عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا حَبْلُ عَمْرِكَ يَفْصَرُ
تَطَهَّرَ وَالْحَقُّ ذَنْبَكَ الْيَوْمَ تَوْبَةً لَعَلَّكَ مِنْهُ إِنْ تَطَهَّرْتَ تَطْهَرُ
وَيَمِرُّ فَقَدْ أَبْدَى لَكَ الْمَوْتَ وَجْهَهُ وَلَيْسَ يَبَالُ الْفَوْزُ إِلَّا الْمُشْمِرُ
فَهَذَا إِلَيَّ مُؤْذِنَاتُكَ بِالْبَلَى تَرْوِحُ وَأَيَّامُكَ كَذَلِكَ تَبْكُرُ
وَأَخْلَصَ لِدِينِ اللَّهِ صَدْرًا وَنِيَّةً فَإِنَّ الَّذِي تُخْفِيهِ يَوْمًا سَيُظْهَرُ
وَقَدْ يَسْتُرُ الْإِنْسَانُ بِاللَّفْظِ فِعْلَهُ فَيُظْهِرُ عَنْهُ الطَّرْفُ مَا كَانَ يَسْتُرُ
تَذَكَّرْ وَفَكَّرْ فِي الَّذِي أَنْتَ صَارِ إِلَيْهِ غَدًا إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكِّرُ
فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ حُفْرَةً بِأَثْنَائِهَا تُطْوَى إِلَى يَوْمٍ تُشْرُ

مَا لَهُ طَالِبُ نَارٍ . بَرِيدُ الْمَوْتِ مُطْلَقُ الْأَعْنَةِ فِي طَلَبِكَ وَمَا يُنْجِيكَ حِصْنٌ .
 ثَوْبُ حَيَاتِكَ مَنْسُوجٌ مِنْ طَاقَاتِ أَنْفَاسِكَ . وَالْأَنْفَاسُ تَسْتَلِبُ
 ذُرَاتِ ذَاتِكَ وَحَرَكَاتِ الزَّمَانِ قُوَّةً فِي النَّسِجِ الضَّعِيفِ . فَيَا سُرْعَةَ
 التَّمْزِيقِ يَا رَابِطًا مَنَاهُ بِخِطِّ الْأَمَلِ إِنَّهُ ضَعِيفُ الْقَلْبِ . صَيَّادُ التَّلَفِ
 قَدْ بَثَّ الصُّقُورَ . وَأَرْسَلَ الْعُقْبَانَ وَنَصَبَ الْأَشْرَاكَ وَقَطَعَ الْمَوَادَّ فَكَيْفَ
 السَّلَامَةُ . تَهَيَّأْ لِسُرْعَةِ الْمَوْتِ وَأَشَدُّ مِنْهَا قَابُ الْقَلْبِ لَيْتَ شِعْرِي لِمَا
 يُوَوِّلُ أَمْرٌ . مَرْكَبُ الْحَيَاةِ تَجْرِي فِي بَحْرِ الْبَدَنِ بِرُخَاءِ الْأَنْفَاسِ . وَلَا
 بُدَّ مِنْ عَاصِفٍ فَاصِفٍ يَفْلِكُهُ وَيُفْرِقُ الرُّكَّابَ :

فَاقْضُوا مَا رَبَّكُمْ عِجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ

(وَقَالَ) كَأَنَّكَ بِحَرْبِ التَّلَفِ قَدْ قَدِمْتَ عَلَى سَاقٍ وَأَنْهَزْتَ بِجُنُودِ
 الْأَمَلِ . وَإِذَا بِمَلَكَ الْمَوْتِ قَدْ بَارَزَ الرُّوحَ يَجْذِبُهَا بِخَطَايِفِ الشَّدَائِدِ
 مِنْ قِيَانِ الْعُرُوقِ قَدْ شَدَّ أَكْتَافَ الدَّيِّجِ وَحَارَ الْبَصَرُ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ .
 وَمَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ عَنِ الْيَمِينِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ
 عَنِ الْيَسَارِ قَدْ فَتَحُوا أَبْوَابَ النَّارِ . وَجَمِيعُ الْخُلُوقَاتِ تَسْتَوَكِفُ الْخَبَرَ
 وَالْكُونَ كُلَّهُ قَدْ قَامَ عَلَى صِيحَةٍ : سَعِدَ فُلَانٌ أَوْ شَقِيَ فُلَانٌ . فَهَذَاكَ تَجَلَّى
 أَبْصَارِ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَيَحْكُ تَهْيَأُ لِمَلَكَ
 السَّاعَةِ حَصْلُ زَادًا قَبْلَ الْقَوْتِ :

تَمَتَّعَ مِنْ شِيمِ عَرَارٍ مُجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ

مِثْلَ لَعِينِكَ سُرْعَةَ الْمَوْتِ وَمَا قَدْ عَزَمْتَ أَنْ تَفْعَلَ حِينَئِذٍ فِي

كُلْنَا . إِنِ اعْرَضْتَ عَنَّا فَمَنْ لَنَا نَحْنُ الْمَذْنُبُونَ وَأَنْتَ غَفَّارُ الذُّنُوبِ .
فَقَلِّبْ قُلُوبَنَا يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ . وَاسْتَرْعُوبَنَا يَا سِتَّارَ الْعُيُوبِ . يَا أَمَلَ
الطَّالِبِ وَيَا غَايَةَ الْمَطْلُوبِ

٣٠ . وللسان الدين في المواعظ ما خاطب به بعض من استدعى منه الموعدة ونصه
إِذَا لَمْ أُنْجِ يَوْمًا عَلَى نَفْسِي الَّتِي بِحَرَائِهَا أَحْيَيْتُ كُلَّ حَيِّبٍ
وَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّ غَادِيَةَ الرَّدَى تَدِبُ لَهَا وَاللَّهُ كُلَّ دَيْبٍ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْكِي عَلَيْهَا بِأَذْمِعِي إِذَا كُنْتُ مَوْصُوفًا بِرَأْيٍ لَيْبٍ
كَمْ قَدْ نَظَرْتُ إِلَى حَيِّبٍ تَعَارُ مِنْ إِرْسَالِ طَرْفِكَ بِكِتَابِ
الْهَوَى إِلَى إِنْسَانِهِ . وَقَدْ ذَلَّتْ بِالسُّقْمِ نَرَجِسَةُ لَحْظِهِ وَذَوَتْ وَرْدَةُ
خَدِّهِ وَأَصْفَرَّتْ لِمَغِيبِ الْفِرَاقِ شَمْسُ حُسْنِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ الَّتِي كَانَ
يَنْجِلُ مِنْهَا بِالنَّفْسِ . يُخَاطَبُ بِلِسَانِ حَالِهِ مُسْتَرْحِمًا . وَلَيْتَ الْفَجْلُ يَهْضِمُ
نَفْسَهُ وَأَنْتَ عَلَى أَثَرِ مَسْحِهِ إِلَى دَسْتِ الْحُكْمِ . وَمَا أَذْرِي مَا يَفْعَلُ
بِي وَلَا بِكُمْ . وَمِنْهَا تَأَلَّهَ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْخُبَيْرُ صَادِقًا لِلشَّبِّ بِحَلْقِ الْعَيْشِ
بَعْدَهُ شَوْكَةُ الشَّكِّ :

وَلَوْ أَنَا إِذَا مُتًا تُرَكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مُتًا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
فَالْحَازِمُ مَنْ بَتَرَ أَلَمَالَهُ طَوْعًا . وَقَالَ : بِيَدِي لَا يَبْدِ عَمْرُو .
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ
بِاللَّهِ الْغُرُورُ . وَقَالَ أَمِيرُ الْوُعَاظِ : وَبِضِدِّهَا تَمَيِّزُ الْأَشْيَاءِ . يَا مَقْتُولًا

وَتَعْتَذِرُ بِالْغَفْلَةِ . فَمَا بَالُ التَّمَادِي . تَعْتَرِفُ بِالذَّنْبِ فَمَا الْحُجَّةُ فِي الْإِضْرَارِ
وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يُخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا .
يَا مُدَّعِي اللِّسَانِ مَاذَا فَعَلْتَ بَعْدَ التَّذْكِيرِ . يَا مُعْتَذِرًا بِالْغَفْلَةِ أَيْنَ ثَمَرَةُ
التَّنْبِيهِ . يَا مَنْ قَطَعَ بِالرَّحِيلِ أَيْنَ الزَّادُ . يَا ذُبَابَةَ الْحِرْصِ كَمْ ذَا تَلَجَّجُ
فِي وَرْطَةِ الشَّهْدِ . يَا نَائِمًا لِعَيْنَيْهِ حَذَارُ الْأَجَلِ قَدْ أَنْذَرَ . يَا تَمْلِلُ
الْإِغْتِرَارِ قُرْبَ خَمَارِ النَّدَمِ . تَدَّعِي الْحِذْقَ بِالصَّنَائِعِ وَتَجْهَلُ هَذَا الْقَدْرَ .
تَبْذُلُ التُّصْحَ لِغَيْرِكَ وَتَغْشُ نَفْسَكَ هَذَا الْغَشَّ . إِنْ دَمَلَ جَرْحُ تَوْبَتِكَ
عَلَى عَظَمِ قَامِ بِنَاءِ عَزَمَتِكَ عَلَى رَمْلِ . نَبَتَتْ خَضْرَاءُ دَعْوَتِكَ عَلَى
دِمْنَةٍ . عَقَدْتَ كَفْلَكَ مِنْ الْحَقِّ عَلَى قَبْضَةِ مَاءٍ . أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ
فَرَأَاهُ حَسَنًا . فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ . إِذَا غَامَ جَوْ
هَذَا الْمَجْلِسِ وَابْتَدَأَ رَشُ غَمَامِ الدُّمُوعِ قَالَتِ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ : حَوَالِنَا
لَا عَلَيْنَا . فَدَا لَتِ رِيَّاحُ الْغَفْلَةِ وَتَحَابُّ الصَّيْفِ هَفَافٌ . كُلَّمَا شَدَّ طِفْلُ
الْعَزِيمَةِ عَلَى دِرَّةِ التَّوْبَةِ صَانَعَتْهُ ظِلُّ الشَّهْوَةِ عَنْ ذَلِكَ بِعُضْفٍ . إِذَا
ضَيَّقَ الْخَوْفُ فَسْحَةَ الْمَهْلِ سَرَقَ الْأَمَلُ حُدُودَ الْجَارِ . قَالَ بَعْضُ
الْفُضَلَاءِ : كَانُوا إِذَا فَقَدُوا قُلُوبَهُمْ . تَفَقَّدُوا مَطْلُوبَهُمْ . وَلَوْ صَدَقَ
الْوَعْدُ لَا تَرَوْهُ . اللَّهُمَّ لَا أَكْثَرَ طَيْبٍ يَأْوِي النَّاسَ وَهُوَ عَيْلٌ . وَالْحَطْبُ
حَلِيلٌ وَالْمُنْطَبِنُ قَلِيلٌ فَهَلْ إِلَى الْخُلَاصِ سَبِيلٌ . اللَّهُمَّ أَنْظِرْ إِلَيْنَا
بَعَيْنَ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ الْأَشْيَاءَ وَشَمَلَتْ الْأَمْوَاتَ وَالْأَحْيَاءَ .
يَا دَلِيلَ الْخَائِرِينَ دُلَّنَا . يَا عَزِيزَ أَرْحَمَ ذُلَّنَا . يَا وَلِيَّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ كُنْ لَنَا

يَا مَعُولًا عَلَى الْإِقَامَةِ وَالرِّحَالُ تُشَدُّ . كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ أُوْتِقَ الشَّدُّ
وَالصِّقَ بِالْوَسَادَةِ اخْتُدُّ . وَالرَّجُلُ تُقْبَضُ وَالْأُخْرَى تُمَدُّ . وَاللِّسَانُ
يَقُولُ يَا لَيْتَنَارُدُّ :

إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَإِنَّا لَهُ مَا أَشْغَلَ الْإِنْسَانَ عَنْ شَانِهِ
يَرْتَاحُ لِلْأَثْوَابِ يُزْهِى بِهَا وَأَخْنِيطُ مَفْزُولٌ لَا كُفَّانِهِ
وَيُخْزَنُ الْفَلْسَ لَوْرَائِهِ مُسْتَفِيدًا مَبْلَغَ أَكْوَانِهِ
قَوْضٍ عَنِ الْفَانِي رِحَالُ أَمْرِي مَدَّ إِلَيْهِ عَيْنَ عِرْقَانِهِ
مَا تَمَّ إِلَّا مَوْقِفٌ زَاهِدٌ قَدْ وَكَّلَ الْعَدْلُ بِمِيزَانِهِ
مُفَرِّطٌ يَشْقَى بِتَفْرِيطِهِ وَمُحْسِنٌ يُجْزَى بِإِحْسَانِهِ
يَاهَذَا خَفِيَ عَلَيْكَ مَرَضُ اعْتِقَادِكَ . فَالْتَبَسَ اسْتَحْمُ بِالْوَرَمِ .
جَهَاتِ قِيمِ الْمَعَادِينَ فَبِعْتَ الشَّيْبَةَ بِالذَّهَبِ . فَسَدَ حُسْنُ ذَوْقِكَ فَتَمَكَّهَتْ
بِحَنْظَلَةٍ . أَيْنَ جِرْصِكَ مِنْ أَجْلِكَ . أَيْنَ قَوْلِكَ مِنْ عَمَلِكَ . يُدْرِكُكَ
أَحْيَاءُ مِنَ الطُّغْلِ فَتَتَحَايَ جَمَى الْفَاحِشَةِ فِي الْبَيْتِ بِسَبَبِهِ . ثُمَّ تَوَاقَعُهَا
بَعَيْنُ خَالِقِ الْعَيْنِ وَمُتَمَدِّرِ الْكَيْفِ وَالْأَيْنِ . تَاللَّهِ مَا فَعَلَ فِعْلَكَ بِمَعْبُودِهِ .
مَنْ قَطَعَ بِوُجُودِهِ . مَا يَكُونُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةٍ إِلَى عَلِيمٍ . تَعُودُ عَلَيْكَ
مَسَاعِي الْجَوَارِحِ الَّتِي سَخَّرَهَا لَكَ بِالْفَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ قَتَبُجُلٍ مِنْهَا فِي سَبِيلِهِ بِفَلْسٍ . وَاحِدُ الْأَمْرَيْنِ لَا زِمَ إِلَّا التَّكْذِيبُ
وَأَمَّا الْحَمَاقَةُ وَجَمْعُكَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ عَجِيبٌ . يَرْزُقُكَ السِّنِينَ الْعَدِيدَةَ
مِنْ غَيْرِ حَقٍّ وَجَبَ لَكَ وَتُسَيِّئُ الظَّنَّ بِهِ فِي يَوْمٍ . تَوْجِبُ الْحَقَّ

أَسْفًا عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْأَمْوَاتِ لَا نَنْفَكُ عَنْ شُغْلٍ بِهَاكَ وَهَاتِ
 وَيَفِرُّنَا لِمَعَ السَّرَابِ فَتَغْتَدِي فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَادِمِ اللَّذَاتِ
 يَا مَنْ غَدَا وَرَاحَ وَأَلْفَ الرِّيحِ . يَا مَنْ شَرِبَ الرِّيحَ مَمْرُوجَةً
 بِالْعَذَابِ الْقَرَّاحِ . وَقَعْدَ لِعَيَانِ صُرُوفِ الزَّمَانِ مَقْعَدَ الْإِقْبَرِاحِ .
 كَأَنَّكَ وَاللَّهِ بِاخْتِلَافِ الرِّيحِ . وَسَمَاعِ الصُّبْحِ . وَهُجُومِ غَارَةِ
 الْإِجْتِيَاكِ . فَادِيلِ الْخُفُوتِ مِنَ الْأَرْتِيَاكِ . وَنُسَيْتِ أَصْوَاتِ الْفَنَاءِ
 بِرَنَاتِ الرِّيحِ . وَعَوَّضَتْ عُرْرَ الشُّوبِ الْقَبَاحِ . مِنْ غُرْرِ الْوُجُوهِ
 الصَّبَاحِ . وَتَتَاوَلَتِ الْجُسُومَ النَّاعِمَةَ أَيْدِي الْأَطْرَاحِ . وَتُسَوِّسَتْ
 الْعُمُودُ الْكَرِيمَةُ بِمَرِّ الْمَسَاءِ عَلَيْهَا وَالصَّبَاحِ . وَأَصْبَحَتْ كَمَا النُّطَاحِ . مِنْ
 تَحْتِ الْبُطَاحِ . وَخَمَلَتِ الْمُهَنْدَةُ وَالرَّمَاحُ ذَلِيلَةً مِنْ بَعْدِ الْجَمَاحِ .
 تَبًّا لِبَابِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا كَأَنَّمَا هِيَ فِي تَضَرُّيفِهَا حُلُمٌ
 صَفَاؤُهَا كَدَّرَ سَرَاوُهَا ضَرَّرُ أَمَلُهَا غَدَّرُ أَنْوَارُهَا ظَلَمَ
 شَبَابُهَا هَرَمَ رَاحَتُهَا سَقَمَ لَذَاتُهَا نَدَمٌ وَجَدَانُهَا عَدَمٌ
 فَحَلَّ عَنْهَا وَلَا تَرْكُنْ لِزَهْرَتِهَا فَإِنَّهَا نَعَمٌ فِي طَائِفِهَا نَقَمٌ
 يَا مُسْتَعْلَا بِدَارِهِ . وَرَمَّ جِدَارِهِ . عَنْ إِسْرَاعِهِ إِلَى النِّجَاةِ وَبِدَارِهِ .
 يَا مَنْ صَاحَ بِإِنْدَارِهِ . شَيْبُ عِذَارِهِ . يَا مَنْ صَرَفَ عَيْنَ اعْتِدَارِهِ
 بِأَقْدَارِهِ . يَا مَنْ قَطَعَهُ بَعْدَ مَزَارِهِ . وَثَقَلَ أَوْزَارِهِ . يَا مُعْتَلِّقًا يَنْتَظِرُ هُجُومَ
 جَرَارِهِ . يَا مَنْ أَمَعَنَ فِي خَيْرِ الْهُوَى خَفَ مِنْ إِسْكَارِهِ . يَا مَنْ خَالَفَ
 مَوْلَى رِقَّةٍ تَوَقَّ مِنْ إِنْكَارِهِ . يَا كَلِفًا بِعَارِيَّةٍ تُرَدُّ . يَا مَفْتُونًا بِأَنْفَاسِ تَعْدُّ .

اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاحِرِينَ. وَتُنَادِي أُخْرَى: هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ.
تَسْتَعِثُ أُخْرَى: يَا لَيْتَنَا زُرْدٌ فَعَمَلٌ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ. وَتَقُولُ أُخْرَى:
رَبِّ أَرْجِعُونِي. فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ نَظَرَ لِنَفْسِهِ. قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِهِ. وَقَدَّمَ
لِغَدِهِ مِنْ أَمْسِهِ. وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ تَجْرُ إِلَى الْمَوْتِ. وَالْغَفْلَةُ تَقُودُ إِلَى
الْفُوتِ. وَالصِّحَّةُ مَرْكَبُ الْأَلَمِ. وَالشَّيْبَةُ سَفِينَةُ تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ الْهَرَمِ
وَهُ أَيْضًا مِنْ عَطَاةٍ

٢٩ إِيخْوَانِي صُمْتُ الْأَذَانَ وَالنِّدَاءَ جَوِيرٌ. وَكَذَّبَ الْيَمَانَ وَالْمَشَارَ
إِلَيْهِ شَهِيرٌ. أَيْنَ الْمَلِكُ وَأَيْنَ الظَّهِيرُ. أَيْنَ الْخَاصَّةُ أَيْنَ الْجَمَّاعِيرُ. أَيْنَ الْقَبِيلُ
وَالْعَشِيرُ. أَيْنَ ابْنُ أَرْدَشِيرٍ. صَدَقَ وَاللَّهِ النَّاعِي وَكَذَّبَ الْبَشِيرُ. وَغَشَّ
الْمُسْتَشَارُ وَاتَّهَمَ الْمُسِيرُ. وَسُئِلَ عَنِ الْكُلِّ فَأَشَارَ إِلَى التُّرَابِ الْمُسِيرُ:
خُذْ عَنِ حَيَاتِكَ لِلْمَمَاتِ الْآتِي وَبَدَارِ مَا دَامَ الزَّمَانُ مُوَاتِي
لَا تَقْتَرِزْ فَهَوَّ السَّرَابُ بِقَبِيعةٍ قَدْ خُودِعَ الْمَاضِي بِهِ وَالْآتِي
يَا مَنْ يُؤَمِّلُ وَاعْظَا وَمَذَكَّرَا يَوْمًا لِيُوقِظَهُ مِنَ الْغَفَلَاتِ
هَلَّا أَعْتَبَرْتَ وَيَا لَهَا مِنْ عِبرَةٍ بِمَدَافِنِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَمَاتِ
قِفْ بِالْبَقِيعِ وَنَادِ فِي عَرَصَاتِهِ فَلَكُمْ بِهِ مِنْ جِيرَةٍ وَلِدَاتِ
دَرْجُوا وَلَسْتُ بِخَالِدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ تُمَيِّزُ عَنْهُمْ بِوَصْفِ حَيَاةٍ
وَاللَّهِ مَا اسْتَهْلَتَ حَيًّا عَارِخًا إِلَّا وَأَنْتَ تُعَدُّ فِي الْأَمْوَاتِ
لَا فُوتَ عَنْ دَرَكِ الْحِمَامِ لِهَارِبٍ وَالنَّاسُ صَرَعُوا مَعْرَكِ الْأَفَاتِ
كَيْفَ الْحَيَاةُ لِدَارِجٍ مُتَكَلِّفٍ سِنَّةُ الْكُرَى بِمَدَارِجِ الْحَيَاتِ

كَأَنَّكُمْ بِهَا مَطْرَحَةٌ تَعْبُرُ فِيهَا الْمَوَاشِي . وَتَنْبُو الْعِوَنُ عَنْ خَبَرِهَا
 الْمَتَلَشِّي . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَذَاتُكُمْ فِتْنَةٌ . وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ . مَا بَعْدَ
 الْمَقِيلِ إِلَّا الرِّجْلُ . وَلَا بَعْدَ الرِّجْلِ إِلَّا الْمَنْزِلُ الْكَرِيمُ أَوِ الْمَنْزِلُ
 الْوَيْلُ . وَإِنَّكُمْ تَسْتَمِيلُونَ أَهْوَالَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ بِوَاكِرِ حِسَابِهَا . وَغَبُ
 أَبْوَابِهَا . فَلَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ عَنْ ذَرَّةٍ مِنْهَا لَذَهَلَتِ الْعُقُولُ وَطَاشَتْ
 الْأَلْبَابُ . وَمَا كُلُّ حَقِيقَةٍ يَشْرَحُهَا الْكَلَامُ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ
 حَقًّا فَلَا يُغَيِّرْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ أَفَلَا أَعَدَدْتُمْ لِهَذِهِ الْوَرُطَةِ حِيلَةً . وَأَظْهَرْتُمْ
 لِلْإِهْتِمَامِ بِهَا حِيلَةً . أَتَعْوِيْلًا عَلَى عَفْوِهِ مَعَ الْمُقَاطَعَةِ وَهُوَ الْقَائِلُ فِي
 مَقَامِ التَّهْدِيدِ . إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ . أَمَّا مَنْ مَكَّرَ مَعَ الْمُنَابَذَةِ . وَلَا
 يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . أَطْمَعًا فِي رَحْمَتِهِ مَعَ الْخُلَافَةِ كَمَا
 قِيلَ : فَسَاكِبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ . أَوْ مُشَاقَّةً وَمُعَانَدَةً . وَمَنْ يُشَاقِقِ
 اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ :

هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ التَّعَامِي هَكَذَا هَكَذَا يَكُونُ الْغُرُورُ

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ .
 وَمَا عَدَا عَمَّا بَدَأَ وَرَسُولُكُمْ الْخَرِيصُ عَلَيْكُمْ الرُّوُفُ الرَّحِيمُ يَقُولُ
 لَكُمْ : الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . وَالْأَخْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ
 نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَتَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي . فَعَلَامَ بَعْدَ هَذَا الْمَعْمُولُ . وَمَاذَا
 يَتَأَوَّلُ . اتَّقُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِكُمْ وَأَنْصَحُواهَا . وَاعْتَمُوا فِرَاصَ
 الْحَيَاةِ وَارْجَحُواهَا . أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ : يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ

الْأَفْقَارِ إِلَى الْأَعْرَاضِ الزَّهِيدِ . وَخُلِّصَ خَوَاطِرُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ سُجُونِ
 دُجُونِ التَّقْيِيدِ إِلَى فَسْحِ التَّجْرِيدِ . تَحْمَدُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ الْمُنْتَظَمَةُ دُرَرُهُ فِي
 سُلُوكِ الدَّوَامِ وَسُمُوطِ التَّائِيدِ . حَمْدٌ مِنْ نَزْهِ أَحْكَامِ وَخَدَانِيَّتِهِ وَأَعْلَامِ
 فَرَادَانِيَّتِهِ عَنْ مَرَايِطِ التَّقْيِيدِ . وَمَخَابِطِ الطَّعْنِ الْبَلِيدِ . وَشُكْرُهُ شُكْرٌ مِنْ
 أَفْتَحَ بِشُكْرِهِ أَبْوَابَ الْمَزِيدِ . وَلَشَهِدَ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 شَهَادَةً تَنْخَطِي بِهَا مَعَالِمُ الْخَلْقِ إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ عَلَى كِبَدِ التَّفْرِيدِ . آه
 أَيُّ وَعْظٍ بَعْدَ وَعْظِ اللَّهِ تَعَالَى يَا أَحِبَّائِنَا لِيَسْمَعْ . وَفِيمَا ذَا وَقَدْ تَبَيَّنَ
 الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ يُطْمَعُ يَا مَنْ يُعْطَى وَيَمْنَعُ . إِذَا لَمْ تَقُمْ الصَّنِيعَةُ فَمَاذَا
 تَصْنَعُ . إِجْمَعْنَا بِقُلُوبِنَا يَا مَنْ يُفَرِّقُ وَيَجْمَعُ . وَلِيَنْ حَدِيدَهَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ
 فَقَدْ اسْتَعَاذَ الْحَكِيمُ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ . اْعْلَمُوا
 رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ الْحِكْمَةَ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ . يَأْخُذُهَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ
 وَمِنْ الْجَمَادِ وَالْحَيَوَانِ . وَمَا أَمْلَأَهُ الْمُلُوكَانِ . فَإِنَّ الْحَقَّ نُورٌ لَا يَضُرُّهُ أَنْ
 صَدَرَ مِنَ الْحَامِلِ . وَلَا يَقْصُرُ بِحُمُولِهِ اِخْتِقَارُ الْحَامِلِ . وَأَنْتُمْ تَذَرُونَ
 أَنْكُمْ فِي أَطْوَارِ سَفَرٍ لَا تَسْتَقِرُّ لَهَا دُونَ الْغَايَةِ رِحْلَةٌ . وَلَا تَتَأَتَّى مَعَهَا
 إِقَامَةٌ وَلَا مَهْلَةٌ . مِنَ الْأَصْلَابِ إِلَى الْأَرْحَامِ إِلَى الْوُجُودِ إِلَى الْقُبُورِ إِلَى
 النُّشُورِ إِلَى إِحْدَى دَارِي الْبَقَاءِ أَيْ اللَّهُ شَكٌّ . فَلَوْ أَبْصَرْتُمْ مُسَافِرًا
 فِي الْبَرِّيَّةِ بَيْنِي وَبَيْنِي وَيَعْرَشُ وَيَمُجَّدُ وَيَعْرِشُ . لَمْ تَكُونُوا تَضْحَكُونَ مِنْ جَهْلِهِ .
 وَتَعْجَبُونَ مِنْ رُكَاكَةِ عَمَلِهِ . وَوَاللَّهِ مَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَشَوَاعِلُكُمْ عَنْ
 اللَّهِ الَّتِي فِيهَا اجْتِهَادُكُمْ إِلَّا بَقَاةُ سَفَرٍ فِي قَفْرِ . أَوْ أَعْرَاسٍ فِي لَيْلَةٍ نَفَرِ .

وَالشُّبُورِ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا قَدِمْتَ غَدًا النَّجْبُ لِلْمُطْعِمِينَ .
وَأَنْقَطَعَتْ أَنْتَ فِي جُمْلَةِ الْمُتَقَطِّعِينَ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ إِذَا نُشِرَتْ
غَدًا أَعْلَامُ التَّائِبِينَ . وَبَقِيَتْ أَنْتَ مَعَ الْخَائِبِينَ . كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ
إِذَا حُشِرَ النَّاسُ سُكَارَى . مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيَارَى . وَحُسِبَتْ أَنْتَ
مَعَ الْأَسَارَى . وَدَمَعُكَ يَسِيحُ . وَجَفْنُكَ قَرِيحُ . وَعَيْنُكَ عَبْرَى . وَكَبِدُكَ
حَرَى . وَعَقْلُكَ مَسْلُوبُ . وَفُؤَادُكَ يَذُوبُ . وَظَلَمُ الْمُعَاصِي قَدْ
انْكَشَفَتْ . وَالشَّدَايدُ عَلَيْكَ قَدْ تَضَاعَفَتْ . وَصَحِيفَتُكَ قَدْ ظَهَرَتْ .
وَالزَّبَانِيَةُ إِلَيْكَ قَدْ تَبَادَرَتْ . وَالْحَجِيمُ قَدْ أَرْفَرَتْ . وَأَسْتَارُكَ قَدْ
أُنْهَكَتْ . وَقَبَائِحُكَ قَدْ بَرَزَتْ وَذُنُوبُكَ قَدْ أَشْتَهَرَتْ . وَدُمُوعُكَ قَدْ
أَنْهَمَرَتْ . وَعَيْنُكَ قَدْ اسْتَعْبَرَتْ . تَلَقَّتْ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ . وَقَدْ
خَابَتْ مِنْكَ الْأَمْالُ . تُنَادِي فِي قَلْبِكَ : الْحَرِيقُ . كَيْفَ أَمْضِي وَأَيْنَ
الطَّرِيقُ . فَحَيْثُ يَهْرُبُ مِنْكَ الْآخُ الشَّفِيقُ . وَيَنَالُ الْحُلَّ الْوُدُودُ
وَالصَّاحِبُ وَالرَّفِيقُ . اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَاجْعَلْنَا مِنْ
تَبَاعِ الْفَائِزِينَ مِنَ الْقَوْمِ . يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ

نخبة

من مواظ لسان الدين الخطيب

٢٨ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ . الْمُبْدِي الْمَعِيدِ . الْبَعِيدِ فِي قُرْبِهِ مِنْ
الْعَبِيدِ . الْقَرِيبِ فِي بُعْدِهِ فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . مُحْيِي رُبُوعِ
الْعَارِفِينَ بِحَيَاتِ حَيَاةِ التَّوْحِيدِ . وَمُغْنِي نَفُوسِ الزَّاهِدِينَ بِكُنُوزِ اخْتِقَارِ

وَتَخْلَفَ . وَإِذَا وَعَدَ بِتَوْبَةٍ تَمَادَى وَأَخْلَفَ . وَإِذَا هَمَّ بِفِعْلٍ خَيْرٍ تَوَانَى
وَسَوَّفَ . وَإِذَا أَدَّى وَاجِبًا شَقَّ عَلَيْهِ وَتَكَلَّفَ . وَإِذَا لَاحَ لَهُ مَا يَهْوَى
مِنَ الْخَازِي لَمْ يَتَأَنَّ وَلَمْ يَتَوَقَّفَ . وَإِذَا بَارَزَ بِالْمَعَاصِي لَمْ يَتَحَذَّرْ وَلَمْ
يَتَخَوَّفَ . هَذَا مِيدَانُ الْمُجَاهِدَةِ فَأَيْنَ اجْتِهَادُكَ . هَذَا الرَّحِيلُ قَدْ دَنَا
فَأَيْنَ زَادُكَ . هَذَا الصِّرَاطُ قَدْ مَدَّ فَأَيْنَ اسْتِعْدَادُكَ . هَذَا رُكْنُ الْفَنَاءِ
وَتَيْقُ فَأَيْنَ اعْتِمَادُكَ . هَذَا الْإِعْتِبَارُ قَدْ لَاحَ فَأَيْنَ أَجْدَادُكَ . هَذَا نَذِيرُ
الرَّحِيلِ قَدْ صَاحَ فَهَلْ تَمَّ مَرَادُكَ . وَكَيْفَ لَسَيْتَ مَارَبَكَ فَأَثَرْتَ عَلَى
يَقِينِكَ أُرْتِيَابَكَ . أَفَأَمِنْتَ تَوْبِيخَكَ وَعِتَابَكَ حَتَّى مَلَأْتَ مِنَ الْخَطَايَا .
كِتَابَكَ . كَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَصَابَكَ . حَتَّى اخْتَرْتَ خَطَاكَ
وَرَفَضْتَ صَوَابَكَ . أَلَسَيْتَ حَشْرَكَ وَحِسَابَكَ . أَمْ أَعْدَدْتَ لِلسُّؤَالِ
جَوَابَكَ . يَا هَذَا الْبُكَ عَلَى ذُنُوبِكَ وَكُنْ حَزِينًا وَجَلًّا . قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمُ الْحَسْرَةِ وَأَنْتَ مُطْرَقٌ وَخَجَلًا . وَكُنْ عَلَى طَلَبِ الْخُلَاصِ بِالْإِخْلَاصِ
مُسْتَسْهِلًا . قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ دَمْعُكَ إِذَا صَنَى سَمْعُكَ مُنْهَمِلًا . كَيْفَ
يَكُونُ حَالُكَ إِذَا خَرَجَ الْخَلَائِقُ مِنَ الْقُبُورِ وَقَارَ الْبَحْرُ الْمُسْجُورُ .
وَتَذَكَّرْتَ الْجِبَالَ وَالصُّخُورَ . وَتَمَزَّقَتِ السَّمَاءُ وَهِيَ ثَمُورُ . وَتَهْتَطَّعَتِ
الْأَرْضُ وَهِيَ تَحُورُ . فَهَلْ تَرَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ فُتُورٍ . كَيْفَ
يَكُونُ حَالُكَ إِذَا انْكَشَفَتْ غَدَا الْأُمُورُ . وَأَنْهَيْتَكَ مِنَ الْمَذْنِبِينَ
السُّوءِ وَبَرَزَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ . وَذَلَّ كُلُّ جَبَّارٍ فَجُورُ . وَتَجَلَّى
الْعَزِيزُ الصُّبُورُ . وَحِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ يَا مَعْرُورُ . فَتَادَيْتَ بِالْوَيْلِ

وَأَنْجِدِ الْمَوْتُورَ ظُلْمًا فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ إِنْجَادِهِ فَاسْتَجِشْ
وَأَنْعَشْ إِذَا نَادَاكَ ذُو كَبُورَةٍ عَسَاكَ فِي الْحَشْرِ بِهِ تَنْعَشُ
وَهَاكَ كَأْسُ التَّضْحِيقِ فَاشْرَبْ وَجِدْ بِفَضْلَةِ الْكَأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشَ

موعظة لابن الجوزي

٢٧ إِيخْوَانِي أَعْلَمُوا أَنَّ مِنْ عَمَلٍ فِي الْأَيَّامِ خَيْرًا حُجْدَ أَمْرِهِ . وَمَنْ
أَقْتَرَفَ فِيهَا شَرًّا أَضَاعَ عُمُرَهُ . سَيَنْدِمُ غَدًا مَنْ قَصَرَ عَلَى تَقْصِيرِهِ .
وَيَتَلَهَّفُ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ لِمَصِيرِهِ . وَيَبْكِي هَاجِرُ الْهُدَى بَعْدَ تَبْصِيرِهِ .
إِنَّمَا هِيَ أَوْقَاتٌ مُبَادِرَةٌ تَذْهَبُ . وَاعْتِنَامٌ أَيَّامٌ تُنْهَبُ . فَبَادِرْ بِعَمَلِكَ قَبْلَ
الْقَوْتِ . وَاعْتَنِمْ حَيَاتَكَ قَبْلَ الْمَوْتِ . يَا مَنْ يَعِصِي مَوْلَاهُ عَلَى مَا يُرِيدُ .
وَيُبَارِزُهُ بِالْعَاصِي وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . وَهُوَ فِي دَارِ
الْأَرْبَاحِ لَا يَكْسِبُ وَلَا يَسْتَفِيدُ . وَلَا يَشُوقُهُ الْوَعْدُ وَلَا يَخُوفُهُ الْوَعِيدُ .
أَمَلُهُ طَوِيلٌ وَلَيْسَ الْعُمُرُ بِمَدِيدٍ . وَالْمَوَاعِظُ تَقْرَعُ الْقُلُوبَ فَتَجِدُهَا أَقْسَى
مِنَ الصُّخُورِ وَأَصْلَبَ مِنَ الْحَدِيدِ . تَهْتَظُّ يَا مَعْرُورُ وَأَفْهَمُ يَا بَلِيدُ . فَلَا أَمَلُ
طَوِيلٌ وَلَا أَمِنْ غَيْرِ شَرِيدٍ . وَطَرِيقُ الْعِقَابِ بَعِيدٌ مَدِيدٌ . كَيْفَ تَرْجُو
الْبَقَاءَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ وَالرَّحِيلَ . تَأْمَلُ الرِّضَا وَالزَّمَانَ قَدْ مَضَى فِي
غَيْرِ الْجَمِيلِ . أَعَدَدْتَ الْجَوَابَ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْحِسَابَ يَأْتِي عَلَى
الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ . قَالَ مَتَى تُضَيِّعُ الْوَقْتَ الشَّرِيفَ . وَحَتَّى مَتَى تَتَقَرَّبُ
إِلَى الْمَلِكِ الْأَلِيفِ . وَكَيْفَ أَعْرَضْتَ عَنِ الْقِيَامِ بِتَخْفِيفِ التَّكْلِيفِ . وَأَيْنَ
تَأْثِيرُ الْإِنْذَارِ عِنْدَكَ وَالتَّخْوِيفُ . يَا مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى صَلَاحِهِ أَبَى

لَا خَيْرَ لَهُ . أَقْسَمُ بِمَنْ رَجَّحَ النُّجُومَ . وَنَوَّرَ الْقَمَرِينَ . وَرَفَعَ قَدْرَ الْحَجَرِينَ .
لَوْ عَقَلَ ابْنُ آدَمَ . لَمَا نَادَمَ . وَلَوْ فَكَّرَ فِي مَا قَدَّمَ لِبُكْيِ الدَّمِ . وَلَوْ ذَكَرَ
الْمُكَافَاةَ . لَأَسْتَدْرَكَ مَا فَاتَ . وَلَوْ نَظَرَ فِي الْمَالِ . لَحَسَنَ قُبْحَ
الْأَعْمَالِ . يَاعَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ . لِمَنْ يَفْتَحِمُ ذَاتَ اللَّهِبِ . فِي اكْتِنَازِ
الذَّهَبِ . وَخَزَنِ الشَّيْبِ لَذَوِي النَّسَبِ . ثُمَّ مِنَ الْبِدْعِ الْعَجِيبِ أَنْ
يَعْظَاكَ وَخَطُّ الْمَشِيبِ . وَتَوُذِّنَ شَمْسُكَ بِالْمَغِيبِ . وَلَسْتَ تَرَى أَنْ
تَتِيبَ . وَتَهْدَبَ الْمَغِيبِ . ثُمَّ أَنْدَفِعَ يُشْدُ . إِنْشَادَ مَنْ يُرْشِدُ :
يَا وَيْحَ مَنْ أَنْذَرَهُ شَيْبُهُ وَهُوَ عَلَى غِيِّ الصَّبَا مُنْكَمَشِ
يَعْشُو إِلَى نَارِ الْهَوَى بَعْدَمَا أَصْبَحَ مِنْ ضَعْفِ الْقَوَى يَرْتَعَشِ
وَيَمُتْطِي اللَّهُوَ وَيَعْتَدُهُ أَوْطَاءَ مَا يَفْتَرِشُ الْمَفْرِشِ
لَمْ يَهَبِ الشَّيْبُ الَّذِي مَا رَأَى نُجُومَهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا دُهِشِ
وَلَا أَنْتَهَى عَمَّا نَهَاهُ النَّهْيُ عَنْهُ وَلَا بَالَى بِعِزِّ خُدِشِ
فَذَاكَ إِنْ مَاتَ فَسُخْرًا لَهُ وَإِنْ يَعِشَ عُذًّا كَانَ لَمْ يَعِشِ
لَا خَيْرَ فِي مَحْيَا أَمْرِي نَشْرُهُ كَاشِرَ مَيِّتٍ بَعْدَ عَشْرِ نَاشِ
وَحَبَّذَا مَنْ عَرَضَهُ طَيْبُ يَرُوقُ حُسْنًا مِثْلَ بَرْدِ رُقِشِ
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ شَاكَهُ ذَنْبُهُ هَلَكْتَ يَا مُسْكِينَ أَوْ تَنْتَقِشِ
فَأَخْلَصِ التَّوْبَةَ تَطْمِسُ بِهَا مِنَ الْخَطَايَا الشُّوْدَا مَا قَدْ نُقِشِ
وَعَاشِرِ النَّاسِ يُخْلِقُ رِضَى وَدَارِهِ مِنْ طَاشٍ وَمَنْ لَمْ يَطِشِ
وَرِشَ جَنَاحَ الْحُرِّ إِنْ حَصَّهُ زَمَانُهُ لَا كَانَ مَنْ لَمْ يَرِشِ

الْإِصْرَارِ . وَحَمْلُ الْآصَارِ . وَاطْرَاحُ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ . وَمُعَاصَاةُ إِلَهِ
 السَّمَاءِ . أَمَا الْهَرَمُ حَصَادُكُمْ . وَالْمَذَرُ بِهَذَاكُمْ . أَمَا الْجِمَامُ مُدْرِكُمْ .
 وَالصِّرَاطُ مُسْتَلَكُكُمْ . أَمَا السَّاعَةُ مَوْعِدُكُمْ . وَالسَّاهِرَةُ مَوْرِدُكُمْ . أَمَا
 أَهْوَالُ الطَّائِمَةِ لَكُمْ مُرْصَدَةٌ . أَمَا دَارُ الْعَصَاةِ الْخُطْبَةُ الْمُؤَصَّدَةُ .
 حَارِسُهُمْ مَالِكٌ . وَرَوَاؤُهُمْ حَالِكٌ . وَطَعَانُهُمْ السُّيُومُ . وَهَوَاؤُهُمْ
 السُّيُومُ . لَا مَالَ أَسْعَدَهُمْ وَلَا وَلَدَ . وَلَا عَدَدَ حَمَاهُمْ وَلَا عُدَدَ . أَلَا رَجِمَ
 اللَّهُ أَمْرًا مَلَكَ هَوَاهُ . وَأَمَّ مَسَالِكَ هُدَاهُ . وَأَحْكَمَ طَاعَةَ مَوْلَاهُ .
 وَكَدَحَ لِرُوحِ مَأْوَاهُ . وَعَمِلَ مَا دَامَ الْعُمُرُ مُطَاوِعًا . وَالذَّهْرُ مُوَادِعًا .
 وَالصِّحَّةُ كَامِلَةً . وَالسَّلَامَةُ حَاصِلَةً . وَإِلَّا ذَهَبَ عَدَمُ الْمَرَامِ . وَحَصَرَ
 الْكَلَامِ . وَإِلْمَامُ الْأَلَامِ . وَجُحُومُ الْجِمَامِ . وَهُدُوءُ الْحَوَاسِ . وَمِرَاسُ
 الْأَرْمَاسِ . آهًا لَهَا حَسْرَةٌ أَلَمَّا مُوَكَّدٌ . وَأَمْدُهَا سَرْمَدٌ . وَمُمَارِسُهَا
 مُكَمَّدٌ . مَا لَوْلَاهُ حَابِسٌ . وَلَا لِسَدَمِهِ رَاحِمٌ . وَلَا لَهُ مِمَاعَرَاهُ عَاجِمٌ .
 أَلْهَمَكُمُ اللَّهُ أَحْمَدَ الْإِلْهَامِ . وَرَدَّكُمْ رَدَّ الْإِكْرَامِ . وَأَحَاطَكُمْ دَارَ
 السَّلَامِ . وَاسْأَلْهُ الرَّحْمَةَ لَكُمْ وَلِأَهْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ . وَهُوَ أَسْمَحُ
 الْكِرَامِ . وَالْمُسَامِ وَالسَّلَامُ

وله من خطبة أخرى

٢٦ مُسْكِينُ ابْنِ آدَمَ وَأَيُّ مُسْكِينٍ . رَكَنٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ رَكِينٍ .
 وَاسْتَعْصَمَ مِنْهَا بِغَيْرِ مَكِينٍ . وَذُبِجَ مِنْ حُبِّهَا بِغَيْرِ سِكِينٍ . يَكْفُفُ بِهَا
 لِفَبَاوَتِهِ . وَيَكْلَبُ عَلَيْهَا لِشَقَاوَتِهِ . وَيَعْتَدُ فِيهَا لِتَمَازُجَتِهِ . وَلَا يَتَرَوَّدُ مِنْهَا

الْمَدْعُو لِحَسْمِ الْأَوَاءِ مَا لِكَ الْأَمَمِ وَمُصَوِّرِ الرِّمَمِ . وَمَكْرِمِ أَهْلِ السَّمَحِ
 وَالْكَرَمِ . وَمَهْلِكِ عَادٍ وَإِرمَ . أَذْرَكَ كُلَّ سِرِّ عِلْمِهِ . وَوَسَّعَ كُلَّ مُصَرِّ
 حِلْمِهِ . وَعَمَّ كُلَّ عَالَمٍ طَوْلُهُ . وَهَدَّ كُلَّ مَارِدٍ حَوْلَهُ . أَحْمَدُهُ حَمْدُ مُوَحِّدِ
 مُسْلِمٍ . وَأَدْعُوهُ دُعَاءَ مُؤَمِّلٍ مُسْلِمٍ . وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ
 الْأَحَدُ . الْعَادِلُ الصَّمَدُ . مَا هَمَزَ رُكَّامٌ . وَهَدَرَ حَمَامٌ . وَسَرَحَ سَوَامٌ .
 وَسَطَا حُسَامٌ . إِنْعَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَمَلِ الصُّلَحَاءِ . وَاتَّكِدُوا لِمَعَادِكُمْ كَذْحِ
 الْأَعْيَاءِ . وَارْدَعُوا أَهْوَاءَكُمْ رَدْعَ الْأَعْدَاءِ . وَأَعِدُّوا لِلرَّحَلَةِ إِعْدَادَ
 السُّعْدَاءِ . وَأَدْرِعُوا حُلَّ الْأُرْعِ . وَدَاوُوا عِلَالَ الطَّمْعِ . وَسَوُّوا أَوْدَ
 الْعَمَلِ . وَعَاصُوا وَسَاوِسَ الْأَمَلِ . وَصَوِّرُوا لِأَوْهَامِكُمْ حُورَ الْأَحْوَالِ .
 وَحُلُولَ الْأَهْوَالِ . وَمُسَاوِرَةَ الْأَعْلَالِ . وَمُصَارَمَةَ الْمَالِ وَالْآلِ .
 وَأَذْكُرُوا الْحِمَامَ وَسَكْرَةَ مَضْرَعِهِ وَالرَّمْسَ وَهَوْلَ مُطْلَعِهِ . وَاللَّحْدَ وَوَحْدَةَ
 مُودَعِهِ . وَالْمَلِكَ وَرَوْعَةَ سُؤَالِهِ وَمُطْلَعِهِ . وَأَلْحُوا الدَّهْرَ وَلَوْ مَكْرَهُ .
 وَسُوِّجَالَهُ وَمَكْرَهُ . كَمْ طَمَسَ مَعْلَمًا . وَأَمَرَ مَطْعَمًا . وَطَخَطَ عَرْمَرَمًا .
 وَدَمَّرَ مَلِكًا مَكْرَمًا . هَمَّهُ سَكُّ الْمَسَامِعِ . وَسَخُّ الْمَدَامِعِ . وَإِكْنَادُ
 الْمَطَامِعِ . وَإِرْدَاءُ الْمُسْمِعِ وَالسَّامِعِ . عَمَّ حُكْمُهُ الْمُلُوكَ وَالرَّعَاعَ .
 وَالْمُسُودَ وَالْمُطَاعَ . وَالْمُخْسُودَ وَالْحُسَادَ . وَالْأَسَاوِدَ وَالْأَسَادَ . مَا مَوَّلَ
 إِلَّا مَالَ . وَعَكَّسَ إِلَّا مَالَ . وَمَا وَصَلَ إِلَّا وَصَالَ . وَكَلَّمَ إِلَّا وَصَالَ .
 وَلَا سَرَّ إِلَّا وَسَاءَ . وَلَوْ مَ وَأَسَاءَ . وَلَا أَصَحَّ إِلَّا وَلَدَ الدَّاءِ . وَرَوَّعَ الْأَوْدَاءَ .
 اللَّهُ اللَّهُ . رَعَاكُمْ اللَّهُ . إِلَى مَ مُدَاوِمَةِ اللَّهِ . وَمُواصَلَةِ السَّهْوِ . وَطُولِ

وَمَا أَقْلَعْتَ عَنْ ذَمِّ
وَلَا تَزَكَّنَ إِلَى الدَّهْرِ وَإِنْ لَانَ وَإِنْ سَرَّ
قَتْلَنِي كَمَنْ اغْتَرَّ
بِأَفْعَى تَنْفُثِ السَّمِّ
وَحَقِضْ مِنْ تَرَاقِيكَ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا فَيْكَ
وَسَارٍ فِي تَرَاتِيكَ
وَمَا يَنْكُلُ إِنْ هَمُّ
وَجَانِبُ صَعَرَ الْحَدِّ إِذَا سَاعَدَكَ الْجَدُّ
وَزَمَّ اللَّفْظَ إِنْ نَدَّ
فَمَا أَسْعَدَ مَنْ زَمَّ
وَنَفَسَ عَنْ أَخِي الْبَثِّ وَصَدَّقَهُ إِذَا نَثَّ
وَرَمَّ الْعَمَلَ الرَّثِّ
فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَمَّ
وَرِشَ مَنْ رِيَشُهُ انْخَصَّ بِمَا عَمَّ وَمَا خَصَّ
وَلَا تَأْسَرَ عَلَى النَّفْسِ
وَلَا تَحْرِصْ عَلَى اللَّهِ
وَعَادِ الْخُلُقَ الرَّذْلَ وَعَوِّدْ كَفْكَ الْبَذْلَ
وَزَهَّهَا عَنِ الضَّمِّ
وَزَوِّدْ نَفْسَكَ الْخَيْرَ وَدَعْ مَا يُغَيِّبُ الضَّيْرَ
وَهَيَّ مَرْكَبَ السَّيْرِ
وَخَفْ مِنْ لُجَّةِ الْيَمِّ
بِذَا أُوصِيَتْ يَا صَاحُ وَقَدْ بُحْتُ كَمَنْ بَاحُ
فَطُوبَى لِقَى رَاحِ
بَادَايَ يَا تَمِّ

وله من خطبة وهي عريّة من الإجمام

٢٥ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَدُوحِ الْأَسْمَاءِ . الْحَمْدُ إِلَّا لَاءَ . الْوَاسِعِ الْعَطَاءِ

وَإِنْ لَاحَ لَكَ النَّفْسُ مِنْ الْأَصْفَرِ تَهْتَشُ وَإِنْ مَرَّ بِكَ النَّعْشُ

تَغَامَتْ وَلَا غَمَّ

تُعَاصِي النَّاصِحَ الْبَرَّ وَتُعْتَاصُ وَتَزُورُ وَتُنْقَادُ لِمَنْ غَرَّ

وَمَنْ مَانَ وَمَنْ نَمَّ

وَتَسْعَى فِي هَوَى النَّفْسِ وَتَحْتَالُ عَلَى الْفَلَسِ وَتَتَسَى ظُلُمَةَ الرَّمَسِ

وَلَا تَذْكُرُ مَا نَمَّ

وَلَوْ لَا حَظَّكَ الْحُظُّ لَمَا طَاحَ بِكَ الْخُطُّ وَلَا كُنْتَ إِذَا الْوَعْظُ

جَلَا الْأَخْزَانَ تَغْتَمُّ

مَسْتَذِرِي الدَّمَّ لَا الدَّمَغَ إِذَا عَانَيْتَ لَا جَمْعَ يَبْقَى فِي عَرَصَةِ الْجَمْعِ

وَلَا خَالَ وَلَا عَمَّ

كَأَنِّي بِكَ تَخَطُّ إِلَى الْخُذِّ وَتَنْفُطُ وَقَدْ أَسْلَمَكَ الرَّهْطُ

إِلَى أَضْيَقٍ مِنْ سَمِّ

هُنَاكَ الْجِسْمُ مَمْدُودٌ لَيْسَتْ أَكْلُهُ الدُّودُ إِلَى أَنْ يَنْخَرَ الْعُودُ

وَيَمْسِي الْعَظْمُ قَدْرَمٌ

وَمِنْ بَعْدُ فَلَا بُدَّ مِنَ الْغَرَضِ إِذَا أُعْتُدَّ صِرَاطُ جِسْرِهِ مُدٌّ

عَلَى النَّارِ لِمَنْ أَمَّ

فَكَمْ مِنْ مُرْشِدٍ ضَلَّ وَمِنْ ذِي عِزَّةٍ ذَلَّ وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ زَلَّ

وَقَالَ الْخُطْبُ قَدْ طَمَّ

فَبَادِرْ أَيُّهَا الْعُمَرُ لِمَا يَخْلُو بِهِ الْمُرُّ فَقَدْ كَادَ يَهِي الْعُمَرُ

مِنْ نِّالَةِ الْقُرْآنِ . تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْهَى عَنْ النُّكْرِ
وَلَا تَحَامُهُ . وَتُخْرِجُ عَنْ الظُّلَمِ ثُمَّ تَغْشَاهُ . وَتُخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ
أَنْ تُخْشَاهُ . ثُمَّ أَلْشَدَّ :

تَبَا لَطَالِبِ دُنْيَا ثَنَى إِلَيْهَا أَنْصِبَابَهُ
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامًا بِهَا وَفَرَطَ صَبَابَهُ
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صَبَابَهُ

وله أيضا من خطبة

٢٩

أَيَا مَنْ يَدْعِي الْفَهْمَ إِلَى كَمْ يَا أَخَا الْوَهْمِ تُعَيِّي الذَّنْبَ وَالذَّمَّ
وَتُخْطِي الْخَطَا الْجَمَّ
أَمَا بَانَ لَكَ الْعَيْبُ أَمَا أَنْذَرَكَ الشَّيْبُ وَمَا فِي نُصْحِهِ رَيْبُ
وَلَا سَمْعَكَ قَدْ صَمَّ
أَمَا نَادَى بِكَ الْأَوْتُ أَمَا أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ أَمَا تُخَشَى مِنَ الْقَوْتُ
فَتَحْتَاطَ وَتَهْتَمُّ
فَكَمْ تَسْدُرُ فِي السَّهْوِ وَتُخْتَالُ مِنَ الزَّهْوِ وَتَنْصَبُ إِلَى الْاَلَهْوِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ مَاعَمَّ
وَحَتَامَ تَجَافِيكَ وَإِبْطَاءَ تَلَاْفِيكَ طِبَاعًا جَمَعَتْ فِيكَ
عُيُوبًا شَتَاهَا أَنْضَمَّ
إِذَا اسْتَخْطَ مَوْلَاكَ فَمَا تَقْلُقُ مِنْ ذَاكَ وَإِنْ أَخْفَقَ مَسْعَاكَ
تَلَطَّيْتُ مِنَ الْهَمِّ

جَهَالَاتِهِ . الْجَانِحُ إِلَى خُرْعَائِهِ . إِلَى مَ تَسْتَمِرُّ عَلَى غِيكِ . وَتَسْتَمِرِّي
مَرَعِي بِغِيكِ . وَحَتَّى مَ تَتَنَاهَى فِي زَهْوِكَ . وَلَا تَنْتَهِي عَنْ لَهْوِكَ .
تُبَارِزُ بِمُفَصِّيتِكَ . مَا لَكَ نَاصِيَتِكَ . وَتَجْتَرِي بِشُجِّ سِيرَتِكَ . عَلَى
عَالِمِ سِرِّرِكَ . وَتَتَوَارَى عَنْ قَرِيْبِكَ . وَأَنْتَ بِمَرَأَى رَقِيْبِكَ .
وَتَسْتَخْفِي مِنْ مَمْلُوكِكَ . وَمَا تَخْفَى خَافِيَةٌ عَلَى مَلِيْكِكَ . أَتَظُنُّ أَنَّ
سَتَفْعُكَ حَالِكَ . إِذَا أَنْ أَرْتَحَالُكَ . أَوْ يُنْقِذُكَ مَالُكَ . حِينَ تُوبِقُكَ
أَعْمَالُكَ . أَوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدْمُكَ . إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ . أَوْ يُعْطِفُ عَلَيْكَ
مَعَشْرُكَ . يَوْمَ يَضْمُكَ مَحْشَرُكَ . هَلَا أُنْتَهَجَتْ نَحْجَةُ اهْتِدَائِكَ . وَعَجَلَتْ
مُعَالَجَةُ دَائِكَ . وَفَلَّتْ شَبَابَةُ اِعْتِدَائِكَ . وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ فِيهِ الْكَبِيرُ
اِعْدَائِكَ . أَمَا اَلْجَمَامُ مِيعَادُكَ . فَمَا اِعْدَادُكَ . وَبِالْمَشِيبِ اِنْذَارُكَ . فَمَا
اِعْذَارُكَ . وَفِي اَلْأَحْدِمْ مَقِيَاكَ . فَمَا قِيَاكَ . وَإِلَى اَللّٰهِ مَصِيرُكَ . فَمَنْ نَصِيرُكَ .
طَالَمَا اَيَقْظُكَ اَلدَّهْرُ فِتْنَاعَسَتْ . وَجَذَبَاكَ اَلْوَعْظُ فِتْنَاعَسَتْ . وَجَلَّتْ
لَكَ اَلْعِبْرُ فِتْنَامَيْتَ . وَحَصَّصَ لَكَ اَلْحَقُّ فِتْمَارَيْتَ . وَأَذْكُرَكَ اَلْمَوْتُ
فِتْنَسَيْتَ . وَأَمَكَّنَكَ أَنْ تُؤَاسِيَ فَمَا آسَيْتَ . تُؤَثِّرُ فَلَسَا تُؤْعِيهِ . عَلَى ذِكْرِ
تَعِيهِ . وَتَحْتَارُ قِصْرًا تَعْلِيهِ . عَلَى بَرٍّ تُولِيهِ . وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ .
إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ . وَتُعَلِّبُ حُبَّ ثَوْبٍ تَشْتَهِيهِ . عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ .
يَوَاقِيْتُ الصَّلَاتِ . أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيْتُ الصَّلَاةِ . وَمُغَالَاةُ
الصَّدَقَاتِ . آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ . وَصَحَافُ الْأَلْوَانِ .
أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَافِ الْأَدْيَانِ . وَدُعَابَةُ الْأَقْرَانِ . آسُ لَكَ

كَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا مِنْ مَخْلِدٍ إِلَيْهَا . وَصَرَعَتْ مِنْ مَكِبٍ عَلَيْهَا . فَلَمْ
تُنْعِشْهُ مِنْ عَثَرَتِهِ وَلَمْ تُقْلَهُ مِنْ صَرَعَتِهِ . وَلَمْ تُدَاوِهِ مِنْ سَقَمِهِ . وَلَمْ
تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ :

بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرَفْعَةٍ مَوَارِدَ سُوءٍ مَا لَهُنَّ مَصَادِرُ
قَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاةَ وَأَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ لَا يُنْجِيهِ مِنْهُ الْمَوَارِدُ
تَدَمَّ لَوْ أَغْنَاهُ طُولُ نَدَامَةٍ عَلَيْهِ وَأَبْكَتْهُ الذُّنُوبُ الْكَبِيرُ
بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ . وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا خَافَ مِنْ دُنْيَاهُ .
حَيْثُ لَمْ يَنْفَعَهُ الْإِسْتِعْبَارُ . وَلَمْ يُنْجِهِ الْإِعْتِذَارُ :

أَحَاطَتْ بِهِ أَخْزَانُهُ وَهَمُّهُ وَإِبْلِيسُ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمَعَادِرُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَازِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ خَسَتْ فَوْقَ الْمَنِيَةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهُمَّ وَالْحَنَاجِرُ
فَالِي مَتَى تُرْقِعُ بِأَخْرَتِكَ دُنْيَاكَ . وَتَرْكِبُ فِي ذَلِكَ هَوَاكَ . إِنِّي
أَرَاكَ ضَعِيفَ الْيَقِينِ . يَارَافِعُ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ . أَيْهَذَا أَمْرُكَ الرَّحْمَانُ . أَمْ
عَلَى هَذَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ :

تَحَرَّبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيَا فَلَا ذَاكَ مَوْفُورٌ وَلَا ذَاكَ عَامِرُ
فَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْمُكَ بَعْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى اللَّهِ عَازِرُ
أَتَرْضَى بِأَنْ تَتَّضِيَ الْحَيَاةَ وَتَقْضِيَ وَدَيْنَكَ مَنُفُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ

نخبة من خطب الحريري

٢٣ أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلُوبَائِهِ . السَّادِلُ ثَوْبَ خِيَلَائِهِ . الْجُلَانِعُ فِي

وَحَلَّوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا بِهَا وَمَا فَازَ مِنْهُمْ غَيْرُ مَنْ هُوَ صَابِرٌ
وَحَلُّوا بِدَارٍ لَا تَرَاوَرُ بَيْنَهُمْ وَأَنَّى لِسُكَّانِ الْقُبُورِ التَّرَاوَرُ
فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا رُمُوسًا ثَوَوْا بِهَا مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْهَا الْأَعَاصِرُ
كَمْ عَايَنْتَ مِنْ عِزَّةٍ وَسُلْطَانٍ . وَجُنُودٍ وَأَعْوَانٍ . قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ دُنْيَاهُ .
وَنَالَ مِنْهَا مُنَاهُ . فَبَنَى الْخُصُونَ وَالْدَّسَاكِرُ . وَجَمَعَ الْأَعْلَاقَ وَالْعَسَاكِرُ .
فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ الْمُنِيَّةُ إِذْ أَتَتْ مُبَادِرَةً تَهْوِي إِلَيْهِ الدَّخَايِرُ
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْخُصُونَ أَلَّتِي بَنَى وَخَفَّتْ بِهِ أَنْهَارُهَا وَالْدَّسَاكِرُ
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمُنِيَّةُ حِيلَةً وَلَا طَمَعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهُ الْعَسَاكِرُ
يَأْقُومُ الْحَذَرَ الْحَذَرَ . وَالْبِدَارَ الْبِدَارَ . مِنَ الدُّنْيَا وَمَكَائِدِهَا .
وَمَا نَصَبَتْ لَكُمْ مِنْ مَصَائِدِهَا . وَتَجَلَّتْ لَكُمْ مِنْ زِينَتِهَا . وَاسْتَشْرَفَتْ
لَكُمْ مِنْ بَهْجَتِهَا :

وَفِي دُونَ مَا عَايَنْتَ مِنْ فَجَعَاتِهَا إِلَى رَفِضِهَا دَاعٍ وَبِالزُّهْدِ آمِرُ
فَجِدْ وَلَا تَقْلُ فَعَيْشُكَ بَائِدٌ وَأَنْتَ إِلَى دَارِ الْمُنِيَّةِ صَائِرُ
وَلَا تَطْلُبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ طِلَابَهَا وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا رَغْبَةً لَكَ ضَائِرُ
وَكَيْفَ يَخْرُصُ عَلَيْهَا لَيْبٌ . أَوْ يُسَرُّ بِهَا أَرِيبٌ . وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ
فَنَائِهَا لَا تَحْجُونَ مِمَّنْ يَتَأَمُّ وَهُوَ يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يَرْجُو الْقَوْتَ :
أَلَا لَا وَلَكِنَّا نَعْرِ نُفُوسَنَا وَتَشْغَلُهَا اللَّذَاتُ عَمَّا تُحَاذِرُ
وَكَيْفَ يَلْذُ الْعَيْشُ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ بِمَوْقِفِ عَدَلٍ حَيْثُ تُبْلَى السَّرَائِرُ
كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا لُشُورَ وَأَنَّكَ سُدَى مَا لَنَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مَصَايِرُ

الآية . وَإِنَّكُمْ أَشَقَىٰ مَنْ أَظْلَمَهُ السَّمَاءُ . إِنَّ شِقَىٰ بِكُمْ الْعُلَمَاءُ . النَّاسُ
بِأَيْمَتِهِمْ . فَإِنْ أَنْقَادُوا بِأَيْمَتِهِمْ نَجَّوْا بِدِمَّتِهِمْ . وَالنَّاسُ رَجُلَانِ عَالِمٌ
يُرْعَى . وَمُعْتَلِمٌ يَسْعَى . وَالْبَاقُونَ هَامِلٌ نَعَامٌ . وَرَاتِعٌ أَنْعَامٌ . وَيَلُ
عَالٌ أَمِيرٌ مِنْ سَافِلِهِ . وَعَالِمٌ شَيْءٌ مِنْ جَاهِلِهِ . وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ
الْحُسَيْنِ كَانَ قَائِمًا يَعِظُ النَّاسَ وَيَقُولُ : يَا نَفْسُ حَتَّامٌ إِلَى الْحَيَاةِ
رُكُونُكَ . وَإِلَى الدُّنْيَا وَعَمَارَتُهَا سَكُونُكَ . أَمَا أُعْتَبِرْتَ بِمَنْ مَضَى مِنْ
أَسْلَافِكَ . وَمَنْ وَارَتْهُ الْأَرْضُ مِنْ آلَافِكَ . وَمَنْ حُجِّعَتْ بِهِ مِنْ
إِخْوَانِكَ . وَنُقِلَ إِلَى دَارِ الْبَلَى مِنْ أَقْرَانِكَ :

فَهُمْ فِي بُطُونِ الْأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا مُحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالٍ دَوَائِرُ
خَلَّتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ وَسَاقَتْهُمْ نَحْوَ الْمَنَآيَا الْمَقَادِرُ
وَخَلَّوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا وَصَمَّتْهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ الْخَفَائِرُ
كَمْ اخْتَلَسَتْ أَيْدِي النُّونِ . مِنْ قُرُونٍ بَعْدُ قُرُونٍ . وَكَمْ غَيَّرَتْ
بِلَالَهَا . وَغَيَّبَتْ أَكْثَرَ الرِّجَالِ فِي ثَرَاهَا :

وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مُكَبٌّ مُنَافِسٌ لِحُطَّائِبِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَارٍ
عَلَى خَطَرٍ تَمْشِي وَتُصْبِحُ لَاهِيًا أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ
وَإِنْ أَمْرًا يَسْعَى لِذَنْبَاهُ جَاهِدًا وَيَذْهَلُ عَنْ أَخْرَاهُ لَا شَكَّ خَاسِرُ
أَنْظُرْ إِلَى الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ . وَالْمُلُوكِ الْفَانِيَةِ . كَيْفَ انْتَصَفَتْهُمْ
الْأَيَّامُ . وَأَفْنَاهُمْ الْهَيْمَامُ . فَأَنْحَتِ آثَارُهُمْ . وَبَقِيَتْ أَخْبَارُهُمْ :
فَاضْخُوا رَمِيًّا فِي التُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ مَجَالِسُ مِنْهُمْ عُطِّلَتْ وَمَقَاصِرُ

الْسِّنِّ لَمْ يَخْطُمَكَ . الشَّيْخُوخَةُ تُكْسِبُ أَهْلَهَا سَمًا . وَأَنْتَ مَا اكْتَسَبْتَكَ
 إِلَّا أَمْتًا . لَوْ عَلِمْتَ أَيَّ وَفْدٍ حَلَّ بِفُودِكَ . لَتَبَرَّقْتَ حَيَاءً مِنْ وَفْدِكَ .
 وَلَكِنَّ مُحْيَاكَ لَمْ يَعْلَمْ أَحْيَاءً . وَلَمْ يَتَهَجَّ مِنْ حُرُوفِهِ أَحْيَاءٌ وَلَا أَلْيَاءٌ .
 تَتَبُّ إِلَى الشَّرِّ كَمَا تَتَبُّ الطِّبَاءُ . وَتَلْهَثُ إِلَى اللَّهِوَ كَمَا يَلْهَثُ الظَّمَاءُ .
 إِنْ حَقَّعَ الْبَاطِلُ فَأَسْمَعْ مِنْ سَمْعٍ . وَإِنْ هَمَّهِمَ الْحَقُّ فَكَاَنَّكَ بِلَا
 سَمْعٍ . حَمَلْتَ نَفْسَكَ عَلَى الرِّيَاضَاتِ وَهِيَ رِيضَةٌ . وَمَنْ يَحْتَابُ اللَّبَاءَ
 مِنَ اللَّبْوَةِ الْمُغِيضَةِ

خطبة لبدیع الزمان الهمدانی

٢٢ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدىً . وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا . وَإِنَّكُمْ
 وَارِدُو هُوَّةٍ . فَأَعِدُّوا لَهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . وَإِنَّ بَعْدَ الْمَعَاشِ مَعَادًا .
 فَأَعِدُّوا لَهَا زَادًا . أَلَا لَا عُذْرَ فَقَدْ بَيَّنْتَ لَكُمْ الْحُجَّةَ . وَأَخَذْتَ عَلَيْكُمْ
 الْحُجَّةَ . مِنَ السَّمَاءِ بِالْخَبَرِ . وَمِنَ الْأَرْضِ بِالْعَبْرِ . أَلَا وَإِنَّ الَّذِي بَدَأَ
 الْخَلْقَ عَلِيمًا . يُخَيِّ الْعِظَامَ رَمِيمًا . أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ جَهَازٍ . وَقَطْرَةٌ
 جَوَازٍ . مَنْ عَبَّرَهَا سَلَامٌ . وَمَنْ عَمَّرَهَا نَدِمَ . أَلَا وَقَدْ نَصَبْتُ لَكُمْ أُفْحًا
 وَنَثَرْتُ لَكُمْ الْحَبَّ مَنْ يَرْتَعُ . يَقَعُ . وَمَنْ يَلْقُطُ . يَسْقُطُ . أَلَا وَإِنَّ
 الْفَقْرَ حِلْيَةَ الْعَاقِلِ فَأَكْتَسَوْهَا . وَالْفَنَى حِلْيَةُ الطُّغْيَانِ فَلَا تَبَسُّوْهَا .
 كَذَبَتْ ظُنُونُ الْمُتَحِدِينَ . الَّذِينَ جَعَدُوا الدِّينَ . وَجَعَلُوا أَقْوَالَهُ عِصِينَ .
 إِنْ بَعْدَ أَلْحَدَتْ جَدَثًا . وَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا . فَحَذَارِ حَرِّ النَّارِ . وَبَدَارِ
 عُقْبَى الدَّارِ . أَلَا وَإِنَّ الْعِلْمَ أَحْسَنُ عَلَى عِلَالَتِهِ . وَالْجَهْلَ أَقْبَحُ عَلَى

مَا كُولٌ . وَإِلَى الْمُوَاخَذَةِ بِاقْتِرَافِهَا مَوْكُولٌ . فَثُكُّكَ مَثَلُ الرَّبِّ بَالٍ . فِي مُحَامَاتِهِ عَنِ الْأَشْبَالِ . يَصُدُّ عَنْ التَّصَدِّي لَهَا الْبَطْلُ الْحَمِيسُ . بَلْ يَرُدُّ عَنْ مَرَابِضِهَا الْحَمِيسُ . ثُمَّ يُصْبِحُ أَبُو السَّيْلِ وَالنَّمْلُ إِلَى ابْنِهِ كَالْحَبْلِ . وَهِيَ بِأَوْصَالِهِ مُطِيفَةٌ . كَأَنَّمَا كَسَتْهُ قُطِيفَةٌ . فَمَا أَغْنَى عَنْهُ ذِيَادُهُ . حَتَّى تَمَّ لِلنَّمْلِ كِيَادُهُ

٢٠ (الْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ) الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى جِدِّهِ . لَمْ يَزَلْ عَنْهُ إِلَى ضِدِّهِ . وَذُو الرَّأْيِ الْجَزْلُ . مَنْ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْهَزْلِ . وَكَيْفَ يَكُونُ حَازِمًا مَنْ هُوَ مَارِحٌ . هِيَ هَاتِ الْبَوْنُ بَيْنَهُمَا نَارِحٌ . وَكَفَاكَ أَنْ الْمَرْحُ . مَقْلُوبُ الْحَزْمِ كَمَا أَنَّ الْحَزْمَ مَقْلُوبُ الْمَرْحِ . رَبُّ كَلِمَةٍ غَمَسَتْكَ فِي الذُّنُوبِ . وَأَفْرَعَتْ عَلَى أَخِيكَ مِلءُ الذُّنُوبِ . فَإِنْ كَانَ حُرًّا زَرَعْتَ الْغَمْرَ فِي سُودَائِهِ . وَإِنْ كَانَ عَبْدًا زَرَعْتَ الْمَهَابَةَ مِنْ أَحْشَائِهِ . وَتَقُولُ إِنِّهَا مُرَاحَةٌ . وَعَلَيْكَ فِي أَنْ تَقُولَهَا مُرَاحَةٌ . وَيُحَكُّ يَا تَلْعَابَةً . لَوْ عَلِمْتَ مَا فِي الدُّعَابَةِ . لَأَطَعْتَ فِي أَطْرَاحِهَا نَهَاكَ . وَلَمَّا عَرَّعْتَ بِهَا لَهَا تَاكَ مَأْسَرَكَ أَنْ دَاعَبْتَ الرَّجُلَ فَضَحِكَ . وَلَمْ تَشْعُرْ أَنَّهُ بِذَلِكَ فَضَحَكَ . حَيْثُ أَعْلَمَ لَوْ فُطِنْتَ لِإِعْلَامِهِ . أَنَّكَ الشَّيْخُ الْمَضْحُوكُ مِنْ كَلَامِهِ . وَذَلِكَ مَا لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ . أَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ السُّخْفَاءِ

٢١ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالسِّتُونَ) شَبْتُ وَغَرَامُكَ مَا وَخَطَ عَارِضُهُ مَشِيبٌ . وَشَخْتُ وَغَرَامُكَ رِدَاءُ شَبَابِهِ قَشِيبٌ . مَا لِي أَرَاكَ صَعْبَ الْمِرَاسِ . جَائِحَ الرَّاسِ . كَأَنَّ وَافِدَ الْمَشِيبِ لَمْ يُخْطِمْكَ . وَكَأَنَّ أَرْتَقَاءَ

فَالْيَ أَرَاكَ سَاهِيًا لَاهِيًا . أَبْقَى عَلَى نَفْسِكَ وَارْبَعَ . فَهَذِهِ أُخْرَى الْمَرَاحِلِ
الْأَرْبَعِ . وَمَنْ بَلَغَ رَابِعَةَ الْمَرَاحِلِ . فَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْحَيَاةِ السَّاحِلِ . وَمَا
بَعْدَهَا إِلَّا الْمَوْرِدُ الَّذِي لَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْهُ مَصْدَرٌ . وَلَا زَيْدٌ مِنْ غَرَوْ
يُورِدُهُ أَجْدَرُ . هُوَ لَعَمْرُ اللَّهِ مَشْرَعٌ . جَمِيعُ النَّاسِ فِيهِ شَرَعٌ . وَأَحْتَمُّهُمْ
بِالْإِسْتِعْدَادِ لَهُ مَنْ شَارَفَهُ وَأَوَّلَاهُمْ بِالْإِشْفَاقِ لَهُ مَنْ قَارَفَهُ

١٨ (الْمَقَالَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ) مَا لِعُلَمَاءِ السُّوءِ جَمْعُوا عِزَائِمَ الشَّرْعِ
وَدَوَّرُهَا . ثُمَّ رَخَّصُوا فِيهَا لِأُمَرَاءِ السُّوءِ وَهَوَّنُوهَا . لَيْسَتْهُمْ إِذْ لَمْ
يَرَعُوا شُرُوطَهَا لَمْ يَعُوهَا . وَإِذْ لَمْ يُسْمِعُوهَا كَمَا هِيَ لَمْ يَسْمِعُوهَا . إِنَّمَا
حَفَظُوا وَعَلَّقُوا وَصَفَّقُوا وَحَلَّقُوا لِيَقْمُرُوا الْمَالَ وَيَسِيرُوا . وَيَفْقِرُوا
الْأَيَّامَ وَيُوسِرُوا إِذَا أَلْتَبَّ وَأُظْفَارَهُمْ فِي نَسَبٍ فَن يُخَاصُّ . وَإِنْ
قَالُوا لَا نَفْعُ أَوْ يَزَادُ كَذَا فَن يُنْقِصُ . دَرَارِيْعُ خَتَالَةٍ مِلُّوْهَا ذَرَارِيْعُ
قَتَالَةٍ . وَاكْتَامٌ وَاسِعَةٌ . فِيهَا أَصْلَالٌ لِاسِعةٍ . وَأَقْلَامٌ . كَانَهَا أَرْلَامٌ .
وَفَوَى . يَعْمَلُ بِهَا الْجَاهِلُ فَيَتَوَى . فَإِنْ وَازَنْتَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَالشَّرْطِ .
وَجَدْتَ الشَّرْطَ أَبْعَدَ مِنَ الشَّطْطِ . حَيْثُ لَمْ يَطْلُبُوا بِالِدِينِ الدُّنْيَا وَلَمْ
يُشِيرُوا الْفِتْنَةَ بِالْقِتْيَا

١٩ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ) هَبْ أَنْتَ أَتَّقَيْتَ الْكِبَارَ الَّتِي
نُصِّتَ . وَتَجَنَّبْتَ الْعُظَامَ الَّتِي قُصِّتْ . وَرَضْتَ نَفْسَكَ مَعَ الرَّاغِبِينَ .
عَلَى أَنْ لَا تَخُوضَ مَعَ الْخَائِضِينَ . فَمَا قَوْلُكَ فِي هَنَاتٍ تُوجَدُ مِنْكَ وَأَنْتَ
ذَاهِلٌ . وَفِي هَفَوَاتٍ تَصْدُرُ عَنْكَ وَأَنْتَ غَافِلٌ . وَلَعَلَّكَ مُمَرِّقُ الشَّلَوِ

وَرَأَيْكَ فِي الشَّهَوَاتِ بَاتِرٌ. وَشَوْفَكَ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ فَاتِرٌ. وَأَنْتَ
مُتَرَفٌ مُتَرَفٌ. أَغْلِبُ قِطْفٍ لَكَ مُخْتَرَفٌ. فِي أَكْنَافِ السَّعَةِ رَاتِعٌ.
وَلَا خِلَافَ الدَّعَةِ رَاضِعٌ. وَفِي تِيهِ الْغَفَلَاتِ هَائِمٌ. كَأَنَّكَ إِحْدَى
الْبَهَائِمِ مَا هَذَا خُلِقَ الْمُؤْمِنُ. وَلَا هَكَذَا صِفَةُ الْمُؤْمِنِ. الْمُؤْمِنُ رَاهِبٌ
رَاجِبٌ. سَاجِدٌ لَاجِبٌ. ذُو هَيْمَةٍ بَذَّةٍ. مُخْتَمٌ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ. إِنْ رَأَى مِنْ
نَفْسِهِ جَمَاحًا أَلْجَمَ وَحَجَرَ. وَإِنْ أَحَسَّ مِنْهَا مَطْمَعًا أَلْقَمَهَا الْحَجَرَ

١٥ (الْمَقَالَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْثَلَاثُونَ) يَا عَبْدَ الدِّينَارِ وَالْدِّرْهَمِ مَتَى أَنْتَ
عَتِيقُهُمَا. وَيَا أَسِيرَ الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ مَتَى أَنْتَ طَالِقُهُمَا. هَيْهَاتَ لَا عِتَاقَ
إِلَّا أَنْ تُكَارِبَ عَلَى دِينِكَ الْمُرْزَقِ. وَلَا إِطْلَاقَ أَوْ تُفَادِيَ بِخَيْرِكَ
الْمُرْزَقِ. يَا مَنْ يُشْبِعُهُ الْقُرْصُ. مَا هَذَا الْحِرْصُ. وَيَا مَنْ تُرْوِيهِ الْجُرْعُ.
مَا هَذَا الْجَزْعُ. سَتَعَلِمُ غَدًا إِذَا تَدَمَّتْ. أَنْ لَيْسَ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ.
وَإِذَا لَقِيتَ الْمُنُونَ. لَمْ يَنْفَعَكَ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. مَا يَصْنَعُ بِالْقَنَاطِيرِ
الْمُقْطَرَةِ. عَابِرُ هَذِهِ الْقَنْطَرَةِ. وَمَا يُرِيدُ مِنَ الْبَهْجَةِ وَالْفَرَحَةِ. نَازِلُ
ظِلِّ هَذِهِ السَّرْحَةِ

١٦ (الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالْثَلَاثُونَ) لَمْ أَرْ قَرَسِي رِهَانٍ. مِثْلَ الْحَقِّ
وَالْبَرْهَانِ. لِلَّهِ دَرْهَمًا مُتَخَاصِرِينَ. وَلَا عَدِمْتُهُمَا مِنْ مُتَنَاصِرِينَ. أَصْطَحِبَا
غَيْرَ مُبَانِينَ. أَصْطَحِبَا أَبَانِينَ. مَنْ شَدَّ يَدَهُ بِغُرْزِهَا. فَقَدْ أَعْتَرَّ
بِعِزِّهَا. وَمَنْ زَلَّ عَنْهَا فَهُوَ مِنَ الدَّلَّةِ أَذْلُ. وَمَنْ أَلْقَى أَقْلُ
١٧ (الْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالْثَلَاثُونَ) أَيُّهَا الشَّيْخُ الشَّيْبُ نَاهِيكَ بِهِ نَاهِيًا.

وَأَعْتَقَ الْجِدَّ وَالزَّمَّ الْجَدَدَ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَكَ جَدًّا لَا عَبًّا . وَقَطَرَكَ
إِبْرِيذًا لَا خَبثًا . لَوْلَا أَنَّ نَفْسَكَ بِكْسِهَا الْحَبِيثُ خَبَثَتْكَ . وَبَلَطَخَ
عَمَلَهَا السَّيِّئُ لَوَثَمَكَ . فَأَرَخَيْتَ عِنَانَكَ فِيمَا أَنْتَ عَنْهُ رُجُورٌ . وَقَوَّيْتَ
بِرُكْمِكَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ مَا جُورٌ . إِلقاءَ يَدِكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ . وَإِضَاعَةَ
حِظِّكَ فِي عَظِيمِ الْمُهْلَكَةِ

١٢ (الْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ) مَنْ لِعَمَلٍ كَالظَّهْرِ الدَّيْرِ . وَمَنْ
لِقَلْبٍ كَالْجُرْحِ الْغَيْرِ . دُوءِي بِكُلِّ دَوَاءٍ فَلَمْ يَنْجَعْ . وَاحْتِيلَ عَلَيْهِ بِكُلِّ
حِيلَةٍ فَلَمْ يَنْفَعِ . مَتَى رَفُوتَ مِنْهُ جَانِبًا انْتَقَضَ عَلَيْهِ آخَرُ . وَإِذَا سَدَدْتَ
مِنْ فَسَادِهِ مَخْرَجًا جَاشَ مَخْرُجًا ضَاقَتْ عَنْ تَذْيِيرِهِ فِطْنُ الْأَنْبَاءِ .
وَأَعْضَلَ عَالِجُهُ عَلَى الطَّيِّبِ النَّطَاسِي . فَيَا وَيْلَتَا مِنْ هَذَا السَّعَامِ .
وَيَا غَوْثًا مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعَقَامِ . وَمَا أَحَقَّ بِمِثْلِي أَنْ يَبِيتَ بِلَيْلَةٍ سَلِيمٍ .
كَلَّمَا تُلِيتُ : إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

١٣ (الْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ) إِحْرِصْ وَفِيكَ بَقِيَّةٌ . عَلَى أَنْ
تَكُونَ لَكَ نَفْسٌ تَقِيَّةٌ . فَلَنْ يَسْعَدَ إِلَّا الْتَقِيُّ . وَكُلُّ مَنْ عَدَاهُ فَهُوَ
شَقِيٌّ . قَبْلَ أَنْ تَرَى الشَّيْبَ الْجَمِيلَ . وَالصَّبَّ الْمُهْلِلَ . وَالْجِلْدَ الْمُتَشَنَّنَ .
وَالرَّأْيَ الْمُتَفَنَّنَ . وَالنَّوْءَ الْمُتَخَاذِلَ . وَالْوَطْءَ الْمُتَشَاكِلَ . وَالرَّثِيَّةَ فِي
الْمُفَاصِلِ نَاهِضَةً . وَالرَّعْشَةَ لِلْأَنَامِلِ نَافِضَةً . وَقَبْلَ أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَى
مَا أَنْتَ عَلَيْهِ قَدِيرٌ . وَلَا تَصْدُرَ عَمَّا أَنْتَ عَنْهُ صَادِرٌ

١٤ (الْمَقَالَةُ الْخَادِمَةُ وَالثَّلَاثُونَ) قَلْبُكَ آمِنٌ . وَجَأَشُكَ مُتَطَامِنٌ .

نَالَهُ الْوَيْحُ . وَأَيُّمُ اللَّهِ إِنَّ الرِّشْحَةَ فِي الْجَبِينِ . أَحْسَنُ مِنْ الشَّمِّ فِي
الْعَرْنِينَ . وَلَكِنْ تَفَرَّعَ رُضَاكَ وَمَا فِي سِقَايِكَ جُرْعَةٌ . خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمْلِكَ
الْبَجَرَ وَمَا فِي وَجْهِكَ مُزْعَةٌ

٩ (الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ عَشْرَةَ) عِزَّةُ النَّفْسِ وَبُعْدُ الْهَمَّةِ . أَمُوتُ الْأَحْمَرُ
وَالْحُطُوبُ الْمُدْهَمَّةُ . وَلَكِنْ مَنْ عَرَفَ مِنْهُلِ الذِّلِّ فَعَاقَهُ . اسْتَعَذَبَ
نَقِيعُ الْعِزِّ وَدُعَاقَهُ . وَمَنْ لَمْ يَصْطَلِ بِحَجَرِ الْهَيْجَاءِ لَمْ يَصِلْ إِلَى بَرْدِ الْمُنْعَمِ .
وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَرَاثِنِ أَسَدِ اللِّقَاءِ لَمْ يُصِبْ أَطْرَافًا كَالْفَنَمِ . وَتَحَتَّ
عَلَمُ الْمَلِكِ الْمُطَاعِ . ذَكَرُ السُّيُوفِ وَالْأَنْطَاعِ . وَمَنْ لَمْ يُقْضَ عَلَيْهِ
عُسْرٌ يَقْذَهُ . لَمْ يُقْضَ لَهُ يُسْرٌ يَقْذَهُ . وَمَا الْحِكْمَةُ إِلَّا لِهَيْبَةِ الْإِلَهِ .
وَهِيَ الْقَاعِدَةُ الَّتِي أَمَرَ عَلَيْهَا الْعَبْدُ وَنُهِى . الْيَوْمَ عَزَاءُ فِي كُفٍّ
وَكَرْبٍ . وَغَدًا جَزَاءُ بِزُلْفٍ وَقُرْبٍ

١٠ (الْمَقَالَةُ الْحَادِيَّةُ وَالْعِشْرُونَ) لَا تَنْفَعُ بِمَا لَا نَبِيَّ أَنْ تَبْتَنِي وَتَقْتَنِي .
وَتَقْتَنِ بَغْرَسٍ مَا لَا تَجْتَنِي . هَلُمَّ إِلَى اسْتِشَارَةِ عَمَلِكَ فَتَبَصَّرْ . وَإِلَى
اسْتِخَارَةِ ذَهْنِكَ فَتَدَّبَّرْ . وَقُلْ لِي إِذَا شَقَّ بَصْرُكَ . وَأَشَدَّ حَصْرُكَ .
وَعَايَنْتَ الْجَدَّ فَشَغَلَكَ عَنْ دَدِكَ . وَأَوْحَشَكَ تَفْرِيطُكَ فَسَقَطَ فِي
يَدِكَ . مَا يُغْنِي حَيْثُذَ عَنْكَ بُنْيَانُكَ . وَمَاذَا يُجْدِي عَلَيْكَ قُنْيَانُكَ .
وَهَلْ يَنْفَعُكَ مَخْلُوكُ الصَّنَوَانِ وَغَيْرُ الصَّنَوَانِ . أَمْ يَدْفَعُ عَنْكَ مَا يَخْرُجُ
مِنْ طَلْعِهَا مِنَ الصَّنَوَانِ

١١ (الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ وَالْعِشْرُونَ) خَلَّ عَنْ يَدِكَ الْبَاطِلَ وَاللَّدَدَ .

الصِّدْقُ أَنْفَعُ مِنَ التَّرِيَاكِ النَّافِعِ . وَقَرِينُ السُّوءِ أَضَرُّ مِنَ الشَّمِّ النَّافِعِ .
 ٦ (المقالة الحادية عشرة) الشَّهْمُ الْحَذِرُ . بَعِيدُ مَطَارِحِ الْفَكْرِ .
 قَرِيبُ مَسَارِحِ النَّظَرِ . لَا يَرْقُدُ وَلَا يَكْرِي . إِلَّا وَهُوَ يَقْظَانُ الذِّكْرَى .
 يَسْتَبِطُ الْعِظَةَ مِنَ اللَّحْمِ الْخَفِيِّ . وَيَسْتَجِلِبُ الْعِبْرَةَ مِنَ الطَّرْفِ
 الْقَصِيِّ . فَإِذَا نَظَرَتْ إِلَى بَنَاتِ نَعَشٍ فَاسْتَجَلِبْ عِبْرَتَكَ . وَإِذَا رَأَيْتَ
 بَنِي نَعَشٍ فَاسْتَجَلِبْ عِبْرَتَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْجَوَائِزِ . أَنَّ تَرْوَحَ غَدًا
 عَلَى الْجَنَائِزِ

٧ (المقالة السادسة عشرة) الْكَرِيمُ إِذَا رِيمَ عَلَى الضَّيْمِ نَبَا .
 وَالسَّرِيُّ مَتَى سِيمَ الْخَسْفِ أَبِي . وَالرَّزِينُ الْمُحْتَبِيُّ بِحِمَالَةِ الْحِلْمِ .
 يَنْفِرُ نَفْرَةَ الْوَحْشِيِّ عَنِ الظُّلَمِ . إِشْفَاقًا عَلَى ظُفْرِهِ أَنْ يُقْلَمَ . وَعَلَى
 ظَهْرِهِ أَنْ يُكَامَ . وَقَلَمًا عُرِفَتْ الْأَنْفَةُ وَالْإِبَاءُ . فِي غَيْرِ مَنْ شَرُفَتْ مِنْهُ
 الْأَبَاءُ . وَلَا خَيْرَ فَيْنَ لَمْ يَطْبَأْ لَهُ عِرْقُ . وَذَنْبُ الْكَلْبِ مَا بِهِ طَرَقُ
 ٨ (المقالة السابعة عشرة) الْوَجْهَ ذُو الْوَفَاحَةِ . مِنْ وَجْهِ الرِّقَاحَةِ .
 يُفِي عَلَى صَاحِبِهِ الْأَنْفَالِ . وَيَفْتَحُ لَهُ الْأَثْفَالِ . وَيُلْقِطُهُ الْأَرْطَابِ .
 وَيُلْقِمُهُ مَا اسْتَطَابَ . وَيُجَسِّرُهُ عَلَى قَوْلِ الْمُنْطِيقِ . وَيُسِيرُهُ فِعْلَ مَا لَا
 يُطِيقُ . وَكُلُّ ذِي وَجْهِ حَيٍّ . ذُو لِسَانٍ عَيٍّ . مُعْتَقِلٌ لَا يَنْشَطُ
 لِمَقَالٍ . وَلَا يَنْشَطُ مِنْ عَمَالٍ . وَلَا يَزَالُ ضَيْقُ الذَّرْعِ . بِكَيْ الضَّرْعِ .
 يَشْبَعُ غَيْرُهُ وَهُوَ طَيَّانُ . وَيَعْطَشُ هُوَ وَصَاحِبُهُ رِيَّانُ . وَلَكِنْ لَا كَانَ
 مَنْ يَتَوَخَّعُ لِأَجْلِ أَنْ يَتَرَقَّه وَيَتَرَفَّحَ . فَلَعَمْرِي مَا النَّائِلُ الْوَتَحُ . إِلَّا مَا

وَعَلِمَهُ وَلَا يَرْفَعُهُ مَالُهُ وَأَهْلُهُ . إِذَا خَفَضَهُ فُجُورُهُ وَجَهْلُهُ . الْعِلْمُ هُوَ
 الْأَبُ . بَلْ هُوَ لِلثَّائِي أَرَابُ . وَالتَّقْوَى هِيَ الْأُمُّ . بَلْ هِيَ إِلَى اللَّبَانِ
 أَضْمُ . فَأَحْرَزَ نَفْسَكَ فِي حِرْزِهَا . وَأَشَدُّ يَدَيْكَ بِغِرْزِهَا . يَسِقُكَ
 اللَّهُ نِعْمَةً صَيِّبَةً . وَيُحْيِكَ حَيَاةً طَيِّبَةً .

٣ (الْمَقَالَةُ الثَّانِيَّةُ) يَا ابْنَ آدَمَ أَصْلُكَ مِنْ صَلَاحِ كَأَفْخَارِ . وَفِيكَ
 مَا لَا يَسْعُكَ مِنَ التِّيهِ وَالْفَخَارِ . تَارَةً بِالْأَبِ وَالْجَدِّ . وَآخَرَى بِالدَّوْلَةِ
 وَالْجَدِّ . مَا أَوْلَاكَ بَأْنَ لَا تُصْعِرَ خَدَّيْكَ . وَلَا تَفْتَحِرَ بِجَدِّكَ تَبَصَّرْ
 خَلِيلِي مِمَّ مُرَكَّبُكَ . وَإِلَى مَ مُنْقَلَبُكَ . فَتَحْفِضَ مِنْ غُلُوبِكَ . وَخَلَّ
 بَعْضَ خَيَالِكَ

٤ (الْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ) مَا أَسْعَدَكَ لَوْ كُنْتَ فِي سَلَامَةِ الضَّمِيرِ .
 كَسَالَةِ الْمَاءِ التَّمِيرِ . وَفِي النِّقَاءِ عَنِ الرِّيَّةِ كَمَرَاةِ الْغَرِيبَةِ . وَفِي
 نَفَازِ الطَّيَّةِ . كَصَدْرِ الْخَطِيَّةِ . وَفِي اخْذِ الْأَهْبَةِ . كَالْوَاقِعِ فِي النَّهْبَةِ .
 لَكِنَّكَ ذُو تَكْدِيرِ . كَرَجْرَجَةِ الْغَدِيرِ . وَمُتَطَلِّحِ بِالْخَبَائِثِ . كَالْكَثِيرِ
 الْحَانِثِ . وَذُو عَجْزٍ وَتَوَانِي . كِمِكْسَالِ الْغَوَانِي . وَتَارِكُ لِلِاسْتِعْدَادِ .
 كَالشَّاكِّ فِي الْمَعَادِ

٥ (الْمَقَالَةُ الْعَاشِرَةُ) اسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ مُوَاخِيكَ . مَا اسْتَمْسَكَ
 بِأَوَاحِيكَ . وَأَصْحَبْهُ مَا أَصْحَبَ لِلْحَقِّ وَأَذْعَنَ . وَحَلَّ مَعَ أَشْيَاعِهِ وَظَعَنَ .
 فَإِنْ تَنَكَّرْتَ أَنْحَاوَهُ . وَرَشَّخَ بِالْبَاطِلِ إِنَاوَهُ . فَتَعَوَّضَ مِنْ صُحْبَتِهِ وَإِنْ
 عَوَّضْتَ الشَّعْسَعَ . وَأَصْطَرِفَ بِجَبَلِهِ وَإِنْ أُعْطِيَ النَّسْعَ . فَصَاحِبُ

الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي الْخُطْبِ

نخبة

من كتاب اطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري

١ اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَزَلَّتْ إِلَيَّ مِنْ نِعْمَتِكَ . وَعَلَى مَا أَزَلَّتْ
عَنِّي مِنْ نِقْمَتِكَ . عَلَى أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لِلأُولَى . وَكُنْتُ بِالثَّانِيَةِ أَوْلَى .
لَوْلَا فَضْلُ مِنْكَ سَابِقُ حَمْدِ الْحَامِدِ وَرَاءَهُ يُقْطَفُ . وَإِنْ أَعْنَقَ فَكَأَنَّهُ
مَصْفُودٌ يَرْسُفُ . وَكَرَّمَ بِأَسَقِ شُكْرِ الشَّاكِرِ نِيْوُ تَحْتَهُ بِجَنَاحٍ مَبِيضٍ .
وَإِنْ حَاقَ فَكَأَنَّهُ لَا صِقْ بِالْخَضِيضِ . ثُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ حَمْدًا بَعْدَ حَمْدٍ
عَوْدًا عَلَى بَدْءٍ . وَأَجْعَلُ تَوْفِيقَكَ مَعِيَ رِذَاً وَكَفَى بِهِ مِنْ رِذَاءٍ . عَلَى صُنْعِ
مَا هَجَسَ فِي ضَمِيرِ نَفْسٍ . وَلَا أَتَّصِلُ يَوْمًا بِظَنٍّ وَلَا حَدْسٍ . مِنْ تَسْيِيرِ
الْقِيَمَةِ الَّتِي بِإِحْسَانِكَ الْمَتَظَاهِرِ جَذَبَتْ إِلَيْهَا بَضْعِي . وَبَسَاطَانِكَ
الْقَاهِرِ قَسَرَتْ عَلَيْهَا طَبْعِي . وَبِنَظَرِكَ الصَّادِقِ خَفَّفَتْ عَلَيَّ مَجَاشِيهَا
الْمُتَعَبَةِ . وَسَهَّاتُ تَكَالُفِهَا الْمُتَصَعِّبَةِ . وَفَيْكَتَ مِنْ رِقِّ التَّعَبَاتِ
عُنُقِي . وَمَنْنْتَ بِحَلِّ إِسَارِي وَعِشْقِي . وَرَقِّتَنِي إِلَى رُتْبَةِ الْقَنَاعَةِ وَهِيَ
الرُّتْبَةُ الْعُلْيَا . وَزَهَّدْتَنِي فِي الْحِرْصِ عَلَى زُخْرِ الدُّنْيَا . وَطَيَّبْتَ
نَفْسِي بِغَوَارِزِ أَخْلَافِهَا عَنْ الْغَزَارِ . وَتَرَضَّيْتُهَا بَعْدَ الدَّرَةِ بِالْغَزَارِ
٢ (الْمَقَالَةُ الْأُولَى) مَا يَخْفِضُ الْمَرْءَ عُدْمُهُ وَيُثِمُّهُ . إِذَا رَفَعَهُ دِينُهُ

مَجَالِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقُ الْعَرَبِ

عَنِّي بِجَمْعِهِ وَضَبْطِهِ وَتَصْحِيحِهِ

الاب لويس شيخو اليسوعي

الجزء السادس



طبع قاسمة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٣

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة ١٢٦

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

